

谷崎潤一郎
تانيزاكي جوناييتشيو

الجزء الأول "الأخوات ماي أوكا"



細雪
رقائق الثلج

الترجمة عن اليابانية آية حسن

小説
رواية

مكتبة 1675

رقائق الثلج

لكن بجانب الظروف التي ذكرتها سابقاً والتي صارت سبباً في تأخر زواجهاء، فهناك أيضاً سبب لسوء حظ "يوكيقو" وهو أنها من مواليد برج الحمل. عمومًا فإن الاعتقاد الخرافي بكراهية مواليد برج الحمل والكراهية الشديدة لبرج الحصان غير موجود بإقليم "طوكيو"، لذا فمكان "طوكيو" شعورهم مختلف حيال الأمر. لكن بإقليم "كانساي" الذي يضم محافظات "أوساكا" و"كوبيه" و"كيوتو" -خصوصًا في ما بين نساء القرى- يُزعم أن مواليد هذين البرجين حظهم عثر ويتأخر زواجهم ومن الأفضل تجنبهم، حتى إنهم يطلقون عليهم الأمثال الشعبية، مثل "التعيسة من برج الحمل.. لن يفتح لها باب ولا أمل".



رقائق الثلج

الجزء الأول

"الأخوات ماكي أوكا"

مكتبة | 1674



مكتبة

عنوان الكتاب: رقائق السلاج
الجزء الأول.. الأخوات ماكي أوكا
المؤلف: تاتيرازي جونيتشيو
المؤلف: 谷崎潤一郎
ترجمة: آية حسن شاكر



مركز
المحرسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - الملقط - القاهرة
ت. ف. - 002 02 28432157

	mahrousaeg
	almahrosacenter
	almahrosacenter
	www.mahrousaeg.com
	info@mahrousaeg.com
	mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صفور

رقم الإيداع: ٢٠١٩ / ٢٦٦٨٧
التقديم الدولي: 1-786-313-977-978
جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحرسة
2019

رواية



رقائق الثلج

الجزء الأول

"الأخوات ماكي أوكا"

تانيزاكي جونيتشيرو

ترجمة: آية حسن شاكر



بطاقة فهرسة



فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

جونيتشيرو، تانيزاكي

رقائق الثلج/ تانيزاكي جونيتشيرو؛ ترجمة آية حسن شاكر. ط1

القاهرة: مركز المحرسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2019

م ج 1، 306 ص؛ 21.5x14.5 سم

المحتويات: "الأخوات ماي أوكا"

تدمك 1-786-313-977-978

1 - القصص اليابانية

أ- شاكر، آية حسن (مترجم)

ب- العنوان

891.63

رقم الإيداع 2019/26687



أبطال الرواية

- "تسوروقو"- الأخت الكبرى وربة البيت الرئيس للعائلة.
- "ساتشيقو"- الأخت الثانية وربة البيت الفرعى للأسرة.
- "يوكيقو"- الأخت الثالثة فى الثلاثين من عمرها وغير متزوجة، وهى خجولة ومترددة و أحيانا ينادونها ب "كى -أن " أو "يوكى".
- "تاتيقو"- الأخت الصغرى المتطلعة للإبداع و العمل و السفر و تتبع آخر صيحات الموضة فى مظهرها.
- "تاتسوأو"- موظف بنكى وزوج الأخت الكبرى، وأخذ لقب عائلة "ماى أوكا" وثولى شئون العائلة و ينادونه بأخى الكبير أو أخونا بالقانون و بالتبنى كما تجرى العادة باليابان.
- "تينوسوكيه"- زوج الأخت الثانية "ساتشيقو"، و هو محاسب و أخذ أيضاً لقب عائلة "ماى أوكا" و أصبح أخاهم بالقانون أو بالتبنى كما يعتادون ذكرها.
- "اتسوقو"- ابنة "ساتشيقو" و"تينوسوكيه" و أحيانا ينادونها "اتسو" و هى طفلة فى السادسة من عمرها و تنادى خالتها

بأخواتي نظرا لعيشهم معا فتنادى خالتها "يوكيقو" بأختي
الكبيرة ، و تنادى "ثائقو" بأختي الصغيرة.

- "أوهارو" - خادمة بالبيت الثاني.
- "أوكوباتا" - ابن لتاجر من عائلة شهيرة بأوساكا، وحاول الهرب
مع الأخت الصغرى "ثائيقو".
- "إيتاني" - صاحبة صالون تجميل تتردد عليه الأخوات "ماكي
أوكا".
- "إيتاكورا" - مصوّر وموظف بمتجر "أوكوباتا".





الفصل الأول

"أختي الصغيرة. هل لي أن أسألك؟"

حين رأت في المرأة "تائيكو" قادمة من الردهة تمرر الفرشة لتلمع رداءها بذاتها، حدقت إليها دون أن تلتفت إليها، كأن وجهها بلباسها الداخلي الذي انعكس أمامها هو وجه لشخص آخر.

سألها "ساتشيكو":

- "أختك يوكيكو ماذا تفعل بالأسفل؟"

- "يبدو أنه يانو اتسوقو".

حسنًا إذًا، فإن صوت تدريب العزف بالردهة هذا كان لـ"يوكيكو"، التي ارتدت رداءها سابقًا وأمسكت بـ"اتسوقو" وأسرعت لأنها تحاول أن تتدرب.

كانت "اتسوقو" تبدو كأنها ليست طفلة، بل شخص بالغ يمكنه بالبيت حتى حين تخرج والدتها وتبقى لأجلها بالمنزل "يوكيكو"، لكن على الرغم من ذلك فهي اليوم في مزاج سيئ قليلًا، فقد خرج كل من "تائيكو" و"يوكيكو" مع أمها. لقد وافقت أن يأتوها عائدين قبل

موعد العشاء. بالطبع ستسبقهم "يوكيقو" فور انتهاء الحفل الموسيقى الذى سيبدأ فى الثانية.

- "مهلاً. أختى الصغيرة، إنه حديث يوكيقو، وهناك بقية أيضاً".

- "حسنًا".

وأسرعت "يوكيقو" خلف أختها "تائيكو" التى كانت تنفض مساحيق تجميل وجهها التى علقت بالآثار الواضحة لفرشة الملابس، قطعاً هى ليست حذباء، وإنما فقط رأت ظهرها العارى المبلل بلونه ولمعانه فى شعاع ضوء يوم خريفى من وراء كتفى "ساتشيقو" الممتلئة الجسم قليلاً، التى نهضت فجأة. رأتها مفعمة بالحياة وليست كأنها واحدة تجاوزت الثلاثين مطلقاً.

- "ها قد جاءت السيدة إيتانى بما لديها من أحاديث".

- "حسنًا".

- "موظف. موظف بشركة الصناعات الكيماوية MB".

- "وكم يبلغ راتبه تقريباً؟"

- "راتبه الشهرى 178 يَنًا، وإن أضفنا العلاوات سيبلغ نحو 250 يَنًا".

- "إن كانت هى شركة الصناعات الكيماوية MB كما تقول، فإنها شركة فرنسية".

- "أعلم ذاك الأمر".

كانت "تائيكو" أصغر أخت هى التى على دراية بهذه الأمور أكثر من كلتا الأختين الكبيرين، بل من الأدعى هنا أن تراهما بكامل السذاجة وهما لا تدركان شيئاً عن العالم، خصوصاً وهما تتحدثان بأسلوب الأكبر سنًا.

- "لقد سمعت باسم هذه الشركة من قبل. إنها شركة رأسمالية كبيرة ومقرها باريس".
- "أليست هي البناية الضخمة على طريق الشاطئ بكوبيه؟"
- "هي كذلك. إنه تعيّن هناك".
- "ذاك الشخص، هل يجيد الفرنسية؟"
- "ممممم. لقد تخسرج في قسم الفرنسية باللغات الأجنبية لأوساكا، وذهب إلى باريس عدة مرات، وعمل مدرس لغة فرنسية في مدرسة مسائية بعد الشركة حين كان راتبه 100 ين، ليصير دخله من كلا العملين 350 ينًا".
- "ومدخراته؟"
- "في الحقيقة مدخراته لا شيء. والدته تعيش بمفردها في الأرياف وهي تسكن بيت عتيق، وهو لديه أرض وبيت يسكن به فقط في منطقة روفو، اشتراه بقسط سنوي، وسمعت أنه بيت صغير على الطراز الحديث. هذا ما شاعت معرفته".
- "ومع ذلك فإنه إذا وُفّر الإيجار سيتمكن من العيش بأكثر من 400 ين".
- "كيف هو الأمر ليوكيقو؟ إنه يعول أمه فقط، وهي تعيش في الأرياف وقليلًا ما تأتي إلى كوبيه. هذا أول زواج له وهو في سن الحادية والأربعين".
- "ولم لم يتزوج حتى سن 41؟"
- "ألا يمكنك أن تقول إن ذاك أعطاه مميزات؟"
- "أشك في ذلك، سأبحث في الأمر".
- "إنها متحمسة".

- "سأذهب لطلب صورة كي أن".

هناك أخت تكبر "ساتشيقو" هي "تسوروقو"، وتقطن بمسقط رأسها، لذلك فإن "تانيقو" اعتادت منذ الصغر أن تنادي "ساتشيقو" بالأخت الوسطى وأن تنادي "يوكيقو" بالأخت الأكبر "يوكي" أو "كي أن".

- "لقد تعهدت للسيدة إيتاني أن أجلب لها الصورة بطريقتي، ويبدو أنها ستال ما أرادتة".

- "أليست لديك صورة له؟"

لم يعد يُسمع صوت البيانو بالأسفل، وظنت "ساتشيقو" أن "يوكيقو" لن تأتي.

- "افتحي ذاك الدرج الصغير الأعلى على اليمين، انظري فيه".

وأخذت عصاها ذات اللون القرمزي وأرسلت إلى وجهها القبلات بالمرآة.

- "وجدتها. ها هي".

- "حسنًا أعرضي هذه على كي أن؟"

- "عرضتها".

- "هل قالت لا أدري؟"

- "كالمعتاد لا أدري ونقول فقط: ممم، هذا الشخص. أختي ما رأيك؟"

- "الأمر على هذا النحو لا بأس به، ولا أعلم كيف سيبدو الرجل. وإنما مهما بدا فهو موظف".

- "حسنًا. لا خلاف على ذلك".

- "في الأمر شيء واحد جيد ليوكيقو: سيعلمها الفرنسية".

بالكاد انتهت "سانشيقو" وفكت رباط ورقتها المطوية التي تضعها بالكيمنو، ولكنها على الفور تذكرت.

- "حسنًا، أنا لَدَيَّ نقص ب. أختي اذهبي إلى الأسفل، وأخبريني حين تنتهين من تعقيم الحقنة".

كان مرض البري بري⁽¹⁾ مستوطنًا بإقليم "أوساكا وكوبيه"، ولربما كان هذا سبب ما قالته. كانوا يبدوون بالأزواج في هذا المنزل، وكانت "انسوقو" تعاني هذا المرض كل عام من الصيف حتى بدايات الخريف حتى صارت تلميزة في الصف الأول الابتدائي هذا العام، لذلك صارت حقن "فيتامين ب" عادة، ولم تعد بحاجة إلى الذهاب إلى الطبيب مؤخرًا. كانت الأسرة بكاملها تُعد حقنة عقار "بيتاكسين" القوى، وتجتمع في الحال كأن شيئًا لم يكن. كانوا يطلقون على ذلك "نقص ب" إن لاحظ أحد سوء حالة جسدها الضئيل بسبب المرض. توقف صوت عزف البيانو وعادت "تائيفو" بالخلاصة وجلبت الصورة، ولكنها ذهبت إلى أول السلم ومكثت تفتلس النظر لأسفل دون أن تنزل، ثم صاحت:

- "عذرًا، هل هناك أحد؟"

- "سيدتي، الحقنة، لقد عقلت الحقنة".

(1) مرض يصيب الجهاز العصبي بسبب نقص في الثيامين (thiamin فيتامين بي 1) أعراض المرض تشمل نقصًا في الوزن، اضطرابات نفسية، تلفًا في وظائف الأعصاب الحسية، ضعفًا وآلامًا في الأطراف ودورات من عدم انتظام ضربات القلب. يكثر هذا المرض بين الناس الذين يتكون طعامهم من الأرز الأبيض منزوع القشرة (الذي قد يحتوي على القليل من - أو لا يحتوي على الإطلاق - الثيامين بسبب إزالة القشرة الخارجية عنه، التي تحتوي على معظم الثيامين).

الفصل الثاني

كانت السيدة "إيتاني" صاحبة مركز تجميل بالقرب من فندق "أورينتال أوتيل" بـ"كوبيه"، الذي تتردد عليه باستمرار عائلة "ساتشيقو"، حيث كانت تسألها بالضرورة عن أمر "يوكيقو". ولأن "ساتشيقو" ندري أن "إيتاني" تحب أحاديث الزواج أعطتها الصورة، ومنذ بضعة أيام، حين ذهبن جميعًا، السيدة "إيتاني" دعت "ساتشيقو" في وقتها الشاغر لتصاحبها لاحتساء الشاي، وحينها بدأ الحديث في ردهة الفندق. ظنت "ساتشيقو" أنه ليس من الذوق ألا تخوض في حديث، بل قد يكون ضياعًا لحسن الحظ، لذلك عرضت عليها صورة أختها التي لا تزال تحت رعايتها ولم تتزوج بعد دون أي غرض ما، حتى إن هذا الحديث دار منذ قرابة شهر ونصف، وعليه لم تكن هناك أي أخبار لبعض الوقت، لذلك كادت تنساه.

لكن في غضون ذلك كانت السيدة "إيتاني" قد بحثت في أمر العائلة والبيت الرئيس بأوساكا والبيت الفرعي للعائلة، وبعدها ذهبت لتسأل عن شأن ذلك الشخص بـأماكن تدريس فنون الخط والإتيكيت، وبحثت أيضًا عما إن كان على علم بشأن عائلة "ماي

أوكا"، وإن كان يدري أى شيء عن حادث الجريدة مثلاً والخطأ بذلك المقال وذهابهم إلى مقر الجريدة خصوصاً. واتضح أنه يتفهم الأمور جيداً وما زال يريد أن يلتقى "يوكيكو" حتى وإن كانت أختها كذلك. وقد شرح للسيدة "إيتاني" موافقته.

قالت عنه السيدة "إيتاني":

- "إنه شخص متواضع وهناك اختلاف في المستوى الاجتماعي بينه وبين أسرته - أسرة ماكي أوكا، غير أن راتبه ضئيل. لا أظنه سيتقدم لأختكم لأنه من المؤسف أن يجعلها تعاني مع أسرته الفقيرة، ولكن على كل حال إن استطاع الزواج - وإن كان الأمل ضعيفاً - فإنه يرجو فقط التحدث معها. رأيت أن وضعه الاجتماعي ليس متفاوتاً إلى هذا الحد. إن جده متقاعد بإقليم بغرب طوكيو، والآن تبقى له بيت بقطعة أرض في البلدة مسقط رأسه، وعائلته عائلة عريقة بأوساكا، ولكن إن مكثتم قيد هذا التفكير العتيق ففي النهاية ستستمر أختكم في تأخرها عن الزواج، وفي معظم الأحوال تظنون أن من الأفضل أن نصبر، في حين أنه في الواقع حتى إن كان راتبه ضئيلاً فهو ما زال في الحادية والأربعين من عمره ولا يمكن ألا نتوقع زيادة راتبه. علاوة على ذلك فعلى خلاف الشركات اليابانية هو لديه متسع من الوقت للتدريس بالمدارس المسائية، ومن السهل عليه أن يزيد دخله عن الأربعمئة ين، لذلك ليس لديه ما يعوق عمله لأعباء زواج وجلب خادمة.

إنه كان بالمدرسة نفسها مع أخى بالإعدادية وأخى يعرفه جيداً منذ صغرهما ويقول إنه شخص مضمون.

على الرغم من ذلك أنتم لا تبحثون عما بأيديكم ولو لمرة، أن سبب تأخر زواج أختكم في الحقيقة ليس من الخارج بل بسبب تفضيلكم للمظاهر، وهذا أظنه المتوقع منكم.

إنه يذهب إلى باريس، ولأنه قد تجاوز الأربعين فهذا يعنى بالضرورة أنه يعرف فتيات بالطبع، لكن ما شعرت به حين قابلته هو أنه حقاً غاية في الجدية ولا يدري معنى اللهو ولو بالقليل. أما عن حب المظاهر فهناك نوع من الأشخاص يأخذون بها جيداً، لكن ذلك الشخص أيضاً جاءت ردة فعله برؤيته لباريس في أن ينحصر طلبه في زوجة جميلة على النمط الياباني الأصيل لا تتشبه بالنمط الغربي في ملابسها، مهذبة، رزينة، أنيقة، حسنة المظهر، ملامحها طبيعية فقط وإمّا بالمقام الأول يريد لها ممشوقة القوام، لذلك على الفور فكرت في عائلتكم لكن.. على هذا النحو!"

كانت السيدة "إيتاني" تدير صالون تجميل وترعى زوجها طريح الفراش الذي أصيب بالشلل منذ زمن طويل، بجانب تكفلها بأخيها الصغير حتى حصل على درجة الدكتوراه في الطب، وفي ربيع هذا العام التحقت ابناتها بجامعة بـ"طوكيو" بحى "مجيرو"، فهي عوضاً عن كونها زوجة عادية وبدلاً من أن تكون سريعة البديهة بارعة في كل شيء، ستجدها تفتقر للأنوثة في مزاولتها للأعمال التجارية، لا تنسق كلماتها أو تتبع طرائق ملتوية في الحديث، تفصح على الفور عما بداخلها مهما كان ودون مبالغة، وتغبرك بالحقيقة إن اضطرت إلى ذلك، فهي ليس بمكنونها أى سوء للآخرين.

في البداية تساءلت "ساتشيكو" أيضاً عن كونها دائماً تتحدث بسرعة كأنها على عجلة من أمرها، وتجدها تستمع بتأنٍ وتنصح بكل محاباة على نحو مسيطر، وفوق كل ذلك تأتيك بحديث عقلاى بلا ثغرات لذلك تشعر بأنها تقلب الأمور رأساً على عقب فجأة.

إنها على الفور تناقشت مع أسرة "ماي أوكا"، وأيضًا بحثت في أصل ذاك الشخص، وحينها خالفتهم الرأي. هناك كثير ممن ارتاب في أمر "يوكيقو" الأخت التالية لـ "ساتشيقو" بخصوص تخطيها سن الزواج على حين غرة ودخولها في سن الثلاثين، لكن في الحقيقة لا داعي لذلك. إن قولنا إن أكبر سبب هو فقط الأخت الكبرى "تسوروقو" والتي تليها "ساتشيقو"، علاوة على "يوكيقو" ذاتها، والحياة المرفهة لأبيهن واللقب العريق لعائلتهن، وأخذنا بالأعراف الاجتماعية للعائلات الكبيرة، سنجد أن النتيجة هي رغبتهن في عائلة زوج مناسبة لاسم عائلتهن.

في البداية كانت تنهال عروض الزواج، ولكنهن استمررن في الرفض لشعورهن بأن أيًا منهم لم يكن مناسبًا، وبعدها شيئًا فشيئًا لم يعد هناك أحد بهذا العالم متمسكًا بتلك الأحاديث التحيزية، وفي تلك الآونة بدأت تتناقص ثروات العائلة أكثر فأكثر، لذلك كلمات السيدة "إيتاني": "كفاكم تفكيرًا في ما كان بالماضي" هي بالفعل نصيحة طيبة، ظنًا منها أن ذلك هو الأصلح. وعلى ذلك فإن عائلة "ماي أوكا" في أحسن الأحوال كان عهد زهوها حتى نهاية عصر "تايشو"⁽¹⁾، وبهذا فإن أمرهن في تلك الفترة لا يدرى سوى القليل من سكان "أوساكا"، وغالبًا لا يمكن الأمر إلا بذكرياتهن. وإن تحدثنا بصراحة أكثر فإن طريقة أبيهن اللينة في شئون أعماله وحياته هي التي جاءت في النهاية بما لا يحمد عقباه، وتسببت في توالى الفشل واحدًا تلو الآخر. وموت الأب وإقامة سياسات دمج الأعمال التي تلاها العصر الإقطاعي -عصر شوجون- وما أعقبه من تسليم متاجر بناء السفن التي يعود تاريخها بكل فخر إلى عصر "شوجون" الإقطاعي، ظلت "ساتشيقو" و"يوكيقو" طويلًا لا يمكنهما نسيان حياة أبيهما.

كانتا قمران من أمام المتجر ذي الجدران الطينية المحتفظ بوجهته العتيقة الأصلية إلى أن أعيد تصميمه وإنشاء مبناه الحالي. كانتا

(1) بدأ عصر تايشو بتولى الإمبراطور تايشو العرش في 1912 حتى 1926.

تختلسان النظر باشتياق إلى داخله الكثيب من خلف الستائر القصيرة. كان أبوهما -أبو الفتيات الذي ليس لديه صبية- قد تقاعد في سنته الأخيرة وسلّم كل إرث الأسرة إلى ولد تبناه، هو "تاتسوأو" زوج ابنته الأولى، وفعل أيضًا المثل مع زوج ابنته الثانية "ساتشيقو"، وجعلهما فرعًا للعائلة بالبيت الثاني، لكن الابنة الثالثة "يوكيقو" لسوء حظها كانت لم تبلغ بعد سن الزواج في ذاك الوقت. لم تأتِها أى فرص مناسبة عن طريق والدها، وأساء زوج أختها، شقيقها بالقانون، فهم موقفها. كان "تاتسوأو" ابنًا لموظف بنك، وهو أيضًا مُعيّن بنك بـ"أوساكا" حتى تبنوه، وبعدما استلم مهام أسرة "ماكي أوكا" أيضًا ظل عمله الفعلي موظفًا رفيع الشأن بالبنك، وموت الأب عاداه إخوته بالقانون وأقاربه وأجبروه على الابتعاد.

ما زال "تاتسوأو" يثابر ويتحمل أمورًا من ذاك القبيل، ولا أدري إن كان استطاع أن يجتازها أم لا. فقد سلمت أسرة "ماكي أوكا" المتجر إلى رجل استأجرته للمهام نفسها، وعاد "تاتسوأو" مرة أخرى موظفًا بنكيًا. وعلى حد هذا القول فإنه شخص مختلف عن أبيه الذي تبناه والذي كان مهتمًا بالمظاهر، فهو شخص يمكن الاعتماد عليه، ومن ناحية أخرى الخجل من شيمه، فعلى الرغم من أنه استعاد مكانته بأسرة غير عادية واستمر يصارع الصعوبات المالية، فإنه فضل اختيار الطريق الآمن ظنًا منه أن الأمر لا يناسبه، لأن شخصًا مثله يحترم مسنوليّاته حقًا.

أحبت "يوكيقو" أيام الماضي وكانت بداخلها غير راضية بتصرفات أختيها، وشعرت بأن أباهما أيضًا كان سيشعر بالمثل فاستمرت في نقدهما على نحو غير مباشر، ولكنهما بمجرد موت أبيهما تحمستا بشدة لتزويجها بشخص ذى مركز رفيع بالبنك في فرعه الإقليمي، كان وريثًا لعائلة ثرية بمدينة "طويوهاشي". كان "تاتسوأو" بالمقر الرئيس

لهذا البنك، لذلك استطاع أن يعرف كل المعلومات عن شخصية ذلك الرجل وحالته المالية.

إنه بالنسبة إلى عائلة "ماكي أوكا" شريك رائع في الوقت الراهن، وهذا الشخص محبذ لديهم لذلك كانوا يجعلونهما يخوضان الأحاديث معًا قبيل المقابلة الرسمية للزواج.

قابلاته "يوكيقو" ورأته لكنه لم يرقها لأنه لم يكن أنيقًا، وشعرت بأنه بأى حال من الأحوال ريفي. إنه لم يلقَ استحسانها وإن كان يروقهم. قد تظن أن "يوكيقو" خرجت من المدرسة الإعدادية بسبب مرضها ولم تلحق بالمدارس العليا كما يقال، وقد تظنها ضعيفة في التعليم الأكاديمي، لكن الحقيقة هي أن هناك قلقًا من أن "يوكيقو" التي تخرجت في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بنتيجة ممتازة لن تتمكن من إبداء الاحترام لهذا الشخص، وإن كانت ضمانات الحياة هي كونه وريثًا لأسرة رأسمالية، فإن العيش وحيدة ببلدة صغيرة بإقليم مثل "طويوهاشي" لهو أمر لن تتحملة. تعاطفت معها "ساتشيكو" أكثر من أى أحد وعدته أمرًا بانسًا. أما عن أخيها بالتبني فهو لا يدري إن كانت متقنة للتعليم الأكاديمي أم لا، ولكنه يعلم أنها مترددة قليلًا وانطوائية، ولأنها لديها هوايات يابانية فإنها تناسبها عيشة بلدة ريفية هادئة قليلة الإثارة، ومع شخص هادئ أيضًا سيكون الخلاف أمرًا مفروغًا منه.

لكن خلف ظنه وكان هناك فارق، فـ"يوكيقو" الخجول الشديدة الحياء، التي لا تجرؤ على الحديث أمام العامة، بها أيضًا ما تخفيه ولا يبدو على مظهرها، فهي امرأة لا يمكنها الخضوع أو الإذعان، وهذا ما أدركه "تاتسو" للمرة الأولى.

لكن بالنسبة إلى "يوكيقو" حتى إن كانت قررت الرفض رفضًا قاطعًا من داخلها، فإن ما تجيد قوله سريعًا هو الإجابات الغامضة

دون أن تبوح لإحدى أختيها، وفي آخر لحظة تفصح عما بداخلها لـ"ساتشيقو"، ومما قالت له أن هناك أسبابًا يصعب الحديث عنها أمام أخيها المتحمس.

وفي هذه الأجواء وبعادتها السيئة بكونها لا يسعها الكلام، أصبح "تاتسوأو" لديه شعور مختلف بعدم رفضها، ولكن بعد مقابلة الزواج والشغف والإلحاح وصل الحديث إلى الأمر الذي لا يمكن اجتنابه وأوضح "يوكيقو" نواياها بالرفض، وهنا تناوب في نصحتها كل من أختها الكبرى وأخيها، ولكنها حتى النهاية لم تصرح بقول: "حسنًا"، فكانت خيبة أمل أخيها كبيرة، فقد ظن أن عرض زواج كهذا فقط هو الذي سيسعد والدهم في آخرته، بل وكانت الورطة الكبرى أنه بعدما ظن أن ذلك الشخص سيكون واسطته بالبنك مع ذوى المراكز العليا، فإنه الآن سيتصبب عرقًا أمامه دون حتى أن يلقى التحية.

فوق ذلك، سيشتاع أن لديها أسبابها وسيقع عليه اللوم ويبدو كالأبله ولن تأتيها عروض زواج أخرى.

وإن ظلت "يوكيقو" كما هي وقيل عنها لا ترغب في الأمر وأثارت الشكوك وتشوّهت سمعتها، ألن يكون ذلك من دوافعها الكامنة لتضع أخاها في موقف أليم عن عمد؟!

من هنا، ومن التجربة المريرة لإخوتها معها، فهم يفرحون حين يأتيهم الآخرون بأحاديث عن الزواج ولكن لا يأخذون الأمر بإيجابية ويصفونه بالجميل أو السيئ، بل يتهربون من الأمر قدر المستطاع.

الفصل الثالث

كان هناك بالفعل سبب آخر لتضاؤل فرص "يوكيقو" للزواج ذكرته السيدة "إيتاني" بذكرها "حادث الجريدة". منذ قرابة خمس أو ست سنوات حين كانت أصغر أخت "تائيكو" في العشرين من عمرها، وقعت في حب ابن عائلة "أوكوباتا"، وهي عائلة عريقة لتجارة المعادن النفيسة برصيف الميناء نفسه، ووقع حادث هروبهما معًا. كان أمر زواج "تائيكو" أولاً متجاهلة أختها الكبرى "يوكيقو" شيئًا يصعب تداوله في الأعراف التقليدية. بدا أن دوافعهما جدية لذا توجهما معًا نحو تدبير متأمر غير اعتيادي، لكن كلتا العائلتين لا يمكن أن تسمح بمثل هذا الشيء، لذلك إن استحضرتا الأمر من حين إلى آخر تتظاهران كأنه تم تصفية تلك المسألة السخيفة، وإنما من سوء حظهما أن الحادث صدر بجريدة البلدة.

علاوة على ذلك أخطأت الجريدة في اسم "تائيكو" وصدر الخبر باسم "يوكيقو"، والسن المذكورة أيضًا كانت سنها.

داهمتهم المخاوف من طلب حذف الاسم من أجل "يوكيقو"، لأنهم إن صححوه فسيذكرون في ملاحظة في الجهة الأخرى ما فعلته "تائيكو"

ووصولون إلى النتيجة نفسها، وإن ظلوا متجاهلين الأمر باعتباره كلامًا عاريًا من الصحة مثلما رجح كبير العائلة "تاتسوأو"، فإنه لا ينبغي إلصاق التهمة بشخص لا ذنب له عوضًا عما ارتكب خطأه، لذلك طالبوا بحذف الاسم فقط، وكالمتوقع ما صدر بالجريدة ليس الحذف ولكنه تصحيح جاء به اسم "تائيكو".

تصور "تاتسوأو" أنه كان حرًا به الإصغاء لرأي "يوكيكو" أولًا، لكنه يدري أنها بطيئة في الكلام ولن تعطيه إجابة واضحة في كل الأحوال، وإن تناقش مع بقية الأخوات فسيزداد الأمر تعقيدًا بين "تائيكو" و"يوكيكو" اللتين تتعارض مصالحهما الآن، لذا تحدث فقط مع زوجته أخذاً على عاتقه وحده المسؤولية كاملة.

إن تحدثنا من منطلق الصراحة فإن هذا كان إلى أقصى مدى إعمالاً لنواياه الحقيقية التي تريد خيرًا بـ"يوكيكو" لمحو التهمة الباطلة عنها، حتى إن كان سيضحي بـ"تائيكو"، وعلى حد هذا القول فإنه أراد أيضًا أن ينال اطمئنانه في هذه الفرصة لأنها في الحقيقة كانت أكثر أخت له بالقانون صعبة المراس ولا تثق به أو تطمئن له إطلاقًا وهو الراشد الهادئ، لكن حينها خلفت حساباته ولم ينل سوى إحساس كل من "تائيكو" و"يوكيكو" بالامتناع.

بالنسبة إلى "يوكيكو" كانت المقالة الخاطئة بالجريدة هي من قبيل سوء حظها ولا حل سوى ترك الأمر، والحذف أو أي شيء على هذا النحو عادةً بلا جدوى ويصدر بركن صغير لا تلاحظه أعين الناس. أما بالنسبة إلى الجميع فصدور الخبر بالجريدة كثيرًا سواء بالحذف أو غيره ما هو إلا شيء تعس، لذلك فمن الحكمة تجاهله بهدوء.

كان شيئًا جديرًا بالشكر أن يستعيد أخوهن سمعتهن، لكن ماذا عن الابنة الصغرى؟! فيجانب أن فعلتها مشينة فإن اعتبرناها واقعة

تهور من شريك بالعائلة لم يبلغ رشده بعد، سنجد أنه لمن الأولى إلقاء اللوم على سوء تدبير وتحكمات كلتا العائلتين.

حين وقعت حادثة الجريدة هذه لم يجرو "تاتسوأو" على مواجهة الناس قط حتى بلغ الأمر أنه تقدم باستقالته، والأكثر من هذا أنه تدارك المسألة بهدوء قائلاً: "لا داعى لقول أى شيء".

لكن المصيبة التي حلت بـ"يوكيقو" لم يكن هناك ما يعوض عنها.

هناك البعض ممن تنبهوا بمقال التصحيح وعلموا بما لحقها من تهمة كاذبة، لكن حتى إن كانت بريئة فلقد كانت الحقيقة التي ذاعت هي عن أختها الأصغر، وصار هذا من أهم أسباب تأخر زواجها ناهيك بثقتها بذاتها.

ببساطة كانت "يوكيقو" ذاتها تتظاهر قائلة: "الأمر ليس بحد أن يجرحنى"، لذلك لم يكن الجو العام سيؤدى أبداً إلى صدع في المشاعر بين الأختين بسبب تلك الحادثة، بل على العكس فالأمر جعل أختها مميلان نحو احتواء "تائيقو".

ذهبت كلتا الأختين من البيت الرئيس ببلدة "أويه هون" إلى البيت الفرعى بـ"كنكيو أشيجاوا"، وكان الاتجاه السائد باستمرار عن ذى قبل هو أن تأتى وتعود كل واحدة منهما على حدة إلى بيت "ساتشيكو"، وتتناوبان الأدوار في المبيت. ظل الوضع هكذا على مر عدة سنوات ولم يطرأ أى تغيير ما على "يوكيقو"، لكن حدث تطور غير متوقع بشأن "تائيقو"، وفي النهاية كانت لذلك علاقة بمصير "يوكيقو".

أتقنت "تائيقو" منذ عهدا بمدرسة الفتيات صنع الدمى في وقت فراغها، ومع تطور التقنيات استطاعت أن تعرض منتجاتها على أرفف المحلات التجارية. كانت مصنوعات كالدمى الفرنسية وأشياء على النمط اليابانى الأصيل مثل "الكابوكى"⁽¹⁾ وغيرها كثيراً، وتومض

(1) كابوكى باليابانية 歌舞伎 من أنواع المسرح اليابانى ويرجع تاريخ هذا المسرح إلى فترة

كلها بريقًا موهبتها الفريدة التي لا تتبع أو تحاكي أحدًا بل تروى ذوقها الرفيع العابر للثقافات والفنون والدراما والسينما، وكل قطعة فنية تخرج من بين يديها تحشد معجبيها، حتى إنها في العام الماضي استأجرت معرضًا بشارع "شينساي باشي" وافتتحت معرضها الخاص بحثًا من أختها الأكبر "ساتشيقو".

في البداية كانت تذهب إلى بيت "ساتشيقو" لصخب جموع الأطفال ببيت العائلة، ثم صارت بعد ذلك في حاجة إلى فرقة كاملة خاصة بعملها، فاستأجرت شقة من غرفة واحدة بمنطقة "شووو" حيث خط السكة الحديد نفسه، وبذلك يمكنها الذهاب حيث بيت "ساتشيقو" فقط في ثلاثين دقيقة.

لم يرق لأخيهن أن تأتيهن "تائيكو" كسيدة أعمال، خصوصًا أن "ساتشيقو" تحدثت إليه بشأن استئجارها لغرفة.

"تائيكو" التي لديها وصمة عار بماضيها والتي بسببها يتأخر زواج "يوكيكو" كان من الأفضل لها أن تجد لنفسها عملاً واحدًا يناسبها، حتى إن قيل إنها استأجرت غرفة فإنها لعملها فقط وليست للمبيت. وماذا بها إن كانت لديها صديقة مريحة وأرملة ولها شقة تؤجرها فطلبت منها استئجارها، ولأن المكان قريب فهي تذهب لرؤيتها بين الحين والآخر، ودائمًا ما ترحب بمجيئها بعد عملها.

كانت "تائيكو" بشخصيتها المبتهجة على العكس من "يوكيكو" تلقى الفكاهات والأمثال، لكن منذ وقوع الحادثة صارت متجهمه ضائعة في أفكارها على نحو غريب، وصار عالمها الجديد الذي فتحت أبوابه هو النجدة.

إيدو، وهو عكس فنون المسرح التي كانت سائدة آنذاك مثل مسرح نو، فقد حظى هذا الفن بشعبية كبيرة، وكان انتشار فن المسرح قبلها محصورًا داخل أوساط رجال البلاط والنبلاء فقط.

إنها مؤخرًا استعادت المرح كسابق عهدها ولامس هذا منظورها للحياة، فقد تحسنت أحوالها المادية للغاية، فقد كانت تتلقى مصروفها الشهري من أسرتها إضافة أيضًا إلى بيع منتجاتها بقيمة عالية، فكانت تبهر الجميع بين الحين والآخر بحقيبة ترتديها أو حذاء رائع مستورد تنتعله، إلا أن أختيها الكبيرتين "يوكيقو" و"ساتشيقو" كانتا تشعران حيالها بالقلق وتنصحانها بالادخار، لكن لا حاجة إلى قول إن الطريقة التي برعت بها فقط هي دفتر توفير البريد، وكانت تسلمه إلى أختها "ساتشيقو" فقط التي كانت هي الوحيدة التي تطلعها على أمورها الشخصية، حتى إنها قالت:

"أختي الوسطى إن لم يكفك مصروفك يمكنني إقراضك".

إلا أن "تانيقو" لم تنطق بشيء البتة من اندهاشا.

استطردت "ساتشيقو" قائلة: "لقد رآك زوجي تسيرين مع أوكوباتا للبنك في شوكونجوا. ها قد انتبه لكما أحدهم".

في الحقيقة حينها تدرجت قداحة من جيبتها وهي تُخرج محرماتها، وها قد عُرف ما كانت تخبئه وعُرف أنها تدخن السجائر، لكنها أصبحت في الخامسة والعشرين من عمرها والقصد أنه ليس هناك ما يمكن فعله حيال ذلك. حتى لو سألنا من رآها ذاته فسيجزم بذلك.

وما إن تتساءل أكثر وأكثر حتى تجد أن ردها كان: "أريدكم أن تثقوا بي لأنني صرت بالغة وتغيرت عن ذي قبل، ولا ألتقيه إلا في المناسبات".

وقالت إنها ليست على اتصال به بعد، ولكنه جاءها في افتتاح معرضها وهو أكثر من اتباع منتجاتها، وبعدها صار يرافقها وتظهر صداقتهما جلية. لكن "ساتشيقو" حين وصلها ما آل إليه الوضع وشعرت بأنها بجلبها إلى بيت العائلة ستكون هناك مسؤولية -على عكس الوضع في شقة مستأجرة، فهو مقلق فهذا الشخص يذهب إليها بحجة التصنيع متظاهرًا بأنه فنان ليتقرب منها يومًا بعد يوم،

وهى ليست لها أى قواعد خاصة بعملها، فهى تستريح لأيام متتالية عدة ثم تواصل عملها دون نوم حتى الصباح التالى وتعود بوجه شاحب. لم يكن هناك داعٍ ليسمحوا لها بالمبيت فى شقتها فلم تصل الأمور إلى هذا الحد.

علاوة على ذلك، كانت "تاشيقو" تدرك أنه ليس عليها الاتصال والإبلاغ عن موعد خروجها من هناك ووصولها إلى هنا، سواء من وإلى البيت الأصلي بـ"أوييه هوغاتشى" أو الفرعى بـ"أشييا" أو شقتها بـ"شوكوجاوا".

أدركت "ساتشيقو" لاحقاً أن اهتمامها مبالغ فيه.

فى يوم ما فى أثناء تغيب "تاشيقو" ذهبت "ساتشيقو" إلى تلك الشقة، وقابلت صديقتها المالكة لها وسألتها على نحو غير مباشر، فكان قول هذه السيدة إن ابنة عائلتكم هى إنسانة عظيمة، تأثيها بضعة تلاميذ لتتعلم طريقة صنع الدمى، أما عن الرجال والشابات والزوجات فالأمر لا يتعدى كون أصحاب الحرف يأتون إليها لأخذ الطلبات وتخزين البضائع، وهى مجرد أن تنهمك فى العمل فليس بالغريب أن تتنبه وقد صارت الساعة الثالثة أو الرابعة عصرًا، وحينها تستريح قليلاً ثم تعود فى أول قطار قبل أن ينقشع ظلام الليل.

وبهذا الحديث يسهل فهم مشكلتها وتتسق أركان جزئية توقيتاتها.

كانت غرفتها على النمط اليابانى بمساحة 9.5م²، ولكنها مؤخرًا استبدلت مكانًا أوسع بها. غرفة من مستويين على النمط الغربى ملحقة بها غرفة على الطراز اليابانى مساحتها قرابة 7م²، تجدها متكدسة بالمجلات والأقمشة والمراجع وماكينه الخياطة، وغيرها من الخامات والعديد من الصور مثبت على الحائط. المكان فوضوى مثل ورش عمل الفنانين حقًا، لكن تشعر فيه باللمسات الأنثوية حيث ألوانه المتألقة.

باكتمال مهام النظافة والترتيب الدقيق دون جمع لأى من أعقاب السجائر التى بعمق المرمدة، وبالبحث فى الأدراج ورف الرسائل لم تعثر "ساتشيقو" على أى شىء يثير الشك. إنها فى الحقيقة لم تكتشف أى شىء كدليل، وبدلاً من أن تغادر فى خوف مكثت على العكس لا ترغب فى العودة وتنفس الصعداء. إنه كان حقاً من الأفضل مجيئها قبل أن تبادر بأى ردة فعل، وتوطدت ثقتها بـ"تانيقو"، لكن بعد شهر أو اثنين نسيت الأمر تماماً، وفى يوم ما وفى أثناء غياب "تانيقو" عن المنزل إلى "شوكوجاوا" جاء "أوكوباتا" للزيارة على حين غرة، ودخل قائلاً: "جئت لزيارة ابنة عائلتكم".

لقد كانت هناك علاقة بين العائلتين منذ عهد رصيف الميناء حيث كانت بيوتهم متقارب بعضها من بعض، لذلك فإن "ساتشيقو" ليست بالوجه الغريب عنه، وقال لها: "وإن كان غير لائق مقابلتك فجأة لكن على أى حال أرجو منك أن تتفهمنى فعلاً". واستطرد بعد هذه المقدمة: "إننى أدرك أن ما أقدمنا عليه منذ بضع سنوات كان حقاً تهوؤاً، ولكنه قطعاً ليس ناجماً عن غش أو خداع وإنما أردنا حينها أن نبتعد. لقد قطعت عهداً صارماً مع ابنة عائلتكم أن أنتظر حتى أحصل على موافقة والدى حتى لو طال الأمد لسنوات، وفى البداية لم يفهم والداى أمرنا ولم يلقِ استحسانهما، لكن بعد معرفتهما باجتهادها وموهبتها الفنية ودرايتهما أيضاً بقوة الحب الذى بيننا جئتكم اليوم لأروى لكم وأخبركم بعدم معارضتهما لزواجنا الآن، لذا جئتكم لأسألك بما أنه لم يتحدد بعد مصير أختها الأكبر يوكيقو، فهل ستسمحون بزواجنا بعد أن يتقرر شأنها؟ لقد جئتكم لتناقشوا الأمر معاً، وبالطبع نحن لن نتعجل وسنتظر الوقت المناسب.

(كان أوكوباتا يقول باستمرار "ابنة عائلتكم" دون قول اسمها "تانيقو"، وكان أيضاً يتحدث إلى ساتشيقو قائلاً لها "الأخت الكبرى").

ولكن أنتِ الآن فقط التى تعلمين بشأن علاقتنا والوعد الذى قطعناه على أنفسنا، لذلك أستطيعك عذراً أن تثقى بنا، علاوة على هذا سأكون غاية في الامتنان لكما أنتِ الأخت الكبرى ورب العائلة الأخ الأكبر إن أمكنكما تحقيق أمنيتهما يوماً ما، فأنتِ الآن أكثر أحد يتفهم أمرنا ومتعاطف معنا، لذلك جئتُكِ بطلبى الشخصى هذا".

كانت "سانشيقو" منذ أن قدمت له التحية وهى لديها التساؤلات، لكنه ذهب دون أن تفصح عن شيء مما يدور بخلدتها لأنها لم تكن على دراية بشيء ولم يخطر حتى بخيالها كل ما تحدث عنه "أوكوباتا"، وبكل صراحة كان أفضل حل بعد ما أعلن بالجرائد عن علاقتهما أن يجعلوا الاثنين يرتبطان، ولقد انتهى المطاف بأخيها رب العائلة وأختها الكبرى لهذا التفكير نفسه في النهاية، لكنهما أخذاً في الاعتبار التأثير المرتد في نفسية "يوكيفو"، وهذه هى المشكلة التى ورد ذكرها في البداية.

وبهذا وبعد إيفاد "أوكوباتا" فليس هناك ما يمكن فعله سوى أمر واحد من العادات، وهو جر البيانو والنوت والكتب الموسيقية من غرفة الاستقبال لغرفة العزف، لأن "تائيقو" ستعود في أقرب وقت من "شوكوجاوا".

استراحت "سانشيقو" قليلاً بمجىء "تائيقو" وهى غير مكترثة بشيء فناداتها:

- "أختى، للتو ذهب أوكوباتا".
- "حسناً".
- "ها قد شرح لى أمركما وطلب منى أيضاً الثقة وألا أفصح عن شيء حالياً".
- "حسناً".

- "إن اتخذنا أي خطوة الآن ستبدو يوكيفو مثيرة للشفقة".

- "تفهمين هذا، أليس كذلك؟"

بدأت "تائيفو" كأنها ليست على ما يرام، وكانت كل تعبيراتها في
بلادة تامة ولا تقول شيئاً سوى "حسنًا".

الفصل الرابع

في البداية قررت "ساتشيقو" أنها لن تخبر أحدًا بما عرفته مؤخرًا عن تفاصيل شأن "تائيغو" و"أوكوباتا"، ولا حتى "يوكيقو"، لكن في يوم ما كانا يتنزهان معًا سيرًا من "شوكوجاوا" حتى حدائق "قودو" عابرين الطريق السريع "أوساكا-كوبيه"، وحينها لسوء حظهما قابلا "يوكيقو" تنزل من الحافلة.

التزمت "يوكيقو" الصمت ومرت قرابة الأسبوعين وأكثر، ثم سألتها "تائيغو" وأرادت أن تفهمها الوضع، وأن تخرج عن صمتها هي أيضًا، وروت لها عن زيارة "أوكوباتا" لهم والسبب، وأنها ليسا في عجلة من أمرهما بل ينتظرانها حتى تتزوج، فما دام الوضع آل إلى هذا فلا بد من خوض مشقة النقاش مع "يوكيقو" للحصول على موافقة العائلة.

انتظرت "تائيغو" أن يظهر أي تعبير على وجه أختها مفصحا عن ردة فعلها لكنها لم تبدِ أي شيء، وبعدما استمعت "يوكيقو" في هدوء قالت: إن كان التأجيل بسبب اختلاف الترتيب فقط فلا داعي لهذا

التردد، فإن ارتباطكما معًا قبلي لن يبدد أمانًا أو يحطمني إن تزوجت بعدك. أنا أوقن بأن يوم فرحى سيأتى مهما تأخر.

قالت هذا كأنها تلقت الموضوع بصدر رحب دون هلع أو انهزامية، لكن بحسب ما يظن الناس فلا بد من اتباع ترتيب الأخوات، وإن كان قد تقرر مصير "تانيقو" فهذا يعنى أنه لا بد من الإسراع فى شأن عرض زواج "يوكيقو".

لكن بجانب الظروف التى ذكرتها سابقًا والتى صارت سببًا فى تأخر زواجهما، فهناك أيضًا سبب لسوء حظ "يوكيقو" وهو أنها من مواليد برج الحمل. عمومًا فإن الاعتقاد الخرافى بكراهية مواليد برج الحمل والكراهية الشديدة لبرج الحصان⁽¹⁾ غير موجود بإقليم "طوكيو"، لذا فسكان "طوكيو" شعورهم مختلف حيال الأمر.

لكن بإقليم "كانساي" الذى يضم محافظات "أوساكا" و"كوبيه" و"كيوتو" -خصوصًا فى ما بين نساء القرى- يُزعم أن مواليد هذين البرجين حظهم عثر ويتأخر زواجهم ومن الأفضل تجنبهم، حتى إنهم يطلقون عليهم الأمثال الشعبية، مثل:

"التعبسة من برج الحمل لن يفتح لها باب ولا أمل".

كثير من سكان القرى بأوساكا يكره ذلك منذ القدم، وقد يكون هذا أيضًا من أسباب تأخر زواج "يوكيقو".

كان كل هذا ضمن ثروة الأخت الأكبر بيت العائلة الرئيس، وبهذا وبذاك اقتنع أخوها وأختها أن ذلك الشرط الصعب لزواج "تانيقو" جعل شأنها من المستحيلات، ووصل الأمر إلى حد قول: "وإن كان هى من حقها أن تتزوج أولاً فالأخرى أيضًا بالمثل، لكن أيًا كان من منهما الثانية فما دامت لم تتجب أطفالاً فلن تبدو عليها السن حتى

(1) (الأبراج صينية هى المعتاد استخدامها فى المجتمع اليابانى)

إن كانت أكبر من رب الأسرة الأخ تينوسكيه بعام أو اثنين، وحتى إن أنجبت لاحقًا طفلًا أو اثنين".

إن وافقتهم "يوكيقو" الرأي ولم تبدِ أي استياء من شروطهم سيقال لها فلتتزوجي، وبمجرد أن يكون لديها أطفال حتى إن كان المولود طفلة لطيفة تحبها حبًا جمًّا فسيظل يقال إنها صار لها زوج وهي في الأربعينات من عمرها، وإن زوجها أرسى حياته في تلك الحدود بالتأكد، ومهما زادت موارد دخلهما ستظل قليلة، وعلى أغلب الظن ستصبح أرملة، فحتى إن لم تكن لديها مدخرات كثيرة فإنها تأمل فقط تأمين حياتها حين يتقدم بها العمر، لذلك فما ستطلبه منهم جميعًا لاحقًا لهو أكثر شيء تبتغيه فعلاً.

وأضافت شرطًا آخر.

كانت السيدة "إيتاني" قد خاضت مثل هذا الحديث من قبل، لذلك فلم يكن طلبها بعيدًا كل البعد عن ذلك بل بعيدًا تمامًا عن كونها ليست لديها أي مدخرات.

البديل هو من في الحادية والأربعين من عمره وأصغر من "تينوسكيه" بعام أو عامين، ولن نقول إنه ليست أمامه سنون المستقبل، وإن كان أكبر في السن من زوج أختها الكبرى الثانية فإن ما سيحسم الأمر هو أنها لن تتنازل عن أن يكون حسن المظهر، وأفضل شيء في الموضوع برمته أن هذا أول زواج له، ولعلها بتخليها عما تأمله تجد ما يروقها أكثر ولا يستحيل حديثها السابق. فباختصار إن كان هناك ما لا ترضاه، فكون هذا أول زواج له يغنى عن كل شيء آخر، ويأتي فيما بعد كَوْن هذا الشخص موظفًا، وإتقانه للفرنسية ينم عن اطلاعه على الفنون والآداب، وتظن "ساتشيقو" أن هذا ما سيلقى استحسان "يوكيقو"، فبالطبع سيرغب هذا الشخص الذي لا يعرفونه أو غيره في الارتباط بها ابنة الأسرة العريقة ذات السمات اليابانية الأصلية.

قد يكون الانطباع الظاهري من ملابسها وقوامها ومهاراتها اللغوية غير الواقع الذي هو ليس كذلك، فهي في الحقيقة حتى الآن تدرس الفرنسية وتفهم في الموسيقى والفن أكثر من الأشياء اليابانية والغربية.

أرادت "ساتشيقو" أن تتواصل مع أحد داخل شركة M B لتستعلم عن سمعة عائلة "سجوشي" وبحث خارجها أيضًا، وفي كليهما لم تجد شخصًا واحدًا يتحدث عنها بسوء، وكان هذا من حسن الحظ.

منذ أسبوع مضى استقلت السيدة "إيتاني" سيارة أجرة، وجاءت إلى بيتهم في "أشييا" فجأة، وجاءتهم بصورة مجرد التفكير في مناقشة الأمر مع كل العائلة، وسألتهم على نحو جدلي:

- هل فكرتم في حديثنا السابق؟

إن سيدة مثل "إيتاني" تأتي بهذا الحديث غالبًا للضغط للوصول إلى إجابة، لذلك كان ردهم ستناقش مع رب العائلة دون إبداء أي تباطؤ لهو حقًا من لطف القدر، وكونهم سيتباحثون في الأمر عائلًا فتأتيهم هي بعد أسبوع لإلقاء التحية وقول مثل هذا الحديث لهو لاستعجالهم.

أليس التعجيل بقدر المستطاع من الأفضل؟

إن السيد "سيجوشي" يوافيها بانصال يوميًا متسائلًا: "أليس بعد؟". هي بالتأكيد ستلقى نظرة على الصورة وبعدها إن لاقى استحسانها سيدعوته لزيارتهم. لذلك جاءتهم "إيتاني" الآن قائلة:

"ها قد مر أسبوع وقطعًا توصلتم إلى رد، طيلة الخمس دقائق وأنا أروى لكم باختصار ما يخص هذا الموضوع، وعلى الفور سأنتقل عائدة مباشرة بالسيارة الأجرة التي جعلتها تنتظرن بالخارج. هل لي أن أدعو كليكما للعشاء؟ وحتى إن لم يأت والداه فلتفضلوا وتشرفوني مع أزواجكم، وبالطبع هو سرحب بالأمر". قالتها كأن الوضع صار

لا مفر منه، فبالنسبة إلى السيدة "إيتاني" هؤلاء الأخوات يبالغن في غرورهن، وعلى الرغم من أن هذا الشخص يسعى متلهفًا لإنهن حتى الآن يبدین في غاية التروی.

أليست هذه الأجواء أخرى بأن تكون سببًا لتأخر زواجهما؟

كانت "إيتاني" غاضبة من الرصانة التي لا بد لهن من اتباعها، لذلك أجرت هذا الحديث للضغط.

وبالنسبة إلى "سانشيقو" أيضًا لم يكن هذا الشعور غامضًا، بل بمجرد أن تساءلت أجابتهما "إيتاني" بسرعة فلنجعلها في الغد الأحد ستكون ظروفتنا أنا والسيد "سيجوش" مواتية. سيكون الغد أول موعد، وبما أنها تلح للوصول إلى إجابة فبعد الغد على الأرجح ستهاثفهم في المساء، وهذا ما قالت له وجاء في اليوم والأمس.

- "أختي".

حاولت "سانشيقو" خداعها وخلعت رداءها على حين غرة وألقت به، فهو لم يكن يروقها، وفتحت الورقة المطوية به ولوهلة تخيلت أنها ستسمع لصوت عزف البيانو يأتيها من الطريقة مرة أخرى بعد توقفه.

- "في الحقيقة إن الأمر صعب".

- "وما هو هذا الأمر؟"

- "قبل أن أخرج أفكر في أن أتصل بالسيدة إيتاني".

- "ولم؟"

- "ذلك الشخص، لقد جاءها بالأمس أيضًا وهي تريد كما أن تلتقيا ليرى كل منكما الآخر اليوم".

- "ذاك الشخص! أدامًا هكذا؟"

- "الأمر ليس مقابلة رسمية، فقط سنتناول العشاء معًا، وهى تريدك أن تعرفيه، وإن قلنا لهم: لا يناسبنا الموعد، فليكن بعد غد، سيظنون أننا نبغهم رفضًا".

- "وماذا عن رب العائلة؟"

- "لقد هاتفتها أختنا الكبرى وقال لها أن ترافقك، وإنما إن رافقتك أنا فهى عليها أن تلزم البيت. هل هكذا أخبر إيتانى بموافقتنا؟"

أختى كى أن ما رأيك؟"

- "حسنًا، وماذا إن رفضت؟"

- "إن قلت لا يروقنى؟"

- "نعم. إن قلت لا يعجبنى، ذهبنا والتقيته وفى الغد أو بعد الغد أبلغتكم رفضى، حينها لن تقولوا ليس الأمر بهذه السهولة وليس هناك سبب حقيقى، قولى لنا سببًا واضحًا محددًا. دعينا نبحث فى أمره وبعدها ارفضى أو اقبلى وتأخذون فى نصحتى؟"

- "إن رفضت سأبلغ إيتانى بطريقة أو بأخرى".

- "بطريقة أو أخرى. لكن إن لم تذكرى لها سببًا سنظل نتساءل إلى ما لا نهاية، وهذه المرة مهما قلنا لها، فتلك السيدة إن أثرتنا غضبها سيستحيل أن تقدم لنا أى عون فيما بعد. حسنًا أختى الصغيرة! فى اليوم أو فى الغد، ألا يجب أن تحاولى مرة وتخبرى تلك الأخت الصغرى قبلها بأربعة أو خمسة أيام؟"

- "أحاول أن أخبركِ؟! لقد حاولت، ولكن ما دمتِ بدأتِ الحديث هكذا يا كى أن فأظن أن لا جدوى".

- "كلا. ليس كذلك. هذه المرة لا يروقنى قولكم لى لا تتعجلى، فأنا لا أشعر بأن الأمر يبدو بهذا السوء، بل إن راقنى فسأعرفه جيداً وسأجرب".

فُتح الباب الجرار ودخلت "يوكيقو" قادمة من الطريقة، وبمجيئها قطعت "تسوروقو" حديثها.

الفصل الخامس

- "أختي، هل ستحكمين ربط حزام الكيمونو لي؟"
- رأت "يوكيكو" أختها الصغيرة "تانيكو" وهي تحكم ربط حزام أختها الكبرى "سانشيكو"، فقالت:
- "ذاك الحزام، متى صنعته؟ أهو الذي ارتدتيه من قبل في حفل البيانو؟"
- "نعم إنه هو الذي ذهبت به حينها."
- "لو كنتِ تجلسين بجوارها حينها وأختك الكبرى بمجرد أن تتنفس يزمر ذاك الحزام مُطلقًا صيحات لا تنقطع من حيث بطنها."
- "حقًا! لم أكن أدري."
- "لقد كان صوتًا خافتًا لكني في الحقيقة كنت أجد صعوبة مع كل نفس وبلغ مسامعي صوت زمجرتة، لذلك ظننت وأنا في الحفلة الموسيقية أنه حقًا ليس جيدًا."

- "حسنًا إذًا، أيها مترتدين الآن؟" سألتها "تائيكو" وفتحت الخزانة وأخرجت منها العديد من العلب الورقية، وصفتها بالجوار وبدأت في فك هذه العلب.

- "ارتدى هذا". واختارت لها "تائيكو" واحدًا موديل ياباني يسمى "كنسميزو".

- "أعجبك هذا؟"

- "نعم نعم.. ارتدى هذا".

كانت "يوكيو" و"تائيكو" قد انتهتا من ارتداء ملابسهما مسبقًا، و"ساتشيكو" فقط هي المتأخرة، لذلك أخذت "تائيكو" تلاففها كأنها تداعب طفلًا، ثم التفت من خلفها حاملة الحزام. في النهاية استطاعت أن تفرغ من ارتداء زيها ثم جلست مرة أخرى أمام المرأة.

- "لا جدوى". وصاحت بعنف "هذا الحزام أيضًا ليس جيدًا".

- "ولم؟"

- "لم! انظري، اسمعي جيدًا، إنه أيضًا يزمجر". قالتها "ساتشيكو" وشدت أنفاسها عن عمد فأطلق الحزام زمجرته من حيث بطنها وجعلتهما تشاهدان.

- "في الحقيقة يزمجر".

- "حسنًا إذًا، ماذا عن موديل تسويوشيا؟"

- "وماذا عساي أن أفعل! ابحثي عن ذاك الحزام يا أختي".

في ما بين الثلاث أخوات كانت "تائيكو" فقط هي التي ملابسها على النمط الغربي، وتتحرك برشاقة هنا وهناك وتبحث بداخل علب الأحزمة المتناثرة، وما إن وجدت الذي تبتغيه حتى التفت مرة أخرى من خلف "ساتشيكو".

- تحسسته "ساتشيقو" بإحدى يديها بعد ربطه، وجربت أن تقف وتتنفس عدة مرات.
- "هذه المرة يبدو جيدًا". قالتها وأكملت إحكام ربطه وأدخلت طرفه بإحكام، وأيضًا أطلق ذلك الحزام أصواتًا كالزمجرة.
 - "هذا أيضًا! ماذا أفعل؟"
 - "في الحقيقة.. مممم.. في هذه المرة حين أطلق الحزام زمجرته من حيث بطنها التفت ثلاثتهن بعضهن إلى بعض، وضحكن بشدة.
 - "مممم.. لا ترتديه، إنه بلا فائدة". قالتها "يوكيقو".
 - "إنه ليس بسبب الحزام بل بسبب خامته".
 - "إن كان كذلك أليس كلنا مؤخرًا لدينا تلك الخامة نفسها؟ أم أنها تزمجر فقط حين يُصنع منها حزام؟"
 - "فهمنا يا أختنا فهمنا". قالتها "ثانيكو" وذهبت مرة أخرى لجلب حزام آخر.
 - "انظري إلى هذا. أظن أنه لن يُحدث صوتًا".
 - "إن كان هكذا لن أرتدى حزامًا".
 - "بل جربي أن تفعلِي كما نقول لك. نعلم أنه لسبب ما يصدر ذلك الصوت".
 - "مرّ أكثر من ساعة، فلنسرع وننتهِ. إن لقاء اليوم أشبه بوقت الأداء الموسيقي حقًا".
 - "حسنًا، أعلم، ألن تقولي أي تعليق على الحزام يا يوكيقو؟".
 - "إن كان كذلك فإني في الحقيقة أسمع صوتًا متميزًا، وما هناك من حل لذلك الصوت الذي يصل إلى مسامعنا".

- "آآآآ سريعا، لكم مرة نفكه ونربطه! لقد تصببت عرقاً".
- "أبدو بلهاء، وهذه المسكينة لقد أنهكت". قالتها و"تائيقو" تجلس على ركبتيها خلفها وتُحكم ربط الحزام لها.
- "هل أضع الحقنة هنا؟" قالتها الخادمة "أوهارو" وقد جاءت بصينية عليها حقنة معقمة، وعقار "بيتاكسين"، وزجاجة كحول، وقطن طبي، وضمادة.
- "يوكيقو، كما طلبتِ الحقنة.. ها هي الحقنة". قالتها "ساتشيقو".
- "حسناً، وماذا بعد؟" وانطلقت مسرعة خلف "أوهارو".
- "السيارة. إن كان كل شيء على ما يرام فهي على وشك الوصول".
- ها هو، هذا شأن "يوكيقو" كل مرة. لقد اعتادت أن تكسر عبوة المصل بالمبرد وتسحب المصل بالحقنة وتأخذ الذراع اليسرى لـ"ساتشيقو"، التي كانت تقف أمام المرأة وشمرت كمها حتى الكتف، وبعدما فركت ذراعها بشدة بقطعة القطن الطبي المشرية بالكحول أدخلت إبرة الحقنة بمهارة بالغة.
- "آه.. آه، تؤلمني، تؤلمني اليوم أكثر، أهلكذا تعطيني إياها ببطء اليوم ونحن في عجلة؟"
- انتشرت رائحة عقار فيتامين (ب) القوية بلحظة وملأت الغرفة بكاملها، ولصقت "يوكيقو" الضمادة بعدما دعت المكان جيداً.
- "ها نحن انتهينا من هذا أيضاً". قالتها "تائيقو".
- "حسناً، إن ارتديت هذا الحزام فأى ربطة له أفضل؟"
- "إنه جيد هكذا، جيد، جيد. فلنسرع".

- "أهَذَا هو؟ فلنسرع! على هذا المتوال لن يسعنا أن نعرف شيئًا ولن أدرك ذلك الشخص ذاته".
- "حسنًا كيف يبدو هكذا؟ أختي، فلتجربي أن تأخذي نفسًا".
- "ممم.. حقًا". ردّت بها "ساتشيقو" على "تانيقو" وجربت أن تلتقط أنفاسها لمرات عدة.
- "حقًا، كيف هو هكذا؟ أختي الصغيرة.. كيف يبدو؟"
- "إن الحزام الجديد هو الذي يصدر أصواتًا كذلك، ولكن هذا الحزام صار قديمًا وأوشكت خامته أن تبلى، لذلك لن يصدر منه أي صوت".
- "بالفعل، هذا كان السبب".
- "فلتفكري قليلًا".
- "سيدتي هناك مكاملة لك من السيدة إيتاني". قالتها "أوهارو" ودخلت قادمة من الردهة.
- "كل شيء بأفضل حال ولكنني نسيت الاتصال بك، والآن يبدو أن السيارة قد وصلت"
- "وماذا نفعل؟ ماذا عسانا أن نفعل؟"
- وأخذت "ساتشيقو" نفسًا عميقًا، لكن "يوكيقو" بدت كأن الأمر لا يعينها وكأنها مشكلة شخص آخر.
- "حسنًا، يوكيقو.. كيف لي أن أقول..."
- "حسنًا، ذاك الشخص بكل أسف يعتذر".
- "هذا ما رجوته".
- "إن كان هكذا، فعلى أي حال هل مناسب غدًا؟"

- "ممممم".

- "حسنًا إذًا".

- "ممممممم".

بالنسبة إلى "سانشيقو" التي كانت تقف وأمامها "يوكيفو" تجلس على الأرض، فإنه في كل الأحوال تعبيرات "يوكيفو" مبهمه.

الفصل السادس

"صغيرتى اتسوقو، فلتأتى هيا". قالتها وهى تدير ناظريها فى الغرفة ذات الطراز الغربى قبلما تخرج إليها "اتسوقو" التى كانت ترتب أدواتها قبالة الزهور الياقة.

- "حسنًا، سأدعك تمكثين بالمنزل".

- "وهل تذكرين هديتى يا أختى الكبرى؟"

- "أدرى، هيا فلتلعبى الدمى التى نطهو الطعام التى رأيتها سابقًا".

كانت "اتسوقو" تنادى خالتها التى تقطن بيت العائلة الرئيس فقط بـ "خالتي"، أما كلتا خالتيها الشابتين فتناديهما بأختى الكبرى وأختى الأصغر.

- "قطعة ستأتون قبل المساء يا أختى الكبرى".

- "بالضبط قطعًا سنعود".

- "قطعًا، أليس كذلك؟"

- "قطعًا، ستنتظر أمك وتائقو أبك في كوبيه، وسيدهبون لتناول العشاء، أما أنا فساأكل مع صغيرتي اتسوقو، ونقوم بالواجب".
- "لدي واجب، موضوع تعبير".
- "إذا فلتقللي من اللهو وتكتبي واجباتك ولتر حين أعود".

- "مع السلامة يا أختي".

قالتها الصغيرة وأوصلتهما إلى المدخل ونزلت بـ"شبهبها" إلى الأرضية المتسخة وقفزت فوق حجارة الرصف البيضاء حتى البوابة متعقبة آثار خطوات خالتيها.

- "عودا سريعًا، يوكيقو لا تتأخري".

- "حاضر. ها أنتِ تقولين الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا".

- "ستغضب منك اتسوقو إن لم تعودى سريعًا. اتفقنا يا يوكيقو؟"

- "اتفقنا، اتفقنا، يا للإزعاج".

لكن "يوكيقو" كانت فرحة بهذه الأجواء وبكون "اتسوقو" تشتاق إليها هكذا.

فعلى الرغم من أن هذه الطفلة لا تتعقب خطوات والدتها بهذا النحو إن خرجت، فإنها بكل إصرار تتبع "يوكيقو" عادةً فور خروجها، وبإملاء شروطها من وماذا وهكذا. وعلى أى حال فإن "يوكيقو" تكره بيت العائلة الرئيس في بلدة "أويه هون" وعادةً ما تأتى إلى بيت بلدة "أشى يا"، فعلاقتها سيئة بأخيها هناك (زوج أختها تسوروقو)، فهي تتفاهم جيدًا مع أختها الثانية "ساتشيكو"، ويبدو أن السبب الرئيس كما يظنه الناس أن حبها لـ"اتسوقو" يطغى على ما سبق، وهذا ملحوظ جدًا في الآونة الأخيرة. ملحوظ أيضًا حبها الفائق الذى

صار مودة، ولهذا كانت "تسورقو" تهكم ساخرة قائلا لـ "يوكيقو" محرجة إياها: "إنكِ لا تحبين أطفالى مثلما تحبين طفلة ساتشيقو"، لكن بكل صراحة، "يوكيقو" تحب البنات اللاتي في شكل وسن "اتسوقو" نفسيهما، وأطفال أختها "تسورقو" جميعهم صبية، والطفلة الوحيدة بينهم سنها لا تتعدى عامين، واهتمام "يوكيقو" بها لا يقارن باهتمامها بـ "اتسوقو".

لقد توفيت والدتهن سريعًا ولحق بها والدهن و"يوكيقو" لم تبلغ العاشرة بعد، وهى الآن تتردد ذهابًا وإيابًا على البيت الرئيس والفرعى دون مقر ثابت لإقامتها، لذلك فأيما كانت فى الغد لا يعلق بحنايا قلبها شيء مميز، ولكنها إن تزوجت فإنها لن تستطيع الابتعاد عن "ساتشيقو"، فهى أكثر أحد مقرب لديها، وإن استطاعت الابتعاد عنها فلن تستطيع فراق "اتسوقو"، ولكن حينها لن تصير "اتسوقو" التى كانت فى سابق عهدها، فتأثيرها ومشاعر حبها المنصبة نحوها ستتناساها "اتسوقو" شيئًا فشيئًا وستصير واحدة أخرى. هكذا ظنت، فـ "ساتشيقو" ستحتكر كل مشاعر الحب من هذه الصغيرة إلى الأبد لأنها أمها، وهذا ما تحسدها عليه "يوكيقو" ويحيرها. لقد كان شرط زواجها من الشخص الثانى أنه وقتما أرادت الذهاب إلى الطفلة الصغيرة نذهب إليها. إنها بعد "اتسوقو" لن تحب أحدًا مثلها أبدًا حتى إن صارت أمًا لطفلة جميلة، وحين تفكر فى الأمر تجد أن من أسباب تأخر زواجها أنها فى النهاية لا ترى حالها وحيدة، فبدلاً من أن تتزوج بشخص لا يروقها، تمكث بهذا البيت وتتولى دور "ساتشيقو" كام، وبهذا لن يعثرها الشعور بالوحدة، وهذا ما ظنته يساعدها. لكن إن تحدثنا بصراحة، أليست أجواء ارتباط "يوكيقو" بـ "اتسوقو" مهما كان هي من ترتيب "ساتشيقو"؟ فمثلاً فى بيت "أشى يا" كانت "يوكيقو" و"تاتيقو" تتشاركان الغرفة نفسها، لكن دائماً ما استغلتها

"تاشيقو" لتكون مكان عملها، وحينها قررت "ساتشيقو" بحدة أن تشارك "يوكيقو" ابنتها في الغرفة.

كانت غرفة "اتسوقو" بالطابق الثانى وعلى النمط اليابانى، ومساحتها قرابة العشرة أمتار، وبها سرير أطفال خشبى صغير فوق الحصى، وإلى ذاك الحين كانت الخادمة تفرش فراش نومها أسفل ذلك السرير لتنام برفقة "اتسوقو"، لكن بعدها صارت "يوكيقو" بدل الخادمة تضع طبقتين من فراش نوم قطنى على الحصى القش ليقترب فراشها ارتفاع سرير "اتسوقو".

وبدأيةً بهذا ومرورًا بالتمريض في أثناء أى وعكة صحية، والمراجعات المدرسية، وتدريبات البيانو، والعناية بالوجبات المسائية، حتى تجد في النهاية أن الأدوار انتقلت من "ساتشيقو" إلى "يوكيقو"، وبكل منها كانت "يوكيقو" أمهر من "ساتشيقو". كانت بفطرتها كأم تدرى إن بدت على "اتسوقو" أعراض نقص في مناعتها من صحتها وبدنها وبشرتها، وإن كان لديها تضخم في الغدد الليمفاوية أو تورم بلوز الحلق أو ارتفاع في الحرارة، فعينها وعلى مَرَّ يومين وثلاثة تتحمل "يوكيقو" ما لا يستطيع تحمله أحد غيرها، وتسهر لتمريضها طوال الليل تبذل الكمادات وأكياس الثلج.

على وجه العموم، في ما بين الأخوات الثلاث كانت "يوكيقو" أكثرهن نحولاً في بنيتها الجسدية، فلا اختلاف في سُمك ذراعها عن "اتسوقو"، لكن بالتأكيد مرضها الصدرى يبدو على هيئتها، لذلك فهذا أيضًا من ضمن أسباب تأخر زواجها إلى الآن.

على الرغم من ذلك فإن مناعتها قوية، فبين أفراد العائلة إن انتابتهم عدوى نزلات البرد واحدًا تلو الآخر فهي حينها لا تنتقل إليها العدوى، وإلى الآن لم يصبها مرض يجعلها طريحة الفراش، في حين أن "ساتشيقو" التى تبدو بأفضل حال هى في الحقيقة مثل "اتسوقو"

مظهرها خادع وهى أكثرهن قلة ثقة بذاتها، وإن طال أمد قيامها بأعمال التمريض مثلاً تنهار فى النهاية.

إن "ساتشيقو" نشأت فى قمة زهو أسرة "ماى أوكا". لقد بلغت وهى تستحوذ على حب أبيها الذى توفى وأصبحت هى الآن أُمًّا لطفلة فى السابعة من العمر، ولكن بمكان ما بداخلها تمكث الطفلة المدللة، فهى نفسياً وبدنياً طبيعتها لا تقوى على التحمل، وعلى العكس من كلتا أختيها فهى عادةً مستهجنة معنفة، ولهذا لا يقتصر الأمر فقط على عدم قدرتها على رعاية مريض وإنما لا تناسبها على الإطلاق تربية أى أطفال، وكثيراً ما تتشاجر مع ابنتها "اتسوقو" بمنتهى الجدية.

يقول الناس إن "ساتشيقو" كانت تعامل "يوكيقو" كأنها معلمة الأسرة، فهى لا تريدها أن تغادرها لذلك يصعب أن تقبل بأى عرض زواج لـ"يوكيقو". يقول الناس أيضاً إن "ساتشيقو" لا تريدها أن تترك الجوار، ودارت الشائعات حول هذا إلى أن وصلت إلى بيت العائلة الرئيس، لكن أختهن الكبيرة التى بذاك البيت لم تسئ فهم "ساتشيقو" إلى ذاك الحد، وسمعت بالثرثرة الخبيثة حول أن "يوكيقو" شخص خدوم، لذلك لم تردّها أن تعود إلى البيت الثانى. شعر "تينوسوكيه" زوج "ساتشيقو" بذلك وقال إنه من الصالح بقاء "يوكيقو" هناك، وإنه ليس بالأمر المحبذ لديه مجيء مَنْ يشئت علاقة ثلاثهن ببعضهن ببعض، وماذا إذا إن ابتعدت "يوكيقو" عن "اتسوقو"؟ إنها ستفتقدها، ويا لها من متاعب!

دار مثل هذا الحديث، وأخبرها زوجها بعد طول تفكير أن "اتسوقو" وإن كانت لبقة وذكية ما زالت مجرد طفلة، وهى تعتمد على "يوكيقو" لكن حقيقة مشاعرها بالتأكيد أنى أكثر شخص تحبه، وإن لم تهرع إلى تحتضنى أدرى أن هناك خطباً ما قد حدث، وفى النهاية أنتِ تدرين أن "يوكيقو" لا بد لها من أن يأتى يوم وتصير عروسًا.

أنا ذاتي بفضلها استطعت أن أوفر وقتًا للاعتناء بطفلتى ولا شك في أنها تقدم لنا العون، لكن هذا الوضع هو إلى أن تتزوج، فهو وضع مؤقت، وأنا عوضًا عن ذلك أدعها تمكث مع "اتسوقو" لأنها تحب الاعتناء بالأطفال على ذاك النحو، ولكن مهما كان فلاني أظن أن هذا الوضع الراهن يُنسينا تعاستها لتأخر زواجهما، فالأخت الصغرى لديها عملها من تصنيع الدمى بجانب راتبها (وترتبط سرًا بذلك الشخص) وكل هذا ليس لدى "يوكيقو"، وبمنتهى الصراحة ظروفها تبدو كأنها ليس لديها مكان، فلا بد لي من أن أشعر بالشفقة حيالها، لذلك أدع "اتسوقو" تلعب دور الدمية التى تسليها في وحدتها.

على الأرجح لم تكن "يوكيقو" تدرى ما آل إليه تفكير "سانشيقو"، لكنها في الحقيقة كانت تكررُ حالها لخدمة "اتسوقو" إن مرضت على نحو لا تتحمله أمها أو حتى ممرضة، وإن كان على أحدهم أن يمكث بالمنزل لأن ثلاثتهم سيخرجون - "سانشيقو" وزوجها وابنتها- كانت هى من تتحمل عبء ذلك كالمعتاد لذلك كانت عادةً تبقى بالبيت يوم الأحد، لكن لسوء الحظ هناك لقاء اليوم ببيت السيد "كوواياما"، وهو تجمع صغير للاستماع إلى العازف "ليو سيروتا"⁽¹⁾ وهذا يعنى أن ثلاثتهم مدعو، وما دام لقاء بالخارج فلان "يوكيقو" برحابة تتغلى عن الذهاب، ولكنها لا تستطيع الامتناع عن الذهاب للاستماع للبيانو. ذهبت "سانشيقو" و"اتسوقو" بعد الاجتماع للتنزه في "أريما" وقابلا "تينوسوكيه" في موعد لتناول العشاء، وكانت "يوكيقو" فقط هى من تغيب وهى أيضًا أول من عاد إلى المنزل.

(1) ليو سيروتا (LIO SIROTA) هو عازف بيانو شهير ذو شهرة عالمية.

الفصل السابع

"عذرًا، أما زالتِ هكذا يا عزيزتي أختي الوسطى". (جملة مش مفهومة!)

على الرغم من أن الاثنتين أسرعتا نحو البوابة، فإن "ساتشيكو" بدت أنها لن تأتي لتخرج معهما أبدًا.

- "لقد صارت الساعة الثانية".

قالتها "اتسوقو" وذهبت نحو السائق الذي يقف فائحا الباب.

- "يا لها من مكاملة طويلة للغاية".

- "أما زالت لم تنته بعد؟"

- "كلما ظننتها ستنتهى أجدها ما زالت، فلا تلقى بالاً".

ومرة أخرى بدت "يوكيكو" كأنها تستمتع بشتون الآخرين.

- "صغيري اتسوقو قولي لأمك من الأفضل أن تسرع بإنهاء المكاملة".

- "هل أركب السيارة يا كي أن؟" قالتها "انسوقو" وهى تفتح الباب، لكن "يوكيقو" التى تحافظ على انضباط مثل هذه الأخلاقيات قالت لها:

- "فلتنتظري".

ولم توافق "يوكيقو" بإجابة قاطعة، وهى أيضًا لا حيلة لها وتقف أمام السيارة، و"انسوقو" عادت إلى الخلف.

- "لقد سمعت أنه حديث السيدة إيتانى". قالتها "تائيكو" كان السائق لا يسمع.

- "أهو كذلك!"

- "ستعرض عليك الصورة".

- "حسنًا".

- "عزيزتى كي أن ماذا تظنين؟"

- "وهل سأدرى من مجرد رؤية صورة؟!"

- "هل تبعًا لذلك ستختارين ما إن كانت هناك مقابلة؟"

- "..."

- "إن كان سيأتينا وكانت المقابلة جيدة بالتأكيد أختك الوسطى ستعقد الأمر".

- "وما سبب مثل ذاك التأجيل؟"

- "مممم.. قطعًا لا يسعنا قول هذا، وإفم.."

وجاء صوت الخطوات من هناك.

- "TTTTT.. لقد نسيت محرمتى. هل سيحضرها أحد لى؟ المحرمة.. المحرمة".

وأسرعت "ساتشيقو" نحو البوابة وهى تجمع أطراف كمى ثوبها الداخلى الطويل اللذين علقا.

- "انتظري يا للبعد".

- "وقت طويل حقًا".

- "وماذا يعنى مثل هذا الحديث؟ لقد انتهيت للتو من المكالمه".

- "حسنًا، فلنسمع.. وماذا إذا بعد ذاك الحديث الطويل؟"

- "هيا اركبى سريعًا". قالتها "تائيكو" وهى تتبع "يوكيكو".

كانت المسافة من بيت "ساتشيقو" وحتى المحطة نحو 7 أو 8 محطات، وفى يوم مثل هذا وهن فى عجلة من أمرهن يجعلن السيارة تسرع وتتبقى مسافة يأخذنها سيرًا على مهل. كانت الأخوات الثلاث فى الأيام التى يتصادف فيها أن يكون الطقس جميلًا يسرن فى الطريق الذى بجهة الجبال، الموازى لخط سكة حديد "هانكيو"، الذى يطلق عليه أهل المنطقة "الممر المائى".

كن يسرن مرتديات أبهى الملابس الرسمية، وبالطبع لا يمكن ألا يجذبن الانتباه، لذلك كان الناس فى مثل هذه البلدة يعرفون وجوههن جيدًا، ويتناولونهن بالشائعات، ولكن بالكاد قليل منهم من يدري سِنَّهن الحقيقية.

إن "ساتشيقو" لديها ابنتها "انسوقو" ولا يمكن أن يتوارى الأمر إلى هذا الحد، فمن مثلها لا يمكن أن يبدو فى السابعة أو الثامنة والعشرين مثلاً، و"يوكيكو" ما زالت لم تتزوج بعد فهى على غالب الظن فى الثالثة والعشرين أو الرابعة والعشرين، و"تائيكو" لا بد لها أن تكون فى السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين من العمر. كانت غريبة تلك السن التى يظنونها لـ"يوكيكو" وهم أنفسهم يطلقون عليها "السيدة

الشابة" و"ابنة الحسب والنسب"، وعلى الرغم من هذا لم يتنبه أحد، فثلاثتهن يتشابهن للغاية بملابسهن المزركشة المبهرجة ودرجات ألوانها، لكنهن لا يبدین شابات بسبب ملابسهن فقط، بل أيضًا ملامحهن وأجسادهن غاية في الشباب والحيوية، لذا حقًا لا يناسبهن سوى ارتداء هذه الأشياء الخاطفة للأنظار.

في العام الماضي اصطحب "تينوسوكيه" ابنته "اتسوقو" والأخوات الثلاث إلى جسر "كينتاي" لمشاهدة تفتح زهور الربيع، واصطف ثلاثتهن لالتقاط صورة فارتجل لهن "تينوسوكيه" غنوة.

الثلاث أخوات الفاتنات

على جسر "كينتاي" مصطفات

فطعًا لم تكن منهن واحدة تشبه الأخرى على الإطلاق، بل لكل منهن صفاتها المميزة. إن بينهن تضادًا جميلًا وأيضًا بينهن نقاط مشتركة بلا شك، ويتركز انطباعًا لمن يراهن بأنهن الأخوات الجميلات، بدايةً من تدرج أطوال قاماتهن بالترتيب بفارق بسيط، تجد أن "ساتشيقو" أطولهن وتليها "يوكيقو" ثم "تائيكو"، وهذا فقط في ما يخص هيئتهن وهن سائرات بالطرقات بهذا الترتيب، أما عن الشخصية والأزياء والممتلكات فتجد أن أكثرهن تمتعًا بالذوق الياباني هي "يوكيقو"، وأكثرهن ميلًا للذوق الغربي هي "تائيكو"، أما "ساتشيقو" فهي بين هذا وذاك. أما عن ملامح وجوههن، فقد كانت "تائيكو" أكثرهن وضوحًا لرسمه أنفها وعينيها، ووجهها مستدير ويتناغم مع جسدها، فقد كانت قوة بنيتها الجسدية متوازنة، أما "يوكيقو" فهي على العكس من ذلك فهي أكثرهن نحافة وهيئتها ضعيفة هزيلة، وإن امتزجت مزايا كليهما تجدها "ساتشيقو".

بالملابس أيضًا كانت "تائيقو" هي من ترتدى الزى الغربى و"يوكيقو" عادةً ترتدى الزى اليابانى، إنما "ساتشيقو" ترتدى فى المقام الأول الزى الغربى فى الصيف وبخلافه الزى اليابانى التقليدى.

أما إن تحدثنا عن نقاط التشابه بينهما فإن "ساتشيقو" و"تائيقو" تشبهان أباهما، لهذا هما على الشاكلة نفسها لديهما الهيئة المبهجة المتفاخرة، على العكس من "يوكيقو" التى كانت هي فقط تنفرد بملامحها وملابسها المميزة من الحرير المزركش بالورود و"اليوزن"⁽¹⁾ الذى يناسب احتفالات سيدات القصور، ولا يناسب إطلاقًا النمط السائد بـ"طوكيو" حيث الأقمشة المخططة الرتيبة.

إنها عادةً ما تتألق حين ذهابها إلى الحفلات الموسيقية، ولكنها اليوم خصوصًا مدعوة إلى منزل ذلك الشخص، لذا تهندمت على أفضل وجه. كان ذلك فى يوم صافٍ من أيام الخريف، وثلاثتهن ينسلن من السيارة مسرعات للصعود إلى رصيف محطة "هانكيو"، وتشبث بهن أعين كل الناس ملتفتين نحوهن.

ولأنه مساء يوم الأحد، فقط كانت عربات القطار المتجه إلى "كوبيه" تكاد تكون خاوية. أخذ ثلاثتهن المقاعد بالترتيب، وحينها انحنى طالب فى الإعدادية يجلس قبالة "يوكيقو" تحيةً لها، وفى هذه اللحظة نظرت إلى أسفل خجلاً، وتغضب وجهها بالحمرة كأنه يحترق من تدفق الدماء إلى وجنتيها بشكل ملحوظ.

(1) اليوزن هو أسلوب طباعة على الحرير.

الفصل الثامن

حين سئمت "اتسوقو" من اللهو، أحضرت الدفتر من الغرفة التي بالطابق الثاني المقابلة للزهور، وبدأت في كتابة موضوع التعبير الذي من فروضها المنزلية بالغرفة ذات الطراز الغربي. كانت غالب غرف البيت على النمط الياباني، وإنما فقط غرفتا السفارة والصالون هما اللتان على النمط الغربي، لكن هذه الغرفة هي التي كان يجتمع بها كل أفراد العائلة ليجلسوا معًا، وكانت تُستخدم هذه الغرفة غريبة النمط لاستقبال الزائرين، ومعظم الأوقات يقضونه بها. كان بها الجرامافون والراديو والبيانو، وفي الشتاء يسهل إشعال حطب المدفأة بها، لذلك حين يكون الجو باردًا يجتمعون كلهم عادةً، وصار من الطبيعي أن تكون هذه أكثر مكان ازدحامًا بالبيت.

"اتسوقو" أيضًا كانت كل معيشتها بالغرفة غريبة النمط هذه، ولا تذهب إلى غرفتها بالطابق الثاني إلا نادرًا أو إن كانت مريضة طريحة الفراش أو كان هناك ضيوف بالطابق السفلي. إن غرفتها كانت على الطراز الياباني ولكنها معدة بمجموعة من الأثاث الأوروبي، وكانت بمثابة غرفة نوم واستذكار، لكن "اتسوقو" في لهوها واستذكارها كانت

- تفضل غرفة الصالون وعادةً ما تتناثر أدواتها المدرسية ولعبها بكثرة، لذلك إن جاء ضيوف على حين غرة تثار زوبعة كبيرة.
- في المساء بمجرد أن تعالى رنين الجرس ألقت "اتسوقو" بقلمها الرصاص وأخذت لفافة هديتها كما وُعدت وأسرعت قفزاً خلف "يوكيقو" ودخلت غرفة الصالون.
- "هيا انظري هذا". وأسرعت وقلبت دفترها الذي على المنضدة نحو "يوكيقو".
- "دعيني أرى الهدية"، وعلى الفور نزعَت اللفافة وأخذت الدمية التي بداخلها ووضعتها على الأريكة.
 - "أختي شكرًا لك".
 - "أهي التي أردتها؟"
 - "نعم هي كذلك. شكرًا".
 - "هل انتهيت من واجباتك؟"
 - "يا ويحي، يا ويحي".
- وأخذت "اتسوقو" دفترها وأغلقتَه وأمسكته بكلتا يديها وضمتَه إلى صدرها وقفزت أمامها.
- "حسنًا إذًا، هناك أمر ما".
 - "وما هو؟"
 - "مممم.. هذا، إنه مكتوب عنك".
 - "مكتوب! حسنًا دعيني أرى".
 - "فيما بعد، فيما بعد سأدعكِ ترين. ليس الآن".

كان عنوان موضوع التعبير بواجب "اتسوقو" هو "أذنا الأرنب"،
وورد به القليل عن شأن "يوكيقو".

من الخطأ أن تقرر أن تراه الآن، بل يهدوء بعدما تنام الصغيرة
ستقرؤه وتصحح ما تجده من أخطاء، إنها ستستيقظ باكراً وتعيد
كتابة الموضوع مرتباً قبل أن تذهب إلى المدرسة.

كانت "يوكيقو" تدرى أن "سانشيقو" وزوجها سيذهبان إلى السينما
أو أى مكان آخر، لذلك سيعودان في وقت متأخر، لذلك بعد الانتهاء
من العشاء اصطحبت "اتسوقو" لتغتسل، وفي الثامنة والنصف صعدت
إلى غرفة نومها.

كانت الصغيرة لا تخلد إلى النوم بسهولة كالأطفال، بل كانت
عادتها أن تمكث في سريرها قرابة عشرين أو ثلاثين دقيقة مستمرة في
الثرثرة بحماس، لذلك تصبح مهمة "يوكيقو" الوحيدة أن تجعلها تنام
بسلام. لكن عادةً ما كانت "يوكيقو" تتبادل معها أطراف الحديث
لتجعلها تخلد إلى النوم فتنام هى أيضاً، وفي أحيان أخرى تمكث
مستيقظة وترتدى معطفها فوق ثوب نومها وتنزل دون أن توقظ
الصغيرة لتحتسى الشاي وتحدث مع "سانشيقو" وزوجها.

وعلى ذاك النحو ينضم إليهم "تينوسوكيه" أيضاً ويُخرج قنينة
النبيذ الأبيض والجبن ويملاً كئوسهم. لكن "يوكيقو" الرصينة في هذه
الليلة أيضاً كانت غاية في الجدية، ولم تستطع النوم وما زال هناك
بعض الوقت حتى تعود "سانشيقو"، ولا بد لها حقاً من أن ترى
موضوع التعبير في أثناء هذا، وبعدما تأكدت من أن "اتسوقو" قد
استغرقت في سبات عميق أخذت الدفتر الذى كان بجوار وسادتها
وفتحته.

أذنا الأرنب

اشتريت أرنبًا. كان الناس يطلقون على هذا الأرنب الصغير "الصغير أوتشاو". هذا هو الأرنب الذى جلبوه لى. ولأني فى بيتى لدى قطعة وكلب فقد أخذت الأرنب بعيدًا عنهما ووضعتنه عند المدخل. كل صباح قبل أن أذهب إلى المدرسة أحتضنه وأهددهه بالتأكيد. كان ذلك الخميس الماضى عند خروجى من مدخل البيت لأذهب إلى المدرسة، كانت أذن الأرنب إحداهما تقف مستقيمة والأخرى تميل على جنب. قلت على الفور: "أوه يا للخرابة". وقلت له: "فلتوقف هذه الأذن أيضًا". لكن الأرنب لم يستطع، فقلت له: "إذا سأوقفها لك"، وأوقفها له بيدي، لكن بمجرد أن أبعدت يدي سقطت مرة أخرى على الفور. ناديت أختى الكبرى وقلت لها: "من فضلك أوقفى أذن ذلك الأرنب". التقطت أختى أذن الأرنب بقدمها وأوقفها، لكن بمجرد أن أبعدت قدمها سقطت أذنه مرة أخرى. قالت أختى: "يا لها من أذن غريبة!" وضحكت.

أسرعت "يوكيقو" ومسحت بالقلم الرصاص أحرف كلمة "بقدمها".

كانت "انسوقو" تستطيع كتابة مواضيع التعبير جيدًا لذلك كتبت الجمل بمهارة، لكن "يوكيقو" حين رأت الإملاء صححت لها فقط "غريبه" إلى "غريبة"، و"تسقط" إلى "تسقط"، و"لا يستطيع" إلى "لا يستطيع"، وظنت أنها لم تخطئ فى الجمل ولكنها احتارت فى موضع "بقدمها"، وصححت الجملة بدايةً من: "أختى بقدمها.. تسقط" على النحو التالى:

"أختى أيضًا أمسكت بأذن الأرنب وحاولت إيقافها، ولكن بمجرد أن تباعد عنها تسقط مرة أخرى على الفور".

كان من الأسهل أن تضع "بيدها" بدلاً من "بقدمها"، لكن لأنه فى الحقيقة هى حينها فعلت ذلك بقدمها فلا يمكنها أن تجعل الطفلة تكتب خلاف ذلك، فأثمر تفكيرها عن أن تصححها وتكتبها هكذا

على نحو غامض، لكنها ارتعدت حين فكرت في أن "اتسوقو" ستأخذها للمدرسة دون أن تدري بما حدث، وستجعلها معلمتها تقرأه، فإن تركتها وشأنها كما كتبت سيصبح الأمر فكاهاً للغاية.

إن أصل رواية "بقدمها" هو أن: بالمنزل المجاور لهم في "أشيا" انتقلت أسرة شخص ألماني يدعى "STOLZ" منذ أكثر من 6 أشهر، وأصبحت الحديقة الخلفية مشتركة بينهما. كان هناك فاصل من شبكة سلكية صلبة على حدود الحديقة بينهما فقط، لذلك تعرفت "اتسوقو" على الفور إلى أطفال عائلة "STOLZ". في البداية كانوا يحملون بعضهم ببعض من بُعد من الفاصل السلكي كأنهم حيوانات تشم رائحة الآخرين أولاً، ثم في وقت قصير بدؤوا يعبرون الشبكة السلكية ذهاباً وإياباً.

كان الطفل الألماني الأكبر يدعى "Peta" وتليها الطفلة "RoseMarry" ثم أصغرهم الطفل "Fritz". كان أكبرهم يبدو في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر، و"روزماري" تقريباً في عمر "اتسوقو" نفسه. ولأن الأطفال الأجانب أكبر في بنيتهم الجسدية فهم في الحقيقة أصغر في العمر سنة أو سنتين مما يبدو عليهم.

أصبحت "اتسوقو" رفيقة "روزماري" على وجه الخصوص من بين هؤلاء الإخوة جميعهم، وكل يوم فور عودتها من المدرسة إلى البيت تخرج لإلقاء التحية واللهو في الحديقة. كانت "روزماري" تنادي "اتسوقو" بكنيتها وسرعان ما اعتادت مناداتها بلقبها إن كان هناك أي أحد، وكانت "اتسوقو" تناديهما كما يقول أبواها وأخوها، "رومي".

كانت أسرة STOLZ لديها كلب من نوع German Pointer، وقطة سوداء بكاملها من السلالات الأوروبية، بخلاف أرنب من أنجولا في صندوق بالحديقة الخلفية. كانت "اتسوقو" معتادة على الكلب والقطة وتطعمهما ولكنها لم تألف الأرنب، لذلك كانت عادةً ما تذهب مع

"روزمارى" لإطعامه، فكانت تحمله من أذنيه وسرعان ما رغبت هى الأخرى فى القيام بالمثل، وتوسلت لأمها لتسمح لها بإطعام الأرنب.

لم تمنع أمها "ساتشيقو" فى ذلك، لكنها تخشى أن تميمت الحيوانات غير المعتادة عليها إن أطعمتها، والأمر يتطلب كثيراً من الجهد، وعلى الرغم من ذلك فهى فى حيرة من أمرها، فهى قلقة من أن يأتى الأرنب مرة أخرى ويطعموه، فحتى إن أبقت عليه وآوته خشية أن يقتلوه من كثرة الطعام فلا مكان ملائماً له بهذا البيت، إلى أن جاء الرجل المختص بنظافة المداخن قائلاً: "أعطوا هذا للصغيرة ابنتكم"، وجاء بأرنب من مكان ما. كان أرنباً عادياً وليس أرنباً أنجولياً لكنه كان جميلاً وناصع البياض، وتناقشت "اتسوقو" مع والدتها وتوصلتا إلى أن أكثر مكان آمن هو المكان المنخفض عند المدخل، فهو بعيد كل البعد عن القطط والكلب وغيرهما.

وضعت "اتسوقو" هناك وأطعمته، لكن الأرنب كان فقط يفتح عينيه الحمراءوين ومهما تحدثوا إليه لا يبدى أى ردة فعل، فهو مختلف تماماً عن القطط والكلاب فى سلوكه، وتعجب الجميع من ذلك، فهو لا يلقي اللطف فى المعاملة كالحيوانات الأليفة ولا علاقة له بالبشر نهائياً، ولا يشعر سوى بسخافات شدة وانتزاعه، وهذا هو الأرنب الذى ورد بموضوع "اتسوقو"، ففي كل صباح توظفها "يوكيقو" وتعد لها الفطور وحقيبتها، وبعدما تذهب الصغيرة إلى المدرسة تعود إلى فراشها، لكن فى ذاك اليوم من أيام أواخر الخريف كانت البرودة شديدة فى الصباح، لذلك ارتدت "يوكيقو" ربّاً من الحرير الياباني فوق لباس نومها دون أن تربط حزامه، وكانت مرتدية جوربها وأوصلت "اتسوقو" للباب، التى كانت عادةً ما تمسك بأذن الأرنب وتوقفها، لكن حينها مهما حاولت كانت لا تقف، فقالت ليوكيقو: "فلتجربى أنتِ"، وبالفعل حاولت "يوكيقو" حتى لا تدعها تتأخر، ولأنها كانت ترتعد خوفاً من ملامسة أى شيء رخو من ذاك القليل، فحاولت بقدمها وهى بها

الجورب أن تلتقط تلك الأذن ممسكة بها، لكنها بمجرد أن أبعدت قدمها سقطت على الفور على جانب وجهه.

- "يوكيفو لماذا هي هكذا؟!"

وفي صباح اليوم التالي كان هذا ما رأيته في موضوع التعبير.

- "اتسوقو، ليس جيدًا. لا يمكنك كتابة: فعلتها بقدمها".

- "لكن ألم تفعلها بقدمك؟ إنك إن لامست يدك ترتعدين خوفًا". قالتها ولكن بدا على وجهها أنها لم تفهم ما.

- "حسنًا، إن كتبتيها فهذا ليس بالأمر الجيد. لا يمكنك كتابتها بهذه الصيغة الغريبة، إن جعلتك معلمتك تقرئينه على الفور ستظن أن أختك سلوكها سيئ".

رغم ذلك بدا أن "اتسوقو" لم تقتنع بعد.

الفصل التاسع

- "إن لم تواتنا الظروف في الغد فإن يوم 16 يبدو مناسبًا جدًا، وإن قررتم كذلك فيأني في انتظار مكالمتك".

هكذا قالت "ساتشيكو" بالأمس حين جاءتها المكالمة، ولم يحتج الأمر إلى دليل لتدركه "يوكيكو"، لكن:

- "حسنًا فلنذهب ونر".

هذه الكلمات تطلبت يومين حتى تتمكن "يوكيكو" من أن تتفوه بها على نحو ما.

أرادت السيدة "إيتاني" لسبب أو لآخر أن تجعل الموعد كما سبق، هو مجرد دعوة للطرفين إلى تنفيذ الشرط بألا تجعلهم يشعرون بأنها مقابلة زواج. كان الحضور الساعة السادسة مساءً في ذاك اليوم بفندق "أورينتال" للسادة أصحاب الدعوة السيدة "إيتاني" وأخيها الصغير "أوراكامي ناأوجيرو" الذي هو موظف بمتجر "قوكوبو" للحديد بأوساكا وزوجته، إنه أيضًا صديق سابق لـ "سجوشي ناروهيدو"، ما يعنى أنه ستدور الأحاديث ولكن لا بد ألا تكون حول قلة مقابلاتهما مثلاً.

بالنسبة إلى الحضور من طرف "سجوش" فلأنه وحيد ومفرده ولم يستدع أحداً من أقربائه بالبلدة، فلحسن حظه كان كبيره الذى من بلدته نفسها الرجل المهذب الخمسينى مدير المتجر الموظف به رفيقه "ناأوجيرو" هو أيضاً مدعوًا ليكون ضيف شرف. أما بالنسبة إلى الطرف الآخر فهم ثلاثة أشخاص: "يوكيقو" و"تيونوسوكيه" وزوجته، وبهذا يصبح كل الحضور ثمانية أشخاص.

قبل يوم من ذلك، ذهبت "ساتشيقو" لتصفيف شعرها بصالون السيدة "إيتانى" مع "يوكيقو"، ولأنها كانت تبغى عدة أشياء بدأت "يوكيقو" قبلها، وفى أثناء انتظارهما لدورهما كانت "إيتانى" فى وقت الراحة وجاءت إليهما.

- "حسنًا". قالتها وانحنى نحوها.

- "عذرًا سيدتى أستمحك عذرًا"، وهمست فى أذنها.

- "هذا، بالطبع أنتِ تدرين دون حاجة إلى أن أقول لكِ أن تسويه لى على نحو بسيط للغد".

- "حسنًا بالضبط". قالتها "ساتشيقو" ورفعت شعرها لأعلى.

- "عفوًا، لكن لا يمكنكِ أن تسويه بسيطًا إلى هذا الحد، حقًا لا تجعليه بسيطًا هكذا، إنها شابة جميلة ولكنها من أصحاب الوجه النحيل، لذلك ستخسر إن اصطفت مع السيدات بوجوههن المبهرجة وهن يستعرضن للغاية، ودون ذلك لن يجذبن الأنظار إليهن بسهولة، وعلى هذا ففى الغد فقط فلتجعلى مظهرك يبدو أكبر من عمركِ عشر أو خمس عشرة سنة قدر الإمكان. من فضلك أظهري ذلك، ولكن لا تدميه كما اعتادت أن تفعل السيدات دائمًا، وإنما هذا لا يعنى ألا تفعل على الإطلاق".

لم تكن هذه المرة الأولى التى تعطى فيها "ساتشيقو" ملاحظاتها، فحتى الآن مرت "يوكيقو" بالعديد من مقابلات الزواج، لكن كان كثيراً ما يقال:

"تلك الأخت الكبرى وجهها شاب ومستضىء ودائماً ما نراها فى أماكن كثيرة، بخلاف الأخت الصغرى التى ملامح وجهها باهتة"، أو يُقال مثلاً: "هذه الأخت الكبرى مبهجة وتواكب الموضة لكن الصغرى خجول قليلاً وسلبية"، وبين كل ما قيل تجد من يتطفل متدخلاً قائلاً: "إنها الأخت الكبرى بالبيت الرئيس فقط هى التى لديها حضور، تقل عنها الأخت التى بالبيت الفرعى التى لديها كثير من الاحتياط"، وفى كل مرة تدرى بها "ساتشيقو" بما يقال ترد ببعض من الفخر قائلة:

"إن هؤلاء يقولون كذلك لأنهم لا يدرون مزايا يوكيقو بالطبع، فملامحها مثلى مفعمة بالحيوية والإيجابية، ولا أدري ما المقصود بمواكبة للموضة، وإنما مثل هذا الوجه المألوف بين الناس والمجتمع فى هذه الآونة الأخيرة شيء ليس بالنادر، ومن الغريب أن أمتدح شأن أختى الصغرى، لكنها حقاً لديها ملامح فتاة بريئة من الماضى تربت ولم تصادفها رياح عاتية، ومرهفة الحس راقية الجمال. أليس هذا مثلاً لصغرتى يوكيقو؟ إنى لن أعطى أختى إلا لمن يقدر هذا الجمال ويدركه جيداً. إن فى حق يوكيقو هناك الكثير ليقال وبكل مشاعر صادقة هناك أيضاً ما تتفوق به ولا يمكن إخفاؤه. إنى إن قمت بذلك مع يوكيقو سأعوقها، والعديد من ذاك القبيل يقوله زوجى تينوسوكيه، وكثيراً ما يقول لى أيضاً: أنا فقط أنعقبك تحسباً لوقت ما تراجعين، لا، ما زال هذا لا يكفى.. أكثر.. فلتفعلها أكثر بساطة لتتالى قدر أختك الصغرى أيضاً".

لكن لا تزال "ساتشيقو" تشعر بحالة من السعادة لكونها زوجة متألقة، وهى تجعلها تعد ملابسها وزينتها ويظهر ذلك جلياً بعينيها، لذلك حدث أن امتنعت "ساتشيقو" عن حضور مقابلات زواج لـ"يوكيقو" لمرة أو اثنتين، لكن فى غالب الأحوال يكون لا بد لها أن تحضر لتقوم بدور الأخت الكبرى ربة منزل العائلة، وكثيراً ما تقول لها "يوكيقو" إنها تنزعج إذا لم تلحق بها، لذلك حينها تبذل قصارى جهدها لتعد إعدادات بسيطة للغاية، فكل ما تملكه من ملابس عادةً ما يكون مبهرجاً، لذلك فمهما قيل لها كفى فى النهاية نظل نقول مراراً وتكراراً: "ذلك ليس جيداً بعد"، "آآآ، جميعكم تقولون لى مثل ذاك القول، إنى أنفهم جيداً، وقبلما تقولونها أظننى من الغد حقاً سأقوم بها على نحو بسيط".

مكثت "ساتشيقو" وحدها بغرفة الانتظار دون سماع صوت أى أحد بالخارج. كانت الستائر مربوطة على الفاصل الذى بين الغرفة المجاورة حيث كانت "يوكيقو" تجلس على مقعد معتمرة مجفف الشعر فوق رأسها، وتنعكس صورة كليهما فى المرأة.

وحسبما ترغب السيدة "إيتانى" بالضبط، فلأنها تحت مجفف الشعر فليس لها بالضرورة أن تستمع لما يدور من أحاديث، وعليه خاضت كل من "ساتشيقو" و"إيتانى" فى ثرثرة وهما تنظران نحو "يوكيقو" التى كانت لا تدرى عما تتحدثان، ولأنهما كانتا تحدقان بأعينهما إلى ما فوق رأسها فلم تستطع أن تخمن ما يقال من حركة شفتى "ساتشيقو"، فشعرت بالتوتر.

فى ذلك اليوم، تلقت "يوكيقو" يد العون من أخواتها جميعهن، وبدأن فى الاستعداد من الساعة الثالثة. "تينوسوكيه" أيضاً أسرع من عمله إلى المنزل، وهرع داخلاً إلى غرفة التجميل مقاطعاً إياهم. إنه كان لديه اهتمام بالغ بأمور الملابس والشعر وغيره، ويحب أن يطيل

النظر إلى هيئة النساء، لكنه يتيقن أن هؤلاء ليس لديهن أدنى فكرة عن الوقت، لذلك فهو يسيطر على الأحوال حتى لا يتأخروا على موعدهم اليوم في تمام السادسة مساءً.

بمجرد أن عادت "اتسوقو" من المدرسة ألقت بحقيبتها في غرفة الاستقبال وصعدت إليهم.

- "اليوم أنتِ يا أختي الكبرى ستلتقين عريسًا"، قالتها واندفعت لتدخل إليهم.

اندهشت "ساتشيقو" ونظرت بالمرآة إلى وجه "يوكيفو" الذي امتقع لونه، ثم استطردت غير مبالية بالأجواء:

- "وممن سمعتِ هذا؟"

- "صباحًا من أوهارو. أليس هو كذلك بالفعل أختي؟"

- "لا ليس كذلك". أجابتها أمها.

- "اليوم أختك وأمك دعتهما السيدة إيتاني إلى عزومة بفندق أورينتال".

- "حسنًا، وهل سيذهب معكما أبي أيضًا؟"

- "نعم، أبوك أيضًا مدعو".

- "هيا انزلي يا صغيرتي اتسوقو"، قالتها "يوكيفو" وهي تحديق إليها في المرآة.

- "انزلي ومن فضلك قولي للسيدة أوهارو أن تأتيني".

- "هل يصح أن تأتي وتصعد إلى هنا؟! دائمًا ما نقول لها ألا تفعل، ولكن مهما قلنا لها لا تستمع". وجاء بنبرة صوتها شيء غير اعتيادي.

- "حسنًا".

قالتها الصغيرة وانصرفت، وعلى الفور:

- "تحت أمرك".

قالتها "أوهارو" وفتحت الباب الجرار مرتعبة وتسمرت على العتبة، وما إن فكرت في أنها قد تكون تسيبت في سماع "اتسوقو" لأى شيء حتى تغير لون وجهها هي أيضًا. حينها اختفى على الفور "تينوسوكيه" وأيضًا "تائيكو" بمجرد أن رأى كل منهما الإنذار بحالة الخطر.

- "سيدة أوهارو أنتِ ماذا قُلبِ اليوم للصغيرة؟"

"ساتشيكو" لا تتذكر أنها تحدثت بشأن اليوم لأى من الخدم، ولكن الخطأ فقط في أنهم لم يتنبهوا لكيلا يعلم الخدم بالأمر، لذلك بمجرد أن آل الأمر إلى ذلك شعرت "يوكيكو" بأنه لا بد لها من أن تسأل "أوهارو" بنفسها.

- "حسنًا، سيدة أوهارو".

انحنى "أوهارو" لأسفل قائلة:

- "عذرًا"، وأفصح انكماش جسدها عن خوفها.

- "أنتِ متى قُلبِ للصغيرة؟"

- "صباحًا، حضرتك".

- "ماذا ظننتِ وفلته؟"

- "..."

كانت "أوهارو" ليست إلا فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، وجاءت إليهم وهي في الخامسة عشرة. إنها الآن كبيرة الخدم، وتُعَامَلُ كأنها فرد من العائلة حقًا، لكن هذا ليس مبررًا.

في البداية فقط اعتادوا أن ينادوها بـ"السيدة"، وكانت الصغيرة "اتسوقو" تناديهما بكنيتها "السيدة أوها"، وأحيانًا دون ألقاب، "أوها" فقط.

كانت "اتسوقو" لا بد لها من أن تسلك طريق "هانشين" السريع في أثناء ذهابها وإيابها من المدرسة، وهو طريق كثير الحوادث المرورية، لذلك لا بد لها من أحد يوصلها وينتظرها، وهذا في غالب الأحيان دور "أوهارو"، لذلك حين استجوابها قالت تحدثت إلى الصغيرة بالطريق في أثناء توصيلها إلى المدرسة صباحًا.

إنها عادةً ما تكون سيدة لطيفة للغاية، لكن فور توبيخها تتحطم فجأة على نحو مؤسف، وهذا يبدو في أعين الآخرين شيئًا يدعو للسخرية.

- "انظري. لا أدري لعلى لم أعر انتباهًا كما ينبغي لوجودك أنتِ وغيركِ حين إجراء المكالمات الهاتفية. إن كنتِ استمعتِ للمكالمة فلا بد أنكِ علمتِ أن اليوم لن يتغير أى شيء على الإطلاق، فهذا لن يزيد عن كونه تجمعًا عائليًا خاصًا، وحتى إن كان هناك شيء فليس لكِ أن تتحدثي في الأمر.

وبناءً عليه فإنكِ تتحدثين للصغيرة بأمر لا ندرى كيف سيكون.

أنتِ، منذ متى وأنتِ توجدين هنا بالبيت؟! هل جئتِ للخدمة بالأمس أو اليوم مثلاً فلا تفهمين إلى ذاك الحد!

- "أهذا ما تفعلينه دومًا؟!"

- "إنكِ عادةً ثرثارة وهذه عادة سيئة، حتى إن كنتِ تتحدثين بأمور جيدة".

وبينما يتناوب الاثنان الدور، بدت "أوهارو" حقا كأنها ليست هنا ولا تسمع ولا تفهم، وتنظر إلى أسفل دون أدنى حراك، وحتى

بعدما قيل لها "هيا اذهبي من هنا" مكثت كأنها ماتت للتو، لكن حين قيل لها للمرة الثانية والثالثة "هيا اذهبي" اعتذرت وهى واقفة بصوت خافت لا يكاد يُسمع.

- "رغم ما يقال لك فبماذا تثرين!"

قالتها "ساتشيقو" وهى تتفحص وجه "يوكيقو" التى ما زالت لم يتحسن مزاجها.

- "لا بد أنى لم أنتبه جيدًا حينما تحدثت بالكمالة، ولا بد أنه كانت هناك طريقة ما لكيلا يدرك هؤلاء، ولكنى لم يخطر لى ببال أنهم قد يخبرون الصغيرة!"

- "هكذا بالهاتف أيضًا، ولاحظت مؤخرًا أن السيدة أوهارو تتناقش بما سمعته ورأته وأى شيء يحدث أو يقال".

- "حقًا لا أدري، أذلك ما يحدث؟"

- "أهذا لعدة مرات حقًا! تأتى وتنضم إلى أحاديثنا وحينها لا أحد منا يقطع حديثه، فهكذا بلا خلاف استطاعت أن تسمع".

وعلى هذا النحو فلعدة مرات بالأيام السابقة بعدما تخلد الصغيرة "اتسوقو" إلى النوم عادةً ما يجتمع بغرفة الاستقبال كل من "تينوسوكيه" وزوجته "ساتشيقو" و"يوكيقو" بعد العاشرة تقريبًا، وأحيانًا تزيد عليهم "تانيقو" أيضًا، ويتناقشون فقط بشأن مقابلة اليوم.

كانت تأتيهم "أوهارو" بين الحين والآخر حاملةً المشروبات مرورًا من غرفة الطعام، فالفاصل بين الغرفتين مجرد باب جرار من ثلاث طبقات، بين الطبقة والأخرى حيز يسمح بإدخال إصبع، لذلك فمن يوجد بغرفة الطعام يمكنه أن يستمع جيدًا لصوت الحديث بغرفة الاستقبال. الأدهى أن الأمر يزداد خصوصًا في الأوقات الهادئة من

أواخر الليل، لذلك كان أولى بهم أن يخفتوا صوت حديثهم، إلا أنهم في الحقيقة لم يعر أي منهم انتباهًا لهذه المسألة.

ولا يمكن أن نعتبر في ذلك الوقت أن "يوكيقو" تتحدث بصوت خافت عن عمد لأنها بطبيعتها نبرة صوتها خافتة، ولا أحد يدرى حين تصمت، وهى بالطبع أيضًا تتورط حين تخوض في حديث كالذي وقع مع "أوهارو"، فشخص مثلها عادةً ما سيقع في مأزق حين لا تسعه الكلمات.

دون تفكير لم تستطع "مانشيغو" أن تتدخل في الأمر، ومع ذلك فإن "يوكيقو" حين رأتها وهى تتكلم بكل احترام قائلة لـ "أوهارو": "هيا تحدثي بصوت عالٍ" شعرت بها كأنها تلقى كل اللوم على "تينوسوكيه" الذى التزم الصمت بدوره هو أيضًا، ولكنه في الحقيقة بمجرد تلفظه بأبسط الكلمات يسمع كل من حوله بسهولة لعلو نبرة صوته وتحوله بسلاسة.

- "حبيبتي يوكيقو ما دمت تنبهت للأمر ألم يكن من الأحرى بك أن تنبهينا حينها؟"

- "ماذا؟ هل تريدان بعد ذلك أن تخوضي في مثل هذه الأحاديث أمام هؤلاء؟ إنى أمقت مثل هذه المقابلات ولكم كرهتها، مع كل شخص ممن سبق وحتى مع هذا، هل تظنين أن الأمور ستسير على ما يرام هذه المرة؟ كم هذا مريرًا!"
وفجأة اختنق صوتها وانهمرت دموعها أمام المرأة.

- "لا تقولى ذلك، فحتى الآن ولا مرة قوبلت بالرفض من الطرف الآخر. إنك تعلمين يا يوكيقو جيدًا أنه عادةً بعد المقابلة لا ينصح الطرف الآخر بالرد سريعًا، وحتى إن لم يرق لك فلا تنهاري".

- "لكن، ذلك الشخص لن يظننى كذلك، وها أنا ذا أقولها لك ثانيةً وماذا إن رفضنى هذا الشخص هو الآخر هذه المرة؟! وبسبب تلك الإشاعة التى قدرى أن تمسنى. هذا هو السبب بالتأكيد".

- "كفى..كفى، فلتصمتى عن هذا الحديث".

- "إن كنت أنا بهذا السوء فبعد ذلك قطعًا لن أفعل".

- "هل يمكنك ألا تفسدى زينة وجهك؟"

واقتربت لتصلح لها زينتها، إلا أنها خشيت من انهيار دموعها فتراجعت على الفور.

الفصل العاشر

كان "تينوسوكيه" يناهض بذاته هاربًا لغرفة المكتبة، وعلى الرغم من أن الساعة تعدت الرابعة فإنه ما زالت الفتيات لم يتمكن من استعداداتهن بعد، وبترو تنبهن للوقت، وفجأة جاء صوت سقوط شيء ما على أوراق الأشجار الجافة بالحديقة، فمدّ "تينوسوكيه" يده متكئًا على المكتب ليفتح الباب الجرار، ووجد أنه حلت الأمطار الموسمية في الحال بالسماء الصافية، وسريعًا ما بدأت آثار الأمطار الخفيفة في رسم خط متقطع على عتبة المنزل.

- "ماذا؟ أمطار؟"، وهرع "تينوسوكيه" لداخل المنزل ودخل غرفتهم بجوار السلم.
- "أحقًا أنها ممطرة؟" وأمرعت "ساتشيكو" أيضًا لنافذة لتلقى نظرة.
- "إنها أمطار موسمية. ستتوقف بالتأكيد. ألا ترون؟ ما زالت بالسماء قطع زرقاء". ولكنها بمجرد أن تفوهت بذلك رأت قرميد السقف خارج النافذة يتلذذ وسريعًا ما تغير صوت هطول الأمطار.

- "ماذا كان سيقول عنا لو لم نطلب سيارة؟ إنها الخامسة وخمس عشرة دقيقة تقريبًا".

- "إننى سأرتدى ملابس غربية بسبب المطر. من الأفضل أن أرتدى بزة".

عادةً مع زخات المطر في أنحاء "أشيا" تصبح السيارات كالطائرات الورقية ذات الخيوط.

تنبه "تينوسوكيه" لذلك على الفور، وحضر حاله بطلبها بالهاتف مسبقًا.

لكن ثلاثة أشخاص بكامل هندامهم لن تأتيهم سيارة في الخامسة والربع أو حتى والثلث ما دام المطر قد اشتد. فقط بساحة الانتظار هناك يمكن أن يجرب المناداة على واحدة من تلك السيارات، ولكن اليوم كانت الشمس ساطعة لذلك هناك عشرات من الأعراس، وإنما بسبب تلك الأمطار المؤسفة فالكل استبق العجز، وحتى إن انتهت أى مراسم زفاف فإنهم يجولون لإلقاء التحية.

اليوم إن خرجوا في تمام الساعة الخامسة والنصف وسلكوا طريقًا مباشرًا مستقيمًا بالعربة حتى "كوبيه" بالكاد سيتمكنون من اللحاق بميعادهم في السادسة، وثلثون دقيقة هي أكثر مما يلزمهم بكثير.

وعلى هذه الحال دون أن يلقوا بالاً أصبحت الساعة السادسة إلا خمس دقائق، وكان لا بد لهم من الاعتذار بطريقة أو بأخرى دون أن يدعوا مجالاً لـ "إيتانى" لتزيد من إلحاحها، فهاتف "تينوسوكيه" فندق "أورينتال" بمكالمة، وها هم في النهاية أخيرًا ستأتيهم سيارة، لكن حينها بدأ هطول الأمطار بغزارة، فهرولوا واحد تلو الآخر ليمروا من تحت المظلة التى حملها السائق.

في ذاك الوقت وبعدما دخلت "ساتشيقو" السيارة وجلست وتنفست الصعداء بعدما دخل الرذاذ البارد داخل ياقة ردائها تذكرت أن كل مقابلة زواج لـ"يوكيقو" تكون على هذه الشاكلة، ففي المرة السابقة وما قبلها أيضًا كانت تهطل الأمطار.

- "هيا لقد تأخرنا ثلاثين دقيقة". وبمجرد أن رأى "تينوسوكيه" السيدة "إيتاني" التي جاءت لاستقبالهم بالمكان المخصص لخلع المعاطف ظل يرص كلمات الاعتذار رصًا عوضًا عن إلقاء التحية.

- "اليوم كانت الشمس ساطعة، والأفراح في أماكن كثيرة، وفجأة بسبب الأمطار أصبح من غاية الصعوبة أن تأتينا سيارة".

- "حقًا لقد رأيت العديد من السيارات التي تقل عرائس في أثناء مجيئي إلى هنا". هكذا قالت "إيتاني"، و"ساتشيقو" و"يوكيقو" بالزاوية تخلعان معطفيهما.

- "ولكن، عذرًا.."

وأشارت لـ"تينوسوكيه" بعينها ودعته إلى الجهة المقابلة:

- "إنكم الآن ستلتقون بعائلة سيجوشي، ولكن قبل ذلك أود أن أستفسر منكم عن شيء عذرًا، هل انتهى البحث والتحري كليةً من قبل عائلة ماي أوكا؟"

- "ها.. ماذا عساي أن أقول؟ في الحقيقة، البحث عن سيجوشي ذاته قد انتهى، وما يدعو للسعادة العارمة أنه لا اعتراض عليه، والآن سنبحث في بلدته مسقط رأسه.

ومع ذلك أيضًا، فإنني أدري مسبقًا أنه لا اعتراض على النقاط الأساسية، ولكن لم تأتني ولا معلومة واحدة بخصوص الأمر، لذلك فلننتظر لأسبوع آخر عذرًا من فضلك".

- "حسنًا، لن نختلف".

- "واجهنا كثير من العوائق فتأخرنا ونأسف لذلك، وماذا لي أن أفعل وكلهم بيت العائلة أشخاص على الطراز القديم يفعلون كل شيء على هون. لكنني أدرك طيب خلقكم وأعلم أنكم ستوافقونني الرأي تمامًا، فعلى الطراز القديم يشاع قول: فاتة الزواج، وشخص عظيم مثلك ما سيبحث عنه لاحقًا هو أن يكون كل شيء مقبولًا بالمنطقي، وهذا ما أوصى به قدر المستطاع، وحسبما تسير الأحوال الليلة، فإن لم يكن هناك أي اعتراض من جانبنا فالمرة المقبلة في الغالب نسوى الأمر".

اتفق "تينوسوكيه" مع زوجته مسبقًا على هذا الحديث، لذلك شرحه بطريقة ماهرة، لكنه مع ذلك جاء نصف كلامه وصفًا لمشاعره بمنتهى الصراحة.

تأخر الوقت، لذلك انتهوا من أمر التعارف سريعًا ببهو الفندق، واتجه الثمانية معًا إلى المصعد ثم إلى الطابق الثاني حيث قاعة الطعام الصغيرة.

وعلى مائدة العشاء جلست في إحدى الجهتين السيدة "إيتاني" والسيد "إيجاراشي"، ثم السيد "سيجوشي" وتليه زوجة السيد "فوساجيرو"، ثم "فوساجيرو"، ومن الجهة الأخرى جلست "يوكيقو" وجهًا لوجه قبالة "سيجوشي" ثم "ساتشيكو" ثم زوجها "تينوسوكيه".

بالأمس حين تناقشت "ساتشيكو" مع السيدة "إيتاني" بصالون التجميل عن ترتيب المقاعد، اتفقتا على أن "سيجوشي" وبجواره الزوجان "فوساجيرو" بجهة، وبالجهة الأخرى "يوكيقو" وعلى جانبها الزوجان "تينوسوكيه"، وهذا ما تم تعديله كما اقترحت "ساتشيكو"، وهكذا اصطفوا في أماكنهم.

- "مساء الخير، إني قد علمت بآمر تناولنا العشاء فجأة وعلى حين غرة".

قالها "إيجاراشي" واعتبر ذلك من أفضل الأوقات لديه وشرع في تناول الحساء. مكتبة سُر مَن قرأ

- "في الحقيقة أتي لست من بلدة السيد سيجوشي نفسها، وكما ترون من حيث السن فبال تأكيد أنا الأكبر فحتى لم نكن معًا بالمدرسة، ولكن إن تحدثنا عن علاقتنا فإن بيوت آبائنا قريبة بعضها من بعض في البلدة نفسها، لذلك فمقاعدنا بالصف نفسه اليوم لهي من دواعي الفخر لي، ولأننا ابتعدنا كثيرًا فأنا في غاية القلق، ولكنني سأخبركم بالحقيقة، لقد أجبرت على المجيء إلى هنا لأن السيد موراكامي غير معتاد الخروج، حقًا السيد موراكامي، وماذا عساي أن أقول، وأختي الكبيرة السيدة إيتاني هي أيضًا متحدثة بليغة لديها حماسة قوية كالرجال، والأخ الأصغر أيضًا يليها في طلاقة الحديث، ولقد ترددت في قبول الدعوة لحضور مأدبة اليوم، ولكن في مثل هذه الأوقات على العجوز أن يبذل قصارى جهده وغير مسموح بأي مراوغة بعد مجهوداتك في هذا الأمر، لذلك لم أملك سوى أن أسلم حالي".

- "هاهاها!!!! لكن سيادة المدير التنفيذي.." قالها "فوساجيرو" واستطرد:

"ومن سيقول ذلك غيرك أنت، فقطعًا لن تستاء من الحضور أبدًا".

- "كلا، بهذه المناسبة لا يمكنني أن أكون سيادة المدير التنفيذي، بل بهذه الليلة دعنا ننسى الشغل ونترفه قليلًا".

تذكرت "ساتشيكو" وقتما كانت صغيرة وكان بمتجر "ماكي أوكا" برصيف الميناء موظف أصلع الرأس وطريف مثل ذلك الشخص، فاليوم

بعدما صارت غالبية المتاجر الكبيرة مؤسسات أوراق مالية، ترقى "السيد الأصلح" ليصبح "المدير التنفيذي"، وأصبح يرتدى البزة عوضاً عن المنزر فوق زيه، وأصبحت تستخدم المصطلحات الرسمية بدلاً عن كلمة "رصيف الميناء"، والشعور بذلك التحول ملموس أيضاً مع كبار مسئولى الشركات الذين كانوا عمالاً بمتاجر من ذى قبل، وكان المعتاد بمثل هذه الأجواء قديماً وجود شخص أو اثنين من الموظفين والبائعين الماهرين بأى متجر ممن يثيرون الضحك ويسعون لكسب ود رب العمل بالدعابة، وعادةً ما يكونون من الأشخاص خفيفي الظل قصيري القامة.

هذه هى الشخصية التى أضافتها السيدة "إيتانى" بهذه الأمسية، واعتُبر ذلك نوعاً من الاهتمام كى لا يتعكر صفو اللقاء.

كان "سيجوشى" يتسم ابتسامة عريضة وهو يستمع لجِدال "إيجاراشى" و"فوساجيرو"، وكانت شخصيتا "تينوسوكيه" وزوجته "ساتشيقو" كما توقعوهما من الصور، ولكنهما بديا فى الواقع أكثر شباباً، وفى النهاية لن تتضح إلا نسبة ضئيلة لا تتجاوز 37- 38% من شخصيتيهما الحقيقيتين، فقد كانت تعبيرات وجهيهما وقوراً ولكن يمكن القول إنها تفتقر للمرح، وكما تنتقدهما "تاثيقو" ذات المشاعر العفوية: إنهما صاحبا وجهين تقليديين، الهيئة وطول القامة وشكل الجسد والملابس حتى ذوق ربططة العنق، جميعها على هذه الشاكلة نفسها "تقليدية"، أما عن دراسته بباريس وما إلى ذلك فبدلاً من أن يقولوا أمراً لا غبار عليه قالوا لا بأس به واعتبروه نموذجاً لموظف شركة جدير بالثقة.

الانطباع الأول الذى يواتيك من هذا أن "سيجوشى" يجتاز الاختبار.

- "كم سنة تقريباً مكثت فى باريس يا سيد سيجوشى؟"

- "لمدة سنتين كاملتين، ولكن ذلك فى الماضى على أى حال".

- "إِذَا، متى كان ذلك؟"
- "منذ خمسة عشر أو ستة عشر عامًا، ذهبت فور تخرجى."
- "إِذَا هذا يعنى أنك قد توظفت بهذه الوظيفة فور تخرجك فى الجامعة."
- " كلا ليس كذلك. لقد توظفت فى الشركة الحالية بعد عودتى من الخارج بفترة، فبعد عودتى من فرنسا كنت شاردًا فى الحقيقة، وفى تلك الفترة توفى والدى، لم يبلغ الأمر كُون لَدَى ميراث، ولكنى أردت أن أكون حرًا ذاتى قليلًا، وتبقى لَدَى هذا الإحساس لفترة، وكنت أطمح بقوة لإتقان الفرنسية بمهارة أكثر، ورأيت أنه من الأفضل أن أجد وظيفة من ذاك القبيل، واستمر تفكيرى مبهمًا، وفى النهاية لم أصل إلى هذا أو ذاك وقطعًا انتهى الترحال."
- "لقد تغيرت يا سيد سيجوشى". قالها "فوساجيرو" معلقًا وهو بجواره.
- "غالب الناس حين يذهب إلى باريس يكره العودة، لكنك يا سيد سيجوشى شعرت بالإحباط هناك وعانيت من الحنين الشديد لبلدك لذلك عدت".
- "يا للهول! وما السبب فى ذلك؟!"
- "لم أجد لَدَى أى تفسير لذلك، ولكن باختصار أظن أن السبب هو أن توقعاتى الأولية كانت كبيرة للغاية."
- "ذهبت إلى باريس فأدركت مزايا اليابان وعدت. قطعًا هذا ليس بالشئ السيئ، ولذلك أصبحت تفضل الفتيات ذوات الطابع اليابانى الأصيل". قالها "إيجاراشى" مقاطعًا الحديث،

وفي الحال ألقى بنظرة خاطفة من طرف منضدة الطعام على وجه "يوكيقو" وهي تنتظر إلى أسفل في خجل.

- "لكن بعودتك وتوظيفك بالشركة الحالية تقدمت أكثر بالفرنسية، أليس كذلك؟" وتساءل "تينوسوكيه".

- "ليس إلى ذلك الحد، فالشركة فرنسية حقًا ولكن الغالبية العظمى بها من اليابانيين، وكبار الموظفين الفرنسيين بها نحو شخصين أو ثلاثة فقط".

- "إذاً لا تتسنى لك الفرص للغوص في معادلات بالفرنسية؟"

- "حين تأتي سفينة M M أذهب وأنحدث إليهم، والخطابات التجارية دائمًا ما يجعلونني أكتبها".

- "يوكيقو كريمة عائلتكم تدرس الفرنسية الآن، أليس كذلك؟"، تساءلت السيدة "إيتاني".

- "نعم. وأختي الكبرى أيضًا تدرس، لذلك تنضم إلينا".

- "مَن معلمك؟ أهو ياباني أم فرنسي؟"

- "فرنسية".

أجابت "يوكيقو" باختصار، فأضافت بعدها "ساتشيقو":

- "وأصبحت زوجة يابانية".

كانت "يوكيقو" ومن دون ذلك الموقف لا تستطيع أن تقول أي شيء بمجرد خروجها للمجتمع، غير أنها بمكانها هذا كانت مقيدة بالحديث بلكنة "طوكيو"، "تفضلت بـ". وعلى هذا النحو من صيغ الاحترام، وحينما تنهى الجملة بالكلمات العادية يصبح الأمر مبهمًا، ومع أن هذا الأمر صعب أيضًا بالنسبة إلى "ساتشيقو" إلا أنها تلجأ

للخدبة بنهايات الكلمات وتستخدم تكتيكًا يجعل الآذان لا تلتقط
لكنة "أوساكا"، وتثرثر بأى شيء مهما كان دون أن يبدو الأمر غريبًا.

- "تلك السيدة هل تستطيع تحدث اليابانية؟"

قالها "سيجوشى" وهو ينظر إلى وجه "يوكيقو" مباشرة.

- "نعم، فى البداية لم تكن تستطيع الحديث، ولكن شيئًا فشيئًا

استطاعت، حتى أصبحت مؤخرًا ماهرة في.."

- "لكن هذا بالعكس، فإنه ليس مفيدًا لك".

ومرة أخرى تلتقط "ساتشيكو" أطراف الحديث:

"إنها وقت الاستذكار لا تستخدم اليابانية إطلاقًا، لكن لم تسر
الأمر هكذا للأسف وأصبحت تتفوه بقليل من اليابانية".

- "أنا أستمع لاستذكارهم من الغرفة المجاورة، وحقًا صار

ثلاثتهم يثرثرون باليابانية".

- "ماذا؟ أحمًا يحدث هذا؟!"

ودون تفكير التفتت "ساتشيكو" نحو زوجها وانسابت كلماتها
بلكنة أوساكا:

- "بالطبع نستخدم الفرنسية، ولكنك لا يمكنك سماع حديثنا مع أن".

- "حسنًا يبدو كذلك، بين الحين والآخر تستخدمون الفرنسية،

لكن حينها دائمًا ما تهمهمون على استحياء وبصوت خافت

كطنين ناموسة، لذلك ليس بالضرورة أن أستطيع أن أسمع من

الغرفة المجاورة، وما دام قد حدث ذلك لمرات عدة فهذا

يعنى أنه ليس هناك أى تقدم، ولكن على أى حال فإن

ممارسة ما تدرسه زوجتى والفتاة الشابة من لغة هو على

ذاك النحو بكل مكان".

- "حسنًا. يا لها من طريقة رائعة لقول ذلك! لكننا لا ندرس اللغة فقط بل تجعلنا نعلمها طرق الطبخ وإعداد الحلوى والغزل بالخيوط، لذلك نستخدم اليابانية أحيانًا. لقد راقبت آن مؤخرًا أكلات الحبار وتريدنا أن نعلمها الكثير. ألا نفعل!"
وهكذا أصبح جدال الزوجين مسليًا على نحو مثير لضحك كل الحضور.

- "أتقولين أكلات الحبار؟".

بعد سؤال زوجة "فوساشيرو" انهالت وصفات الأكلات الفرنسية للحبار المطهو بالطماطم والغنى بمذاق الثوم.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الحادى عشر

كانت "ساتشيقو" مهما ملأت كأس الشراب لـ "سيجوشى" يميله مشيراً إليها مرة أخرى، فتأكدت من أنه شخص كثير الشراب بلا خلاف. بدا أن "فوساجيرو" لا يشرب على الإطلاق، "إيجاراشى" أيضاً احمرت أذناه حتى أسفلهما.

- "حسنًا، أنا.."

وأشار بيده للنادل حين مروره، وبدأ الود بين "سيجوشى" و"تينوسوكيه"، ولكنه لم يظهر على وجهيهما أو أفعالهما بعد. جاء بحديث السيدة "إيثانى" أن "سيجوشى" لا يعتاد الشراب كل ليلة، ولكنه شخص لا يكره الخمر وإنما يحتسيها مع الآخرين كلما سنحت الفرصة بحسب ما عرفت. لم تعتبر "ساتشيقو" ذلك بالشئ السيئ للغاية، ولذلك علاقة بموت أمهن مبكرًا، فكان والدهن في سنواته الأخيرة ينتظر على مائدة الطعام ويجعلهن يشاركنه كل ليلة، وبدأ الأمر بالأخت الكبرى ربة البيت الرئيس "تسوروقو"، ثم شيئًا فشيئًا صرن كلهن يحتسين الشراب.

بعدها أخوهن بالقانون "تاتسو أو" وأيضًا "تينوسوكيه" صار كل منهما يحتسى الشراب مع الطعام في المساء، ومن هنا لم يعد هناك أي أحد منهم لا يحتسى الشراب على الإطلاق، بل لا يكتفون بذلك فالأسوأ والأضل سبيلًا من الخمر هو تفضيلهم للزوج الذي يحتسى الشراب على نحو ما.

لم تفصح "يوكيقو" عن تلك الملاحظة، ولكنها اتضحت في سلوك "ساتشيقو" وهي تعتقد أن "يوكيقو" أيضًا بالمثل بداخلها كذلك في الغالب.

علاوة على ذلك فإن شخصية مثل "يوكيقو" لا تفصح عن مكنون صدرها بأي شكل من الأشكال وتكتم بداخلها بكل حزم، إن لم تدعها ترافقها بالشراب من وقت لآخر تُصَبّ بالإحباط أكثر وأكثر، وحتى الزوج إن كانت لديه زوجة كذلك فإنه إن لم يدعها تشاركه الشراب فإنها ستكتئب على نحو لا يحتمل، وعليه فإن كان لـ "يوكيقو" زوج لا يشرب فستكون وحيدة للغاية وبائسة، لذلك في هذه الليلة أيضًا أرادت "ساتشيقو" ألا تدع "يوكيقو" غارقة في صمتها:

- "يوكيقو ألا تشربين قليلاً؟".

وهمست لها ثم أشارت لها بعينها نحو كأس من قنينة النبيذ الأبيض أمامها، وجعلتها ترى وهي ذاتها تشرب أيضًا القليل من ذلك، وهممت في أذن النادل:

- "عفوًا، فلنصَب قليلاً من قنينة النبيذ بجواري".

شعرت "يوكيقو" بأن "سيجوشو" كثير الشراب في حياته، خصوصًا أنها هي أيضًا عليها أن تكون أكثر وضوحًا. كانت من وقت إلى آخر تتذوق شيئًا على نحو غير لافت للنظر لكنها كانت في مزاج سيئ، فجوربها ما زال مبتلاً قليلاً من الأمطار والخمر تتغلغل في رأسها لكنها لا تجعلها في حالة سُكر.

- "آنسة يوكيقو أتحبين النبيذ الأبيض؟"
- سألها "سيجوشى" الذى لم يلحظ الإشارة بينها وبين أختها منذ فترة وجيزة.
- ضحكت "يوكيقو" فى ارتباك ونظرت إلى أسفل.
- "نعم. كأسًا أو اثنتين تقريبًا". قالتها "ساتشيقو" واستطردت:
- "سيد سيجوشى تبدو قويًا للغاية، كم كأسًا تقريبًا تشرب حضرتك؟"
- "لا أدري بالضبط. قد يمكننى أن أشرب فى حدود سبع أو ثمان".
- "ها قد أظهرت مواهبك الدفينة فى الثمالة". قالها "إيجاراشى".
- "على أى حال فأنا ليست لدى أى موهبة، وها قد صرت ثرثارًا أكثر مما كنت دائمًا".
- "حسنًا، سيدتى كريمة عائلة ماى أوكا"، وسألها "إيتانى":
- "هل تعزفين البيانو؟ فى عائلة ماى أوكا الكل يهوى الموسيقى الغربية".
- "لا، حتى إن كان كذلك". أجابتها "ساتشيقو" وأضافت:
- "ففى صغرى تعلمت قوطو⁽¹⁾، وفى هذه الآونة أردت استعادتها وتنظيفها، فقد بدأت ابنتى مؤخرًا التدريب على رقص القرى الجبلية لذلك أصبح هناك الكثير من الفرص للاستمتاع بالقوطو وموسيقى الفلكلور جى أوتا⁽²⁾".
- "حقًا! هل تستطيعين عزف القوطو؟"

(1) آلة القانون اليابانية، وهى من 13 وترًا.

(2) نوع من موسيقى التراث والفلكلور اليابان، ويرجع أصلها إلى عصر "إيدو".

- "نعم، حتى إن كنت أبدو عصرية إلا أنى أريد استرجاع هوايات الصغر أكثر وأكثر. وكما تعلمين ابتتى ماهرة وسريعاً ما أنقنت العزف، لذلك كان لا بد لى من تعليمها فى سن مبكرة".
- "إنى لا أدرى جيداً التخصصات، ولكن رقص القرى الجبلية هو فى الواقع شئ رائع، وبكل الأحوال ليس من الجيد فى شئ تقليد طوكيو، فنحننا المحلية لا بد لها من أن تزدهر".
- "حسنًا بالضبط، أليس هذا أيضًا ما تراه سيدى المدير؟ أليس كذلك سيد إيجاراشى؟"
- وبينما "فوساجيرو" يومئ برأسه قال:
- "إن السيد إيجاراشى ماهر فى القصائد الشعبية الغنائية، فهو يتدرب منذ سنوات عدة".
- - "لكن إن كنت تتعلم أشياء من هذا القبيل.." قالها "تينوسوكيه".
- "لو كنت ماهرًا فى التعلم مثل السيد إيجاراشى لاختلف الأمر، إنى فى البداية كنت متهورًا، ولا أريد الاستماع لأحد، ثم قلت ولم لا أذهب إلى المقاهى؟!"
- "يا عزيزى تلك هي الحال لأى أحد، فمن مساوئ المعزوفات اليابانية أنك لن تمكث بالبيت، والأمر أكثر اختلافًا بالنسبة لى، فقطعاً لم أبداً تعلمها وأنا لى شغف كشغف عشاقها من النساء، وحين وصلت إلى هذه النقطة وجدت الشخص النموذجى، إنه السيد موراكامى".
- "أجل، لأن مجال عمله تجارة الحديد".

- "ها ها ها. ليس كذلك، إني فقط تذكرته... ولكنى بمرة خطر لي أن أسأل امرأة: إنكم جميعًا لديكن علبة مسحوق الوجه، أليس كذلك؟ هل ما بداخلها مجرد مسحوق للوجه؟"

التقطت منه "إيتاني" أطراف الحديث قائلة:

- "مجرد مسحوق للوجه ولكن.. كيف لك أن تفعل هذا؟"

- "في الحقيقة هذا الأمر منذ قرابة الأسبوع، فقد كنت في ذلك اليوم مستقلاً القطار نحو هانكيوو، وجلست سيدة بكامل أناقها بجوار النافذة وفي اتجاه الهواء، وأخرجت من حقيبتها علبة مسحوق التجميل، وهكذا، بدأت تربّت على حواف أنفها سريعًا، وعلى الفور انتابتني حالة من العطس، أليس ذلك ما حدث؟"

- "ها ها ها، بذاك الوقت، ماذا حدث لأنفك سيد إيجاراشي؟ أهذا بسبب علبة مسحوق الوجه؟"

- "أنا أيضًا ظننت ذلك على الفور، لكن بالسابق كانت لي التجربة نفسها، وكانت هذه الواقعة هي الثانية".

- "حقًا، هذا صحيح". قالتها "سانشيفو".

- "إني، حين أفتح علبة مسحوق التجميل بالقطار، من الجوار تتنابه حالة من العطس لمرتين أو ثلاث، ومن واقع خبرتي فإنه حتى غلب المساحيق عالية الجودة رائحتها تفعل كذلك".

- "هاهاها، خمنت هذا فعلاً. حسنًا، ولكن هل تلك السيدة واحدة أخرى وليست زوجتك، بناءً على ما حكيت سابقًا؟"

- "حقًا! لا أدري. بالغ أسفى عمًا بدر منى في ذاك الحين".

- "أنا للمرة الأولى أسمع بذلك". قالتها زوجة "فوساجيرو" وأضافت:

- "لا بد لي من أن أجرب في مرة مسحوق تجميل عالي الجودة بأقرب وقت".
- "لا أمزح، ولكن يا للورطة من رواج ذلك. فيما بعد إن جلست سيدة بالمقعد المجاور للنافذة بالقطار سأرجوها قطعاً ألا تستخدم علبة التجميل. ومن الجيد أنك ألقيت التحية، فتلك السيدة التي جعلتني أعطس لمرات عدة لم يسعني التعرف على وجهها لذلك راودني الشك".
- "حسناً، إن أختي الصغرى حين أراها بالقطار وشعرها الذي تعفصه ذيل حصان ورباطه يطيران فوق ياقات ملابس الرجال أريد بشدة أن أسعبه".
- "هاهاهااااااااااااااااا".
- "هاهاهااااااااااااااااا".
- "تذكرت وأنا طفلة حين كنت أخرج القطن المحشو بالمفروشات وأريد أن أستخرجه كله بكامله". هكذا قالت "إيتاني".
- "بالناس مثل تلك الغرائز الغريبة التي يمكن أن تراها مع الثمالة، قد ترغب في ضغط زر جرس البوابات الخارجية للمنازل، وحين ترى على رصيف المحطة مكتوباً: لا تلمس الجرس، ترغب في أن تجرب وتضغطه، لذلك نحترس قدر الإمكان ولا تذهب إلى الجوار".
- "فعلاً، لقد ضحكت كثيراً هذه الليلة حقاً". قالتها "إيتاني" وهي تلتقط أنفاسها، ولكن بدا أنها لم تكتفِ من الثثرة حتى بعدما جاءتهم فاكهة ما بعد الطعام، فنادت قائلة:
- "سيدتي بعائلة ماكي أوكا".

- "لقد اختلف القول! إني لم أعتد منك قول سيدتي، منذ فترة وجيزة كنت تقولين: سيدتي الشابة. حسنًا، قولكِ سيدتي يعنى ما زلت شابة، ولكن أيضًا هى كلمة لآونة لاحقة، فاللاى هن زوجات فى العشرينات وتزوجن منذ عام أو اثنين بماذا ستدعينهن؟ هناك الكثير من الحاذقات فى العلم بالحقيقة، وفى التنشئة، وفى الاقتصاد، لذلك يجعلننى أشعر بشدة اختلاف العصر".

- "حسنًا، هذا بالضبط كما تقولين، فأنا مثلاً أظن أن تعليم مدارس البنات تغير تغيرًا هائلًا، لذلك الآن حين أرى سيدة شابة يعتبر الأمر لغزًا بالنسبة لى، فحقًا الزمن اختلف.

إن ابنة أختى جاءتنى من بلدتهن وهى فتاة، ومكثت تحت رعايتى حتى تخرجت فى مدرسة بنات فى كوبيه، وتزوجت عن قريب، وكان لديها بيت بحى قووروان وزوجها موظف بشركة فى أوساكا براتب شهرى 90 يَنًا. كانت تقول إن بالخارج هناك علاوات، ومع ذلك كانت تتلقى مساعدة شهرية من البلدة فقط للإيجار الذى هو 30 يَنًا، وبهذا يصبح دخلها الشهرى فى حدود 150 - 160 يَنًا، لذلك فىلانى لا أدري كيف لها أن تدير شئونها كل شهر وزوجها يعود لها بنهاية كل شهر بـ 90 يَنًا، وعلى الفور تحضر فى ظرف مدفوعات فاتورة الغاز والكهرباء والملبس والمصروف وغيره. إن قسمت الراتب هكذا لتدفع كل هذا أولًا إذا كيف لها أن تكسب قوتها طوال الشهر؟! لا بد لها أن تقتصد العيش، لكنى ما أدعوه عشاء شهيا هو الطعام المقدم على نحو غير متوقع. الإعداد والتنسيق بالبيت ليس بئسًا إلى هذا الحد وإنما يلزمه تفكير حذق، وبالطبع من هذه الناحية فهى مخضمة. عن قريب كنا معًا ذاهبتين إلى أوساكا، فأعطيتها محفظة نقودى وقلت لها أن تشتري لنا تذاكر القطار، فعلى الفور ابتاعت الكثير من التذاكر ووضعت لى الباقي. لقد أثارت اندهاشى فى الحقيقة

حيال الأمر. لكم كان من السخف أنى كنت أرهاها وأقلق عليها. لقد كنت خجلة".

- "قطعًا فى هذه الآونة ليس الشباب بل على العكس الأمهات هن من يكنّ مبذرات". قالتها "ساتشيقو" ثم تابعت حينها قائلة:

- "بالجوار أيضًا هناك زوجة شابة لديها طفلة لم تبلغ العامين بعد مؤخرًا. ذهبت إلى بابها فى أمر ما فدعتنى للدخول وأن نصعد لنترفه، فقلت حسنًا، ونظرت حين صعدت عندها ولم تكن هناك خادمة، وعلى الرغم من ذلك كان المكان مرتبًا بالحقيقة. بعدها على الفور ظننت أن تلك الزوجة بالتأكيد تلقى الملابس على المقاعد هنا وهناك، ولكن أتدريين؟! لم يكن كذلك. قلت لا بد أن الملابس ستكون بتلك الجهة كالمعتاد، ولكن فى ذاك اليوم كانت تضع عربة الأطفال بالغرفة وبمهارة بداخلها أشياء إلى حد أنه لا مكان للطفلة، وما إن بدأت أن أهددها حتى جاءت قائلة عفواً أستميحك عذراً ها قد جئت أخيراً بالشاى، ووقفت قليلاً ترينى الطفلة ثم ذهبت. بعدها بقليل أدخلت الشاى، ثم جاءت بزجاجة حليب لتعطيها للطفلة وقطعت بها الخبز الطرى، وبينما تقول لى تفضلى كوب الشاى وأنا أظنها ستتخذ مقعداً، وجدتھا على الفور تنظر إلى ساعتها وتقول: ها هو، الآن تبدأ معزوفات شوبان، ألا تستمعين إليها يا سيدتى؟ قالتها وفتحت زر المذياع، وبينما نستمع للموسيقى من ناحية، من ناحية أخرى هى لا تريح يدها مطلقاً، فهى تملأ المعلقة باللبن وتسقيه للطفلة.

بهذه الأجواء، هي لا تضيع وقتها هباءً وتنظم إياه وتقضى ثلاثة أمور في آنٍ واحد. إنها مع ضيقتها وتستمتع بالموسيقى في المذياع وتقدم وجبة طفلتها. في الحقيقة أنا أظنها طريقة ماهرة ذكية.

أسلوب تربيتهما للأطفال مختلف تمامًا عن الشائع هذه الأيام. تلك الزوجات اللاتي أتحدث عنهن.. أحيانًا تذهب الأم في زيارة تريد بها لقاء ابنها الأكبر، وهو أمر لا غبار عليه، ولكن كما جرت العادة لا يتحمل أعباءها ويفعل ذلك فقط حين تصبح طاعنة في السن، وهي تنتحب بعد فترة إن لم يفعل ويعتصرها الألم حتى ترجع العادات الأولية، وهكذا تظل تبكي كما كان يفعل هذا الطفل الصغير بالماضي، وحين يصطحبها بالطرقات تتعثر وتسقط وإن نهضت بمفردها كأنها طفل صغير قطعًا لا يعبأ بشأنها ويتجاوزها مبتعدًا، وفي تلك الأثناء بمجرد أن يذهب مبتعدًا عن أمه كأنها وجه لا يعرفه، فالطفل على العكس لا يبكي بل ينهض بمفرده ويلاحقه".

انتهت المأدبة، وبعدما نزلوا إلى البهو بالطابق السفلي قالت "إيتاني" للزوجين "تينوسوكيه" متسائلة:

- "إن لم يكن ذلك تدخلًا مني، ولكن هل تسمحان بـ 15 أو 20 دقيقة ليتحدث مع كريمة عائلتكم هما الاثنان فقط؟" وأبلغتهما برغبة "سيجوشو".

لم يكن لدى "يوكيقو" أي اعتراض، ولبعض الوقت انتقل الاثنان لمقاعد أخرى وتبادل المتبقين من الحضور أطراف الحديث مرة أخرى.

- "عمّ تحدث السيد سيجوشو منذ قليل؟" سألتها "ساتشيقو" وهم عاندين بالسيارة.

- "قال لي العديد من الأشياء". وبينما تتفوه "يوكيقو" بكلماتها قاطعتها "ساتشيقو":

- "تحديدًا ماذا قال، ما مجمل حديثه؟"

- "حسنًا. أهو اختبار عقلي؟"

- ".....".

بدأت تقل حدة الأمطار بالخارج، وبدأت كأمتار الربيع تتساقط قطراتها برفق وفي هدوء، وبدأ أن رأسها يدور الآن مما تجرعتة من نبيذ أبيض منذ قليل.

شعرت حينها بتوهج وجنتيها، وزاغت مقلتها وهي تحاول أن تصمد وتشاهد مسلوبة اللب تداخل أضواء مصابيح السيارات بعدد لا حصر له، وانعكاسها على الطريق الممهد المبتل من نافذة سيارة مسرعة على طريق "هانشين فوكودو".

الفصل الثاني عشر

في مساء يوم صافٍ وممجيء "تينوسوكيه" إلى المنزل نظر إلى زوجته وقال:

- "لقد جاءت السيدة إيتاني إلى مكتبي اليوم".

- "ماذا؟ ألم تقل لها ألا تأتيك في المكتب ثانية؟"

- "إنها تقول: لم تدعوني لمنزلكم، واليوم كانت لدى بعض الأمور

وجئت إلى أوساكا، لذلك جئت هنا بعدما انتهيت ولم آتِ إلى

السيدة زوجتك لنجري حديثًا سريعًا، وأستمحك عذرًا لمجيئي

فجأة إلى هنا".

- "حسنًا، وما ذاك الحديث؟"

- "في الحقيقة حديث لا بأس به. مهمم.. تعالى هناك". قالها

"تينوسوكيه" واصطعب "ساتشيقو" لغرفة مكتبه وروى لها:

- "ما قالت لي السيدة إيتاني أنهم بتلك الليلة بعد عودة ثلاثتنا

مكثوا هم بعضهم مع بعض لعشرين أو ثلاثين دقيقة. باختصار

سيجوشى مهتم للغاية، وبالطبع لا اعتراض لديه على شخصية

ومظهر الأنسة كريمتكم، ولكن كان ملحوظًا ما بدا عليها من

ضعف.. ليس هناك أى شيء بحالتها الصحية. أليس كذلك؟ وبذكر هذا فإن أخى فوساشيرو أيضًا كان يذهب إلى مدرسة الفتيات أحيانًا ويطلعونه على دفاتر النتيجة حين كانت هى فتاة بالمدرسة، وحينها عرف أن لديها الكثير من أيام الغياب".

إذاً كان ذلك هو السؤال. ولأن "تينوسوكيه" نفسه لا يدرى بعهدتها وهى بمدرسة البنات فإنه لا يستطيع أن يجزم بشيء حتى يتأكد من زوجته أو منها هى ذاتها، وحتى بعدما يعلم الأمر بنفسه فإن "يوكيقو" التى بالغرفة المجاورة ليست مريضة بالمرض الذى يبدو عليها، وإنما هى بالفعل ضعيفة، نحيلة، هزيلة، وبالتأكيد لا يمكنه قول إنها ذات بنية قوية.

إنه من ناحية ندرة الإصابة بنزلات البرد فإنها هى بين الأخوات الأربع فى المرتبة الأولى، ومن ناحية تحمل الأعباء البدنية فهو ضمن بذاته أنها فى المرتبة الأولى أيضًا باستثناء الأخت الكبرى فى بيت العائلة الرئيس، ولكنه ما زال يراوده الشك حيال هيئتها الهزيلة وفى ما إذا كانت مصابة بمرض صدرى، وهذا ما أثار مخاوفه أكثر، لذلك سارع بعودته إلى المنزل ليتناقش مع زوجته ومعها، وسعى أيضًا للفهم من البيت الرئيس، وأراد إجراء فحص طبي من الطبيب ليطمئن، وحاول إسداء النصح بأخذ صورة الأشعة للفحص لو أمكن.

إن مثل هذا القول لا يمكنه الخوض فيه مهما كان بتأًا، لذلك يكفيه أن يسأل عن تفسير، لكن، على مضض، فمن الأفضل تنسيق مثل هذا الكلام بوضوح، فحتى بالنسبة إليه هو من الأضمن أن يقول:

"أليس من الأفضل أن نستمع لرأى طبيب آخر؟ يا لها من فرصة مناسبة حقًا لذلك. بكل حال من الأحوال إنها طريقة لنطمئن أنفسنا".

إن جرت الأمور على هذا النحو وبهذه الطريقة سيثق أهل البيت الرئيس أيضًا، وسيرون بالدليل أنه ليس بمكتون صدره أى غضاضة وسيكون شعورهم طيبًا مهما كان، لذلك أعد "تينوسوكيه" حديثه في سياق أنه حتى لو كان الحديث عن عرض الزواج أمرًا غير مقبول، فالاستعداد أيضًا من الآن لما أصبح موضع شك والإسراع بإجراء هذه الأشعة هو شيء لن يذهب سدى على حد ظنه، وبالتأكيد لن يعترض أى من أهل البيت، لذلك وماذا بها إن اصطحبها في الغد إلى جامعة "أوساكا"؟

- "حين كانت بمدرسة البنات لم كانت تتغيب هكذا؟ هل في تلك الآونة كانت مريضة؟"

- "بالطبع سيكون الأمر مزعجًا الآن مثلما كان حينها وهى بالمدرسة، لذلك كان أبى عادةً ما يجعلنا نأخذ قسطًا من الراحة ويصطحبنا لنذهب للتنزه، وعليه فقد اصطحبنا لكل مكان، لذلك إن بحثت في أيام غياب يوكيفو لوجدتنى أنا أكثر منها".

- "إن كان الأمر كذلك، فلا بد أن نخبر يوكيفو بشأن الأشعة".

- "لكن ألا تظن أن شأن جامعة أوساكا ليس بالأمر الجيد؟ ضع في الاعتبار الأستاذ كوشيدا".

- "حسنًا، ها هى ذى مرة أخرى، هذه البقعة".

رأى "تينوسوكيه" أمورًا مفضلة غير متوقعة من الأناس الذين كانوا على يساره، فمنذ البارحة وهناك من يبادر بالقول عمًا لاحظته من بقعة خافتة بدت على طرف العين اليسرى للفتاة، وهو أيضًا لاحظها.

- "ها قد أصبحت مشكلة. إن إيتانى لم تلاحظها، ولكن هل تظن أنه الرجل؟ بالتأكيد لا. أم هل استطاع رؤيتها مثلًا في أشعة الضوء

آنذاك؟ تتعدد الاحتمالات ولكن هل حقًا توجد تلك البقعة؟ هذا ما سُنلت عنه".

- "في الليلة الماضية رأيته قليلاً ويا لها من صدفة مؤسفة، لكن ما دام الأمر آل إلى ذلك ففي النهاية أصبحنا أمام مشكلة".

- "حتى لو كان هذا اهتمامًا مبالغًا فيه، ولكن ما هي تلك؟"

طرف العين اليسرى لـ "يوكيقو"، بوضوح أكثر بالجفن العلوى، أسفل الحاجب، بين العين والآخر يظهر ظل خافت وبتراجع، وهذا ما حدث مؤخرًا، لذلك حين لاحظته "تينوسوكيه" مثلاً لم يكن سوى منذ بضعة أشهر، أو نحو ستة أشهر. في ذاك الوقت سأل زوجته بهدوء منذ متى بدأ هذا الشيء في الظهور على وجه "يوكيقو"؟ لكن "ساتشيكو" قد لاحظت الأمر في هذه الآونة أيضًا ولم تكن تدري بوجوده من ذي قبل، وحتى الآن هو ليس أمرًا مستمرًا بل في الطبيعي هو حقًا خافت لا تكاد تدركه حتى إن نظرت مدققًا، وهو يتلاشى كلية ودون سابق إنذار، ومدته أسبوع فقط، ولاحظت "ساتشيكو" أنه في الغالب فترة ظهوره القوي تكون في الفترة حول ألامها الشهرية.

الأهم من أي شيء هو "يوكيقو" ذاتها كيف تشعر حيال ذلك، إنه وجهها هي، أي بلا شك ستكتشف تلك العلامة قبل أي أحد. ظنت "ساتشيكو" أنه من الأفضل ألا تدري ما هذا كي لا تتأثر نفسيته، فهذا ما تخشاه، وإن كان على وجه العموم "يوكيقو" ليست بائسة أو حتى غيورًا لتأخر زواجها إلى الآن، إضافة إلى هذا هي دائمًا ما تبدو لديها ثقتها الداخلية حيال مظهرها، لكنها إن بلغها ما يدور حول مثل ذلك العيب غير المتوقع فماذا سيكون شعورها؟

وبينما تخفى "ساتشيكو" مخاوفها تلك، تمر الأيام وهي تتفحص وجه "يوكيقو"، فهي لا يمكنها أن تسأل عن رأيها في ذاك الشخص بلا مبالاة، ولكن "يوكيقو" لم يطرأ على تصرفاتها أي تغيير.

أهى حقًا لا تعير انتباهًا لذاك الأمر؟ لقد بدا كأنه ليس بمشكلة.

ثم في وقت ما نادى "سانشيقو" أختها الوسطى قائلة:

- "أختى أقرأت هذا؟"

وأشارت إلى أمر جاء بمجلة نسائية لديهم منذ نحو شهرين أو ثلاثة أشهر، وبمجرد أن رأت "سانشيقو" تنبعت إلى أنه بعمود الاستشارات الطبية بالمجلة القديمة هناك فتاة في التاسعة والعشرين من العمر وغير متزوجة وتعاني من الأعراض نفسها التى لدى "يوكيقو"، وهى أيضًا لاحظت ذلك مؤخرًا، وأيضًا خلال شهر أصبحت هذه البقعة تظهر خافتة حينًا وتختفى في حين آخر، وأوقانًا تصبح داكنة، ووجدت بالإجابة أنه لا داعى لأى قلق فهى عادةً ما تكون أعراضًا فسيولوجية لدى الفتيات غير المتزوجات وتخطئين سن الزواج مثلما بحالة "يوكيقو".

غالب الحالات يطيب مباشرة فور الزواج، ولكن حتى إن لم يحدث ذلك فكثيرًا ما يتم العلاج بالمداومة قليلًا على حقن هرمونات أنثوية. شعرت "سانشيقو" بالارتياح لتلقيها مثل تلك المعلومات، وفي الحقيقة "سانشيقو" ذاتها أيضًا لديها تجربة مماثلة لذلك في ما مضى. في حالتها، وقبل بضع سنوات من الآن، كان حول شفيتها يبدو كأنه متلخ من حيث حواف فمها بصلصة الفاصوليا الحمراء كالأطفال بالضبط، وأحيانًا ما كانت تظهر بقعة بلون أسود مزرق كالكدمة، وحين تفحصها الطبيب وجد أنها في ذاك الوقت كان لديها تسمم أسبرين، وإن تركتها كما هى لحالها فستختفى على مَرَّ سنة، وبالفعل مضى الأمر على ما يرام دون أن يتكرر.

بأخذ ذلك في الاعتبار فإنه يبدو إلى حد ما أن هؤلاء الأخوات لديهن استعداد فطرى لظهور مثل تلك البقع، فـ"سانشيقو" لديها في

الماضى تلك التجربة، وعلاوة على ذلك كانت تلك البقعة على أطراف فمها داكنة أكثر من التى لدى "يوكيقو" على جفن عينها، وهذا مثال حى لكون مثل تلك البقع تطيب بوقت قريب، لذلك فمن الأساس ليس هناك ما يقلق حيالها، وبقراءة ذلك المقال بالمجلة لا بد أن تكون اطمأنت تمامًا.

لكن "تائيكو" جذبت هذه المجلة القديمة وذهبت بها بهدف أن تجعل أختها "كى أن" تقرأ المقال بطريقة أو بأخرى.

لكن لم يتغير شيء البتة بحالة "كى أن" بقراءتها ذلك، وبدا أنه بداخلها ضيق لا ينتهى لكونها وحيدة، وما يريدون إخبارها به أنه لا داعى للقلق حيال أى شيء كما هو مكتوب هنا، وأنها ستطيب إن تزوجت، وحتى إن لم تكن فهناك طرائق جديدة للعلاج قبله قدر المستطاع، وذلك بالاستمرار على علاج. لكنه مهما قيل لها من ذاك القبيل فلن يجدى نفعًا فى أمر "كى أن"، بل إنها ستقتنع فى الوقت المناسب.

إن "ساتشيكو" حتى الآن لم تتناقش مع أحد بشأن البقعة التى لدى "يوكيقو"، وعليه فإن حديثها مع "تائيكو" كان هو للمرة الأولى، إنها تدري أن "تائيكو" هى الأخرى مثلها تتألم بداخلها دون أن يدري بها أحد حيال ذاك الأمر، ولكن موقف "تائيكو" مختلف فهناك حسابات أخرى تدعمها بخلاف مشاعر الحب الناجمة عن رابط الدم بينهما، فهى سيطول أمد زواجها بـ"أوكوياتا" إن لم تتزوج "يوكيقو" سريعًا، وهذا ما ظنته "ساتشيكو".

وإن كان الأمر كذلك فإنه واجب على واحدة منهما أن تجعل "يوكيقو" ترى المجلة، وانتهى نقاشهما على أن "تائيكو" هى الأفضل و"ساتشيكو" على العكس صارت مبالغًا فى شأنها للغاية. ولأن مخاوفها أثارت ربيتها حتى من أن تدع زوجها "تينوسوكيه" يشاركها النقاش

على نحو طبيعي، فلذلك حسمت "تائيكو" الأمر برفق وعلى نحو غير مكثرت.

ظهرت البقعة الداكنة على وجه "يوكيكو" مرة أخرى فيما بعد، وكانت تتوجه إلى المرأة بغرفة الملابس والزينة وحدها وتصادف وجود "تائيكو"، فقالت لها بهدوء:

- "عزيزتي كي أن، لا تقلقي بتاتاً بشأن تلك التي بطرف عينك".

فأشاحت "يوكيكو" بوجهها ولم تقل سوى:

- "مممممممم".

ولكن "تائيكو" غابت عن ناظرها وتوجهت إلى الأسفل وعادت إليها قائلة:

"ذاك الأمر ها هو قد جاء بمجلة السيدات، ألا تقرئينها يا عزيزتي كي أن؟ إن لم تريها بعد دعيني أريها لك".

- "لا أدري. ربما قرأتها".

- "مم. هل قرأتها؟ إنها ستطيب إن تزوجت، وممكن أيضاً بالعلاج".

- "مممممم".

- "أتدريين بذلك عزيزتي كي أن؟"

بالنسبة إلى "تائيكو" فإن "يوكيكو" لا تريد أن تتطرق إلى تلك المسألة، لذلك أخذت المجلة بلا مبالاة وألقت بها جانباً، ولكن أيضاً ترددها لـ "مممم" لعدة مرات هو أمر إيجابي. المربك في كونها قد قرأت تلك المجلة هو أنها في القريب العاجل ستصير متزوجة.

ألقت "تائيكو" نظرة باستحياء على "يوكيكو" بعدما شعرت بالارتياح التام لذلك، وأسدت إليها نصيحة قائلة:

- "وإن كنت قد قرأتها فلم إذا سيجب أخذ الحقن؟!"

لكن "يوكيقو" بدا عليها أن ذلك الشعور لن يستمر، فقد تعاملت بازدراء مع تلك النصيحة. الأمر الوحيد في ذلك هو أنه وفقًا لطبيعتها، فلا بد أن يأخذ بيدها أحد ويجذبها بقوة. إنها تكره الذهاب إلى طبيب أمراض جلدية غير مألوف ليتفحصها، في حين أن كل ما في الأمر هو أن هؤلاء الذين هم على الحافة يخشون حتى الظل، وبذلك فهي ستعاني وستعامل مع تلك البقعة بحساسية مفرطة.

تصادف في يوم ما بعدما نصحتها "تائيكو" بتلك النصيحة أن لاحظت الصغيرة "اتسوقو" للمرة الأولى شيئًا غريبًا بوجه "يوكيقو"، وحدقت إليها متسائلة بصوت عالٍ:

- "أختي الكبيرة، ما هذا الذي حول عينك؟"

ولسوء الحظ أن بذلك الموقف كانت "ساتشيكو" والغاديات موجودات بالخارج وساد بينهما الصمت فجأة. في ذاك الوقت أيضًا كان شعور "يوكيقو" غير متوقع، فلم يتغير لون وجهها البتة، واستمرت فقط في مضغ شيء ما بداخل فمها مراوغة بالإجابة.

إن أكثر ما يزعج "ساتشيكو" وابنتها هو حينما تظهر تلك البقعة بوضوح على هذا النحو وهي ترافقهما بالمدينة وبالتسوق في المحلات التجارية. أما بالنسبة إلى أخواتها، فـ"يوكيقو" الآن في فترة ما قبل الزواج أي هي سلعة مهمة للبيع، فإن لم يكن هناك مقابلة زواج فإنها أيضًا عليها أن تتأنق بملبسها في الخروج فلربما رآها أي أحد بمكان ما.

منذ قرابة الأسبوع أو أكثر وهم يمكنون بالبيت قدر المستطاع، وإن كان لا بد لهم من الخروج، فبأدوات التجميل تعمل على إخفاء تلك البقعة، لكنه على الرغم من أن هذا حل بارع فإنها لا تبالي بالمرة بتلك المسألة، فما تظنه "ساتشيكو" و"تائيكو" هو أن وجه "يوكيقو" يليق به التزين الصارخ بأدوات التجميل، ولكن في الفترة التي يظهر

فيها هذا الظل وتزيد من اللون الأبيض، فإنه على العكس، فحين تنظر إليها من خلال الأشعة المائلة سترى بوضوح رواسب لجزء بلون رصاصي تحت القوام شديد البياض، لذلك فمن الأحرى بها بتلك الفترة أن تخفف من اللون الأبيض، ويستحسن أن تزيد من مورد الوجنتين، وهنا نجد "يوكيقو" عادةً ما تكره وضع مورد الوجنتين وتستمر في وضع الزينة بألوان صارخة وتخرج. (هذا المكياج هو سبب أن راودتهم الشكوك في ما إن كان لديها مرض رئوي أو شيء من ذاك القبيل، وعارضتها "تائيكو" لتضع مورد الوجنتين حتى إن لم تضع الأبيض). في ذلك الوقت، ومن سوء حظها، دائماً ما يتصادف لقاؤهن أشخاصاً يعرفونهن.

في مرة كانت "تائيكو" معها وتستقلان معاً القطار، وفي ذلك اليوم على وجه الخصوص كانت تلك البقعة واضحة بشدة، أخرجت "تائيكو" بهدوء علبة أحمرها وأعطتها إياها قائلة:

- "خذي ضعي من هذه"، وحثتها على أن تضع على أطراف وجهها، ومع ذلك بدت كأنها لا تشعر بها من الأساس.

الفصل الثالث عشر

- "إن كان كذلك، فماذا بك إذًا؟ ما المشكلة؟"

- "كما هي الحال، لقد قلتها صراحةً، إنها لا تظهر عادةً بمثل ذلك الشكل، وما لا يدعو للقلق حيال أي شيء هو مثل هذا القول الذي ورد بالمجلة وبمجلات أخرى أيضًا قراتها، لذلك فما أفكر فيه هو كيف سأحصل على الأشعة السينية وأذهب بها إلى جامعة أوساكا، وأطلب ممن بطب الأمراض الجلدية أن يتفحصوها كي أتأكد مما إن كان العلاج حقًا كما هو مكتوب بالمجلة. المشكلة ستصير في كوني أنا الذي أريد أن أتأكد وهي تظن أن الأمر فقط ليس بهذا القدر".

شعر "تينوسوكيه" بأنه سيكون خطأه إن تركها وحدها وهو يدرى الآن بشأنها، في حين أنه من الطبيعي ألا يلحظ ذلك أخوها بيت العائلة الرئيس، لأن "يوكيقو" تأتيهم وتمكث غالب الشهر عندهم بيت العائلة الفرعى، ومهما قيل فإن الأمر بدأ مؤخرًا ولم يمثل مشكلة ولو لمرة واحدة في أى من مقابلات الزواج حتى الآن، وعلاوة على ذلك، فإن "ساتشيكو" حينها فكرت في المسألة بمنتهى البساطة

لترى حقيقة علاجها دون أى قلق، فبالنسبة إلى "ساتشيقو" الفترة التى تظهر فيها تلك البقعة بوجه "يوكيقو" يمكن التنبؤ بها بحساب الأيام، وبناءً عليه يمكنهم ألا يحددوا موعد المقابلة فى تلك الفترة، ولكن لا تزال "إيتانى" تضغط عليهم بخصوص شأن واحد، وإن بدا منهم أى عدم مبالاة فيما بعد وتحدد اللقاء فى يوم ما زالت هذه البقعة ظاهرة فيه وملحوظة لأعين الآخرين ولم تختفِ بعد، فحينها ستربط الأمور بعضها ببعض.

فى الصباح حاولت "ساتشيقو" بعدما خرج زوجها ليذهب إلى عمله أن تسأل "يوكيقو" بهدوء عن انطباعها بخصوص الأمس. على العموم هى قد سمعت نوايا أخواتها وأخويها بالقانون بأن يدعوا الأمر لها، لذلك كانت تقلق وتجعل الأمور تزداد تعقيدًا وتبدأ فى التحدث بحدة كلما دار حديث فى سياق أنه شخص جيد بعد طول انتظار، وفى أثناء ذلك بعدما نامت الصغيرة ليلاً وجدت "تينوسوكيه" هو الآخر مترددًا، وما إن أخرج ما فى جعبته بشأن الأشعة السينية وبشأن طبيب جلدية حتى جاءت موافقتها سريعًا على غير المتوقع، وقالت إنها تفضل أن تصطحبها أختها الأكبر "ساتشيقو" وتذهب معها للفحص. يومًا تلو الآخر بعد ذاك الحديث خفت الظل الذى بنهاية جفنها حتى ثلاثى، لذلك رجعت "ساتشيقو" الانتظار حتى يظهر مرة أخرى أكثر وضوحًا ليذهبها للكشف الطبى، لكن كان مخطط "إيتانى" كما تصوره فعجل "تينوسوكيه" باللقاء القادم ليكون فى أقرب وقت ممكن، لذلك فى اليوم التالى ذهب إلى البيت الرئيس للعائلة ببلدة "أويه هون" ليطلب منهم التحرى وجمع المعلومات الخاصة بمقابلة الزواج، وذلك جنبًا إلى جنب مع قيامه باصطحاب "يوكيقو" لجامعة "أوساكا" بمجرد إجابتها على أختها، وبعدها فى اليوم التالى سيخرج وهو يقول عن عمد أمام الخادومات إنهم ذاهبون إلى مجمع متاجر "ميقوشى" مع "يوكيقو".

كانت نتيجة الفحص الطبى الباطنى والجلدى أيضًا كالمتوقع، فصورة الأشعة السينية فى ذاك اليوم بعد انتظارهم لاستخراج الصورة العكسية/ السلبية (نيجاتيف الصورة) لأشعة الصدر لم يتضح بها أى ظل ولا نقطة واحدة، لكن بعد مرور أيام عدة وصل التقرير الذى كان به أن معدل الترسيب بالدم نسبته 13، وغيره من النتائج الرجعية السلبية بالفحص الجلدى، فبقسم الأمراض الجلدية نادوا "ساتشيقو" بعيدًا وقالوا لها فجأة إن هذه الفتاة لا بد من الإسراع بتزويجها، وحين قالت إنها سمعت عن العلاج بالحقن كان الرد أنه بالفعل هناك علاج بالحقن، وإنما على الأرجح لن يجدى نفعًا فى هذه المرحلة، فالأفضل من ذلك تزويجها سريعًا فهذه هى أفضل طريقة للعلاج، وانتهى الحديث على هذا النحو، ما يعنى أنه فى النهاية ما قرؤوه بالمجلة شيء محتمل.

- "إذًا، إلى أين ستأخذينا يا سيدة إيتانى؟"

قال ذلك "تينوسوكيه". لقد كان من الأفضل أن تصطحبهما، لكنه منذ وقت قليل مضى قال لها: "لقد تحدثت سريعًا إلى زوجك، وكان هدفى بالحديث هو أنتِ لأنى أريد أن أسلمك هذا، ولا أريد أن أتسبب له بأى ضيق بسبب استبعاده من هذا الحديث. فى الحقيقة، فى تلك الأحوال أريد أن أتعجل فى الحديث والنتيجة أنى أتعثر بالكلام". فلاحقته "ساتشيقو" بالحديث قائلة:

"نانى، الأمر ليس كذلك، لقد هاتفك تينوسوكيه سريعًا من مقر عمله اليومى، وأرسل إليك صورًا وتقارير بالبريد السريع، وما زال لديه هنا أيضًا بعض المهام المكتبية".

هكذا نحو الساعة الرابعة مساءً من ذاك اليوم المشرق، أى منذ ساعة من الآن، كانت هناك مكالمة هاتفية للاستفسار، وظهرت "إيتاني" هى الأخرى بالمكتب فى تمام الساعة الخامسة وقالت:

"لكم جزيل الشكر بشأن الأمس، ولقد أوصلته إلى السيد سيجوشى على الفور. ممتنة لكم للغاية لذهابكم خصوصًا لجلب التقرير المفصل إضافة إلى صور الأشعة وما إلى ذلك، وبالطبع الأمر مطمئن تمامًا وأعتذر إليكم مرارًا وتكرارًا لطلبى شيئًا وقحًا وأنائيًا إلى هذا الحد ولكن.. فى الواقع أتردد كثيرًا فى ما سأطلبه، إن السيد سيجوشى يرجو أن يتبادل الحديث مع ابنة عائلتكم، هما الاثنان فقط لساعة مثلاً دون عجلة كما سبق فى تلك المرة. ألا تتفقون معى فى ذلك؟"، ثم استطردت "إيتاني" مضيفة:

"إن السيد سيجوشى شخص بالغ ولكنه لم يسبق له الزواج قط، لذلك فهو يعد مبتدئًا، لقد كان متوترًا فى تلك المرة حتى إنه لا يتذكر فيم تحدثا، علاوة على أن ابنتكم خجول للغاية".

حقًا الخجل صفة حسنة، ولكن حينها كان لقاؤهما الأول لدقائق فقط والتعامل بمنتهى التكلف، لذلك بلفائهما مرة أخرى سيحاول كل منهما أن يتغلى عن تحفظه.

هذا ما كانت تقصده.

وبعد ما قالت هذا استطردت:

"إن وافقتم فهل من الممكن أن يكون اللقاء بمجيئكم إلى منزل فى هانزكيو أوكاموتو؟ إنه بيت متواضع ولكن ذلك لأن اللقاء بفندق أو مطعم ما أسهل أن تلحظه الأعين".

من ناحية أخرى كان يوم الأحد المقبل وفق ما يرغبون تمامًا، لكن كان هذا حديثهم:

- "حسنًا وكيف ذلك؟ وهل أعطتك يوكيقو موافقتها؟"
- "ليس يوكيقو بل بيت العائلة لا أدري ما رأيهم. إنهم لم يقرروا بعد بوضوح، وعلى الرغم من أنه من الأفضل كونهم أناسًا لا يتدخلون كثيرًا، لكن هل سأستطيع قول ذلك؟"
- "ومن جهة أخرى فما حال تلك البقعة بوجهها؟ لا أدري إن كنتم تريدون رؤيتها مرة أخرى!"
- "في الحقيقة كلامك صحيح."
- "إذًا، ليس من الأفضل أن نقول، فالآن غير مناسب، وأيضًا نحن لا ندري فأى قول في مثل هذه الأجواء قد يأتي بما لا نرجوه."
- "حسنًا، ولكن إن اعتذرت فماذا سيظن؟ سيبدو أنكم لا ترغبون."

بعدما دار هذا النقاش بين الزوجين، وفي اليوم التالي، وجدت "ساتشيقو" أنه أيضًا هاتف المنزل سيسبب المتاعب، فذهبت إلى هاتف عام بالجوار لتطلب أختها الكبيرة ببيت العائلة، وكما ظنت بالضبط، فحين قالت لها ولم إلى ذاك الحد لا يتقابلان ولو مرة واحدة، وغيره من ذاك القبيل، وكلفها ذلك خمس مكالمات هاتفية، فقالت لها أختها: "وأنا أيضًا لا أدري لم كذلك، ولا أدري أيضًا كيف سيحدث ذلك، وهل مسموح لكليهما فقط أن يتقابلا. بالنسبة إلى لا أدري، لذلك في المساء سأتناقش مع أخيها الكبير وسأوافيك بالرد غدًا".

لذلك في الصباح التالي أسرع "ساتشيقو" مرة أخرى للهاتف العام دون انتظار لمجيء مكالمته منها، وتأكدت من موافقة أخيها الكبير بالقانون، ولكنه وضع عدة شروط بخصوص المكان والتوقيت ومن سيتولى الأمر ويصطحبها، بعد ذلك توجهت لتري "يوكيقو" ووضحت لها سريعًا، وعلى الفور وافقت.

في ذلك اليوم جاءت "ساتشيقو" بباقة زهور وأخذتها إلى بيت "إيتاني" لتقدمها لها.

رحبت بهم "إيتاني" في البداية وقدمت لهم الشاي وتبادلوا الأربعة الحديث لقليل من الوقت، ثم دلتهم "إيتاني" على الطابق العلوي وانتظرت و"ساتشيقو" بالطابق السفلي واستمر حديثهما، لكن الموعد الذي كان من المفترض أن يكون ساعة امتد بعدها لقراءة 30 أو 40 دقيقة أخرى، ثم نزل الاثنان.

بالإياب تخلف عنهم "سيجوشي" بخطوة وخرجت الأختان أولاً لتلحقا بوقتتهما، فإنه يوم الأحد والصغيرة "انسوفو" تمكث بالبيت، لكنهما توجهتا إلى "كوبيه" وذهبتا إلى فندق "أورينتال" واحتستا الشاي مرة أخرى، وحين سألتها "ساتشيقو" عن أحوال المقابلة:

- "اليوم حقًا تحدثنا". وهكذا فإن "يوكيقو" في ذلك اليوم استمرت في الثثرة في عديد من الأشياء دون خوف. لقد سألتها دافعًا إياها لتجيبه تمامًا عن سبب كونها هي وأختها "تائيغو" تفضلان العيش بالبيت الفرعي أكثر من المنزل الرئيس، وعن حادث "تائيغو" الذي ورد بالصحف، وماذا حدث بعدها، وأشياء من ذاك القبيل، فأجابته دون أي اعتراض ولكنها لم تفصح بالقول لأختها عن الأشياء التي سيصنع فهمها أخوها الكبير بالبيت الرئيس.

لقد قال لها "سيجوشي": "لا تجعليني أنا فقط الذي أستمع في طرح الأسئلة وتفضلني بسؤال أنت أيضًا"، لكن "يوكيقو" استمرت على حيائها، لذلك استرسل هو في الحديث عن ذاته. قال إنه يبحث عن شخصية ذات إحساس أصيل وليست شخصية ذات إحساس مواكب للعصر، لذلك تأخر في الزواج إلى الآن، وقال لها إن مجيء شخصية مثلك هو شيء أكثر بكثير مما أستحق، وكرر مرتين أو ثلاث كلمة

"الفارق الاجتماعى بيننا". بعد ذلك قال إنه بالنسبة إلى علاقته النسائية فإنه لم تكن لديه أى علاقة فى الماضى، وإنما هناك واحدة فقط يريد أن يخبرها بها لأنها تركت أثراً غير متوقع.

فى مرة تبادل الحديث مع امرأة بفرنسا كانت تعمل بائعة بمتجر متعدد الأقسام وقتما كان بباريس. لم يدر بينهما حديث مفصل، ولكن فى النهاية انخدع بتلك المرأة، لذلك عانى من حنينه للوطن وللأسرة، وأيضاً كردة فعل لذلك أصبح يتوق لكل ما هو يابانى خالص، ويدرى بهذا الحديث فقط صديق قديم لـ "سيجوشى" هو السيد "فوساجيرو".

قال لها إنه لم يتحدث لأحد بخلافه سوى اليوم للمرة الأولى، لكن علاقته بتلك المرأة انتهت بالصدقة، لذلك طلب منها ثقتها حيال تلك المسألة.

فى الغالب تلك هى الأشياء التى كانت "ساتشيقو" ترغب فى سماعها، لكن "يوكيكو" فى غنى عن قول إنها تفهمت شعوره وبوجه يمكنون صدره بصراحة إلى ذاك الحد.

أما عن "إيتانى"، فهى على الفور بدأت المطاردة من اليوم التالى وهاتفت "تينوسوكيه" واستمرت فى إلحاحها قائلة: "لقد أعطيتموه فرصة مثالية بالأمس، ولن يكون لدى سيجوشى ما سيقوله بعد، ولقد تفحصت وجهها بالأمس باحثة عن البقعة وكانت على ما يرام وليست بالشئ الذى قد يصل إلى درجة المشكلة أبداً، وعليه، فأنا أتساءل إن كان اجتاز امتحان زوج ابنة عائلتكم، إنى أنتظر مجيئ الإجابة". وكانت فى الوقت نفسه ترص مزيداً من الكلمات وتتساءل: ألم ينتهِ بعد بحث عائلتكم بالبيت الرئيس؟

إن نظرنا إلى "إيتانى" سنجد أنها من بداية هذا الحديث منذ أكثر من شهر، وأيضاً حين زارتهم فى يوم ما بيت "أشييا"، وبعدها بأيام

عدة أيضًا حين التقتهم بفندق "أورينتال"، وهى تسمع منهم التحية وتلحقها عبارة "هل ممكن أن تنتظروا لأسبوع لاحق؟"

لذلك لا بد لهم من أن يتخلصوا أكثر وأكثر من خدر لا داعى له. إن "ساتشيقو" ذهبت فى الحقيقة إلى بيت العائلة لتناقش الأمر للمرة الأولى بالكاد منذ عشرة أيام أو أسبوعين، وحتى دون ذلك، فبالنسبة إليهم لا داعى للرد السريع من بيت العائلة فى مثل هذه التحريات التى تستدعى اهتمامًا.

بالمختصر كانت "ساتشيقو" تحت ضغط بسبب الهجوم المستمر من "إيتانى"، فقد قالت لها: "هل بعد أسبوع أيضًا!" وقالت أيضًا: "تينوسوكيه لا خيار لديه فىوافقك الرأى وهذا خطأ، وبصراحة، بيت العائلة طلب سجل عائلة سيجوشى من دار البلدية بمسقط رأسه، لكن توالى الأحداث وقتلتم وصل أخيراً منذ يومين أو ثلاثة، وإثما تقرير إدارة المباحث والتحريات الذى سيتولى البحث ببلدته مسقط رأسه سيستغرق وقتاً أيضًا هو الآخر، وفى النهاية ستقررون، وها هو الأمر مرة أخرى من أجل تلك الأفكار سترسلون شخصاً مناسباً إلى البلدة مسقط رأسه!".

كان الزوجان "تينوسوكيه" فى ورطة، خصوصاً بعد مضى كل ذلك الوقت، ولم يكن أمامهما سوى المماطلة بقول بعد أربعة أو خمسة أيام، لكن "إيتانى" فى تلك الأثناء بدأت ممارساتها بالضغط بذهابها إلى منزل "أشييا" مرة وإلى المكتب بـ "أوساكا" مرة أخرى، وللأسف لن يتم الموضوع سريعاً، ومن السهل ظهور العراقيل، وسيكون من حسن الحظ إن استطاعوا إتمام أى مراسم هذا العام، وبلغ بها القول إلى هذا الحد ثم عادت أدراجها. لكنها لم تكف بذلك، بل لم تستطع الانتظار مطلقاً واتصلت بالأخت الكبرى ببيت العائلة الرئيس التى حتى لم تلتقيها من قبل، وهاتفتها مباشرة مواصلة إلحاحها. اندهشت الأخت

الكبرى وبعدها اتصلت بـ "ساتشيقو" لتخبرها، لكنها كان لديها طول بال أكثر من "ساتشيقو" وكان الأمر غريبًا عليها، وبدأ عليها الارتباك وهي تحاول الرد على أسئلة لأكثر من خمس دقائق، ولكن حتى إن توجهت "إيتاني" إلى الأخت الكبرى واستخدمت عبارات المجاملة مثل "إنه من السهل إدخال العراقيين بالكلام السلس" وغيرها، إلا أنها بدت بالنسبة إليهم سريعة الكلام دائمًا وتسعى لإقناعهم على نحو كبير.

الفصل الرابع عشر

في خضم تلك الأحداث انتهى الشهر، وفي يوم ما بعد بدء شهر ديسمبر، جاءت مكالمة هاتفية من سيدة البيت الرئيس، فخرجت "ساتشيقو" لتتلقى المكالمة التي كانت بخصوص عرض الزواج الذي تلقوه مؤخراً، فلقد طال أمر البحث المفصل ولكن أخيراً صاروا على علم بغالب الأشياء وستأتيهم اليوم. بعدما انتهت المكالمة استرجعت "ساتشيقو" كلماتها وظننت أن أختها لا بد أنها تريد أن تسعدهم ولديها حديث جيد بلا شك، ولم تعارض بمخيلتها هذا التوقع إلى أقصى حد، فمنذ اللحظة الأولى لسماعها صوت أختها الكبرى وهي تشعر أنه أخيراً لن يكون هناك تأجيل لمرة أخرى. وأنهت المكالمة وعادت إلى حجرة الاستقبال وتنفست الصعداء، وألقت بنفسها على مقعد وثير.

حتى هنا، فكل ذلك تكرر حدوثه لعدة مرات في ما سبق، وأصبح المألوف تقريباً أن يأتي الرفض في اللحظة الأخيرة، لذلك في كل مرة كانت "ساتشيقو" لا تستهلك قواها إلى أقصى حد، وإنما بهذه المرة ستصيبهم خيبة الأمل في صميم قلوبهم جميعاً بالمثل، حتى لو ظنوا

أنه ليس قدرًا بائسًا خصوصًا لها. إنهم بالبيت الرئيس حتى الآن لهم الرأي نفسه، وعلى الجهة نفسها يوافقون كلهم على الإلغاء، وعلى الرغم من ذلك ففى هذه المرة كان لديهم شعور بأن الأمور تسير على ما يرام، و"إيتاني" كانت بمثابة المنفذ المسنول، واختلفت طريقتهم لإقحام ذاتهم فى الأمر على نحو غريب، فمثلاً "تينوسوكيه" ذى قبل كان ينأى بنفسه جانبًا حتى إنهم يجرونه جراً ليشغل دوره، وعلى الرغم من ذلك فهو هذه المرة بذل كثيرًا من الجهد للوساطة، وفوق كل ذلك "يوكيقو" أيضًا فى هذه المرة بها اختلاف.

إنها وافقت على الذهاب إلى هذا اللقاء المتسرع، وقبلت مرة أخرى بلقائهما هما الاثنين فقط للحديث، إضافة إلى واقعة الفحص الطبى بأمراض الجلدية وتصوير الأشعة وغيره، وكانت تصغى باهتمام ودون وجه يبدو عليه الضجر.

كل هذا سلوك غير متوقعة رؤيته من "يوكيقو". لكن أليس ذلك التغيير فى رأيها هو نتيجة لأعراض تخفيها بقلبها سرًا ألا وهى رغبتها فى التعجل فى الزواج أيضًا، والاستمرار باعتبارها كأنها لا تشعر بشيء فى داخلها أو حيال ذلك الظل الذى ظهر على جفن عينها هل هو لم يؤثر فيها فعلاً؟!

لهذا أو لذاك ولعديد من الأسباب الأخرى إنها تريد هذه المرة أن تتم الزيجة حقًا، وهذا ما آل إليه تفكيرها، لذلك حين التقت أختهم الكبيرة وحتى نهاية حديثها وهى لم تتغلغل عن رغبتها ولم تقطع الأمل تمامًا، وفكرت فى أنه مهما كان الوضع فلا بد أن هناك حلاً، ومع سماعها لكامل الحديث لم يمكنها التوقف عن التفكير، ولكن ما باليد حيلة بالطبع. استغلت الأخت الكبيرة التى تختلف عن "ساتشيقو" بمشاعر أمومتها الجياشة ساعة أو ساعتين فى المساء حتى موعد مجيء أطفالها من مدارسهم الابتدائية والإعدادية، وجاءت أيضًا لعلمها بأن

"يوكيفو" في ذلك اليوم تخرج منذ الساعة الثانية لتذهب إلى تدريب طقوس تقديم الشاي، لذلك بمجرد أن رأت الصغيرة "انسوقو" قد عادت أشارت للوقت وقالت لـ "ساتشيكو": "سأترك لك مهمة سبب الرفض، لذا فلتتناقش مع تينوسوكيه". وكان حديثهما قد استمر قرابة الساعة والنصف وهما بغرفة الاستقبال.

طبقاً لما ورد بحديث الأخت الكبيرة، فإن والددة السيد "سيجوشي" بعدما فقدت زوجها منذ عشر سنوات مكثت في منزلها مقرر إقامتهم القديم ولازمته وتوارت عن الأنظار بسبب مرضها، وكان ابنها "سيجوشي" لا يعود إلى البلدة إلا نادراً، وإنما كانت بالجوار دائماً لمعاونتها حقاً ابنتها التي أصبحت أرملة وكانت هي من تتولى المسؤولية. الأعراض الظاهرية للمرض هي الشلل، وإنما حين رآها الباعة الذين يترددون ذهاباً وإياباً هناك وجدوا أن الأمر لا يبدو كذلك، ففي الواقع هو نوع من أنواع الأمراض العقلية، فهي لو رأت وجه ابنها لا تعرفه، وغيره من هذه التصرفات. هذا الشيء أيضاً وردت عنه تلميحات غامضة بتقرير وكالة التحريات، ولكن كي لا يلتبس علينا الأمر أرسلنا شخصاً خصوصاً للتأكد من أنه ليس هناك خطأ ما بهذا الشأن.

كم من المؤسف أن ينكسر خاطرنا في كل مرة، ويأتينا أناس طيبون بكل أسى قلقين بشأن ما حدث، لكننا قطعاً لا نرجو ذلك، إنهم لا ينتبهون لقلقنا العام تجاه المكانة الاجتماعية للعائلة والأصل، لذلك كان الحديث هذه المرة نهايته منطقية للغاية.

إن كانوا يفكرون في ما سينتهى إليه الأمر مع أمثالنا حقاً فليذهبوا للبحث في الأرياف عن شخص يناسبه. إن ذاك الشخص على عكس الظاهر، إنه يقول وماذا عساي أن أفعل، بدلاً من أن يقلع عن الفكرة من الأساس لأن لديه نسباً مع الأمراض العقلية، أليس كذلك؟

أما بالنسبة إلى عروض الزواج من "يوكيقو" فإنها دائماً ما تفشل لشيء أو لشخص ما ليس في الحساب، ومهما كان الرفض محرّجاً إلا أنه ليس بالغريب.

قالت لهم أيضاً أن ينتبهوا فـ"يوكيقو" فقط شخص حظه قليل، لذلك لا داعى أبداً للأخذ بالمعتقدات الخرافية حول برج الحمل وهذا القبيل.

رأت "سانشيقو" أختها "يوكيقو" عائدة بمجرد ذهاب أختها الكبيرة، وأدخلت وعاء الشاي بحقيبة يدها وتهم بدخول الغرفة غربية الطراز. حينها بالضبط ولحسن الحظ كانت الصغيرة "اتسوقو" ستذهب للهو بحديقة جيرانهم عائلة "STOLZ".

- "منذ قليل جاءتنا أختنا الكبيرة". قالتها سانشيقو وحاولت أن تنتظر قليلاً، ولكن "يوكيقو" أجابتها بالإجابة المعتادة:

- "ممممممم".

وبعدما توقفت عن الحديث وجدت أنه ليس أمامها سوى أن تستطرد، فسألت:

- "وما القصة؟"

- "حسنًا. إنها أمه، يقال إنها تعاني من الشلل الرباعي، ولكن بدا في الواقع أنه مرض عقلي".

- "حسنًا".

- "إن كان الأمر كذلك فإنها ستكون مشكلة".

- "مممم".

جاء لمسامعهما عن بعد صوت الصغيرة "اتسوقو":

- "أهلاً صديقتي رومي".

ورأيا الطفلتين قادمتين نحوهما من الحديقة، فنزلت إليهما
"ساتشيقو" بعدما قالت لها:

- "ساخبرك فيما بعد بالتفاصيل، هذا صوتهما قادمتين".

- "مرحبًا بعودتك يا أختي". قالتها الصغيرة وسبقت إلى التراس
وفتحت الباب الزجاجي لمدخل الحجرة الذى على الحديقة،
وتوقفت ووقفت بجوارها كتفًا إلى كتف "روزمارى" التى
جاءت معها من الخارج، واصطفت أرجلهما على نحو لطيف
وهما ترتديان الجوارب الصوفية ذات الألوان الفاتحة.

ذهبت "يوكيقو" أيضًا إليهما وأغلقت الباب الزجاجي وقالت لهما:

- "اتسوقو، فلتلعبا معًا بالداخل اليوم؛ إن الجو بارد اليوم".

- "هيا يا رومى فلتدخلى أنتِ أيضًا". وقالتها بنبرة صوتها
نفسها التى لا تتغير مطلقًا.

بذلك انتهى الموضوع بالنسبة إلى "يوكيقو"، وإنما "تينوسوكيه" لم
يتقبل الأمر بهذه البساطة، فحين عاد إلى المنزل في المساء وسمع من
زوجته أن أختهم الكبيرة ربة البيت الرئيس جاءتهم لتبلغهم الرفض،
امتعض وجهه بشدة وقال:

- "ارفض أيضًا هذه المرة هي الأخرى!"

إن "تينوسوكيه" هذه المرة -كما أشارت "إيثانى"- هو أول من
يتصدى للنقاش، لذلك بدأ يستاء شيئًا فشيئًا، فإن كانوا ببيت العائلة
متمسكين بالشكليات الرجعية والوضع الاجتماعى فإن الوقت يمضى،
وليجرب إسداء النصيح من أخ إلى أخته وليحاول جاهدًا أن يجعلهم
يعيدوا التفكير، غير أن ذلك هو أول زواج لـ "سيجوئى"، وهو فعليًا
يبدو شابًا أصغر نسبيًا من سنه لدرجة أنه بجوار "يوكيقو" يبدو كأن
الأمر مألوف، وبخلاف ذلك فإن كان الرفض لكونها ستأتيها فرص زواج

أفضل بالمستقبل، فإنهما هما الاثنين حتى لو ندما هناك العديد من الأشياء التى يمكن التأكيد عليها، لذلك مهما استمع بجدية للأسباب التى تقولها "ساتشيقو" ما زال لا يستطيع أن يستسلم.

لكن بصرف النظر عن رأيه، فإن بيت العائلة فى غنى عن معرفة ذلك، وحتى إن كان أخاها بالقانون فهل هو من سيتحمل المسؤولية؟ إن زوجهما بشخص له مثل هذا النسب فسيألونه إن كان باستطاعته أن يضمن ألا يحدث أى سوء على الإطلاق لزوجها ولأطفالها فى المستقبل.

إن "تينوسوكيه" ذاته لا يسعه أن يطمئن حيال ذلك، وإن كان القول كذلك ففي ربيع العام الماضى كان هناك حديث يشبه هذه المرة، شخص بالأربعينات من عمره وهذا أول زواج له علاوة على أنه كان من أسرة غنية مثلهم، حينها رحبوا كلهم بالموضوع ووافقوا، حتى يوم الخطبة، فجأة عرفوا من مصدر ما أن هذا الرجل يرافق فتاة وتربطه بها علاقة وطيدة، وليخدع الكل بالمظهر العام يقول إنه يستقبل زوجته، فأسرعوا حينها بالإلغاء.

إن عروض الزواج كلها التى يجلبونها لـ "يوكيقو" إن بحثنا فى شأنها سنجد أكثرها يصطدم بشيء حالك السواد على نحو غريب، لذلك صار أخاها يتوخيان الحذر أكثر من ذى قبل، وبعد كل شيء صارت هذه الطريقة صعبة للغاية، ولأنهم يبحثون عن شريك مناسب على نحو غير مناسب فدائمًا ما يحدث العكس ويعلقون بإغراءات غريبة على هذه الشاكلة.

إنهم إن أمعنوا النظر سيدركون أن بمجرد قول "أربعينى لم يسبق له الزواج" فبمقتضى الحال هى مراوغة على الأرجح. فى حالة "سيجوشي" أيضًا يبدو أنه لم يتزوج إلى الآن بسبب نسبه الذى يمثل نقطة ضعفه، ولكن من الواضح أنه لم تكن لديه فكرة الخداع بهذا الشأن. ربما لو رأينا الموضوع من جهة أخرى لوجدنا أنه بعد كل هذا الوقت

الطويل الذي استغرقوه للبحث في مسقط رأسه ظن أنه لا بد لهم أنهم عرفوا بشأن أمه، وفهم أن عليه أن يخوض الحديث.

"فرق اجتماعي"، "أكثر مما أستحق"، وغيره من مثل هذه الكلمات كلها كانت تظهر إحساسه بمشاعر عميقة.

انتشرت الشائعات هذه المرة بين زملاء "سيجوشي" بشركة M.B. وقيل إنه سيفوز بعروس من مكان راقٍ للغاية، ولم ينكر "سيجوشي" ذاته ذلك، فهذا الشخص الدؤوب كان حتى وقت قريب بلا عمل لذلك فهو يضيق صدره مما يحدث، ومثل هذه الأجواء حين بلغت مسامعهم وعرف بها "تينوسوكيه" شعر بالشفقة حياله وفكر في الإحراج الذي طال رجلاً محترماً ومهذباً بلا داع، ولكن ما باليد حيلة. خلاصة الأمر أنهم إن كانوا بحثوا سريعاً وعجلوا بالرفض أسرع من ذلك لانتهى الموضوع بلا أي شيء.

واضح من البداية أن الطريق مع "ساتشيكو" مسدود، وبعدما وصل إلى يد بيت العائلة قطعاً لم يأخذه على محمل السرعة، والأسوأ من ذلك كله، أنهم ليبقوا على تواصل في تلك الفترة استمروا في استقبال الطرف الآخر بعبارات ترحيب كثيرة جداً مثل: "فلتأمل خيراً إلى أقصى حد"، حتى أوشك بحتمهم على الانتهاء، وبالطبع هذا بالنسبة إليهم ليس حديثاً عشوائياً وإنما هو قول يعربون به عن رغبتهم في إتمام الموضوع، لكن إن رأينا أثر ذلك في الطرف الآخر سنجد أنه من الطبيعي أن يكون قد لحق به أذى بالغ يصل إلى حد الجرم.

بهذه النقطة "تينوسوكيه" نفسه يرى أنه لا بد له أن يلوم حاله من البداية وليس "ساتشيكو" أو بيت العائلة فقط. إن مكانته تماماً مثل الأخ الأكبر بالبيت الرئيس "أخيهن بالتبني"، لذلك حتى الآن كلاهما لا يتدخل بقوة باذلاً كل جهده في عروض الزواج وغيرها من شئون أخواتهما، وعلى الرغم من ذلك، فعندما سحبتهم دوامة

الأحداث هذه المرة على نحو غير متوقع ولم يعد هناك مفر من الإلغاء، يقع على عاتقهما هما الاثنين سخافة إحراج الشخص المعنى، وذلك بالنهاية ظنهما لكيلا يتسببا في تعاسة حظ أخواتهما فيما بعد، وهذه الكلمات لا يمكن التفوه بها، ولكن انتابهما شعور بأن شأن "يوكيقو" على وجه الخصوص لن ينتهى، وبالطبع ليست هذه المرة فقط، وعليه فإن عائلة "ماى أوكا" أصبحت مكروهة من كثيرين حتى الآن، فالرفض إن جاء من الطرف الآخر فلا بأس، وإنما الرفض إن أتى من فتاة مهما كان العذر فإن هذا يهجر الرجال. لا يزال هناك الكثير أيضًا من هؤلاء بسبب طريقتهم بالرفض في اللحظة الأخيرة وبعد استمرار سحبهم للطرف الآخر بشدة بسبب التمهّل الأحمق لدى "ساتشيقو" والأخت الكبيرة ببيت العائلة عادةً.

لكن ما يخشاه "تينوسوكيه" هو أن كثرة تراكمات هذه الأمور لن تجعلهم مكروهين فقط، بل أيضًا سترسخ في أذهان الجميع أن "يوكيقو" ليست سعيدة، لذلك فالرفض هذه المرة في الوقت الراهن لا بد له أن ينال تفهم السيدة "إيتانى" التى سحبت ورقة يانصيب خاسرة، ولا من سبيل آخر.

ومن منطلق أن "تينوسوكيه" يكفّر عن خطئه حيث يتضح جليًا أن "ساتشيقو" تهرب، فكيف سيقولون ذلك؟

مهما كان ظن "سيجوشى" بهم فلا مفر الآن، وبالنسبة إلى "إيتانى" فقط لا بد ألا يترسب لديها أى شعور سيئ، فما زال هناك الكثير فيما بعد. أيضًا هذه المرة بذلت "إيتانى" الكثير من الوقت والجهد، لقد حملت قدميها للمكتب بـ "أوساكا" وللبيت في "أشياء" لعدة مرات وهذا ليس بالقليل.

إنها لديها الكثير من المعاونين الشباب لإدارة صالون التجميل، ويبدو أن حالها في ازدهار مستمر، ومع ذلك كانت تغادر عملها

تلك الفترة وتبذل قصارى جهدها. هذا بالتأكيد دعم رواج الشائعات، ولكن عمومًا هي لا تستطيع أن تنصرف دون شهامة وطيبة، وإن ذكرنا التفاصيل، فهي تنفق الكثير من الأموال حتى إن كانت تقضى شئونها سيرًا على الأقدام وليس بسيارات أجرة. إنه في ليلة اللقاء بفندق "أورينتال" رأى "تينوسوكيه" أنه من الواجب الأخلاقي أن يتشارك النفقات هو و"سيجوشي" حتى لو هي دعوة "إيتاني"، وأقدم على قول ذلك حين هموا بالانصراف، لكن "إيتاني" قالت: "كلا، إنها دعوتى لكم"، ولم تقبل بأى شيء آخر.

على أى حال، هي ما زالت الوسطة لكل شخص ولكل شيء وتبذل قصارى جهدها إلى أن استقر الوضع لهذه النهاية.

فكروا في فرصة ليشكروها على كل شيء فعلته، وإنما بذاك الحين عليهم أن يتركوا كل شيء كما هو على حاله، وها هم الآن لا يستطيعون تحمل عبء هذا أيضًا.

- "في الحقيقة، دعونا نعطيها مالاً. إنه لن يجدى نفعًا أن نذهب إليها بهدية، وإنما.."

هكذا قالت "ساتشيقو".

- "أفكر في ما قلته للتو، ولكن كيف لنا ذلك! إنك على أى حال لا تتحدث إلا بما سنجلبه لها فقط ولك الشكر، فيما بعد، وبعدما أتناقش مع إخوتي مهما كان هذا الشيء فسأخذه وأتوجه به إلى هذه الشخصية".

لم يلقَ ذلك استحسان "تينوسوكيه" فقال لها:

"وحضرتك هذا فقط كل دورك! إذًا ماذا عساي أن أفعل؟!"

وهذا كل ما توصلوا إليه في النهاية.

الفصل الخامس عشر

على غير المعتاد، منذ بداية شهر ديسمبر لم تأتِهم السيدة "إيتاني" لمواصلة إلحاحها، ربما تكون تفهمت إلى حد ما الخطأ بهذا الموقف، وبذلك تصبح الظروف مواتمة على غير المتوقع، وظن "تينوسوكيه" أنه لا داعى للذهاب إلى صالونها فهو يخشى مما قد يظنه الآخرون، وأراد زيارتها بمنزلها بمدينة "أوكاموتو" ويتأكد من موعد وجودها بالمنزل مساءً، فخرج من مكتبه متأخراً عن توقيته المعتاد، وذهب مجولاً على قدميه حيث مسكنها.

كانت الأنوار مضاءة بالغرفة التى نظر "تينوسوكيه" من خلالها، ولكنها كانت باللون الأخضر الداكن وبها حامل معلقة به إضاءة غائرة، لذلك كان نصف الغرفة فى ظلمة حالكة، وبالنصف الآخر للغرفة مقعد وثير تجلس عليه "إيتاني"، لكنه لم يستطع تمييز ملامحها بوضوح فأصبح من الأفضل لذلك الشاب الخلق أن يبدأ الحديث وإن كان ذلك ليس من مهامه.

- "مساء الخير، آسف للغاية على إزعاجك بمجيئى. فى الحقيقة لقد بحثنا فى شأن ذلك الشخص ببلدته مؤخراً، والأمر بدا

جيدًا من ظاهره، وإنما بعد ذلك وجدنا أن مرض والدته هو مرض.."

- "ماذا؟" قالتها "إيتاني" وأدارت رأسها، فاستطرد:
- "إنه تفضل بذكر أنها تعاني من شلل أو ما شابه ذلك، ولكن تبين بالبحث والتحرى أنه مرض عقلي".
- "حقًا!" وقالتها فجأة بصوت مرتبك لا يتماشى مع سياق الحديث، ثم تابعت مكررة قولها:
- "حقًا!" وهي نهز رأسها بالموافقة.

كان "تينوسوكيه" يتشكك فيما إذا كانت "إيتاني" على دراية بموضوع "المرض العقلي" هذا، لكن بمجرد أن رأى ردة فعلها وارتباكها الآن وتسرعها في الكلام دون تفكير لم يسعه إلا التفكير في أنها تعلم بالفعل كما توقع.

- "حدث سوء فهم وهذه هي المشكلة، ولكن بقولك مثل هذا الكلام قطعًا لن ألقى عليك أي لوم، وإن كان الأمر كذلك فأظن أنكم سترفضون تلقائيًا متعللين بعذر لا يمت لأي شيء بصلة. إنكم فكرتم ولكن أنا منذ البداية لست في صفكم وضد كل جهودكم. إنكم ترفضون ولا تدعمون أي سبب يذهب بكم نحو الموافقة، ولهذا فأنا أدري أنه لن يروق لكم".

- "كلا كلا، مثل هذا القول مؤسف للغاية، ولكن بالنسبة إلي فقط، فبيت ما كي أوكا يقع أسيرًا للشكليات الاجتماعية وغيرها، وللأسف جميعهم يرفضون حتى لو كان عرض الزواج مناسبًا لأنه يصعب عليهم ما سيظنه الناس بهم. قطعًا ذلك لا معنى له، وإنما هذه المرة الظروف لا مفر منها في الحقيقة. سيفعل الناس بكل حال من الأحوال، لذلك أريد منك أنتِ أن

تفهمى الأمر على الأقل وأرجوك دون غضب، وأطلب منك أن تظلى في العون دائماً. هذا فقط ما أريدك أن تعرفه بالطبع، وأريد منك أن تبلغى الطرف الآخر رفضاً من فضلك بأى شكل تريته مناسباً".

- "جزيل الشكر لتحيتك المهذبة. فى الحقيقة لم أكن أعلم ماذا ظننتم، لكن ها هو الآن أسمع منك للمرة الأولى قول مرض عقلى أو ما شابه ذلك، وقطعاً لم يكن لدى علم، لكن حقاً هل بحثتم جيداً؟! لو أن الأمر كذلك فمرحباً بمجيئك، وهذا حقاً من سوء حظه، وإنما لا تقلق أبداً حيال إبلاغى ذلك له بطريقة ذكية".

شعر "تينوسوكيه" بالارتياح لحديثها الحذق وبانتهاء النقاش، وهمّ مسرعاً بالانصراف، وحين خرجت "إيتانى" لتوصله للباب لم ينتابه أى شعور بالضيق وظل يكرر قوله:

"أنا أسف لذلك"، ثم أراد أن ينتظر فهو قطعاً سيذهب ولديه هذا الكلام الطيب كتعويض مقبول ولا يحتاج إلى كثير من التفكير، فلو على ابنة العائلة فهى بالطبع توافقهم الرأى كالمعتاد، ولو على زوجته فسيبلغها ما قيل له بكل طريقة من الطرائق، ولكن الأمر تبعاً لحالة "إيتانى" المزاجية يوماً بيوم، لذلك لا يجب أخذه كله على محمل الجد حتى لا تتأذى مشاعر أحد.

بعد ذلك بعدة أيام ذهبت "ساتشيقو" إلى متجر "ميتسوئوشي" بـ"أوساكا" لتجلب بعضاً من الملابس الجاهزة كهدية، وحملتها وانعطفت ذاهبة إلى حى "أوكاموتو". لم تكن "إيتانى" عادت بعد فوضعت ما جاءت به وتركت رسالة وعادت، فى اليوم التالى جاءتها رسالة شكر ودية من "إيتانى" ولكنها بعبارات اعتذارية تفصح بها عن قلقها، مثل:

"على الرغم من أن الموضوع انتهى وكانت النتيجة أنى علقت بعدة متاعب عبثًا، وليست بسبب أى تقصير منى. ألم أفعل أى شيء مجيد؟" وبالطبع لحقت ذلك بكلمات مكررة لتدارك الأمر.

بعد ذلك وبعد مرور أكثر من عشرة أيام من ذاك الشهر، صار لا يتبقى سوى القليل فى هذا العام.

فى مساء يوم ما جاء صوت "إيتانى" من جهة البوابة، وكانت قد جاءت فى زيارة لإلقاء التحية فى عجلة. توقفت السيارة الأجرة أمام البيت بـ"أشياء" مثلما فعلت فى السابق. من سوء الحظ كانت "ساتشيقو" مصابة بنزلة برد وتلازم الفراش، لكن "تينوسوكيه" كان قد عاد من عمله فاستقبلها ودعاها للتفضل بدخول غرفة الصالون وشدد بقوله "معذرة"، وتحدثا قليلًا وسألها "تينوسوكيه":

"كيف حال السيد سيجوشي؟ إنه شخص جيد فى الحقيقة ولكن للأسف. حقًا حاله مؤسفة".

وبعد كلام من ذاك القبيل قال لها إن ذاك الشخص كان يعلم أن مثل هذا المرض لدى والدته سيمثل عقبة، فقالت "إيتانى" إنه فى البداية كان رافضًا ولا يبدى اهتمامًا، ثم بعد ذلك تحمس حقًا ولا أدري ربما كان فى البداية متحفظًا بسبب أمه. فقال "تينوسوكيه":

- "لذلك استغرق البحث وقتًا ما جعلكم تخطؤون فهمنا وصرنا نحن الطرف السيئ. رجاء لا تغضبى من ذلك ودائمًا ظلى فى العون". وبمجرد أن قال عبارته هذه مرة أخرى فى أثناء هذا قالت له "إيتانى" فجأة وبصوت خافت محاولة جذب انتباهه أكثر:

- "ماذا عن شخص لديه أطفال عدة؟ إن لم يكن لديكم مانع فسيكون لدينا ما نتحدث بشأنه الآن".

هنا تنبه "تينوسوكيه" إلى أنها جاءت في الأساس لقول ذلك، وحين أنصت لها استطردت قائلة إن ذاك الشخص مدير لفرع بنك في مدينة "شيمو إيتشي" بمقاطعة "ياماطو"، ولديه خمسة أبناء أكبرهم ولد بمدرسة بأوساكا، وتليه ابنة بالغة شارفت على سن الزواج، وعليه سيمكث في البيت ثلاثة لا غير، أما من ناحية شئونهم الحياتية فليس هناك أي قلق لأنه شخص ثري من الفئة الأولى بمنطقته. هكذا يقال عليه، لكن "تينوسوكيه" بمجرد سماعه أن لديه خمسة أبناء ومن "شيمو إيتشي" لم يجد ما يقوله وبدا على وجهه عدم الاهتمام من منتصف حديثها، ورأت "إيتاني" ذلك فتراجعت على الفور، لأن الأمر بدا أنه لن يروقههم على الإطلاق، وهذا لا يعنى أنه مفهوم بأي نية طرحت هي هذا الموضوع بشروطه السيئة، فهي أيضًا تشعر بداخلها بالانزعاج لأن الفرصة مناسبة بالتمام والتلميحات ظهرت ضمنية.

صعد "تينوسوكيه" إلى الغرفة بالطابق الثاني بعدما خرج ليوصل "إيتاني"، وحينها وجد "ساتشيقو" توشك أن تستلقي بفراشها وكانت تمسح وجهها بمنشفة الحمام وتلاحق أنفاسها، ولكنها قالت:

- "هل جاءت إيتاني بعرض زواج مرة أخرى؟"، وانتبهت للحديث وواصلت تجفيف وجهها بالمنشفة.

- "ممم.. من؟"

- "الآن جاءت اتسوقو لتخبرك".

- "حسنًا، بماذا؟"

وفجأة وجد "تينوسوكيه" الصغيرة تدخل بالحديث الذي دار مع "إيتاني" وتستريح في جلستها وتود الإصغاء، فطردها والدها من الغرفة وقال لها إن هذا الحديث لا يستمع إليه أطفال واذهبى هناك. تراجعت "اتسوقو" لغرفة الطعام وبالتأكيد كانت تسترق السمع.

— "بالطبع طفلة ولديها فضول لمثل هذه الأحاديث".

— "لكن هناك خمسة أطفال آخرين، ماذا ستقولين عن ذاك أيضاً؟!"

هههههههه ابنه الأكبر بمدرسة بأوساكا وابنته الكبيرة في سن يجعلها
عن قريب عروسا".

— "ماذا؟!"

— "إنه شخص من شيمو إيتشي بمقاطعة ياماطو، وهو رئيس لفرع بنك ما".

— "لقد أدهشتني! إنها فرصة لتجاهلها وتفتت العلاقات".

— "حقاً إن لم تنتهِ سيكون الأمر مريعاً فيما بعد، ومن حسن الحظ أن يوكيـقـو ليست موجودة اليوم".

تعتاد كل من "يوكيقو" و"تائيقو" الذهاب إلى بيت العائلة الرئيس كل عام آخر يوم في السنة وقضاء أول ثلاثة أيام من العام الجديد. سبقت "يوكيقو" أختها وذهبت منذ أمس إلى هناك، وشعر الزوجان بالارتياح لأنها لو كانت موجودة لظلت تسأل ماذا حدث.

كانت "ساتشيقو" دائماً تعاني من نزلات الشعب الهوائية طوال فترة الشتاء، وذات مرة ازداد الأمر سوءاً وتطور إلى التهاب رئوى ووبخها الطبيب ولازمت الفراش لما يقارب شهراً، لذلك فهي حتى بنزلات البرد الخفيفة تلزمها عناية شديدة، وفي أحسن الحالات كهذه المرة يتوقف الأمر عند التهاب الحلق، وفي النهاية تتراجع درجة حرارتها إلى المعدل الطبيعي.

سريعًا ما اقتربت نهاية العام، وفي يوم 25 كان لا يزال أمامها يوم أو يومان آخران لتتأمل حسرة غرفتها، وبينما هي جالسة على سريرها

تطالع مجلة للعام الجديد جاءتها "تائيقو" لتلقى السلام عليها، قبل أن تذهب إلى بيت العائلة.

- "لم يا أختي الصغيرة؟ لا يزال هناك أسبوع حتى آخر السنة".

قالتها "ساتشيغو" متشككة لتمازحها:

- "ألم تذهبي في العام الماضي يوم 31؟"

- "أفعلت ذلك؟ لا أدري".

عن قريب ستفتتح "تائيقو" معرضها الفردي الثالث للعرائس، لذلك فهي تكرر كل وقتها للتصنيع، ومنذ قرابة الشهر وهي يوميًا تقضي أغلب وقتها بشقة "شوكوجاوا"، لكنها أيضًا لم تتخل عن تدريبات الرقص، وتتردد على مكان التدريب في "سانصون" بمحافضة "أوساكا" مرة أسبوعيًا، ولاحظت "ساتشيغو" أنهما منذ وقت طويل لم يتقابل وجهاهما.

إنها تدري أن أختيها الصغيرتين تودان الذهاب إلى بيت العائلة ليجتمعوا معًا، وهي لم ترغب قط في أن تبقيهما بالجوار، لكن "تائيقو" تكره الذهاب إلى هناك أكثر من "يوكيغو" وعادةً بكل سنة تسارع بالعودة، فالأمر به شيء غريب ولكن حتى لو هو كذلك، فرمما ودون أي ظنون سيئة هذا موعد بينها وبين "أوكوباتا". الأمر فقط هو كونها أصغر أخت وهي التي نضجها سابق لأوانه، وها هي عامًا تلو الآخر تكبر وتناى بجانبها مستقلة بحالها أكثر من أي أحد، وكل هذا أدعى أن يذكرها بعدم اكتفائها بالأشياء البسيطة بأي نوع كانت.

- "حسنًا، وقتما أنتهى من العمل سأعود إلى أوساكا، وأنوى

الذهاب إلى دروس الرقص يوميًا في هذه الفترة". قالتها "تائيقو" دون إضافة الأعذار.

- "اليوم، ماذا تعلمت؟"

- "علمونا رقصة المانزاي لرأس السنة وهكذا. ساتشيقو هيا
دعينا نرقص".

- "حسنًا، إني أتذكر معظمها". قالتها "ساتشيقو" وعلى الفور
بدأت الغناء ودندنة الألحان.

أهلاً أهلاً بمواسم العام الجديد

العهد الإمبراطوري في إزهار مديد

تشا تشا

بكل الحب والاحترام يهل العام الجديد

وبينما تشاركها "تائيغو" الغناء نهضت وبدأت في أداء خطوات
الرقصة.

- "انتظري، انتظري يا ساتشيقو". وأسرعت إلى غرفتها واستبدلت
الرداء الياباني التقليدي "الكيمونو" بملابسها، وجلبت المروحة
الخاصة بالرقصة وعادت.

- "تشاتشا، تن، تشا.. جميلة الجميلات مدينة كيوتو

جميلة الجميلات هي بائعة المحار

المحار المحار، وصغار المحار

وقواقع الحلزون والأصداف والأسماك الكبار

والعنبر الياباني وأسماك المرجان

حين تمر من هناك لو نظرت بالجوار

لوجدت قماش الحرير القرمزي

والساتان اللامع الذهبي.. تن تن تشن تن تن تشا⁽¹⁾

(1) هتاف احتفالي لرقصة ومهرجان "مانزاي".

وكلما قالتا كلمة "جميلة الجميلات" و"تن تشا" تماشى غناؤهما مع دقات العود الياباني ثلاثي الأوتار، فكانت مثل هذه الكلمات ممتعة للغاية، وهما لم تنسيا قط هذه الغنوة من الفلكلور لأنها كانت معتادة لديهم كلهم وهم أطفال، والآن حين تتغنيان بها هكذا تسترجعان ذكرياتهما الجميلة لبيت رصيف الميناء منذ عشرين سنة، ويأتيهما تذكير وثيق بلامح والديهما الغاليين وهما يعلمان "ثانيقو" الرقص حينها، فكانت ترقص رقصة الـ"مانزاي" هذه على عزف العود من أختها الأكبر وأما عادةً في رأس السنة.

تذكرت "سانشيقيو" هيبتها وهي طفلة تشير للسماء بإصبعها الصغير والآفاق كلها تمتلئ بكثير من الناس من الأقاليم، وبمختلف أنواع الأسماك في اليوم الثالث من أول شهر بالسنة.

على الرغم من أن ذلك المشهد عالق بعينيها بكل وضوح كأنه بالأمس القريب، فهي هي أختها الصغيرة تتزين بالمروحة لأداء الرقصة، وتخيلت كأن والديهما يشاهدانها من بين أوراق العشب، ويريان هذه الأخت الصغيرة التي تكبرها، وكلتاها بجوار طفلتها، ولم تحتمل "سانشيقيو" وأنهمرت دموعها.

- "أختي الصغيرة، متى ستعودين؟". قالتها بشدة ولم تخف دموعها.

- "سأعود في اليوم الرابع من يناير".

- "حسنًا إذًا، حينما تشاهدون رقصات الاحتفال بالعام الجديد تذكريني وتعالى، فأنا أيضًا أحتفظ بعود ثلاثي الأوتار".

إنه لديهم بيت "أشيئا" لأنه منذ وجودهم بـ"أوساكا" لا يأتيهم ضيوف في يوم رأس السنة، والأكثر من ذلك أنه بغياب أختيها الاثنتين صار يوم رأس السنة في الأعوام الأخيرة هادئًا، وصار كأنها ترسلهما ليوم تفتقده.

حتى إن كان ذلك اليوم بالنسبة إلى الزوجين مناسبة للقرب الحميمي، فإن الصغيرة تظل وحيدة للغاية وتنتظر مجيء أختيها بفارغ الصبر.

أخرجت "سانشيقو" العود ثلاثي الأوتار يوم رأس السنة، وأخذت تتمرن على عزف أغاني احتفالات الـ"مانزاي"، واستمرت على تلك الحال طوال الثلاثة أيام الأولى من العام الجديد، وفي النهاية حفظتها الصغيرة "انسوقو"، وكلما جاءت عند جزئية:

"القماش الحريري القرمزي و.."

غننا معًا: تن تن تشا

تن تن تشا

الفصل السادس عشر

سيقام معرض "تائيكو" المقبل بالمعرض الفنى فى شارع "قوايكاوا" بمحافظة "كوبيه"، وقد استأجرته لمدة ثلاثة أيام. كانت ملحوظة أيضًا تحركات "ساتشيكو" المعروفة جيدًا بمدينة "هانشين كان"، فكانت النتيجة هى بيع غالب المنتجات منذ اليوم الأول، وفى مساء اليوم الثالث جاءت "ساتشيكو" مصطحبة ابنتها وأختها "يوكيكو" للمساعدة فى ترتيب القاعة، وعندما شارفن على الانتهاء من المهام المتبقية:

- "صغيرتى اتسو، الليلة لنا عزومة من أختنا الصغيرة، لقد صارت ثرية".

- "حسنًا، حسنًا".

فقالت "يوكيكو" أيضًا بنبرة تحفيزية:

- "تفضلين أى مطعم يا اتسو، غربى أم صينى؟"

- "حقًا ما زال يلزمنى تلقى المزيد من الأموال". قالتها "تائيكو" بابتسامة عريضة، فمهما حاولت أن تتظاهر بالتجاهل لن تتمكن.

- " فهمنا، إن كنتِ تجنين المال فأنتِ تدفعين أيضًا الكثير من الالتزامات، ولكن.."

قالتها "ساتشيقو" لأنها على علم بحسابها البنكي، وأن ما يضاف إليه من المبيعات ليس بقليل حتى لو خصمت نفقاتها الخاصة، لذلك كانت تؤيد عل نحو ما تحملها لهذه العزومة.

هذا ليس بكلام "إيتاني"، وإنما "تائيكو" التي تبحث عن النمط العصري بخلاف "ساتشيقو" ليست بالشخص الذي سيحل رباط كيس نقوده بهذه السهولة، حتى يمثل هذا الموقف الذي شارف على أن يكون توبيخًا.

- "إذا دعونا نذهب إلى المطعم الصيني. إنه أرخص مكان".

- "يا لك من بخيلة يا أختي، ولن تدفعي مالا ببذخ للمشويات الشرقية".

إن هذا المكان بالحي الصيني، وهو متجر بسيط ورخيص لطعام الصين الجنوبية (كانتون)، يبيع بالقطعة لحوم الأبقار والخنازير ويعرضها بواجهة المتجر.

- "مساء الخير".

قالتها فتاة أجنبية شابة كانت تقف لدفع الحساب بمكان الخزنة.

- "أهلاً كاترينا، يا لها من صدفة. دعيني أعرفك". قالتها "تائيكو".

- "هذه هي الروسية التي حدثكم عنها من قبل.. هذه أختي الكبيرة، وهذه أختي الأكبر التي تليها".

- "أهلاً، حسنًا، إني كاترينا كييريلنكو. لقد ذهبت اليوم إلى المعرض. تمكنت تائيكو من بيع كل معروضاتها من الدمى، تهانتي".

- "أختى، من هى هذه الأجنبية؟". وتساءلت الصغيرة بمجرد ذهاب الفتاة.
- "هذه تلميذة لتائيقو". هكذا أجابت "ساتشيغو"، ثم أضافت:
- "هذه الفتاة حقاً رأيتها من قبل بالقطار".
- "ملامح وجهها جميلة".
- "أهذه الأجنبية تحب الأكل الصينى؟"
- "إنها نشأت فى شنغهاى ومعتادة الطعام الصينى، وتقول إنها يمكنها إعدادة لذيذاً أفضل من بيوت المغتربين القذرة التى لا يمكن ارتيادها، وهذا المكان فعلاً هو الأفضل فى مقاطعة كوبيه".
- "هل هى روسية؟ لا أدرى لمَ لا أشعر بذلك!" هكذا قالت "يوكيقو".
- "إنها ذهبت إلى مدارس إنجليزية فى شنغهاى، وأصبحت ممرضة بمشفى إنجليزى، وبعدها تزوجت بشخص إنجليزى، ولديها طفل".
- "حقاً! وكم عمره؟"
- "إذاً، كم عمره؟ هل هو أصغر أم أكبر من طفلتنا؟"
- أضافت "تائيقو":
- "إن عائلة كيريلنكو الروسية ذات البشرة البيضاء جيرانى بشقة حى شوطو فى شوكونجاوا. مسكنهم صغير لا يتعدى كله بالأعلى والأسفل أربع غرف، وتعيش كاترينا مع أمها المسنة وأخيها الأكبر. كاترينا فقط هى التى كنت ألتقيها مصادفةً بالطريق فتلقى التحية، ومن هنا بدأت صداقتنا، لكن مرة زارتنى

فجأة ودخلت غرفة عملي وطلبت مني أن تصبح تلميذتي ومساعدتي، لأنها ترغب في تعلم طريقة صنع الدمى، خصوصًا على النمط الياباني".

بمجرد أن وافقت "تائيكو" على ذلك بعد هذا الموقف على الفور بدأت "كاترينا" مناداتها بـ "أستاذة"، فكانت ترتبك، لذلك عادت لمناداتها بـ "آنسة تائيكو". كان ذلك منذ قرابة الشهر، ثم أصبحت صديقتها، ومؤخرًا أصبحت تتردد ذهابًا وإيابًا على شقتها وأحيانًا تذهب سريعًا إلى بيت عائلتها، وقالت لها: "إنى أرى أخواتك الكبار عادةً بالقطار وأعرفهن. إنهن بغاية الجمال وأنا أحبهن، وأطلب منك من فضلك أن تعرفينى إليهن".

- "وكيف تكسب قوت عيشها؟"

- "إنها تقول إن أخاها الكبير تاجر منتجات صوفية وما إلى ذلك، لكن حالة بيتهم لا تبدو مرفهة بالمرة. كاترينا فقط تتلقى مالاً من زوجها بعد انفصالهما وهذا ما تعيش به، وتقول إنها لا تتلقى العون من أخيها. إنها جميلة في ذاتها أيضًا، وبالنسبة إلى نشأتها في شنغهاي، فإن عائلتها تشتتت وقت الثورة، واصطحبتها جدتها وهربتا معًا من شنغهاي، لكن أخاها اصطحبته أمه وجاءا إلى اليابان، والتحق هو بمدرسة إعدادية هنا، وكان لديه بعض المعرفة بالكانجى⁽¹⁾، ولهذا السبب صارت ابنتها في إنجلترا.

(1) الكانجى هو المقاطع الصينية المستخدمة في الكتابة، وورد للغة اليابانية من الصين، وكل مقطع هو كلمة في حد ذاته، وبذلك صار المقطع الواحد من الكانجى له قراءة صينية أصلية وله قراءة يابانية أيضًا.

إن أمها وأخاها يقدسان اليابان للغاية، فحين رأيت بيتهم وجدت بالغرفة التى بالطابق الأول صورة معلقة للإمبراطور والإمبراطورة، وبالعُرفة الأخرى صورة لنيكولاى الثانى⁽¹⁾ والإمبراطورة.

كان من الطبيعى أن يكون أخو "كريلينكو" ماهرًا فى اليابانية، "كاترينا" أيضًا بعد مجيئها إلى اليابان بفترة قصيرة أصبحت بالمثل، لكن الطريف أن اللغة اليابانية لدى الجدة كانت صعبة الفهم، وكان هذا بالنسبة إلى "تائيفو" أيضًا ورطة ليست بالهينة.

- "هذه الجدة حين تتحدث اليابانية يكون نطقها سريعًا وغريبًا. سألتنى ما بلدك، ولكنها تنطقها: ما بليدوتك! أجبته أوساكا".

بعد ذلك بيومين أو ثلاثة جاءتهما "تائيفو" ولديها حكاية جديدة عن "الجدة"، وجعلت أختيها تستمتعان بحديثها.

فى ذاك اليوم ذهبت "تائيفو" للتسوق بالشارع التجارى "موطوماشى" بمقاطعة "كوبيه"، واحتست الشاي بمتجر الحلوى الألمانى "LUCHHEIM" وحينها دخلت الجدة مع "كاترينا"، وقالت إنهما فيما بعد ستذهبان إلى المتجر الجديد "شوراكى" الذى افتتح مؤخرًا وبه ساحة للتزلج، ودعتها بشدة لتأتى معهما إذا كانت غير مرتبطة بمواعيد أخرى، وقالتا لها إنك ليست لديك تجربة بالتزلج من قبل، دعينا نعلمك وستتذكرينها دائمًا. "تائيفو" لديها ثقة بنفسها حيال التمارين الرياضية، فبالطبع جربت الذهاب معهما وتدربت لمدة ساعة، وخلالها استطاعت فهم النصائح لتبدأ، وامتدحتها بشدة وقالتا لها: "إنك ماهرة للغاية، ولا نصدق أنها المرة الأولى لك". لكن "تائيفو" كانت فى اندهاش. إن تلك "الجدة" لم تتوقف ولو لمرة طوال

(1) نيكولاى الثانى والمعروف بالقديس نيكولاس هو آخر إمبراطور لروسيا، وحكم فى الفترة من 1 نوفمبر 1894 وحتى تغلى عن العرش فى 15 مارس 1971.

ساعة التزلج، بل بدأت متبخترة بروح جعلت كل الشباب حولها يخلجون من أنفسهم، وكالمتوقع بالضبط، بسبب خبراتها السابقة خصرها مذهل.

وعلى الرغم من أن الأمر لا يخلو من المخاطر، فإنها من وقت لآخر كانت تؤدي حركة ماهرة سريعة تثير دهشة كل اليابانيين الموجودين في الساحة. وهذا ما روته لهم "تائيقو"، وبعدها قالت: - "اليوم دعنتي كاترينا على العشاء".

وذهبت بالفعل "تائيقو" وعادت متأخرة في المساء. كانت في غاية العجب من أن الروس بهذه الشراهة. في البداية قدموا لها المقبلات وبعدها العديد من أطباق الطعام الساخنة، لكن كميات اللحم والخضر هائلة وتقدم بوفرة، حتى الخبز كان بأشكال عديدة وبمختلف الأنواع. بمجرد أن تناولت "تائيقو" المقبلات فقط شعرت بالامتلاء وقالت حسنًا هكذا، ولكنها مهما قالت لا أستطيع أكل المزيد استمروا في سؤالها لم لا تأكلين؟ هذا جيد، وماذا عن هذا أيضًا؟ وتتوالى ترشيحاتهم لمختلف الأنواع، وكل عائلة "كريلينقو" يأكل، ويتجرع الكثير من الخمر الياباني والجمعة والفودكا.

لم يكن أخو "كاترينا" غريبًا إلى هذا الحد مثلهم، إنما هي "كاترينا" و"الجنة" أيضًا، فقد كانت كلما شربت عادت وشربت أكثر وأكثر كأنها لا يمكنها أن تتفوق عليها الابنة أو الابن.

صارت الساعة التاسعة وهم على هذه الحال، وكلما هممت "تائيقو" بالانصراف يقولون لها كلا لا يمكنك الانصراف مطلقًا الآن، وجاؤوا بلعبة الورق، وتشاركوا اللعب لأكثر من ساعة، وتجاوزت الساعة العاشرة وحينها قدموا العشاء مرة أخرى، لكن "تائيقو" شعرت بالإعياء لمجرد رؤية ذلك، فهؤلاء الأشخاص يأكلون ويشربون الخمر مرة أخرى ويتناولون العشاء من جديد. طريقة شربهم أيضًا

غريبة، فبدلاً من مَلء كُتوس الويسكى بدفعة واحدة لشربها بنفس واحد، هم يملؤون الكُتوس إلى آخرها ويلقون بها في أفواههم. الخمر الياباني بالطبع خمر شديد المفعول كالويسكى، وفي الحقيقة يبدو أن بطونهم الضخمة أصبحت في حالة ثالة ولن تشعر بلذة المذاق إلا إذا تجرعت الشراب بكميات كبيرة هكذا. لم يكن الطعام لذيذاً إلى هذا الحد، وإنما من الأشياء المختلفة به، مثلاً الحساء حيث كانت تطفو على سطحه معجنات من دقيق القمح تشبه الـ"RAVIOLI" بالأطباق الإيطالية، والعجائن المكورة بالطعام الصيني.

قالت "تائيكو":

- "لقد قلت لها حين تأتي فلتجلب معها أخاها لأعرفه إليكما، هل بها شيء؟ لمرة واحدة فقط."

بذاك الوقت، صارت "كاترينا" عارضة لدى "تائيكو"، وعقصت شعرها على النمط الياباني للأنسات، ووقفت مرتدية الكيمونو ذا الأكمام الطويلة لتمثل هيئة فتاة تقف ممسكة بمضرب كرة الريشة. تحمست "كاترينا" للتصنيع، فصارت "تائيكو" كلما مكثت بالبيت في "أشياء" دون أن تذهب إلى شقتها في "شوكوجاوا" تأنيهاً "كاترينا" لبيت أهلها هذا دون دعوة لتتعلم منها وتتلقى الإرشادات، لذلك كان من الطبيعي أن تصير الصديقة المقربة للعائلة كلها أيضاً، واعتاد "تينوسوكيه" رؤيتها، وكان يقول لها إن هذه التصاميم حتى لو كانت بـ"هوليوود" ستلقى إعجاباً، لكنها لم تفهم مقصده مما ذكره عن الأمريكيان، وكانت تشارك مع الزوجات اليابانيات وغيرهن بلطف وسماحة.

في مساء يوم العيد الإمبراطوري⁽¹⁾ ذهبوا جميعاً إلى شلالات "تاكازا" للتنزه، وجاء معهم أخوها الكبير حتى البوابة، لكنه كان

(1) عيد قومي يقام منذ عام 1872 في الحادي عشر من شهر فبراير كل عام.

مرتديًا ملابس الجولف فدخل لاحقًا ولم يصعد لهم بالأعلى، بل اكتفى بالتمشية في الحديقة ثم اتخذ مقعدًا بالتراس. بعدها، ألقى على "تينوسوكيه" تحية أول لقاء لهما، ثم نادى "كاترينا" لمرتين أو ثلاث وذهب للتحديث معها قرابة النصف ساعة، فقال "تينوسوكيه" ممازحًا:

- "إن لم يأتِ لكنت قابلت الجدة التي أود رؤيتها الجدة عافاو".
وقالها ساخرًا مما سمعه عن هذه الجدة وكونها لا تستطيع
تحدث اليابانية وتقول "عافاو" بدلاً من "عفوًا"، ووافقته
"سانشيقو" الرأي قائلة:

- "حقًا، عادةً ما تقلدها لنا أختي، وعما قليل قلت أنا أيضًا
أود مقابلتها". واستمرا في حديثهما المضحك على ذاك المنوال.

الفصل السابع عشر

في البداية لم يلاحظوا أنهم ينادون عليهم بجدية؛ لقد كانوا منهمكين في حديث "تائيكو" بفضول. كانت الدعوات المتكررة من الجهة الأخرى لا يمكن رفضها، وفي النهاية قرروا الذهاب إلى بيت "كريلينكو". كان يومًا صافيًا باردًا رغم أنه في الربيع. كانت العائلة كلها حاضرة مكتملة، لكنهم يعرفون أن الوقت تأخر فتوقفت "اتسوقو" و"يوكيكو" وحولتا وجهتهما للعودة إلى المنزل، في حين ذهب الثلاثة فقط - "تينوسوكيه" وزوجته و"تائيكو" - إلى دعوة العشاء. استقلوا خط قطار "هان كيوو"، ونزلوا بمحطة "شوكوجاوا" وعبروا الجسر وذهبوا مباشرة إلى البناية 56 حيث شارع القلل الذي به البيوت مصفوفة حتى ينتهى الطريق بحقول الأرز، وبالجهة المقابلة هناك المرتفعات التى عليها الكثير من غابات الصنوبر. كان بيت عائلة "كريلينكو" أصغر بيت بين البيوت المصفوفة قبالة القلل حديثة الطراز بأسفل المرتفعات، ولكنه بطلاء أبيض جديد ويشبه البيوت التى بصور القصص الخيالية.

على الفور اصطحبتهم "كاترينا" للغرفة الثانية بالطابق الأرضى التى تتوسطها مدفأة معدنية. جلسوا على المقاعد الرئيسة المخصصة لأربعة أفراد، وكان المكان ضيقًا لا يسع أن يتحرك أى منهم.

اتخذوا كلهم جلستهم بشكل مناسب على ما وجدوه من مقاعد خشبية قاسية، دون حتى أن يجدوا مقعدًا واحدًا مريحًا له مسند للرأس أو الأطراف بين تلك المقاعد الطويلة. كان لا بد لهم أن يأخذوا حذرهم جيدًا، فإذا التفت أحدهم دون قصد بجسده، فسيواجهه خطر ملامسة مدخنة المدفأة أو أن يُسقط بمرفقه الأشياء التى فوق المنضدة.

يبدو أن الطابق العلوى به ثلاث غرف نوم لهم، وظنوا أن الطابق الأرضى به غرفتين وبالخارج هناك المطبخ، وبدا لهم من حيث مكانهم أن الغرفة المجاورة هى التى يستخدمونها كغرفة سفرة، وعلى الأرجح هاتان الغرفتان بالمساحة الضيقة نفسها.

"تينوسوكيه" راوده القلق، فكيف سيصطف ستة أشخاص هناك، ولكن لم يكن هناك أى بادرة أمل لظهور الجدة أو الأخ الأكبر لـ "كاترينا". وعلى الرغم من أن موعد العشاء لدى الأجانب متأخر عن اليابانيين، فإنهم لم يسألوا صراحةً عن الموعد المحدد وبدا أنهم جاؤوا مبكرًا أكثر من اللازم، ومن النافذة بدا أنه حل الظلام، والهدوء يسود كل أركان المنزل، وما زالت ليست هناك أى إعدادات.

- "صنعت هذه للمرة الأولى. دعوني أريها لكم من فضلكم".
قالتها "كاترينا" وأخذت دمية لفتاة راقصة صنعتها كعينة تجريبية من على عمود أسفل رف مثلث الشكل.

- "ماذا! أحفًا أنتِ التى صنعتها؟!"

- "لكن بها العديد والعديد من الأخطاء، فلتصححها لى يا تائيقو".

- "أخى. انظر إلى تصميم ذلك الوشاح للكيمنو". قالتها "تائيكو" وتابعت:
- "إنه مختلف عما علمتها إياه. إن كاترينا فكرت فيه ورسمته بنفسها".
- كانت مرسومة على الوشاح المربوط على الدمية قطع الشطرنج الياباني برسم زيتى على القماش الأسود. إنها ربما استعارت تلك الفكرة من أخيها.
- "وهذا. انظري من فضلك". قالتها "كاترينا" مرة أخرى وجاءت بكتاب صور لها حين كانت بـ"شغهاى"، وقالت:
- "هذا زوجى السابق وهذه ابنتى".
- "ابنتك! إنها تشبهك تمامًا. يا لها من فتاة جميلة".
- "حقًا!"
- "نعم. إنها تشبهك للغاية. ألا تشاقين للقائها؟"
- "ابنتى فى إنجلترا الآن. لا يمكنى مقابلتها. ليس هناك حل".
- "بأى مكان فى إنجلترا؟ هل تعرفين؟ ربما إن ذهبتِ إلى هناك تستطيعين لقاءها".
- "لا أدري، لكنى أود مقابلتها وربما أذهب لمقابلتها". وقالتها "كاترينا" ببساطة دون أى مشاعر خاصة.
- كان "تينوسوكيه" و"ساتشيكو" يشعران بالجوع منذ البداية، وكلما نظر أحدهما إلى ساعة يده تلاقت أعينهما، لكنهما انتظرا حتى أنهت كلامها ثم سألها "تينوسوكيه":
- "أخوك، كيف حاله، هل هو بالخارج هذا المساء؟"
- "إن أخى يعود متأخرًا كل ليلة".

- "وماما؟"

- "ماما ذهبت للتسوق في كوبيه".

- "حسنًا".

إذاً الجدة لم تُعدَّ أيًا من مكونات الطعام كما توقعوا، لكنهم تشككوا في الأمر أكثر حين دقت ساعة الحائط مشيرة إلى الساعة وبدأ أنها لن تعود.

شعرت "تائيكو" بالمسئولية لكونها جاءت بأخواتها، وشيئًا فشيئًا نصارعت أفكارها، ونظرت بوقاحة جهة غرفة الطعام التي لم يبدُ بها أى تجهيزات أو تحضير. لكن هل شعرت "كاترينا" بذلك أم لا؟

من حين إلى آخر كان يخفت لهب المدفأة، وكان الفحم متكدسًا أمامها فألقت بواحدة تلو الأخرى، وكادت تنطفئ المدفأة مرة أخرى وهم ما زالوا يتحملون الجوع، فكان لا بد لهم من إيجاد موضوع ليثرخوا به، لكنهم لم يجدوا شيئًا على الفور، ومر عليهم وقت وهم لا ينبس أحد منهم ببنت شفة، ولا يعلو سوى صوت احتراق الحطب فقط.

فتح الباب كلب هجين من فصيلة الـ POINTER دافعًا إياه بأنفه، واختار أكثر مكان دافئ ليجلس به، وانحنى ممددًا رجليه الأماميتين مريحًا رقبته عليهما، وتزاحمت الأرجل وتقلصت بينها المسافات.

- "PLEASE"، ونادت "كاترينا" ورمقته بنظرة حادة مشيخة بعينيها لهنالك، لكن الكلب لم يتحرك من أمام النار.

- "PLEASE". قالها "تينوسوكيه" أيضًا حيث لم يكن هناك متسع، وانحنى إلى الأمام ورُبَّت على ظهره بعدما ظل واقفًا هكذا لمدة طويلة، ثم قال فجأة:

- "سيدة كاترينا.. نحن، هل أخطأنا بفعل أي MISTAKE؟"

- ماذا؟
- إذاً، أختي، نحن هل أخطأنا في سماع أى شيء؟! إن كان كذلك، فإننا أزعجناكِ للغاية. على أى حال من الأفضل أن نستأذن هذا المساء."
- "لا داعى لذلك". قالتها "تانيقو".
- "حسنًا سيدة كاترينا".
- "ماذا؟ عفواً، أختكِ الوسطى تريد قول شيء ما، لكننى لا أفهم ماذا تقول".
- "ساتشيقو، ألن يفيد الآن استخدام الفرنسية بهذا الموقف؟"
- "تانيقو، هل السيدة كاترينا تعرف الفرنسية؟"
- "بالطبع تعرف، وتحدثها كالإنجليزية تمامًا".
- "سيدة كاترينا، I.. AM AFRAID"، وبدأ "تينوسوكيه" الحديث متعثرًا بالإنجليزية:
- "YOU..WHY NOT EXPECTING US TONIGHT"؟
- "ما السبب؟" قالتها "كاترينا" بإنجليزية طليقة وبنبرة توبيخ وقد اتسعت عيناها.
- حين دقت الساعة الثامنة نهضت "كاترينا" وذهبت إلى المطبخ، بدا أنها تسلق شيئًا ما فقد وصلت إلى مسامعهم بقبقة الماء بالقدر، وحملت لغرفة الطعام العديد والعديد من الأشياء سريعًا ونادت ثلاثتهم.
- وجدت عائلة "تينوسوكيه" الكثير من المقبلات على الطاولة..كيف كل هذه التجهيزات دون أن يدروا؟

السلمون المدخن، الأنشوجة المخللة، السردين بالزيت، لحم الخنزير، الجبن والرقائق المحمصّة، شطائر اللحم، العديد من أنواع الخبز، كل هذا ظهر دفعة واحدة في الوقت نفسه كأنها خدعة سحرية. اصطفت كل هذه الأطباق جنبًا إلى جنب حتى صار لا مكان آخر لوضع المزيد. حين رأوا هذا المشهد تنفسوا الصعداء.

كانت "كاترينا" تعمل بمفردها جيدًا، وأدخلت إليهم الشاي مرات عدة.

وعلى غير المتوقع، همّ جميعهم بالأكل سريعًا فقد كانوا يتضورون جوعًا، لكنهم سرعان ما شعروا بالامتلاء خصوصًا أن الكميات وفيرة ويتوالى النصح بتجربة صنف تلو الآخر.

كانوا من حين إلى آخر وبلفظ يلقون الطعام لـ"بوليس" تحت الطاولة، ثم فجأة ظهر وهرع خارجًا وطار نحو الباب.

همست "تاتيقو" بصوت خافت:

- "يبدو أن الجدة وصلت".

وقبل أي شيء تركت الجدة بضع لفائف من مختلف المشتريات ودخلت المطبخ. بعدها دخل أخو "كاترينا" غرفة الطعام مصطحبًا معه رجلًا أنيقًا يتجاوز الخمسين من عمره.

- "مساء الخير. يا لها من وليمة".

- "تفضلوا تفضلوا".

قالها وانحنى وبالوقت نفسه فرك يديه إحداهما بالأخرى. كان أخوها رجلًا أجنبيًا ضئيل البنية، ووجهه نحيل مثل "أوزيامون"⁽¹⁾، ووجنته مفعمة بالحمرة من رياح المساء الباردة بالربيع المبكر عن

(1) اسم ممثل مسرح "كابوكي" في عصر شووا.

أوانه، وقال لأخته الصغيرة كلمتين أو ثلاثاً بالروسية، لكن اليابانيين الحضور التقطت آذانهم فقط كلمة: "ماما تشيكا، ماما تشيكا"، وظنوا أنها قد تكون كلمة روسية كنية لـ "ماما".

- "إنى التقيته مع ماما الآن في كوبيه فعندنا معاً، ها هو ذا".

قالها "كرلينقو" وربّت على كتف صديقه وقال:

- "إنك تعرفينه، أليس كذلك آنسة تائيقو؟ صديقي السيد أورونسكى".

- "حقاً، أنا أعرفه، هذا أخى الأكبر وأختى الكبيرة".

- "أتقولين أورونسكى! ظهر في ANNA KARENINA"⁽¹⁾.

- "بالضبط هكذا. إنك مطلع جيد. هل تقرأ لتولستوى؟"

- "كل اليابانيين يقرؤون لتولستوى وديستوفيسكى". قالها "كرلنقو" موجّهاً كلامه لـ "أورونسكى".

مكتبة

سالت "ساتشيقو" أختها:

- "ولم أنت تعرفين السيد أورونسكى؟" t.me/soramnqraa

- "إنه يقطن بالجوار بشقة في شوكونجاوا هاوس إنه يحب

الأطفال للغاية وأينما وجد أطفالاً يدلّهم بلطف، وأينما

قلت: الروسى الذى يحب الأطفال، ستجدينه مشهوراً للغاية

بالمنطقة. إن قلت لأى أحد: السيد أورونسكى سيجيب كما

ينطقونها: يودوموسكى".

- "وماذا عن زوجته؟"

- "ليست لديه، ويدور حوله الكثير من الأقاويل والكلام

المأساوى".

(1) رواية ليف تولستوى ANNA KARENINA، وأصبحت فيلماً أمريكياً شهيراً.

"أورونسكى" يبدو عليه أنه يحب الأطفال بالتأكيد، رقيق، نظرات عينيه بها الوحدة وشيء ما من المشاعر المرهفة وتحتوى الدعابة أيضًا، وتظهر التجاعيد الدقيقة عند طرف عينيه. إنه يسمع ما يدور حوله من شائعات ولا يحرك ساكنًا. هو قوى البنية بالنسبة إلى "كرلنقو"، جسده تكسوه الشحوم، ولون بشرته يميل إلى الصفرة كأنه منصبغ سميرًا بأشعة الشمس، وشعره باللون الرمادى الداكن، وعيناه سوداوان ما يشعرك بتشابهه مع اليابانيين. يقال إنه كان بحارًا.

- "ليست حاضرة هذا المساء الصغيرة اتسوقو؟"

- "نعم، تلك الصغيرة، لديها واجبات مدرسية للأسف. بالطبع

لو كنت أعلم لكنت اصطحبتها معى لأريك ابنتى المدللة".

- "يا للأسف".

حينها دخلت الجدة لإلقاء التحية:

- "إنى أكين هذا المساء فى غاية السعادة. يا أخت تائيقو الكبيرة

لم لم تستطع ابنتك المجىء معك؟"

فور أن سمع كل من "تينوسوكيه" و"ساتشيكو" قولها "أكين" نظرا

إلى "تائيقو" باستغراب، لكنها بدورها عملت جاهدة على ألا تلتقى أعينهم، وحولت ناظرها بعيدًا وبمهارة اعتلت وجهها نظرة اللامبالاة،

ولم يصبح الأمر غريبًا مرة أخرى.

كان يقال عليها "جدة"، ولكنها ليست مثل المسنات الأجنبية

الممثلات بل هيئتها مثالية تمامًا، وتتعل الأحذية ذات الكعب العالي دائماً. قوامها جميل مع رجليها الرفيعتين، وتسير على الأرض بخفة كالغزال.

كلما قيل عنها "جدة" تأتى لمخيلة "تائيقو" صورتها وهى تسير

بنشاط وبمنتهى الحيوية فى وقت التزلج الذى حكى عنه من قبل.

كانت الجدة كلما ضحكت ظهر مكان أسنانها المخلوعة والتجاعيد على جانب وجهها، لكنها كانت في غاية البياض كأنها دون جلد، وإن شاهدها عن بُعد لن تتضح مثل هذه التجاعيد أبدًا.

أعادت الجدة ترتيب الطاولة مرة أخرى بعدما جاءت بأصناف جديدة كالمحار الطازج ويطارخ السلمون والفلفل المخلل وكبد الفراخ والخنزير وغيرها من أنواع النقانق، وصفتها مع الأنواع المختلفة من الخبز.

في النهاية جاءت بالخمير وقدموا الكئوس للجنة والويسكي ونصحوهم بخلطه مع الخمر اليابانية "الساكي الساخن"، ومن بين الحضور الروس كانت "كاترينا" و"الجدة" هما من تفضلان الخمر اليابانية.

وكما كانت مغاوفهم بالضبط، ليس هناك متسع حول الطاولة لتكفيهم كلهم. وقفت "كاترينا" عند المدفأة واتكأت على رقبها، وكانت لا تدعها تنطفئ، وكانت الجدة تاكل وتشرب وهي تقوم بالعديد من المهام وتمد يدها من خلف الجلوس. كانت الشوك والسكاكين غير مكتملة العدد ولا تكفي للجميع، فكانت "كاترينا" من وقت للآخر تلتقط بيديها بعض الأشياء وتأكلها، وإن صادف ولاحظها أي من الضيوف يحمر وجهها خجلاً، وبذلت عائلة "تينوسوكيه" كثيراً من الجهد ليتصرفوا كأنهم لم يلحظوها.

- "كُل من هذا المحار". همست "ساتشيقو" خلسة لزوجها.

كان محارًا طازجًا وإنما له مذاق مميز ليس كمحار المحيط ولونه لا يختلف عن الذي ابتاعته وجاءت به من السوق للتو. أكل الروس بمنتهى الجراءة في حين أن هذا عند اليابانيين نوع من الهمجية.

- "حسنًا، حقًا أشعر بالامتلاء". قالها "تينوسوكيه" ووجهه نحو عائلته التي كانت تختلس النظر إليه وهو يعطى الكثير

لـ"بولس" تحت المنضدة. بدا على "تينوسوكيه" تأثر بخليط
الخمور المختلفة الذي جعلوه يشربه.

- "ما هذه الصورة؟" قالها وقد اشتدت ثمالة ووصلت ذروتها
وهو يشير إلى صور مبانٍ رائعة معلقة بجوار صورة الإمبراطور.
- "إنه قصر TSARSKOYE SELO ⁽¹⁾. القصر الذي بقرب
بطرسبرج" (هؤلاء الأشخاص قطعًا لن يعرفوا اسم لينينجراد ⁽²⁾).
أجابهُ "كرلنقو".

- "قصر TSARSKOYE SELO الشهير!"
- "نعم. كان منزلنا قريبًا جدًا منه. كنا نرى الإمبراطور يوميًا
وهو خارج من القصر ويركب عربته ذات الخيول، وأتذكر أنني
سمعت صوت جلالته ذات مرة وهو يتحدث".
- "ماما تشيكا"، ونادى عليها "كرلنقو" بالروسية طالبًا توضيحًا،
فأضاف هو:
- "هذا لا يعنى حرفيًا أنى سمعت صوت جلالته، وإنما شعرت
كأنى أسمعهُ، فالعربة ذات الخيول كانت قريبة لهذا الحد. على
أى حال لقد كان منزلنا بجوار هذا القصر مباشرةً. لا أتذكر
سوى أشياء غامضة آنذاك وأنا طفل".

- "وَأَنْتِ يَا كاترينا؟"
- "أنا لا يسعنى أن أتذكر أى شيء قبل المدرسة الابتدائية".

(1) اسم منتج صيفى حيث قصر الإمبراطور الروسى، وهو على بعد 24 كم جنوب حى
سان بطرسبرج.

(2) كانت ثانى أكبر مدينة بالاتحاد السوفيتى، وحاصرها الألمان لمدة 900 يوم فى واحدة من
معارك الحرب العالمية الثانية وعُرف بحصار لينينجراد سبتمبر 1941 - يناير 1944، وهى الآن
مدينة "سان بطرسبرج".

- "تلك الغرفة، معلقة بها صورة لجلالة الإمبراطور الياباني والإمبراطورة، فما شعوركم حيالهما؟"
- "نعم، هذا شيء طبيعي. المهاجرون البيض يعيشون هنا بفضل جلالته". قالتها الجدة وصارت تعبيرات وجهها صارمة على نحو غير متوقع.
- "الكل يعلم أن المهاجرين الروس⁽¹⁾ ضد الشيوعية ويناضلون من أجل اليابان حتى النفس الأخير". قال "كرلنكو" هذه الكلمات ثم أضاف:
- "حضرتك ماذا تظن بخصوص الصين؟ ذلك البلد سيصير شيوعياً الآن، أليس كذلك؟"
- "حسناً، نحن لا نفهم كثيراً في السياسة، وعلى أي حال فإن المشكلة تكمن في أن علاقة كلا البلدين الصين واليابان بعضهما ببعض سيئة".
- "حضرتك ما رأيك في تشيانغ كاي شيك⁽²⁾؟" قالها "أورونسكي" متسائلاً وهو يلهو بكأس فارغة في راحة يده.
- "وما رأيك بما حدث في ديسمبر العام الماضي في الصين؟ لقد اعتبر تشان تشو إريان⁽³⁾ أن تشيانغ كاي شيك سيجن حرب، لكنه أنقذ حياته. فماذا يعنى ذلك؟"
- "حسناً، لقد لاحظت ذلك وإنما لم يرد عنه أي شيء بالصحف".

(1) المهاجرون البيض هم الروس الذين هاجروا من روسيا وقت الثورة والحرب، وكانوا ضد المناخ السياسي المعاصر..

(2) تشيانغ كاي شيك هو سياسي وجندي، وصار أول رئيس لجمهورية الصين ثم هزمه الحرب الشيوعي الصيني بقيادة "ماو تسي تونغ" في الحرب الأهلية وانتقل إلى "تايبوان" في 1949 وتوفي دون استعادة السيطرة مرة أخرى.

(3) حزال أول بالجيش الوطني الثوري.

كان "تينوسوكيه" شغوفًا بالمسائل السياسية وبالمثل في ما يتعلق بالشئون الدولية، ولديه معرفة في حدود ما يُنشر بالصحف والمجلات، لكنه في أي وقت لا يتعدى نطاق المشاهد إطلاقًا، وإنما في ذاك الوقت اندفع في الكلام دون تفكير وانغمس في الموضوع بحذر شديد كي لا يتعثر، وقرر ألا يقول أي رأي خصوصًا أمام أجنبي لا يعرف ميولهم. لكن بالنسبة إلى هؤلاء البيض الذين يلاحقون أخبار وطنهم فهذه المسألة مسألة حياة أو موت، ولا يستطيعون تركها ولو ليوم واحد.

استمر الجدل لحين من الوقت بينهم هم فقط، لكن "أورونسكي" بدا أن لديه تأكيدات بشيء ما طبقًا لمعلومات أكثر عنده بخصوص ذاك الشأن، والآخرين في الغالب يسمعون فقط ما يدور حولهم. وكان يجاهد للحديث باليابانية من أجل "تينوسوكيه"، ولكنه كلما خاض في الأمر قليلًا سرعان ما يعود لاستخدام الروسية و"كرلنكو" يترجم للجميع بين حين وآخر.

الجدة أيضًا كانت مجادلة عقلانية تصغي بهدوء لحديث الرجال دون تدخل، وتجاري التيار مهما احتدت المناقشة أو هدأت، لكن حين تأخذها الحماسة تصبح لغتها اليابانية فوضوية أكثر وأكثر ولا يمكن فهمها لليابانيين والروس أيضًا، فلفت نظرها لذلك "كرلنكو" قائلاً:

- "ماما تشيكا تحدثي بالروسية".

بعدها، لم يعد أي أحد من عائلة "تينوسوكيه" يعرف كيف حدث ذلك، فعلى حين غرة أصبحت المناقشة بين الجدة و"كاترينا" وتطورت إلى حد أشبه بالمعركة. على وجه العموم كانت الجدة ضد الهجوم على كل ما يخص قوميتهم أو السياسة البريطانية، و"كاترينا" بدا أنها تفعل العكس بجنون. كانت الجدة تقول لها إنها ولدت بروسيا ولكن بلادها تلاحقها وذهبت إلى "شنغهاي" ونشأت وهي مستفيدة من الإنجليز، لقد علمها الإنجليز كل المواد الدراسية وعلاوة على ذلك

لم يأخذوا منهم أى مصاريف شهرية ولو لمرة واحدة، وتخرجت في المدرسة وعملت ممرضة براتب شهري في مستشفى، وكل هذا وذاك يعود فضله كله للإنجليز، فما السين الذى فعله هؤلاء؟

حين يجعلون الجدة تخوض النقاش إلى ذاك الحد تقول لهم أيضًا أنتم ما زلتم صغارًا في السن ولا تعرفون شيئًا حقًا.

شيئًا فشيئًا ازداد الغضب بين الأم وابنتها، وامتنع لون وجهيهما، وتوسط بينهما كل من الأخ و"أورونسكى" وتعاملًا مع الأمر بلطف إلى أن انتهى بأن ظلت كل منهما على حالها تتمتم في سخط فقط لكيلا تفسد المناسبة.

بعدما انتهوا قال "كرلنقو":

"إنهما دائمًا هكذا كلما دار النقاش حول إنجلترا. يا لها من مشكلة".

غير "تينوسوكيه" مقعده مرة أخرى وذهب إلى الغرفة المجاورة وقضى بعضًا من الوقت في الدردشة والتسلى بأوراق اللعب، ثم نادوه مرة أخرى بغرفة الطعام. بالنسبة إلى الجانب اليابانى فهم لا يمكنهم تناول المزيد من أى صنف آخر، فكانت النتيجة هى زيادة السخاء على معدة "بولس"، وحتى بالنسبة إلى الخمر، بذل "تينوسوكيه" جهدًا مضيئًا محاولاً أن يجارى كلاً من "كرلنقو" و"أورونسكى".

- "انتبه! خطواتك تترنح".

وكان الوقت قد تجاوز الحادية عشرة.

تحدثت "ساتشيقو" وهم في طريقهم للعودة وسط حقول الأرز حالكة الظلام وقالت:

- "حسنًا. كم منعش هذا النسيم البارد! أهذا حقيقى؟"

"كاترينا" لم تفعل شيئًا سوى أن تخرج بالماكولات والمشروبات إلى ما لا نهاية! كل مدى يشعرون بالجوع أكثر وأكثر، فتقدم المزيد والمزيد.

يا لشراة هؤلاء! إن ذكر الروس وجدت النهم. بالشرب أيضًا لا تُمكن هزيمتهم أو حتى مجاراتهم.

- "لكن مع كل ما حدث، فالجدة بدت سعيدة حين نادينا عليها. الروس يحبون استقبال الضيوف حتى لو كانت منازلهم صغيرة إلى ذلك الحد".

- "مثل هؤلاء في النهاية يذرفون الدمع على هذا النحو، ويبحثون عن اليابانيين في المجتمع الدولي".

- "الأخ وذاك الشخص الذي يدعى أوروبونسكي"، قالتها "تائيقو" وهى فى الظلام الدامس تتخلف عنهما بخطوة أو اثنتين واستطردت:

- "ذاك الشخص ظروفه مؤسفة. كانت لديه حبيبة وهو شاب، ولكن بسبب الثورة لم يعد أى منهما يعلم مكان الآخر، وبعدها بأعوام عدة عرف أنها فى أستراليا، فذهب إلى هناك للبحث عنها، وأخيراً عرف مكانها فى النهاية وتمكن من لقائها، ولكن على الفور مرضت حبيبته وماتت، ومنذ ذاك الحين قرر أن يعيش عزباً مدى الحياة".

- "بالطبع سيكون ذاك إحساسه بعد كل ما حدث".

- "لقد عانى كثيرًا للعيش فى أستراليا، حتى إنه وصلت به الحال إلى العمل بالمناجم كعامل، لكن بعدها عمل بالتجارة واستطاع جنى الأموال. الآن لديه ما يفوق الـ 500,000 ين. أخو كاترينا تلقى منه مالاً مرات عدة".

- "ممم.. أشم رائحة القرنفل من مكان ما". قالتها "ساتشيقو" وهم يتوغلون فى طريق له سياج بـ "فيلا تاون".

- "ما زالت هناك قرابة الشهر حتى تتفتح أزهار الكرز، أليس كذلك؟ لقد طال الانتظار".
- "أنا لا أطيق الانتظار أكثر". قالها "تينوسوكيه" وهو يحاكي الجدة.

/

الفصل الثامن عشر

محل الميلاد: محافظة "هيوجو" مدينة "هيميه" بلدة "تاتيماتشي"
بناية رقم 20

محل الإقامة الحالي: مدينة "كوبيه" حي "نارا" بلوك 4 "أويا" رقم 559.

نومورا مينوكيتشي

سبتمبر 1893

المؤهل الدراسي: تخرج في جامعة "طوكيو" الإمبراطورية، كلية
زراعة عام 1916.

الوظيفة الحالية: مهندس في قسم الغابات والثروة السمكية،
محافظة "هيوجو".

الأسرة والأقارب:

في عام 1922 تزوج بـ "طوكوكو" ابنة الثانية لعائلة "تاناكا"، وأنجب
طفلاً وطفلة. الطفلة ابنته الكبرى ماتت في الثالثة من العمر. الزوجة
"طوكوكو" توفيت إثر حمى في عام 1935. بعد ذلك الابن الذي كان
في الحادية عشرة من العمر توفي هو أيضًا حين بلغ الثالثة عشرة.

الوالدان سرعان ما فارقا الحياة، ولديه أخت أصغر تزوجت من عائلة "أوتا" وتقطن بطوكيو.

كانت هذه صورة بحجم راحة اليد مكتوبة على ظهرها بالخط الياباني هذه الأمور المذكورة أعلاه، وجاءتهم بالبريد السريع في أواخر شهر مارس من السيدة "چينبا" التي كانت بمدرسة البنات نفسها مع "ساتشيقو".

ما زالت "ساتشيقو" لا تتذكر حتى بعدما استلمتها، لكنها في العام الماضي، وتحديدًا عقب انتهاء الحديث بشأن "سيجوشي" بنهاية شهر نوفمبر، التقت السيدة "چينبا" صدفة في أحد الأيام في تقاطع "ساكورا باشي"، وتوقفتا للحديث معًا قرابة عشرين أو ثلاثين دقيقة، وحينها جاء ذكر الشائعات التي طالت "يوكيقو"، وأنها على تلك الحال لم تتزوج بعد، ولذلك طلبت منها أن تقدم العون، ثم انصرفت، وهذا ما تذكرته "ساتشيقو". لكنها في ذلك الحين كان لديها شعور يقيني بأن موضوع "سيجوشي" شارف على الانتهاء، فأفصحت بمنصف الحديث عن رغبتها ووجدت من السيدة "چينبا" اهتمامًا بالأمر، وبعد ذلك سألتها عن أحوال أختها الصغيرة وقالت السيدة "چينبا" إنها لم تكن تهتم بالأمر، لولا أن راعى زوجها وولي نعمته السيد "هامادا چووكي" رئيس شركة السكة الحديد بإقليم "كانساي" لديه ابن عم فرّق الموت بينه وبين زوجته العام الماضي، وهو الآن يبحث عن زوجة.

أضافت السيدة "چينبا" في خطابها المرفق مع الصورة أنها بالطبع تريد لهم فرصة جيدة، وأن:

"السيد هامادا أبدى شغفه بالموضوع ودار الكثير من الأحاديث حتى حصلت على الصورة، لذلك فلتفكر أختك بالأمر، وهذا لا يعنى أن زوجي يعرفه جيدًا وإنما لأنه بضمانة السيد هامادا فسيكون شخصية لا غبار عليها، وعلى أي حال أرسلت إليك بالبريد السريع

ومرفقة الصورة. فلتنظروا في الأمر وإن كان يروق لكم فالمذكور بخلف الصورة من تفاصيل يمكنكم الاعتماد عليها في البحث، وبعدها إن وجدتم أن الفرصة مناسبة وراسلتموني فسأعمل على تحديد موعد للتعارف".

"ساتشيقو" بمجرد أن وقعت عينها على هذا الكلام ووجدته حقيقياً على الفور أرسلت لها لتزورها، أما عن "يوكيقو" فحتى لو تطلب الأمر إجبارها فلا بأس، وعلى هذه الحال وصلت الصورة في ذاك اليوم المشرق.

أخذت "ساتشيقو" الصورة وكتبت خطاباً للنحية والشكر. لكنها في العام الماضي وقع عليها اللوم من "إيتاني"، لذلك فهي هذه المرة تعلمت مما سيجي ولن تتسرع بالوعود، بل فقط ستشكرها لما لمسته منها من طيب خلق، وإن آل الوضع إلى طول انتظارهم لشهر أو اثنين فستقول لهم إنه كان هناك عرض زواج آخر وللتو رُفض، وعندما فكرت في حال أختها وجدت أنه من الأفضل أن تبقى على ما لديها من حديث لفترة من الوقت، وهذه المرة سيتوخون الحذر قدر المستطاع. كتبت لها "ساتشيقو":

"بعد التحري الوافي فإني لي رجاء عندك، إنكِ كما تعلمين أختي الصغيرة تأخرت في الزواج وأنا كأخت كبيرة أعتبرها غاية في البراءة، لذلك أقول لك هذا بمنتهى الأمانة، وعليه فهذه المرة ودون أي تسرع، بعدما نبحت بأنفسنا بترواً، إن كان الأمر على ما يرام سنخبر بيت العائلة، وبعدها أيضاً نخبر يوكيقو".

وهذا ما اتفق عليه "تينوسوكيه" معها، وللأمانة "ساتشيقو" لم تكن مهتمة إلى ذاك الحد. بالطبع لا يمكنها القول ببيت العائلة وهم لم يبحثوا بعد، لقد قرأ فقط المكتوب خلف الصورة ولم يرد قط ذكر ما إن كانت لديه ممتلكات أم لا. لكنهما على الفور أدركا أن ظروفه

أسوأ من "سيجوشى". أولاً هو أكبر في السن من "تينوسوكيه" بعامين. ثانيًا هو غير متزوج وتوفى طفلاه من زوجته السابقة، وهذا يهون وضعه، وإثماً "ساتشيقو" ترى أن "يوكيقو" لن يروقها الأمر قبل أن تعرف كل ذلك، لأنه من ناحية المظهر وما رأوه بالصورة فهو يبدو عليه تقدمه في العمر ووجهه يبدو كرجل عجوز.

في الحقيقة هم أخطؤوا بإرسالهم صورة كهذه من أجل طلب زواج. للأسف من بعدها لن يستطيعوا رؤيته شابًا وسيرونه دائمًا عجوزًا. إنه ليس عليه أن يكون وسيماً ولا يهيم إن كان أكبر من "تينوسوكيه"، ولكن هيئته كعريس وهو جنبًا إلى جنب بجوار "يوكيقو" سيبدو حقًا طاعنًا في السن وستبدو هي مثيرة للشفقة. وبما أنهم يهتمون بحالهم فهم لن يمكنهم التباهى والتفاخر أمام كل الحضور.

وإن كان يستحيل أن يعود شبابه ليبدو كعريس فسيريدونه مليئًا بالحماس مبهجًا ومفعمًا بالحيوية بأي شكل، ولا هذا ولا ذاك انضح لـ"ساتشيقو" من الصورة.

لذلك يبقى الوضع كما هو عليه، حتى بعد مرور أسبوع "ساتشيقو" لم تُعر الأمر اهتمامًا، ولم يتعجلا في البحث. لكنهما لاحظا شيئًا، فمنذ أيام حين جاء البريد الذى به الصورة ألم تكن "يوكيقو" موجودة لتراه ولو صدفة؟ وإن كان الأمر هكذا فهل سكوتها هذا لأنها تخفى شيئًا، أم على العكس هي ليس لديها فضول؟

بالنسبة إلى "ساتشيقو" فإن حال "يوكيقو" ظاهرًا ليس به أى تغيير ملحوظ، لكن جرحها لم يلتئم بعد، ما يعنى أنه من الأفضل ألا تفصح عن شيء حتى بعدما تعاقبت الأحداث سريعًا هكذا.

لكن لم لا تصارحها بمجىء الصورة على أى نحو؟ إنها ستكون في ورطة إن استمرت الحال هكذا على نحو غير طبعى مراعاةً لحزنها، فعدلت عن تفكيرها وفضلت أن تريها الصورة أولاً، ولعلها تكون

طريقة أيضًا لترى ردة فعلها وماذا ستقول. وعليه ففى يوم وهم قد أوشكوا على الخروج للتسوق، وجاءت "يوكيقو" إلى غرفة الزينة بالطابق الثانى لتبديل ملابسها، قالت لها "ساتشيكو" مباشرة ودون انتظار لإجابة:

- "يوكيقو، لقد جاءت صورة أخرى. ها هى"، وعلى الفور أخرجتها من الدرج لترىها إياها.
- "اقرئ المكتوب بالخلف".

التزمت "يوكيقو" الصمت وظلت تنظر إلى الصورة فقط ثم قرأت ما بالخلف وسألت:

- "ومن أرسلها؟"
- "أعرفين السيدة جينبا التى كانت معى بمدرسة البنات؟ قابلتها فى محطة إيما إيدا".
- "ممم. وعلى هذا، أحين قابلتِ تلك السيدة فى الطريق بدأتما الحديث عنى وطلبتِ منها ذلك، وهى أبدت اهتمامها وأرسلت هذه التى جئتني بها!"
- "الأمر مختلف ولا أطلب منك ردًا الآن فورًا. فى الحقيقة هذه المرة بعدما نتخطى الخطوة الأولى الخاصة بالبحث بدقة سنخبرك لتفكرى فى الموضوع، وحتى لا يبدو الأمر كأننا نخفى عنك شيئًا فقط أريها لك".

وخرجت "ساتشيكو" بعدما أخذت الصورة وتركتها على الرف وأسرعت لتلحق بـ "يوكيقو" التى خرجت بلا تفكير ونظرها نحو الحديقة.

- "إن كنتِ لا تريدين هذا فاعتبرى أنكِ لم تسمعى شيئًا، خصوصًا أننا ما زلنا سنبحث كما أخبرتك".
- "أختى الوسطى".

قالتها "يوكيقو" وهى ذاهبة إلى وجهتها فى هدوء وتفكيرها شارد فى شىء ما، واجتهدت لتعتلى وجهها الابتسامة وهى تقول:

"إن كان على عروض الزواج فأنا لا أمانع، إني حتى لم أقل لك الموضوع السابق لم ينتهِ بعد، إني فقط أريد أن أشعر بشخص ما أو شىء ما يستحق".

- "حقًا".

- "ألم يكن من الأفضل فى المرات السابقة أن تكون المقابلة بعد البحث جيدًا؟! إن الأمور الخارجية التى تحدث تصعب على التفكير".

- "حسنًا. إذا أنا عن نفسي سأخبرك بمثل تلك الأحاديث فقط إذا كان الأمر يستحق العناء".

أكملت "ساتشيقو" ارتداء ملابسها وخرجت وحدها بعدما قالت إنها ستعود فى المساء قبل العشاء، لكن "يوكيقو" مكثت وعلقت على الشماعة ملابس أختها التى خلعتها وألقتها، وجمعت أوشحة رداء الكيمونو ورببتها جنبًا إلى جنب، واتكأت على الدرابزين لفترة من الوقت وهى تنظر إلى الحديقة.

فى هذا الوقت كانت مدينة "أشييا" معظمها غابات على الجبال ومزارع، لكن منذ نهاية عصر تايشو⁽¹⁾ لم تعد الأراضى الشاسعة المترامية هنا وهناك كما كانت من قبل ولا حتى حديقة المنزل، ففي الماضى كانت أشجار الصنوبر العملاقة التى تصل إلى التراس نحو ثلاث بالحديقة جهة الشمال الغربى. الآن أصبحت كل منطقة التلال وجبال "وقوو" مطلوبة للحكومة ولا من فاصل بينها وبين شجيرات الجيران، لذا حين ذهبت "يوكيقو" إلى بيت العائلة ببلدة "أويه هون"

(1) بدأ عصر تايشو فى اليابان فى 1912/7/30 واستمر حتى 1926/12/25.

كعاداتها من وقت إلى آخر وعادت بعد أربعة أو خمسة أيام كانت قد انتعش مزاجها وشعرت كأنها ولدت من جديد.

جهة الجنوب حيثما تقف وتلقى بناظريها الآن، هناك ساحات الزهور والمروج وقبالتها تلال صغيرة، والفروع الخضراء عليها الورود الدقيقة البيضاء (قوديمارى) تتساقط في البحيرة الجافة التي أصبحت جرفًا بين صخور الحديقة، وعلى حافة الماء جهة اليمين تفتحت أزهار الكرز والليلك. ولأن أزهار الكرز تحبها "سانشيقو" فكان لا بد من زراعة حتى ولو شجرة واحدة بحديقة بيتها لترى أوان تفتح الزهور. منذ بضعة أعوام زرعتها بالحديقة، وحين تزهر تُخرج الحصر تحتها وتفرشه لتجلس مهما قيل لها إن ذلك يضر نموها، وبالفعل فعدد أزهارها كل عام قليل للغاية في حين أن زهور الليلك مزدهرة ومتفتحة كلها كأنها مكسوة بالثلوج وتنفوح منها رائحتها العطرة.

غرب شجرة الليلك تلك، هناك شجرة توت وشجرة قيقب لم تفتح براعمهما بعد. جنوب شجرة القيقب هناك نوع من الشجيرات يطلق عليه بالفرنسية "Selenga". قالت لهم مدام "تسوكامطو" التي هي مدرستهم للغات إن تلك الشجيرات موجودة بوفرة في بلادها ولكنها لم ترها من قبل منذ مجيئها إلى اليابان، وإنه لمن النادر حقًا رؤيتها بهذه الحديقة. ولأنها المفضلة لديهم جميعًا، فأخوات "يوكيقو" كلهن يعرنها انتباهًا خاصًا.

حين بحثوا عن معناها في قاموس فرنسي- ياباني عرفوا أنها باليابانية تسمى (ساتسوما أوتسوجي)، وهي نوع من شجيرات عائلة saxifragales. أزهارها تفتح عادةً بعدما تسقط أزهار الليلك، وذلك تمامًا مثل زهور الجبال اليابانية المزدوجة والموجودة بالأصل عند سور البوابة الخاص بالغرفة الخارجية، لذلك فحتى الآن الأوراق الياضعة التي على مرمى البصر لم تزهر بعد وإنما تفتحت براعمها فقط.

أمام شجيرات (ساتسوما أوتسوجي) تلك هناك السياج السلكي لحدود الحديقة الخلفية للسيد "Stolz". وتحت شجرة التوت التي تمتد جنبًا إلى جنب بجوار السياج أصبحت "اتسوقو" مؤخرًا تلهو مع "روزماري" وتجلسان القرفصاء على الحصى وشمس العصر تلمع أشعتها بلطف.

كانت "يوكيقو" تنظر إليهما من بين درابزين الطابق الثاني ووجدتهما قد قسمتا اللعب بينهما وصفتهاا متكدسة مع سرير ودولاب ملابس ومقاعد ومنضدة للعرائس على النمط الغربي.

استغرقت الطفلتان في اللعب ونسيتا حالهما وعلت نبرات أصواتهما دون أن تنتبها لنظر "يوكيقو" إليهما.

- "هذا بابا، هذه ماما".

وأمسكت "روزماري" بيدها اليمنى بدمية على شكل ولد، وبيدها اليسرى دمية أخرى على شكل بنت، وضغطت بهما على جانبي وجهها وهي تصيح:

- "تشوووووو".

في البداية لم تفهم "يوكيقو" ماذا تفعل الصغيرة، ثم حين دقت النظر بدا أنها تجعل الدميّتين تقبلّانها وهي تقول "تشوو" معبرة عن الصوت الذي أرادته منهما، ثم قالت "روزماري":

- "لدينا بيبي".

قالتها وهي تخرج دمية لطفل صغير من أسفل تنورة العروسة الأم، وظلت تكرر الكلمات نفسها لعدة مرات على الحال نفسها "جاءنا بيبي، جاءنا بيبي".

يبدو أن قولها "جاءنا" تعنى به "مولود صبي"، ففي الغرب يعلمون الأطفال أن المولود يأتي به طائر اللقلق، ويضعه على غصن الشجرة

ويطير كما يسمعون. وبينما تفكر "يوكيقو" هل تعرف الطفلان كيف يولد المولود من بطن أمه، كبحث جماح نفسها لتستمتع بالمشهد وهي تستمر بالنظر خلصة إلى ما تفعله الطفلان.

الفصل التاسع عشر

في الماضي حين كانت "ساتشيقو" تقضى شهر العسل وسألها "تينوسوكيه" عما تحبه وتكرهه في المأكولات وأكثر ما تحبه من الأسماك، وهما في فندق ياباني الطراز بمدينة "هاقونيه"، وتعجب "تينوسوكيه" من إجابتها: "سمك المرجان"، وضحك للغاية لأن سمك "المرجان" نوع رائع للغاية. لكن بالنسبة إلى تفسيرها فإن هذا النوع من الأسماك من حيث شكله ومذاقه فهو أكثر سمك سماته يابانية خالصة، واليابانيون الذين لا يحبونه لا بد أنهم ليسوا يابانيين حقًا.

إن هذه الكلمات محفورة بصميم قلبها لأن إقليم الصعيد الذي ولدت به يتميز بأفضل مذاق للمرجان في اليابان بكاملها.

لذلك هناك فخر متخفٍ كامن وراء كونها من أكثر إقليم ياباني أصيل، وبالمثل أيضًا إن سألته عن أكثر ما تفضله من الزهور فستقول الكرز دون أي تردد.

منذ قديم الأزل ودواوين الأشعار القديمة والمعاصرة بها أغاني عن أزهار الكرز التي تموت منها مئات الآف وتتساقط. الكثير من كبار السن ينتظر تفتحها ويفتقدوها حين تذبل، الكثير من الأغاني يردد

هذا مرارًا وتكرارًا، و"ساتشيقو" وهى طفلة كانت تظن أن هذه هى الأغاني التقليدية العامة، وكانت تمضى أوقاتها تقرأ هذه الأشعار دون عناء، لكن مع مرور الوقت وبلوغها صارت بكل ما فيها تدرك أن كبار السن الذين ينتظرون الورد وقلوبهم تشتاقها حين تطيل الغياب هم فقط الفئة التى توصف بـ"رقى المشاعر".

كل عام كلما جاء الربيع تطلب "ساتشيقو" من زوجها أن يصطحبها هى وأختيها وابنتهما لـ"كيوتو" لرؤية تفتح الزهور، ولم يقطعوا هذه العادة منذ عدة سنوات وأصبحت عندهم مناسبة معتادة منذ أمد غير معروف، مناسبة بها يتغيب "تينوسوكيه" عن عمله و"اتسوقو" عن مدرستها، ولم يحدث ولا مرة واحدة ألا تجتمع الأخوات الثلاث: "ساتشيقو" و"يوكيقو" و"تائيقو".

بالنسبة إلى "ساتشيقو" ذبول الورد وتساقطها يضيف إلى قلبها ذبولاً كل مدى حيال عهدا بأختيها وهن فتيات صغيرات، وكلما جاؤا كل عام تساءلت فى خاطرها ترى أهذه آخر سنة يشاهدن الزهور معاً ومع "يوكيقو"؟! دون أن تخرج أدنى كلمة من بين شفثيها. بدا أن هذه المشاعر كلها بالمثل لدى "يوكيقو" و"تائيقو" أيضاً، ولم تكن أى منهما لديها الشغف نفسه بالزهور بأنواعها مثل "ساتشيقو"، لكنهما عادةً ما تستمتعان بهذه المناسبة بداخل قلوبهما، وسرعان ما ينتظر جميعهم تفتح الزهور بعد انتهاء فترة مهرجان "أوميزوطورى (お水取り)"، وحينها يرتدون المعاطف الرسمية ووشاح زى الكيمونو، ورداء الكيمونو الطويل، ويصيرون جميعهم فى حالة مفعمة بالمشاعر نابعة من قلوبهم تجعلهم يخطفون الأنظار من حولهم.

وأخيراً حل هذا الفصل، لكن حتى إن بدأت رحلات الأطفال فى الأيام المحددة لرؤية الزهور المتفتحة، فإنهم لا بد لهم من اختيار

يومي السبت والأحد فقط للذهاب بفضل "تينوسوكيه" والصغيرة "اتسوقو".

وها هم ينتابهم القلق كالمعتاد مثلما كان يفعل الكبار حيال الرياح والأمطار، إن كان سيواتيهم الحظ ليكون موعد ذهابهم ذروة تألق الزهور. إن الورد موجودة بالجوار من بيت "أشيّا" ويستطيعون رؤيتها مرة تلو الأخرى من نافذة قطار خط "هان كيوو"⁽¹⁾، فالأمر لا يقتصر فقط على منطقة "كيوتو"، لكن "ساتشيقو" ذات الذوق الفريد حتى في سمك المرجان وكونها لا تفضل سوى مرجان سواحل "أكاشي"، فإنها إن لم ترَ زهور "كيوتو" لا تشعر بأنها شاهدت الزهور. في ربيع العام الماضي أصرّ "تينوسوكيه" على ما هو عكس ذلك واقترح تغيير المكان في هذه المناسبة، وخرجوا وذهبوا حتى كوبري "كينتاي"، وبعدما عادوا قالت "ساتشيقو": "أشعر كأني أضعت شيئاً ما وازداد إحساسي بأنني لم ألتق الربيع بعد مثل كل عام"، وتوسلت إلى "تينوسوكيه" ليذهبوا إلى "كيوتو"، وفي النهاية كان لا بد لهم من اللحاق بفروع وعناقيد الزهور في "أومورو"⁽²⁾

في هذه الليلة يكون مبيتهم بنزل "فويانشوو"، ومع شروق شمس اليوم التالي يذهبون إلى "أراشي ياما"، وهي المحطة التالية لـ "ساجا"، ويتوجهون إلى "بيت الشاي" الذي يمتصّ الجزيرة ويفتحون ما جلبوه معهم من طعام ثم يعودون إلى المدينة في المساء ويشاهدون زهور حدائق معبد "هينان"، وتبعاً للظروف حينها قد تعود الأختان مع الصغيرة "اتسوقو" ويتركن "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" للمبيت لليلة أخرى، وبهذا يختتمون أحداث هذه المناسبة.

(1) خط قطار يذهب إلى محافظة "أوساكا".

(2) حي بمدينة كيوتو اسمه مشتق من حقيقة أن الإمبراطور "لوتا" شيد قصرًا وأطلق عليه اسم "أومورو"، وتشتهر هذه المنطقة بتأخر إزهار شجر الكرز، ويكونها منطقة خلاصة ذات تلال صغيرة.

هن عادةً ما يمكن حتى آخر يوم من احتفالات معبد "هيان چنجو"، فالزهور بحقائق هذا المعبد هي الأكثر جمالاً في العاصمة والأكثر استحقاقاً للمشاهدة، فأزهار حديقة "ماروياما" جميعها شاخت وتساقطت، وفي الحقيقة وقتما تذبل كل عام تظل الأزهار هنا ولا شيء سواها خير سفير للربيع بالعاصمة.

وعلى هذه الحال، فهنّ في مساء اليوم الثاني أو الثالث يغادرن من إقليم "ساجا"، وبالطبع بمجرد أن تغرب شمس الربيع يخترن ساعة الغسق ليودعن ما تبقى منها، بعدما يكنّ أمضين منتصف اليوم يجولن تحت أشجار حدائق المعبد وضفاف البحيرة ونهايات الجسور ونواصي الشوارع وشجر الكرز، واحدة واحدة يقفن عندها أسفات إلى أن ينال منهن التعب ويجرّن أقدامهن جرّاً. شغفهن حقاً لا ينتهى.

بعد عودتهن إلى بيت "أشييا" أيضاً تظل بمخيلتهن وبين أجفان أعينهن كلما أغلقنها صورة الأغصان وألوان الزهور على الأشجار طوال العام كله وحتى مجيء ربيع العام التالى.

كانت الصغيرة "اتسوقو" لا ترتدى أفضل ملابسها الحريرية ذات الطباعة والنقوش والأكمام الطويلة سوى مرات معدودة طوال السنة، وصغر عليها رداء العام الماضى الذى ارتدته لمشاهدة الزهور، لذلك فمثل هذه الملابس التى لا تعنادها بدت ضيقة عليها هذا العام. إنها في هذا اليوم على وجه الخصوص تضع القليل من مساحيق التجميل وتتغير ملامحها، وتتعل القبقاب اليابانى التقليدى "زورى".

بغرفة الشاي الضيقة بمطعم "هيساجوتيه"، بمجرد أن جعلوا الصغيرة تجلس ظهرت ملابسها الغربية التى تحت الرداء اليابانى، وخرجت ركبناها عاريتين، وكان أمامهم راهب شاب عارية ساقه، فمازحها الكبار قائلين:

- "إنه يا اتسوقو الراهب الصغير بن تن".

كانت الصغيرة لا تزال لا يمكنها الإمساك بعصى الطعام بعد، وكانت تمسكها بطريقة الصغار العجيبة، وفوق ذلك كله تلتف الأكماء على رسغها. لعلها لهذا السبب تختلف طريقتها الآن عما وهى ترتدى الملابس الغربية، وبدا أنها ليست على حريتها فى تناول طعامها، بل بالخط تستطيع الإمساك بعشبة الـ"كواى" التى بصحنها فتسقط من بين عصا الطعام وتتدحرج من حيث طرفها المبلل، إلى أن سقطت بالحديقة وجرت سريعاً على الطحالب العشبية الخضراء بالأرض، وهنا تعالت ضحكات الكبار و"اتسوقو" أيضاً، وكان هذا أول ما استطاعت فعله من تصرفات مضحكة فى هذا الموسم.

فى صبيحة اليوم التالى ذهبوا أولاً إلى ضفاف بحيرة "هيروساوا"، وتحت إحدى أشجار الكرز الممتدة أغصانها فى الماء وقف كل من "ساتشيكو" وابنتها "اتسوقو" ثم "يوكيكو" و"تائيكو" بهذا الترتيب. اقترح عليهن "تينوسوكيه" أن يُدخل فى الخلفية جبال معبد "هينججو" ويلتقط لهن صورة بآلة تصويره من ماركة Leica.

تبادر إلى مخيلاتهن العديد من الذكريات وهن بين أزهار الكرز، منها أنه فى ربيع عام ما حين جئن إلى ضفاف هذه البحيرة كان هناك رجل نبيل لا يعرفه معه آلة تصوير، طلبن منه أن يلتقط لهن صورة، وبالفعل أخذ لهن عدة صور وتحدث إليهن بلطف قائلاً إن كانت اللقطات جيدة سيرسلها إليهن، ودوّن عنوانهن وانصرف، وبعد عشرة أيام أرسل إليهن صورة رائعة ولم يخلف موعده حقاً.

كانت الصورة تحت هذه الشجرة، ويقف كل من "ساتشيكو" و"اتسوقو" وتنظر كلتاهما جهة البحيرة، وفى خلفية الصورة ماء البحيرة تعلوه أمواج رقيقة. كانت لقطة رائعة لحالة من النشوة بين أم وطفلتها وهما تظلمان النظر كلتاهما إلى الأخرى دون قصد، وتظهر

مشاعرهما بالإعجاب بالربيع المزدهر على سجيتها، وطارت الزهور المتناثرة على كُمَى رداء الصغيرة.

إنهن منذ أن اعتدن رؤية تفتح الزهور وهن لا بد أن يأتين إلى ضفاف هذه البحيرة ويقفن تحت شجرة الكرز هذه، ولا ينسين مطلقًا تأمل سطح الماء، والأكثر من ذلك أنهن لا يغفلن بتأنا عن التقاط الصور لهذا المشهد. تظل "ساتشيقو" تتذكر الورد القرمزية بشجر الكاميليا الرائع طوال الطريق بامتداد السور على ضفة البحيرة، وبالطبع تتوقف عند منبع جمال القرمز.

يصعدن الجسر الذي فوق البحيرة، ويمررن من أمام بوابة معبد "تزيووجي" و"سيريووجي" و"داي كاكوشي"، وفي هذا العام أيضًا جئن إلى منطقة جسر "طوجتسو".

من إحدى عاداتهن الغربية في موسم مشاهدة الناس للزهور بالعاصمة، أنهن يصاحبن عادةً جموعًا من السيدات الكوريات اللاتي يرتدين الزي الكوري بلون واحد داكن، وهن في هذا العام أيضًا يتجمعن وكل منهن تجلس القرفصاء بجوار الزهور التي على حافة الماء الجاري تحت جسر "طوجتسو" ويتناولن طعامهن، ومن بينهن من تشمل مبتهجة بخلاف عادات النساء هنا.

في العام الماضي جمعت عائلة "ساتشيقو" وفتحوا لفائف طعامهم معبد "دانهيكاكو"، وفي العام الذي يسبقه كانت الأخوات الثلاث بجوار الجسر، أما هذا العام فهن قد اخترن جبال معبد "هوورينجي" الذي به البودفيسثاق⁽¹⁾.

مرة أخرى عبرن جسر "طوجتسو"، وهن في ممر دغل أشجار الخيزران شمال معبد "تزيووجي" قلن للصغيرة أن تنظر وترى أعشاش العصافير، وفرن نحو معبد بالحقول وهبت نسيمات الرياح الباردة

(1) المعتدون على النهج اليوذي والقادرون على الوصول إلى السكينة

فالمساء حلّ سريعًا، وحين زرن غرف اعتكاف الناسكين تناثرت بالقرب منهن أعداد لا تحصى من زهور الكرز الموجودة عند المدخل. بعدها خرجن مرة أخرى أمام بوابة معبد "سيريوچى"، ومنها إلى ساحة "شاكادو" حيث استقلن قطار "أتاجو" من المحطة وعدن إلى "أراشيما".

بمرورهن على جسر "طوجتسو" لثالث مرة أخذن قسطًا من الراحة للمرة الأولى بعدما صرن بمحطة "كيثا تزوميه"، ثم استقلن سيارة أجرة إلى معبد "هيان چينجو"، وبدخولهن من البوابة شاهدن واجهة قاعة المداولات للقصر الإمبراطورى. ومن الردهة الغربية إلى حدائق المعبد ومع الخطوة الأولى التى اتخذتها أقدامهن دخلن المكان المخصص لتخزين جذوع الشجر الحمراء بوفرة.

دون أن يدريين ماذا حلّ بزهور الكرز هذا العام وأشجارها العتيقة التى تعلن للخارج عن هذا الجمال، وبينما يراودهن القلق حيال ما إن كن تأخرن، تسارعت دقات قلوبهن وملأتهن الشكوك وهن يجتزن بوابة الممر مثل كل عام، وهما هن يجتزن البوابة هذا العام أيضًا وهن تتملكهن الظنون نفسها.

حين نظرن إلى أعلى إلى الغيوم الحمراء المتناثرة بأفق المساء قلن جميعهن على الفور مندهشات: "والله"، وانطلقت صيحاتهن بالانبهار.

هذه اللحظة على وجه الخصوص هى التى تترجع على عرش الأحداث فى اليومين كلهما، والسعادة بهذه اللحظة هى التى ينتظرنها من عام إلى عام، ينتظرنها منذ أن حلّ الظلام فى ربيع العام الماضى، وأخيرًا اكتفين بهذا القدر وهن سعيدات، وبهذا اكتمل لقاءهن فى موسم تفتح الزهور لهذا العام أيضًا.

تلقائيًا ودون أى شيء وفى الوقت نفسه تمنين أن يحالفهن الحظ ويرين الزهور هذه ربيع العام المقبل أيضًا. لكن "سانشيقو" لحالها وحدها كانت تفكر هل العام المقبل حين يأتين تحت الشجر

والورود، هل ستكون "يوكيقو" صارت زوجة وتأتي للتجوال معهم احتفالاً بالربيع، أم أن تفتح الورد هذا العام هو آخر مرة لهن معاً، وستصير هي وحيدة؟ حتى إن كان، فمن أجل "يوكيقو" هي تمنى ذلك بأي حال من الأحوال.

بصراحة هي في ربيع العام الماضي أيضاً، وفي ربيع كل عام مضى، كانت حين تقف تحت هذه الأشجار تحتها المشاعر العميقة، وكل مرة تظن أنها آخر مرة يجتمعن معاً. مع ذلك، فلا عجب أنها هذا العام أيضاً تطيل النظر إلى "يوكيقو" بجوار الورد على ذاك النحو، وبلا داعٍ يعتصر قلبها الألم وهي تنظر إلى وجه "يوكيقو" أمامها وتشعر بأنها لا تستطيع تحمل الأمر.

بعدما ينتهي أوان زهور الكرز تفتح البراعم الرقيقة لأشجار القيقب والبلوط الأخضر وتزدهر، ويتم تقليم أشجار الزنبق بشكل دائري.

جعل "تينوسوكيه" الفتيات الثلاث وابنته يسرن أولاً ثم تبعهن حاملاً آلة تصويره، والتقط لهن الصور أينما اعتاد أن يفعل.

على شاطئ بحيرة "بياكو" حيث تفتح أزهار السوسن،

على صخور جسر "جاريوو" ببيرة "صوريو" حين تنعكس الظلال على صفحة المياه، وبكل مكان اصطفت فيه تحت أغصان الزهور المتفتحة بالممرات في جبل "قوماتسو" غرب بحيرة "سيهو" وغيرها. ومع ذلك صار من عاداتهن هنا أن يجعلن الغرباء يلتقطون لهن الصور مراراً وتكراراً كل عام. الأشخاص المهذبون يقدمون لهن ما يبتغيه، والوقحون يقطعون المسافة اللازمة لالتقاط الصورة ويمرون بلا مبالاة.

هن يتذكرن جيداً كل ما فعلته العام الماضي بكل مكان، حتى أدق تفاصيل الأمور المملة كلها يتذكرنها كلما جئن إلى المكان ذاته.

ويستمرُّ على النهج نفسه، فمثلاً يحسِّن الشاي بيت الشاي الشرقى ببخيرة "سيهوو"، ويلقي بطعام القمح المخصص للأسماك من فوق أسوار الجسور إلى سمك الشبوط الأحمر والذهبي.

على حين غرة ارتفع صوت الصغرة "اتسوقو":

- "أمى، انظرى.. عروس". مكتبة سُرَّ مَنْ قرأ

التفتن جميعهن ووجدن مجموعة أمام المعبد الشتوى انتهت للتو من مراسم الزواج وخرجت من القاعة، والعروس تهم بركوب السيارة، والمتفرجون مصطفىون على الجانبين يتابعون في فضول.

هن فقط رأين من بين الباب الزجاجى طرحتها البيضاء ورداء زفافها المتألق يتلأأ.

في الحقيقة هذه ليست المرة الأولى لهن التى ينضممن إلى الجموع هنا، ف"ساتشيكو" كلما ورد لخاطرها شيء فعلته، و"يوكيكو" وتائيكو" كانتا في حالة غير متوقعة من الهدوء. في ذاك الحين اختلطن بالحشود التى كانت تنتظر خروج العروس، وظلت "ساتشيكو" تتحدث معهما عن كيف بدا رداؤها وزينة وجهها.

في ذاك المساء مكث "تينوسوكيه" و"ساتشيكو" هما الاثنان فقط للمبيت ليلة أخرى بـ"كيوتو"، وفي اليوم التالى زار الزوجان دير "فودواين"، الذى أنشئ بمجمع معابد "تاكأو" في العصور الذهبية، والذى كان يزوره والد "ساتشيكو"، فتذكرت حديثه مع الراهبة العجوز، ثم قضت وقتها مع زوجها في هدوء لنصف يوم. هذا المكان مشهور بأشجار القيقب، لذلك فهى الآن سرعان ما كستها الأوراق الخضراء النضرة، وفقط أمام الحديقة بجوار جدول المياه بدأت تتفتح براعم زهور السفرجل، وارتشف الزوجان عذوبة الماء الصافي للجبال كل منهما من شفتى الآخر، واشتھيا ملء كتوسهما مرات عدة وهما يتأملان جمال المشهد، ونزلا في مرج منحدر طويل.

كان طريق عودتهما يمر من أمام معبد "نينجا جى"⁽¹⁾، وكانت "ساتشيقو" تعلم أنه ما زالت الزهور الكبيرة للكرز لم تتساقط بعد، فطلبت من زوجها لو فقط يأخذان قسطاً من الراحة تحت الأغصان ويتناولان بعض المخبوزات بساحة المعبد، لكن الشمس بدأت طريقها إلى المغيب وإن حلّ الظلام فلا بد لهما من المبيت لليلة أخرى، وهما يعلمان ذلك جيداً من خبراتهما السابقة في كل مرة، فأسرعا إلى محطة "شيتشى چوو" وقلبها متعلق بكل مكان خطت فيه أقدامهما، "ساجا" و"ياسيه أوبارا" و"كيوميزو"، وأدركا المحطة بعدما تعدت الساعة الخامسة من مساء ذاك اليوم.

بعد مرور أيام، كانت "ساتشيقو" كلما خرج زوجها لعمله تدخل مكتبه لترتبه، لكن صدفة وجدت ورقة خطابات ملقاة على جنب ومكرمشة⁽²⁾، ففتحتها ووجدت بها هذه العبارات مكتوبة في عجالة وبقلم رصاص في الهامش:

في "ساجا" في يوم مشهور في شهر أبريل

خير الناس بأبهى الملابس متوافدين

فتفتّح الزهور بـ"ساجا" ما له مثل

كانت "ساتشيقو" هي أيضاً تؤولف الأشعار وهي طالبة، وحتى وقت قريب كانت تدوّن خواطرها في مذكرة تائراً بزوجها، وكانت تجد المتعة في ذلك، لكنها حين قرأت ما دوّنه زوجها ثار شغفها على نحو غير متوقع، ومنذ أيام عدة وهي لا يسعها أن تجمع كل ما في مخيلتها عن معبد "هيسان چينجوو"، ثم لخصت أفكارها بعد قليل من الوقت كالتالي:

(1) المعبد الرئيس لطائفة "shingon" البوذية، ويقع غرب "كيوتو". تأسس في عام 888 ميلادياً وتعتبره البونسكو أحد مواقع التراث العالمي.

(2) اسم مفعول من فعل كرمش- يكرمش- كرمشة بمعنى يجعده ويضم بعضه إلى بعض.

رأيت الورود في "هيان جينجوو" متناثرة

زهور متساقطة للربيع مفارقة

أخبأتها سرًا لتظل لي مرافقة؟

أضفت أبيات الشعر هذه بالقلم الرصاص في الهامش بعد شعر زوجها، ووضعت الورقة مفتوحة بمكانها نفسه فوق المكتب. حين عاد "تينوسوكيه" إلى بيته في المساء ودخل مكتبه لم يتحدث بأي شيء يفصح عن انتباهه للأمر، و"سانشيقو" أيضًا نسيت.

لكن في صباح اليوم التالي حين ذهبت "سانشيقو" لترتيب غرفة المكتب كعادتها، وجدت الورقة بمكانها كما كانت في الأمس، وإنما بعد أشعارها دوّن "تينوسوكيه" بخط يده الكلمات التالية:

في النهاية رأينا من الزهور بتلات

في الخفاء هي للربيع السعيد رفات

الفصل العشرون

- "عزيزى.. هيا فلتكملها، إن بذلت مزيدًا من الجهد فقط على هذا النحو ستبدع".

- "فعلًا، ولكنى إن فعلت لن يسعنى أن أتوقف".

صباح الأحد، وفى ذلك اليوم، أراد "تينوسوكيه" أن يدعو زوجته مرة أخرى لمشاهدة الأشجار النضرة مثلما فعلًا بـ"كيوتو" فى الشهر الماضى حين ذهبًا لرؤية الورد المتفتحة، لكن "ساتشيقو" منذ ذاك الصباح وهى فى مزاج سيئ وجسدها متعب دون سبب يذكر، فأجلا الخروج، وفى المساء تحمسا لإزالة الأعشاب الضارة من الحديقة.

حينما تملكا هذا المنزل لم يكن كل العشب بهذه الحديقة قد نما بعد، لكن المالك السابق حذرهما إن تركا العشب ينمو فلن يمكنهما حصره، وكان ذلك فى اتفاق البيع ولكنهما لم يأخذا بالنصيحة، و"تينوسوكيه" هو من دَعَم إنباته. والآن الأمر صار ذا شأن وكل مدى يزداد سوءًا مقارنةً بأى مكان آخر، وبالفعل خضاره تأخر عن المعتاد، وإمّا "تينوسوكيه" يأخذ على عاتقه مسئوليته لأنه هو من أيد وجوده، فهو يعتنى بالعشب عناية فائقة، لكن من أسباب سوء

ثمّوه أنه منذ أن بدأت براعمه في الظهور في أول الربيع والعصافير تأتي عليه وتلتقطه وتأكله. حين اكتشف "تينوسوكيه" ذلك وهو يبذل قصارى جهده لمنعها. بمجرد أن يحل فصل الربيع كل عام تصبح مهمته ملاحقة العصافير وتفريقها وإلقاء كل ما تطاله يده من حصي عليها، وتزعج أسرته أيضًا حتى إن أخواته بالقانون كثيرًا ما يقلن: "ها قد جاء موسم رمي الحصى لدى أخينا".

أيضًا حين تنشر الشمس دفئها، وتهب الرياح من وقت للآخر مثلما حدث اليوم، يرتدى بنطال عمل وغطاء رأس للبحر ويأخذ أمامه عربة وحقيبة الراعي وبالة جزّ العشب يبدأ في تشذيبه.

- "عزيزي.. نحلة، نحلة، نحلة كبيرة".

- "أين؟"

- "إنها هناك".

لقد تمكنوا من حجب الشمس بالتراس بوضعهم للستائر كما فعلوا العام الماضي.

مكثت "ساتشيكو" في الظل على مقعد من الجلد وخشب السندر، لكن النحلة جاءت خلصة على كتفها ثم اتخذت لها موضعًا فوق طبق مقليات صينية، وبعدها دارت لمرتين أو ثلاث حول أصيص زهرة الفاونيا وطارت نحو زهور حمراء وبيضاء متفتحة من فصيلة زنبقيات "هيراودو"، وظلت تطن بأزيزها.

حمل زوجها شوكة العشب ودخل شيئًا فشيئًا في العتمة بين الأغصان السمكية والأوراق الكثيفة للبلوط والخيزران بطور السياج السلكي على حدود حديقتهما، حتى صارت لا تراه من مكانها ولا يظهر منه إلا طرف قبعته الكبيرة من بين مجموعة زهور "هيراودو".

- "الناموس أعظم شأنًا من النحل، إنه يلدغ من فوق القفازات".

- "حسنًا. فلتكتفِ بهذا القدر إذا".

- "دعك من ذلك وأخبريني لم أنتِ في مزاج سيئ اليوم، ماذا حدث؟"

- "متعبة وسأخلد إلى الفراش، وإن لم تأتِ لأكثر من ذلك سأبتهج ويصفو بالي".

- "متعبة! ماذا بك؟"

- "رأسي ثقيل، أشعر بالغثيان وبالخمول في أطرافي. ماذا تظن؟ أهى أعراض لمرض عضال؟"

- "ماذا تقولين؟ إنه مجرد تعب أعصاب". ثم أضاف "تينوسوكيه":

- "حسنًا. اكتفيت".

قالها بصوت يملؤه الشعور بالارتياح، ونهض رافعًا الأوراق القاسية للخيزان وألقى بالسكين التي معه لزوم تقطيع الجذور التي أمام العربية، وخلع قفازيه، وجفف عرقه بظهر يده التي بها لدغة الناموس، وعلى الفور انحنى ممدًا فقرات ظهره، وبعدها فتح صنبور المياه بجوار حوض الزهور وغسل يده.

- "أليست بعوضة؟"

قالها وهو يصعد داخلًا للتراس ويحك رسغه بشدة حيث تورم واحمرّ لونه.

- "الربيع حلّ ومعه البعوض".

صاحت بها "ساتشيقو" وهي تتوجه للداخل، وبعد وقت عادت مرة أخرى ونزلت إلى الحديقة، وهذه المرة بدأت في التقاط أوراق الزهور الذابلة.

هذه الزنبقيات كانت منذ أربعة أو خمسة أيام في أوج تفتحها، وهي الآن قد ذبلت في غضون 6 دقائق وأصبحت قبيحة متسخة

ومنفصلة عن الزهور البيضاء وهى ملطخة بلون أصفر كالنفائات، ومع ذلك كانت تلتقطها "ساتشيقو" واحدة واحدة برفق وتلقيها بحرص، وبعدما تبقت سداة الزهرة⁽¹⁾ كما لو أنها لحيّة قطعها هى أيضاً بعناية.

- "أوف! جاء البعوض"، قالتها وهى تكمل ما تقوم به ثم استطردت:

- "المكان يلزمه تنظيف".

بمجرد أن جاء "تينوسوكيه" بجوار زوجته وهو يحمل حاوية مصيدة الناموس صاح:

- "يا للهول!"; ونظر بداخل عينيها.

- "ماذا؟"

- "إنه هنا، المكان ذو اللون الأبيض بعينيك".

لقد كانت تخفيه الشمس والآن تحت الظل وقبل أن يحل الظلام حين أخذها "تينوسوكيه" لحافة التراس وأوقفها فى أشعة شمس الغروب، قال:

- "إن ما بداخل عينيكَ أصفر اللون".

- "أصفر!"

- "نعم. بياض عينيكَ صار باللون الأصفر".

- "إدّا، ماذا عساي أن أفعل! أأكون مرض اليرقان⁽²⁾؟ إني لا أدري".

(1) العضو الذكري بالزهرة.

(2) اليرقان JAUNDICE هو مرض اصفرار الجلد والأغشية الملتحمة فوق بياض العين والأغشية المخاطية الأخرى، وذلك بسبب ارتفاع البيليروبين فى الدم، والاسم الدقيق لهذه الحالة هو "اصفرار الملتحمة".

- "لا أدري. هل أكلت شيئاً مليئاً بالدهون؟ ألم تأكل شرائح اللحم بالأمس؟"
- "بالضبط. هل تظن بسببها؟"
- "ممم. لا أدري إن كان كذلك أم لا، ولكن إن كنت تشعرين بالإعياء والغثيان فبلا خلاف هذا هو اليرقان".
- أصاب "ساتشيقو" الذهول مما قاله زوجها بلا داعٍ، ولكنها لا تقلق إلى هذا الحد حيال ما إن كان هو "يرقان" أم لا، بل على العكس سريعاً ما دبَّ بها النشاط وبدأت بعينها السعادة.
- "حسناً! إذا، دعيني أرى".
- وضع "تينوسوكيه" جبهته على جبين زوجته وقال:
- "أليست حرارتك مرتفعة؟! هيا، حالتك سيئة. استلقي في الفراش هيا وليأتنا السيد كوشيدا ليتفحصك".
- واصطحبها للدور الثاني وعلى الفور أجرى المكالمة الهاتفية بنفسه.
- إن السيد "كوشيدا" طبيب لديه عيادته الخاصة بالقرب من محطة "أشياجاوا"، وهو ماهر في التشخيص وذو موهبة متميزة. إنه صار ذائع الصيت للغاية بالمنطقة ويظل يومياً لما بعد الساعة الحادية عشرة ليلاً يجول بين الزيارات الطبية المنزلية دون حتى أن يتناول عشاءه، لذلك فهو ليس من السهل إطلاقاً إيجاده، وعليه، فبمجرد أن قال "تينوسوكيه": "فليأتنا"، همَّ ذاهباً إلى الهاتف في الحال. أجابه الممرض الذي يعمل لديه منذ زمن طويل: "أوتشيهاشي"، ونادى الطبيب بعد إلحاح "تينوسوكيه"، لكن حتى مع ذلك فإنه إن لم يكن المرض خطيراً لن يأتيهم على الفور كما يرغبون بل سيتجاهل الأمر، ولذلك اتبع "تينوسوكيه" سياسة التهويل وهو يصف له الحالة بالهاتف.

في ذاك اليوم أيضًا بعدما تعدت الساعة العاشرة وهم ما زالوا في انتظاره ظنوا أن السيد "كوشيدا" تناساهم، ولكن في اللحظة نفسها وقبيل الساعة الحادية عشرة بقليل سمعوا صوت توقف سيارة.

- "بلا شك هذا يرقان".

- "إنها أكلت الكثير من شرائح اللحم بالأمس".

- "ذاك هو السبب. أنكِ أكلتِ الكثير بوجبتك. من الأفضل تناول الحساء يوميًا".

كان السيد "كوشيدا" شخصًا أسلوبه في الحديث مألوف ويميل إلى الفكاهة، وبسبب انشغاله الدائم تجده يجرى فحوصه الطبية بسرعة وسلاسة، وهكذا يأتي ويذهب في عجلة كالريح.

منذ اليوم التالي و"ساتشيقو" تمضى حياتها مستلقية بغرفة بالمشفى، وبصرف النظر عن كونه مريضًا غير مؤلم فإن الوضع كان سخيًا وحالها كل مدى تسوء. من إحدى السخافات أيضًا أن الطقس كان كثيبًا، فقد كان الوقت قبيل الفصل المطير والجو حار عالي الرطوبة لا يصفو ولا يمطر، وربما بسبب استمرار ذاك الطقس السيئ انتابها إحساس كأنها ليس لها مكان لتأوى إليه، ولأنها لم تستطع الاغتسال لبضعة أيام جعلتهم يأتونها بمنشفة مبللة بالكحول ويبدلون لها ملابس نومها التي اتسخت بالعرق.

جعلت خادمتها "أوهارو" تفرك لها ظهرها، وفي ذاك الحين جاءت طفلتها ووقفت عن بُعد وسألتها:

- "أمي، المزروع هنا بين السريرين، ما هذه الزهرة؟ هل هي زهرة الخشخاش؟"

- "ماذا!!"

- "حين أنظر بداخلها أشعر كأنها ستبتلعني".

- "حقًا!"

بالطبع للأطفال أحاديثهم الواعدة، وهى بخلاف وضعها ووجودها بالمشفى أصبحت تمسك برأسها ويتابها ألم شديد، والسبب أمام عينيها مباشرة، فالصغيرة لم تتوقف عن السؤال "ولم هذا هنا؟" وغيرها من أسئلة على الشاكلة نفسها ظلت تطرحها. كلامها كله يدور حول أنه بالتأكيد هناك سبب لوجود زهرة الخشخاش بين السريرين، وهذه الزهرة حين تتفتح فى الحقول يكون لها جمالها الخاص، وإنما هكذا هى وردة واحدة فقط موضوعة بين سريرين وتعيش فى مزهريّة، مجرد رؤيتها فقط تعد شيئاً مرغّباً، "ستبتلعني"، واستفاضت "اتسوقو" فى رص كلماتها على ذاك النحو.

- "فى الحقيقة، أنا عن نفسى لدى الشعور نفسه، وإن كان على الكبار أن يقولوا العكس".

قالتها "يوكيقو" متعجبة، وأول شيء فعلته هو أنها أنزلت تلك الزهرة وبعدها جاءت بأصيص زهور الزنبق وزنبق النجمة الحمراء وبدأت تنسّقها. كان الألم الشديد الذى تعاني منه "ساتشيّكو" يجعلها لا تريد أى شيء على الإطلاق، ولكن زوجها علّق بسريرها أحياناً شعرية ذات سجع كانت دائماً تطلبها منه ليعبث بها بعض الحيوية، فكتب لها:

فصل قصير يمر سريعاً

فى "كاجاواكا جيه كى" المساء مطير

مساء مطير فى أعالي "أتاجو" ترعاه غيوم نهر "كيوتاكى كاوا"

ويبدو أن الأجواء تلك بغرفة المشفى كان لها بالغ الأثر، ففى اليوم التالى صارت "ساتشيّكو" مزاجها فى خير حال، وفى المساء وبعد الساعة الثالثة رن الجرس وبدأ أن هناك زائراً قادماً لها وسمعت

وقع الأقدام، وبالفعل جاءتها "أوهارو" تخبرها بوجود زوجة السيد "نيوو" وبصحبتها سيدة تدعى "شيموتزوما" وأخرى تدعى "ساجارا" بالاستقبال.

لم تلتق "ساتشيقو" بعائلة "نيوو" منذ زمن طويل، ولكنهم ذهبوا لزيارتها مرتين في أثناء غيابها لذلك جاؤوها بالمشفى، لكن "ساتشيقو" قالت يا ليتها جاءت وحدها كانت صعدت لغرفتها، فالسيدة "شيموتزوما" ليست من صديقاتها المقربات، وعلاوة على ذلك هي لم تسمع باسم "ساجارا" من قبل، ما جعلها ترتبك قليلاً. إنها بالطبع كانت تفضل أن تظهر "يوكيقو" بدلاً منها، لكن الأخيرة قطعاً لا تأخذ أى دور أمام غرباء أو أناس لا تعرفهم. إن استغلت "ساتشيقو" ظروف مرضها واعتذرت عن عدم لقاء الضيوف سيصبح الأمر لا يغتفر في حق أسرة "نيوو" التى تأتىها كل مرة عبثاً.

إنها أيضاً تعاني من الملل الشديد، لذلك كانت في حالة سيئة ومن حين إلى آخر تغفو وتستيقظ مراراً وتكراراً ما جعلها لا بد لها أن تعتذر عن هيئتها غير المرتبة. على أى حال هن في الاستقبال بالأسفل، فسارعت "ساتشيقو" بالجلوس أمام مرآتها وأخذت تمسح وجهها وتربّت على بشرتها بمساحيق التجميل البيضاء واستبدلت بثيابها رداء كيمونو صيفى، واستغرقت ثلاثين دقيقة حتى تنزل لمقابلتهن.

- "دعيني أقدم لك، هذه هي زوجة السيد ساجارا".

قالتها السيدة "نيوو" لـ "ساتشيقو" وأشارت لها بإحدى عينيها وأضافت: "معروف أنها عادت للتو من الخارج"، وكانت سيدة ملابسها على الطراز الأمريكى الخالص.

- "إنها صديقتى منذ عهدنا بمدرسة البنات. زوجها موظف بشركة ملاحية بحرية، لذلك حتى وقت قريب كان مقر إقامتهما في لوس أنجلوس".

- "أهلاً وسهلاً".

قالتها "ساتشيقو" وعلى الفور ندمت على لقائها هؤلاء الضيوف، فهي حتى إن لم تفكر في أول لقاء لها معهم وهي هزيلة هكذا بسبب المرض، فهي بكل حال من الأحوال لم تظن مطلقاً أن تلك السيدة مذهلة إلى هذا الحد وأنيقة على أحدث صيحات الموضة أيضاً.

- "إنكِ مريضة.. ممّ تعانين؟"

- "إنه اليرقان. انظري، حول صدقي عيّنِي إنه أصفر اللون".

- "فعلاً إنه أصفر للغاية. ألا تشعرين بالإعياء؟" سألتها السيدة "شيموتزوما".

- "فعلاً، لكن اليوم تحسنت كثيراً".

- "عذراً، لقد أزعجناكِ بمثل هذا الوقت. نيوو ألا تراعين؟ هيا، أولى بنا الانصراف".

- "ماذا؟ وبسببي ستظن أننا أناس سيئون؟ كلا يا سيدتي ماكي أوكا، في الحقيقة لقد وجدت السيدة ساجارا بالأمس فجأة وهي لا تعرف شيئاً بإقليم كانساي، ولذلك فأنا أتول مهام الدليل وقلت لها سأجعلك تقابلين سيدة هي مثال للعصرية كلها من أوساكا إلى كوبيه، ولديها كل شيء تتمنين رؤيته".

- "ماذا؟ مثال؟ ماذا تعنين بقول مثال؟"

- "يا للإحراج. أعني (مثال) بمختلف المعاني، ولقد فكرت طويلاً وفي النهاية وقع اختياري عليك".

- "أبدو حمقاء".

- " بالتأكيد بسبب ما تعانينه من مرض قلن تفضلى بمشاركتنا..
إِذَا.."

قامت السيدة "نيوو" ووضعت أغراضًا فوق مقعد البيانو، وفكّرت
رباطًا حول صندوقين أحدهما فوق الآخر مملوءين بثمار طماطم
رائحة كبيرة وجميلة للغاية.

- "هذه من السيدة ساجارا".

- "ماذا؟ يا لها من ثمار جميلة، من أين أتيت بها؟"

- "إنها من ثمار منزل السيدة ساجارا، وهى لا تبيعها".

- "آه الأمر هكذا! عفواً. السيدة ساجارا أين تسكن؟"

- "فى كيتا كاماكورا، ولكنى عدت العام الماضى ولم أمكث بذاك
المنزل سوى شهر أو شهرين فقط".

كانت السيدة "ساجارا" كلما قالت "فقط" أو "لذلك" قالتها
بطريقة غريبة، حتى إن "ساتشيقو" ذاتها لا تستطيع تقليدها، لكن إن
سمعتها "تائيكو" الموهوبة فى مثل هذه العادة لأصبح الأمر مضحكًا
لدرجة لا تحتمل.

- "إِذَا أين ذهبت أو قمت بجولات؟"

- "دخلت المشفى لبعض من الوقت".

- "ماذا؟ ممّ تعانين؟"

- "انهيار عصبى حاد".

- "يا ساجارا إنه مرض المرقّهين".

هكذا التقطت السيدة "شيموتزوما" أطراف الحديث.

- "لكن مهما كانت المدة التي مكثت بها بمشفى سيروكا فالأمر لا بأس به. الجو منعش فالبحر قريب خصوصًا أن المكان هناك جميل، لكن لأنه قريب أيضًا من السوق المركزي للبلدة فمن حين إلى آخر تأتي الرياح برائحة السمك، وكانت تأتي إلى مسامعي أيضًا أجراس معبد هون چان چی".

- "معبد هون چان چی له مبنى رائع، فلنذهب إليه يومًا وندق أجراسه".

- "والله، حقًا سنفعل!"

- "وماذا بها؟ حتى لو كان صغير إنذار وليس جرسًا سنطلقه أيضًا".

- "وبعدها ندق أجراس الكنيسة أيضًا".

- "حسنًا".

قالتها "شيماتزوما" في عجالة وتنفست الصعداء ثم أضافت:

- "إني سأصير ممرضة بمشفى سيروكا، ما رأيكما؟"

- "أظن أنه جيد حقًا".

وتملصت السيدة "نيوو" من الحوار بسلاسة، لكن "سانشيقو" بلغت مسامعها الشائعات حول أن السيدة "شيموتزوما" لا تعبأ بشئونها العائلية، وشعرت الآن بالدلالات الخفية لهذه الكلمات.

- "حسنًا، إذًا إن كان ما لديك هو اليرقان فإنه يفضل وضع كرات الأرز تحت الإبط".

- "ماذا؟"

قالتها السيدة "ساجارا" وهي تشعل قداحتها وتنظر إلى وجه السيدة "نيوو" في شك وحيرة وأضافت:

- "إنك تعرفين أشياء في غاية الغرابة".

- "إن وضعتِ كرات الأرز تحت الإبطين سيصير لونها أصفر حتى إنك ستظنينها اتسخت".

هكذا قالت السيدة "شيموتزوما".

- "سيدة ماى أوكا هل تفعلين ذلك؟"

- "كلا. أنا للمرة الأولى أسمع هذا الحديث. أعلم فقط أنه يفضل شرب الحساء".

فقالت السيدة "ساجارا":

- "يا له من مرض غير مكلف سواء بهذا أو بذاك".

ظنت "ساتشيقو" أنه ما دام جئن لها بهدية أعجبتها هكذا فلا بد لها من أن تدعوهن للعشاء وتعد الإعدادات اللازمة، لكنه ما زال هناك ما يقارب الساعتين على موعد العشاء، فتراجعت عن توقعاتها وتظاهرت بالتعب الشديد.

بالنسبة إلى "ساتشيقو" النماذج التى على شاكلة السيدة "ساجارا" هى شيء ردىء من حيث شخصيتها وسلوكها وأسلوب كلامها وهيئتها، مهما كانت تتبع صيحات "طوكيو" فى أحدث الماركات وأجودها.

إنها أيضًا كانت بين سيدات "هانشين" (1) حين تجد منهن من تستخدم لكنة "طوكيو" بطلاقة تأق أمامهن يخيب أملها، وبدلاً من أن تشاركهن الحديث ينتابها شعور بأن كل ما هو بلكنة "طوكيو" ردىء، وبالعكس تتمسك باستخدام كلماتها المحلية عن عمد، وعلى هذا النحو حتى مع السيدة "نيوو"، فـ"ساتشيقو" من عاداتها دائماً أن تتكلم بلكنة "أوساكا"، واليوم المجموعة كلها ترغب فى استخدام لكنة "طوكيو"، فظلت هى وحدها ولا تبالى بالتقرب إليهن. أما السيدة "نيوو" فهى أمضت طفولتها فى "أوساكا" وبدأت علاقتها بـ"طوكيو"

(1) عاصمة محافظة أوساكا.

حين التحقت بمدرسة بنات هناك واختلطت كثيراً بأهلها، فلم يعد من الغريب أن تتحدث هذه اللكنة بطلاقة.

فوق كل شيء، حين نزلت إليهن "ساتشيقو" بعدما تأخرت عليهن طويلاً، تفاجأت بما لم تكن تعرفه بعد، وهو أن السيدات صرن يستخدمن نظرات الأعين، ويقلبن شفاههن ويمسكن بالسيجارة بين إصبعي الوسطى والسبابة للتدخين في هدوء.

لهجة "طوكيو" إن لم تستخدم منذ البداية مع التصرفات والتعبيرات سيبدو أنك لا تعتادها، وللوهلة الأولى سيظنون أنك شخصية سيئة، وإنما "ساتشيقو" من الشخصيات التي لا تفشل إطلاقاً مهما طال صبرها وظلت لا تحرز تقدماً، لكن في ذاك اليوم تحديداً حين سمعت ثرثرتهن هن الثلاث شعرت بالضيق وصار الأمر كريهاً ومزعجاً للغاية واتضح هذا على لون وجهها، لذلك بادرت السيدة "شيموتزوما" بحركة ملاحية ونهضت وأجبرتهن دون أن تتراجع وهي تقول:

- "عفوًا، هيا نبوو، الأمور ليست على ما يرام. نستأذنك، هيا بنا".

الفصل الواحد والعشرون

لم تكن رحلة "سانشيقو" من المرض للشفاء قاسية للغاية، وإنما هي لم تتبدل للشفاء سريعًا، وكما بدا فإن تعافيتها امتد حتى بداية الفصل المطير.

في يوم ما تلقت مكالمة هاتفية من أختها الكبيرة بيت العائلة تود زيارتها للاطمئنان على صحتها، ولكنها في الوقت نفسه سمعت أمرًا مفاجئًا، أن أخاها بالقانون نال ترقية وأصبح مديرًا لفرع بـ"طوكيو"، ولا بد لهم في القريب العاجل من الانتقال من بيت العائلة في "أويه هون ماتشي" إلى "طوكيو".

- "ممم.. وهذا متى؟"

- "أخوك سيستلم مهام منصبه الجديد من الشهر المقبل، وعليه في البداية أن يذهب وحده دوننا إلى أن يتدبر أمر مسكن ثم سألحق به أنا فيما بعد، فأنا ما زلت عالقة بشأن مدارس الأطفال، وقد تمتد الحال هكذا حتى شهر أغسطس".

وبينما تروى هكذا اختنق صوتها بالبكاء، وكان هذا ملحوظاً حتى عبر الهاتف.

- "وهل حدث هذا فجأة؟"

- "بالضبط. إنه فجأة، حتى إن أخاك لم يسمع أى شيء عنه من قبل."

- "الشهر المقبل! موضوع سريع للغاية. وماذا عن بيت أوساكا؟"

- "لا أدري. ما زلنا نفكر. إن الذهاب إلى طوكيو أمر لم أفكر فيه حتى في أحلامي."

إن الأخت الكبيرة التى من عاداتها دائماً الحديث طويلاً عبر الهاتف، وتقطع المكالمات ثم تعاود الاتصال والثثرة مرة أخرى ومرة تليها، هى منذ ميلادها لم تبعد ولو لمرة واحدة عن أرض "أوساكا"، وبعدما صارت فى السابعة والثلاثين من عمرها صار لا بد لها أن تفعل. استمرت شكواها على مرّ ثلاثين دقيقة أخرى فى المكالمات بها ألم لا ينتهى.

بالنسبة إلى الأخت الكبيرة كل الأقرباء وزملاء زوجها بالعمل وغيرهم الكثير من الناس الذين يهنشون بالترقية ليس فيهم واحد -حتى واحد- يتفهم إحساسها. إن تجاهلتهم سيقولون عنها قديمة الطراز وعفا عليها الزمن والنهاية هى هى ذاتها لا أحد يشد أزرها حقاً ويتبسم فى وجهها مجاملاً.

بالنسبة إلى هؤلاء كلهم هذا ليس انتقالاً إلى بلد أجنبى بعيد مثلاً أو حتى إلى مناطق ريفية نائية، بل إنه عمل بقلب "طوكيو" التى هى مقاطعة إمبراطورية غنية عن التعريف، فما الذى يمكن أن يكون محزناً فى ذلك؟

إنها حين فكرت وبحثت في مكنون نفسها وجدت أنها بكل حال من الأحوال حزينة، حزينة حتى على فراق مناطق "أوساكا" التي اعتادت سكناها، وبأنهما دموعها صار الأمر مضحكًا حتى بالنسبة إلى الأطفال.

حتى حين أخبرت "ساتشيقو" وذهبت إليها وهي لا تزال متشككة، "ساتشيقو" أيضًا لم يسعها إدراك مشاعر أختها الكبيرة.

أختهن الكبيرة هي التي سرعان ما صارت بديلاً لأمهن ترعى أخواتها الصغيرات وأبيهن، وموت والدهن وبعدما صارت أخواتها في سن الرشد وجاءها عريسها صرن كإبنائهن، ومحور دورها مع زوجها حول استعادة أملاك الأسرة التي تتهاوى.

بين الأخوات الأربع هي الأكثر تحملاً للمشاق، أو بالأصح هي أكثرهن تلقياً للتعليم القديم، وهي الابنة الحبيسة للعقوبة الأصلية القديمة، وتمسك بها للآن، ولهذا فليس من الغريب أنها حتى هذا الحين مع زوجها الذي يعد من الطبقة الوسطى، وبعدما صارت في السابعة والثلاثين من عمرها، لم ترَ "طوكيو" ولو مرة واحدة في حياتها. الشائع في "أوساكا" أن بنات العائلات لا يغرجن للتجوال في رحلات مثل بنات "طوكيو"، وحتى أختيهما الصغيرتين اللتين بعد "ساتشيقو" نادرًا ما تذهبان للتنزه شرق "كيوتو"، لكن أخواتها الثلاث لديهن تجربة الذهاب إلى "طوكيو" مرة أو مرتين، فقد كانت لديهن فرصة الذهاب مع الرحلات المدرسية.

لكن الأخت الكبيرة سريعًا ما جعلتها الظروف مسنولة عن شئون الأسرة، لذلك لم يسعها الوقت لتذهب في رحلات وغير هذا.

من ضمن الأسباب أيضًا أنها كانت على قناعة بأنه ليست هناك أراضٍ أجمل من "أوساكا"، ففي الفنون لديهم ممثل الكابوكي الشهير "جانجيرو"، وفي المطاعم والأكلات لديهم "هارى بان" أشهر وأقدم

مطعم. ولأنها لم يسبق لها الذهاب إلى أماكن لم تعرفها من قبل، فإنها كانت حتى لو سئمت لها فرصة لتفعل كانت تقدمها لأخواتها الصغيرات وتفضل المكوث بالبيت، مقتصرًا دورها على الرد على الهاتف في أثناء غيابهن.

أما بيت العائلة في "أويه هون" الذي تسكنه حاليًا فهو الآخر على طراز "أوساكا" الأصيل. بمجرد العبور من بوابة السور العالي تجد منزلًا قائمًا بذاته، واجهته بها النوافذ ذات الإطارات المتشابكة والحديقة ممتدة من المدخل وحتى البوابة الخلفية. فقط الضوء الخافت في وقت الظهيرة يمتد لداخل الغرف من بين أشجار وزهور الحديقة التي إضاءتها بأعمدة من خشب الصنوبر اللامع. إنه تحفة معمارية.

الأخوات جميعهن لا يعلمن متى تم بناؤه، وفي الغالب بناه الأجداد منذ عشرات السنوات ليكون مقرًا إضافيًا أو لما بعد التقاعد، واستعاره فرع من العائلة والأقرباء، لكن أباهن في سنته الأخيرة استعاده ونقلهن جميعًا للعيش به اتباعًا لأحدث صيحة حينها بفصل مقر الإقامة عن المتاجر، فقد كان جميعهم حتى ذاك الحين يقطن بمتاجرهم برصيف الميناء، لذلك فهن لم يسكنه لفترة طويلة إلى ذاك الحد، وإنما في طفولتهن كان يسكنه بعض أقربائهن ولم يدخلنه سوى مرات معدودة، وبه لفظ أبوهن أنفاسه الأخيرة، ما يجعله له ذكرى خاصة لديهن.

بهذا، فمشاعر حبها لبلدتها مسقط رأسها "أوساكا" مرفق بها الكثير من المشاعر الجياشة نحو هذا البيت، الذي يشغل حيزًا لدى "ساتشيقو" أيضًا.

في الحقيقة حتى بالنسبة إلى "ساتشيقو" التي تستغرب من العقلية القديمة لأختها الكبيرة، فإنها بمجرد سماعها لذاك الخبر فجأة عبر

الهاتف انقبض قلبها على الفور، وأول ما فكرت فيه هو هل لن
يمكننا الذهاب إلى ذاك البيت أبدًا؟

بلغ مسامع "يوكيقو" و"تانيقو" الكثير من الثروات الخبيثة، مثل:
"ليس هناك أسوأ من ذاك المنزل، فإضاءة الشمس به غير صحية"، "أنا
لا أدري كيف هو شعور تلك الأخوات ليسكنن مثل ذاك المنزل"، "إنى
لو مكثت في ذاك البيت لأكثر من ثلاثة أيام سأمرض"، لكن أن يختفى
منزل أوساكا تمامًا فهذا شيء بالنسبة إلى "ساتشيكو" أيضًا يعنى اقتلاع
جذورهن من محل الميلاد، لذلك انتابها نوع من الشعور بالوحدة
المريّة.

في النهاية، خلاصة القول هي أن أخاهن بالقانون رب بيت العائلة
ترك تجارة العائلة والإرث وأصبح موظف بنك، ومنذ ذاك الحين وهو
يجب عليه اغتنام الفرص بتنفيذ أوامر نقله للفرع الإقليمي، مما
يعنى أن الأخت الكبيرة عليها ترك بيتها الحال في أى وقت، لكن الأمر
كان شأنًا مهملاً لم يتطرق إليه أحد من قبل حتى بالتفكير، ولا الأخت
الكبيرة ذاتها ولا "ساتشيكو" أو باقى الأخوات ولا مرة من قبل.

مرة وحيدة قبل عام 89 حين أرسل إلى فرع "فوكو أوكا"، لكن
"تاتسو أوو" حينها ناشدهم بأنه لديه أسباب عائلية تحول دون تركه
لبليدة "أوساكا"، فسمحوا له وفقًا لرغبته حينها بأن يظل بمنصبه
الحال دون زيادة لراتبه، ومن بعدها وهم في البنك يراعون حالته
الاجتماعية ويقولون عنه سليل العائلة العريقة، واستقرت الحال على
إقرارهم بأنه هو فقط لا يتم نقله. بالطبع ليست هناك موافقة
رسمية على ذلك، وإنما بطريقة أو بأخرى ترسخ بأذهانهم أنهم يمكنهم
الاستقرار في "أوساكا" دائمًا وللأبد، لذلك هذه المرة وقع عليهم الخبر
كصاعقة من السماء.

لكن هناك شيئًا ما في هذه المرة، هل السبب هو أن سياسة التنقلات بالمناصب العليا للبنك تغيرت، أم أن السبب هو أن "تاتسو أوو" ذاته يرغب في الترقى لمنصب أعلى حتى لو كان عليه أن يتعد عن "أوساكا" هذه المرة؟ على حد هذا القول يصبح الوضع هو أن رفاق "تاتسو أوو" يمضون قدمًا في التدرج الوظيفي في حين أنه هو ثابت بمكانه بلا حراك، وهو خائب الآمال بعض الشيء، وزاد عدد أطفاله مع ازدياد متطلبات المعيشة. وبسبب حركات التغيير في الاقتصاد العالمي فالإرث من أبيه بالتبني صار لا يمكن الاعتماد عليه كالسابق.

تشعر "ساتشيكو" أيضًا بأن إحساس أختها بالرحيل وأراضي موطنها تطاردها هو إحساس يرثي له، وفراقها للبيت يشعرها بالضيق، لذلك ظلت تذهب إليها في زيارات سريعة كلما استطاعت لتشد من أزرها كل يومين أو ثلاثة.

حادثتها أختها الكبيرة بالهاتف لتخبرها أنها لا تدرى متى سيمكنها المجيء إلى "أوساكا" والعودة مرة أخرى، وأن عائلة "أوطو يان" ستستأجر المنزل بإيجار زهيد في أثناء غيابهم، وبما أنه لم يتبق الكثير من الوقت على شهر أغسطس فلا بد لها من إعداد الحقائب، وهي ستوجد يوميًا بالمخزن فمئذ وفاة والدهن وكل المتعلقات والمفروشات المنزلية تتكدس به.

كانت "تسوروقو" كلما بدأت العمل بمكان ما تجد الأمر لا يجدي نفعًا، فالأمتعة تتراكم في أكوام كالجبال هنا وهناك، وكلما حددت إليها أصابها الذهول. بالطبع بين كل تلك الأمتعة هناك أشياء لا تحتاج إليها وربما تريدها "ساتشيكو"، لذلك طلبت الأخت الكبيرة منها المجيء وإلقاء نظرة، وكان هذا ما جاء بمكالمتها.

أما عن عائلة "أوطويان"، فاسمهم بالكامل "كاناي أوطويان"، الأب رجل عجوز يستخدم بيتًا له في "هاماديرا" لقضاء الإجازات، والآن تزوج ابنه وتوظف بمتجر "تاكاشيما" ببحر الشمال فأصبح هو وحده بلا أعباء، لكن أولاً وأخيراً العلاقة تظل بالزيارات المنتظمة، لذلك أقرباؤه هم من يتولون رعايته.

خرجت "ساتشيكو" مساء اليوم المشرق الذي تلقت به المكاملة الهاتفية الثانية من أختها، وذهبت لتري، ومن منتصف الحديقة كان يسعها أن تشاهد باب المخزن المفتوح على مصراعيه.

- "أختي".

ودخلت من الباب المفتوح وهي تنادي عليها، وكانت أختها بالطابق الثاني بذلك اليوم الرطب الحار فقد ابتداءً الفصل المطير، وكانت تمكث في الرائحة العفنة منهمكة في الأشياء التي ترتبها وتغطيها، والأمتعة تحيطها من كل جانب وتدوّن كل ما بالصناديق المتكدسة البالية التي أمامها، وبجوارها صندوق ملابس مستطيل كبير مفتوح غطاؤه ويمتلئ إلى آخره بصناديق صغيرة مغلقة.

أخذت الأخت الكبيرة أحد تلك الصناديق بحرص وفكت ربطته. كان به إناء مخبوزات فخاري وقنينة الخمر "الساي" من الخزف الياباني، تفحصتهما واحدة واحدة وأعادتهما مكانهما كما كانا، وقسمت الأشياء إلى جزء ستعمله معها وجزء ستتركه كما هو وجزء ستتخلص منه، لكن "ساتشيكو" سألتها:

- "أختي. هل تحتاجين إليها؟"

- "مممممم، ممممم"، وأشارت لها بيدها بجديّة وهي شاردة الذهن.

رأت "ساتشيغو" دون قصد حجر حبر ظاهرًا بداخل صندوق مع أختها، وتبادر إلى مخيلتها على الفور مشهد والدها حين اشتراه. إن والدها كان شخصًا يهوى جمع كل قيّم لا يختلف عليه اثنان من الأنثيكات من اللوحات والمخطوطات، لكن أحيانًا من حوله كانوا يجعلونه يتمسك بأشياء حمقاء كهذا الحجر الذي اشتراه بمئات من الينيات حين أخبره أحدهم أنه موجود بمتجر للتحف.

استحضرت "ساتشيغو" الموقف وبمخيلة كالأطفال ظلت تفكر هل لهذا الحجر أن يكون باهظ السعر هكذا، وهل لوالدها أن يشتري مثله دون أن يكون خطأً أو فناءً؟! لكنها سرعان ما شعرت بالسخف لأنه بالتأكيد اشترى مع هذا الحجر اثنين آخرين ليختم الأسهم. إنه بعد شرائه لهذا بعدة أيام أراد إهداء هدية لصديق مقرب إليه في احتفاله بعامه الستين، وكان شخصًا يكتب الأشعار الصينية وحاصلًا على دكتوراه في الطب، وبالفعل اختار عبارات التهنية التي يريد نقشها على الحجر، ولكن للأسف كانت بالحجر شوائب تحول دون النقش عليه، فاستعاد ما دفعه فيه من نقّاش الأختام الذي ابتاعه منه، لكن لأنه شيء تطلب مالاً باهظاً فلم يرّمه، ولمدة طويلة فيما بعد ظلوا يلحظونه بالقرب في مكان ما.

- "أختي، هذا، هل هو الحجر الدامي؟"

- "مممم".

- "هذا ليس هو".

- "حسنًا يا أختي".

كانت الأخت الكبيرة تضع على ركبتيها صندوقًا مكتوبًا عليه: "صندوق أوراق وأدوات مكتبية، مشغولات معبد قوداي جى"، وكان يستحيل فتح غطاءه القاسى المتشابك بأصابعها، واستحوذت عليها رغبة فتحه خصوصًا وهى لم يرد إلى مسامعها أى شئ من تلك الكلمات من قبل.

لم يكن بالغريب على "ساتشيقو" أن ترى أختها هكذا، فهى تعمل بمثل هذه الأجواء وتقف بحيز ليس به مكان لموطن قدم ومنهكة إلى حد يجعلها لا تسمع أحدًا. إنها ربة منزل حازمة يعجب بها كل من يسمع عنها، لكنها فى الحقيقة ليست شخصية صارمة إلى ذاك الحد، فبمجرد وقوع أى حادث بأى وقت فإنها تتفاجأ ثم تفقد وعيها، وبعد مرور بعض الوقت تبدأ فى مواصلة عملها بحالة من العصبية الشديدة، إن رأيتها فى موقف كهذا فى النهاية ستظنها زوجة مثابرة نشيطة لا تبخل ببذل كل قطرة دم، لكن ذلك فى الحقيقة تحفيز دون أن تدري ماذا تفعل وتصبح كأنها تتحرك بحلم.

- "ألا تظنين أن أختك الكبيرة غريبة الأطوار؟ كنت أحادثك بالأمس فى الهاتف ويختنق صوتى بالبكاء، فأنا مهما كنت أتحدث وأذرف الدمع فلا أحد يشاطرنى، ومن عاداى أن أخبرك أن تأيننى لأتحدث إليك، واليوم حين رأيته قادمة وتدخلين المخزن شعرت كأنى بعلم وأرتب الأغراض ولم يسعنى الرد عليك وأنتِ تناديننى أختى".

حين عادت "ساتشيقو" فى المساء أشاعت بين أخواتها ما دار من حديث بينها وبين أختها الكبيرة.

- "أختى الكبيرة، أهى من تتحدثين عنها حقًا؟"

- "إنها حتى حين رأيته، وحتى الآن كلما هدت قليلًا سرعان ما تعود للبكاء مرة أخرى".

في منتصف اليوم التالي جاءت مكاملة لـ "يوكيقو" من أختها الكبيرة تريد منها المجيء، فخرجت وهي لا تدري بأي حالة سترها هذه المرة، ولكنها مكثت معها أسبوعًا.

- "ها قد انتهينا من ترتيب معظم الأمتعة، لكنك ما زلت بمزاج عصبى"، قالتها "يوكيقو" وضحكت.

لقد قالت لها هذه الكلمات لأن أختها الكبيرة نادتها، ثم علمت أن والدي زوجها سيأتيان من "ناجويا" في زيارة لتودعيهم فعادت وطلبت منها الرحيل، وبالفعل وصل والداه مساء اليوم التالي الذي كان يوم السبت وعادا أدراجهما في وقت متأخر من ليل الأحد، وسريعًا ما جاء اليوم الخامس والسادس من الشهر. كانت الأخت الكبيرة في أثناء ذلك تذهب إلى غرفة المكتب يوميًا لتخط مخطوطات فنية. كان لديها شعور بأنه يجب عليها توجيه رسائل الشكر لكل بيت وكل مكان وجدت به، بدايةً من بيت عائلة زوجها في "ناجويا" ومرورًا ببيوت أقرائها، وكانت تستمتع بذلك وهي وحدها بعيدًا عن الناس. كانت تلك مهمة كبيرة بالنسبة إليها، وفكرت في أن تكتب أنها بمضجعها أخت بالقانون لـ "تانسو أوو"، وهي زوجة الأخ الكبير رب العائلة، وهي المرأة الماهرة في فن الخط، لذلك فهي لا تنهزم.

هذا أشعرها بالتوتر أكثر وأكثر. إنها عادةً حين تنوى كتابة خطاب لأخوات زوجها الكبيرات في "ناجويا" تأتي بقاموس ونماذج لعبارات يمينًا ويسارًا على المكتب، وتبحث جيدًا كي لا تكون أي مخطوطة على نمط الخط الصيني المختصر الذي تصعب قراءته على من لا يعتاده، وتحرص أيضًا على انتقاء الكلمات، وبكثير من المرات تكتب مسودة أولًا، وعلى هذه الحال قد تستغرق كتابة الجواب الواحد يومًا بكامله، لكنها هذه المرة تكتب نحو خمسة أو ستة خطابات دون أن تستهون بإعداد المسودات أو تكتبها بطريقة سهلة، وأمضت

يومها في التدريب، وظلت تسأل "ساتشيقو": "أجيد هكذا؟ أم أعيده
لمرة أخرى؟"، وتناقشت معها بعدما جعلتها ترى المسودة. إنها اليوم
منذ أن خرجت "يوكيقو" إلى أن عادت وهي لم تكتب سوى نسخة
واحدة على هذه الحال.

- "حسنًا، على أي حال أغتني الكبيرة حين تذهبن إلى منزل
سيادة المدير التنفيذي لإلقاء التحية، عليك إلقاء خطبتك من
الذاكرة وستجدين الموضوع سهلاً كأنك تتاجين ذاتك".

- "لا يمكنني فعل ذلك، فالحديث الذي سأقوله كتبته فجأة وأنا
أحاول تمالك نفسي كي لا تنهمر دموعي الحزينة، لكن لا داعي
للقلق من الآن فأنا استعددت بقدر استطاعتي، وقد أذهب
إلى طوكيو سريعًا في أول يوم بالشهر دون القيام بهذه الزيارة.
سيتفاجأ الأقرباء، ولكني آسفة".

- "حقًا إنك تفضلين العيش هكذا".

ولبعض من الوقت قامت الأخوات الثلاث بوضع أختهن الكبيرة
على لوح التقطيع وانهلن عليها بمثل تلك العبارات واستمررن في
حديثهن الضاحك.

الفصل الثانى والعشرون

كان "تاتسو أوو" يتردد على المتاجر فى "مارو أوتشى" منذ اليوم الأول بشهر يوليو، فهو بادر بالذهاب من أواخر شهر يونيو ويتطفل على منزل أقربائه فى منطقة "أزابو"، ويبحث بنفسه عن منزل للإيجار فى متناول يده، ويبحث له الآخرون أيضًا، وبعدما وجد واحدًا فى حي "أوومورى" أرسل لعائلته خطابًا بأنه استقر رأيه على ذلك. وعليه، بعدما انتهت احتفالات "جيزو" فى شهر أغسطس، استقلت عائلته قطار المساء فى يوم الأحد التاسع من الشهر، وكان "تاتسو أوو" قد عاد إلى "أوساكا" قبل يوم أى السبت. جاء أقرباؤه وأصدقاؤه المقربون لنوديعه رسميًا بالمحطة حين رحيله ذاك المساء.

كانت الأخت الكبيرة "تسوروفو" منذ بداية شهر أغسطس وهى يوميًا تزور بيتًا أو اثنين من معارف وأقارب زوجها لإنقاء التحية، إلى أن انتهى بها المطاف حيث لا بد لها أن تفعل، وذهبت إلى البيت الفرعى فى "أشيتا" للمبيت لبضعة أيام عند "ساتشيفو"، هذا بجانب زيارة الوداع الرسمية. إنهن كن مشغولات الفكر دائمًا بالترتيبات الفائقة لكل شيء، أو بالأحرى قول إنهن يعهـلن بكل ما بهن من

قوة وبلا راحة بسلوك أشبه أن يكون غريب الأطوار، وإنما وفقًا لطبعهن وخصوصيتهن هن الأربع التى لم يجدنها منذ أمد طويل، وكن يتمهلن آسفات على ما تبقى لهن من وقت بإقليم "كانساي"، وأردن أن يتناسين كل شيء وكل أحد، وظللن منتظرات انصراف السيدة "أوطويان" ليرتدين الملابس الخفيفة، وتركن عبء الصغيرات الثلاث للمربية التى اصطحبتهن بالفعل.

لكن فى الحقيقة لا بد من التفكير هنا، ترى كم من عدد سنين تطلبه الأمر لتجتمع أربعتهن هكذا تحت سقف واحد وبمضين وقتهن بالثرثرة دون قيد ودون حدود؟!!

إن "تسوروقو" لم تذهب إلى بيت "ساتشيقو" فى "أشييا" إلا لمرات معدودة، وإن ذهبت لتراهم لا تمكث لأكثر من ساعتين فى فاصل بين مهامها المنزلية.

أما عن "ساتشيقو" فهى حتى إن ذهبت لزيارة بيت "أويه هون" يلتف حولها الصغار جميعهم ولا يدعون أى مجال لتبادل الأحاديث حيث لا هدوء على الإطلاق، مع أنه لو سئحت لهما فرصة على الأقل لتبادل الأحاديث، خصوصًا أن لكل منهما حياة زوجية، لكان من الأفضل، لذلك هذه المرة كان استمتاعهما هما الاثنتين على وجه الخصوص وتحديثهما فى مثل تلك الأحاديث وسماع كل منهما للأخرى فى مواضيع متراكمة منذ عشرات السنوات منذ أن كانتا فتاتين.

لكنهن الآن بعدما جاء هذا اليوم واجتمعن للمبيت معًا، فإن الأخت الكبيرة بدلاً من ذاك الحديث نادتتهن لتتال قدرًا من التدليك قبل كل شيء، وبدت كأنها حل بها فجأة تعب عشرات السنوات، وظلت من الظهيرة بغرفة النوم بالطابق الثانى وهى فى حالة من السعادة لكونها تستلقى كما يحلو لها.

وعلى الرغم من أن "ساتشيقو" كانت تنوى أن تدعو أختها الكبيرة إلى متجر طعام صينى ببلدة "نان كين" وإلى فندق "أورينتال" لأنها لا تدرى الأماكن في "كوبيه" جيداً، فإنها في ذاك الحين بدلاً من أن تصطحبها في هذه الجولة استلقت ومددت رجلها واسترخت دون أن يلحظها أحد، وبسبب الحر القاطظ اكتفين بوجبة خفيفة من الأرز مع الشاي دون أن يجعلن "ساتشيقو" تقدم لهن أى وجبة ليتناولنها، لكن في اليوم الثالث ودون الخوض في حوار حول ما سيقمن به وأمضين وقتهن في التجوال.

بعدما عادت "سوروقو" بعدة أيام ولم يتبقى على مغادرتها سوى يومين أو ثلاثة، جاءتهن للزيارة على حين غرة امرأة عجوز، وهى الجدة "طومى ناجا". إنها الأخت الصغيرة للمرحوم أبيهن. كانت "ساتشيقو" حتى ذاك الحين وهى لم تلتق الجدة من قبل، فظلت تخمن ما الذى جاء بها وجعلها تخرج من بيتها في يوم حر كهذا. على الأرجح كانت تدرى "ساتشيقو" تمامًا بذاك الشأن الذى أتى بها. وكما ظنت بالضبط المشكلة تتعلق بـ "يوكيقو" و"تائيقو". باختصار إن كانت إلى الآن كلتا الأختين تتردد على البيت الرئيس بـ "أوساكا" ذهابًا وإيابًا بلا أى قيود، فمن الآن فصاعدًا لا يمكن أن يستمر الوضع هكذا. فلأنهما في الأصل مكانهما بيت العائلة فلا بد لهما من الذهاب معهم إلى "طوكيو".

بالنسبة إلى "يوكيقو"، فهى لا يلزمها أى ترتيبات خاصة للانتقال، فمن الغد تعود إلى بيت العائلة بـ "أويه هون" وتظل معهم، أما عن "تائيقو" فبسبب عملها قد تتأخر على نحو أو آخر من أجل تسوية شئونها وما باليد حيلة، لكن لن يزيد الأمر عن شهرين بالتأكيد، ولا تجعلوها تتوقف عن مزاولة عملها ولا مانع من أن تنخرط في العمل وتصنع الدمى هناك بـ "طوكيو". بالتأكيد ستجد هناك تسهيلات

قطعاً هو شخص ليس كما يظنون، فهو ليس لديه أى مشاعر سيئة حيال أى من الأختين. إنه فقط الأشخاص الذين أصلهم من "ناجويبا" طريقة تفكيرهم غاية في الانضباط، ويمثل هذه الحالة وكونهما تفضلان البقاء في "أوساكا" دون الذهاب إلى بيت العائلة. سيكون بالنسبة إليه الأمر متعلقاً بالكرامة وصعب أن يذكره أحد، فالوضع سيئ من حيث المظهر العام، وإن تجرأ أحد وطرحه عليه فلن يسمع، وبعدها سيكون على "تسوروقو" أن تعاني ويلات هذا المأزق.

بهذا، فالمطلوب من "ساتشيقو" هو الاقتحام. إن كلتا الأختين ستستمتعان لما تقوله، وإنما ألن تكون مهمة إقناعهما صعبة حتى لو كانت حيل "ساتشيقو" ماهرة؟

الورطة هي أن الكل سيسيء فهمها، فإن لم يعودا إلى بيت العائلة سيظنون أنها هي السبب وراء ذلك، أليس كذلك؟

لقد صارت زوجة بالغة ولديها القدر الكافي من الحنكة، وإما كل هذا الكلام الكريه في النهاية بمَ سيجدى؟ إنها لم تعد طفلة يسحبونها من يدها ولا بد لها من غوض النقاش، فهي أكثر أحد له تأثير وبدلاً من أن يتحدث أى أحد آخر.

تساءلت الجدة:

- "اليوم هل يوكيقو وأختكن الصغيرة هنا بالبيت؟" وقالتها بأسلوب قديم بكلمات رصيف الميناء، فانجرفت "ساتشيقو" بالتيار وأجابتها بالأسلوب القديم نفسه:
- "إن تائيكو مشغولة للغاية، نادراً ما تعود".
- "إدّا، يوكيقو هنا. فلتناديها".

اختفت "يوكيقو" على الفور بمجرد سماعها لصوت الجدة على البوابة. في الغالب فعلت كالأطفال وهربت لغرفة بالدور الثاني، وحينما صعدت "ساتشيقو" لترى بالفعل وجدتها بغرفة المعيشة كما توقعت. كانت جالسة بفراش الصغيرة تلقى برأسها ومستغرقة في التفكير، ورأتها أختها من بين فتحات ستارة الخيزران وقالت لها:

- "يوكيقو ماذا بك، ما الأمر؟"

- "..."

- "لقد جاءت الجدة".

حسب التقويم، فإنه قد بدأ الخريف، ولكن منذ بضعة أيام عاد الحر مرة أخرى. منذ السبب الماضي والجو مثقل بحرارة لا تتغير، وعلى غير المعتاد تجلس "يوكيقو" بهذه الغرفة سيئة التهوية وهي بملابس حريرية من قطعة واحدة من خامة "كريب جورجيت". إنها تعلم أن جسدها النحيل لا تناسبه الملابس الغربية لذلك بالصيف بوجه عام عادةً ما ترتدي الكيمونو الصيفي وتعتقد حزامه، لكن في الأيام شديدة الحرارة لا يمكنها الاحتمال، وفي منتصف اليوم وحتى المساء ترتدي مثل تلك الملابس الغربية أمام أفراد أسرتها فقط وتتجنب أن يراها "تينوسوكيه"، لكن حدث أن رآها مرة للحظة من قبيل الصدفة، وحينها تنبه لكون الجو شديد الحرارة.

يشف الرداء الحريري بقماش "الكريب جورجيت" ذو اللون الأزرق عما تحته من تجاويف بعظام كتفها، فهي نحيلة إلى حد يرثى له، وحين ترى ذراعها وكتفها النحيلة مع بياض بشرتها تعتريك قشعريرة من البرودة وفجأة تتصبب عرقًا، وحتى إن كنت لا تعرفها ففي النهاية حين تحقق إليها ستجد نوعًا من الانتعاش بالتأكيد.

- "إن أختنا سترحل في الغد، وتريدنا أن نجعلكما تغادران معها معًا. هكذا قالت".

التزمت "يوكيقو" الصمت وظلت معلقة رأسها وذراعاها تتدليان على جانبها بفتور كأنها دمية عارية من الفلكلور الياباني، ثم أنزلت قدميها الحافيتين على كرة مطاطية كبيرة يلعبون بها كرة القدم وعلى دمية لـ "اتسوقو" متدحرجة تحت الفراش، فأدارت الكرة ببطن قدمها كما تفعل حين تتحمس للعب أحيانًا، ووطئت برجليها موضعًا آخر.

- "ماذا عن تايقو؟"

- "للتو قالت إن لديها مشاغل عملها وبالطبع لن يمكنها المغادرة. ولكن ماذا عن رأي أخينا الكبير؟"

- "..."

- "إنها جاءت لتقنعني أن هناك أفضل لكما، وفي النهاية هي تظنني أحتجزك هنا يا يوكيقو. بكل حال من الأحوال إن وضعت نفسك مكاني ستجدين الوضع مزرئيًا".

ظنت "ساتشيكو" أنها تعاملت مع "يوكيقو" بلطف، في حين أن كل اللوم عليها لأنها تستغل "يوكيقو" بدلاً من أن تجلب معلمة لأسرتها، وهي تتحدى ذلك بقوة.

ما يأخذه الناس عليها هو أنه كيف للأخت الكبيرة بيت العائلة أن تربي وحدها أطفالها جميعهم، في حين أن الأخت التي بالبيت الفرعى لديها طفلة واحدة ولا تتحمل متاعبها وتستعين بمساعدة غيرها.

إلى أي مدى تفكر "يوكيقو" على هذا النحو؟

حتى لو هناك عرفان بجميل أختها الصغيرة، إلا أنها بداخل قلبها كام تشعر كأنها انجرح كبرياؤها. إذًا هي الآن تستفيد من "يوكيقو"

ولكنها حتى لو لم تكن موجودة عندها فـ"ساتشيقو" ذاتها لا تنوى تحمل عبء تربية الصغيرة وتهذيبها.

إن رأيت "يوكيقو" وهى تعود مبكرًا بالمساء من أجل الصغيرة، ستدرك على الفور أن "ساتشيقو" شخص لا يمكن الاعتماد عليه.


بالنسبة إلى الصغيرة "اتسوقو" أيضًا إن لم تكن "يوكيقو" موجودة لظلت وحيدة. إنها ليست بالطفلة غير المطيعة، وإنما يبدو جليًا أنها ستعانى من الوحدة من الآن فصاعدًا. "يوكيقو" أيضًا لديها مخاوفها من إصرار وبكاء الصغيرة دائمًا.

إن "ساتشيقو" بالتأكيد تريد راحة أختهن التى تأخر زواجهما، ولكنها فى الوقت نفسه لا يمكنها تصعيد الأمر لدرجة أن تعصى أخاها الكبير، لذلك هناك طريقة قد تجدى نفعًا وهى أن تذهب إلى بيت العائلة بعدهم ثم تصطحبهم ليعودوا معها، وحينها تحاول إقناع أخيها وتنفذ أوامره. بهذا، حتى إن عادت دون "يوكيقو" فستكون قد أدت ما عليها ولا غبار عليها بعد، ولن ينظر إليها الناس و"يوكيقو" النظرة المليئة بالتساؤلات.

- "هيا فى الحال التقي الجدة طومى ناجا وعودى".

أصغت لها "يوكيقو" دون أن تنطق بكلمة، لكن بعدما أفصحت "ساتشيقو" عن نواياها لم يصبح لديها أى أفكار سوى اتباع ما نصحتها به، وبتفهمها للوضع صار الموقف كئيبيًا، فقد قالت لها:

- "حتى إن ذهبت إلى طوكيو فقد تأتين وتظلين بالجوار. لقد دار حوار مؤخرًا على أن السيدة چينبا ستأتينا لأنها لديها حديث ما، فلإن كان الأمر لترتيب مقابلة زواج فبالأكيد لا داعى لذهابك ولببقى الوضع كما هو عليه، وإن لم تسر الأمور على ما يرام فستكون فرصة لإنهاء الوضع".

12  14

— "إِذَا فلتعودي في الغد إلى بيت العائلة يا يوكيقو ولا تخلفي موعدًا. هيا، فلتقابلني الحدة دون غضاظة".

جهزت "يوكيكو" حالها واستبدلت الكيمونو الصيفى بملابسها الحربية، وسبقها "ساتشيكو" ونزلت إلى غرفة الاستقبال مرة أخرى.

- "ها هي يوكيكو ستنزل. هي على علم الآن وتفهممت الوضع فلا تتحدثي معها في أي شيء أبدًا".

— "ها هي يوكيفو ستنزل. هي على علم الآن وتفهمت الوضع فلا تتحدثي معها في أي شيء أبدًا".

شعرت الجدة بالرضا تمامًا. وفي أثناء هذا عاد "تينوسوكيه"، وطلب من الجدة أن تتمهل حتى لتناول طعام العشاء، لكنها فضلت أن تسرع وكانت آسفة لعدم مقابلتها للأخت الصغيرة وأوصت "ساتشيقو" أن تبلغها السلام بعدما انتظرتها لمزيد من الوقت ثم انصرفت.

لكن مساء ذاك اليوم المشرق خرجت "ساتشيقو" و"يوكيكو" بعدما سلمتا على الصغيرة، على أن تخرجا وتعودا بعد قليل، وإنما كان مع "يوكيكو" بعض الأغراض الخاصة بإقامتها في "أشيئا" من ملابس أنيقة وأخرى مريحة، وبعض الأشياء الخاصة من ملابس داخلية وملابس خفيفة تعد ضرورية بالنسبة إلى هؤلاء الأخوات الثلاث، ولفافة صغيرة من قماش الكريب بها رواية واحدة، وحملتها "أوهارو" التي ستوصلهما إلى محطة "هانكيوو" ومن بعدها ستخف أعباؤها بعدم رؤيتهما لبومين تقريبًا.

بالأمس الصغيرة أيضًا فور رؤيتها للجدّة "طومى ناجا" ذهبت للهو عند عائلة STOLZ. وفي المساء جاؤوهم للمرة الأولى ليعرضوا المساعدة إلى أن تذهب "ساتشيقو" وتعود، فقد أخبرتهم الصغيرة بالأمس، وكما توقعت "ساتشيقو"، انتهى كل شيء دون حاجة إلى ملاحظتهم.

في يوم المغادرة استقلت عائلة "تاتسو أوو" قطار الثامنة والنصف مساءً من محطة "أوساكا"، الزوجان ومعهما ستة أطفال أكبرهم في الرابعة عشرة من العمر و"يوكيقو"، أى تسعة أفراد من العائلة ومعهم خادمة ومربية أطفال، فيصير جميعهم 11 شخصًا.

كان لابد لـ "ساتشيكو" أن تذهب لتوديعهم، لكنها بذهابها ستخاطر الأخت الكبيرة في البكاء فور أن تراها وستنضم إليها "ساتشيكو" بالتأكيد، لذلك امتنع "تينوسوكيه" عن الذهاب مع زوجته وذهب وحده، لكنه سرعان ما خرج من غرفة الانتظار إلى ساحة الاستقبال واختلط بمئات الحشود المجتمعة لوداعهم بمن فيهم فنانة تحظى برعاية العائلة، وفتاة "جيشا" متقاعدة، وصاحبة فندق ياباني، وغيرهم، وكما توقع، دون أى سلطة كسالف عهدهم أخلت أسرة رفيعة الشأن ذات نسب للعائلات العريقة مكانها بموطنها الأصلي.

أما عن "تائيكو"، فهي لم تطل بوجهها على بيت العائلة حتى اليوم الأخير لتتملص هربًا، وفي النهاية قبيل رحيلهم هرولت للمحطة وبغاية السهولة فقط ألقت التحية على أختها وأخيها العالقين بالزحام، لكن بعودتها وفي أثناء سيرها من الرصيف إلى حاجز التذاكر: - "عذرًا. أليسَ أنتِ ابنة عائلة ماى أوكا؟"

وناداهما من خلفها ذاك الصوت، والتفتت لترى امرأة عجوزًا تدعى "ساكا إيه" ذات صيت واسع بمدينة "شينماتشى"، ومغضومة بالمرسح.

- "نعم، أنا تائيكو".

- "حضرتك يا تائيكو أيهن؟"

- "أنا الابنة الأخيرة".

- "الابنة الصغيرة! لقد كبرتِ للغاية، كنتِ للتو تخرجت في مدرسة البنات".

مكتبة

t.me/soramnqraa

واعتللت الضحكة وجهها. إنها في كل مرة تراها تظنها الابنة الصغيرة ذات الاثنى عشر عامًا، التى تخرجت للتو في مدرسة البنات. إنها اعتادت التلاعب في مثل هذه المواقف.

هذه العجوز منذ أن كان أبوهن في عز مجده وهى عجوز بصحة جيدة، وكانت تأتيهم بيت رصيف الميناء لإلقاء التحية، وكان المألوف عند "تانيقو" وهى طفلة لم تبلغ العاشرة بعد أن نخبر كل أفراد العائلة بمجىء هذه العجوز: "السيدة ساكا إيه، السيدة ساكا إيه".

كان هذا منذ سبعة عشر عامًا تقريبًا. إنها الآن لم تعد صغيرة إلى هذا الحد إن خمّنت بالتقريب سنّها آنذاك وأضافت إليها السنين منذ ذاك الحين، والمثير للدهشة أنها في تلك الليلة كانت ترتدى قبعة وملابس تجعلها غاية في الأنوثة، ومع ذلك تعرفت عليها.

- "كم من العمر تبلغين الآن؟"

- "لم أعد صغيرة لذاك الحد".

- "وهل تتذكرينى؟"

- "نعم. أعرفك، إنكِ السيدة ساكا إيه. تغيرت قليلًا عن ذاك الحين".

- "التغير هو الحقيقة التى لا مفر منها، لقد صرت جدة الآن. وأنتِ؟ لم لم تذهبي إلى طوكيو؟"

- "إنى في الوقت الحالى أقيم مع أختى الوسطى فى أشيّا".

- "حسنًا لقد ذهبت الأخت الكبيرة وأخوك رب العائلة، وستظلان وحدكما. يا للوحدة".

خرجت "تائيقو" من حاجر التذاكر وتركت "ساكا إيه"، وعلى الفور بعد عدة خطوات:

- "ألسِتِ أَنْتِ تائيقو؟"

ومرة أخرى ينادى عليها ويستوقفها أحد، لكن هذه المرة كان رجلاً أبيضاً.

- "يا للزمن. أنا كاي هارا، جئت هنا من أجل السيد ماي أوكا فقد تمت ترقية".

إنه رفيق "تاتسو أوو" من أيام الجامعة، وتوظف في إحدى شركات "ميتسوبيشي" بمدينة "قووراي باشي" في "أوساكا"، ومنذ أن انضم "تاتسو أوو" إلى عائلة "ماي أوكا" وهو عزب ولا يزال وباستمرار يأتي للتنزه، لذلك تعتاده أخوات "تسوروکو"، لكنه تزوج فيما بعد ونُقل إلى فرع لندن ومكث في إنجلترا نحو ست سنوات، ثم استدعوه منذ قرابة الثلاثة أشهر إلى مقر الشركة الرئيس في "أوساكا"، وسمعت "تائيقو" شائعات حول عودته من الخارج مؤخرًا لكنها لم تلتقيه منذ تسع سنوات تقريبًا.

- "لقد لاحظتك منذ قليل أختي الصغيرة".

قالها مباشرة "كاي هارا" وهو يستوقفها منادياً إياها بـ "أختي الصغيرة" كما كان يفعل بسالف عهده.

- "مر وقت طويل حقًا. متى آخر مرة رأيتك فيها؟!"

- "ها أنت مرة ثانية. مبروك عودتك بسلام".

- "آه شكرًا. في الحقيقة رأيتك الآن على رصيف المحطة وقلت بلا شك إنها أختي الصغيرة. ما زلتِ تبدين صغيرة".

- "مم ممممم". وضحكت "تائيقو" مراوغة بالضبط كما فعلت منذ قليل.

- "إذاً يوكيقو هي من رافقتهم وركبت معهم القطار".

- "بالضبط".

- "لقد أقيت التحية عليها. إن اثنتيكما حقًا في ريعان الشباب. آسف على ما قلت ولكنى وقتما أراك أتذكر أيام رصيف الميناء باستمرار، وهذه المرة حين عدت كنت متأكدًا من أن يوكيقو تزوجت وبالطبع وأنتِ ربما كذلك، وظننت أنكما بالفعل أصبحتما زوجتين أو أمين رائعتين، لكن حين سمعت من السيد ماي أوكا أنكما ما زلتما أنستين! فما هذا؟ إنى ابتعدت عن اليابان نحو ست سنوات بكاملها أراها كأنها حلم طويل. إنه من السيئ أن أذكر ذلك ولكنى أشعر كم هو الأمر غريب، خصوصًا أنى بهذه الليلة حين رأيتهما أنتِ أختى الصغيرة ويوكيقو أصابنى الذهول مرتين، فكلتاكما لا يبدو عليهما السن مطلقًا حتى إنى شككت فى عيى".

- "مم. ممم".

- "كلا، حقًا وليس مجاملة. إذاً أليس غريبًا ألا تتزوجى وأنتِ فى غاية الشباب هكذا؟"

قالها وهو يتفحصها من رأسها وحتى أخمص قدميها، ومن قبعتها حتى حذاءها فى شغف.

- "حسنًا، وساتشيقو الليلة؟"

- "أختى ممتنعة عن كل شيء وتظل تبكى لفرقة الأختين التى لم نعتدها".

- "ماذا؟ أهذا هو السبب؟ إنى حين أقيت عليها التحية كانت تفرق عيناها بالدموع، ولكن لم؟ فالمكان لا بأس به للآن".

- "تقصد أما زال هناك من يبكي لمجرد الذهاب إلى طوكيو! ها نحن ذا. لقد أضحكناك".
- "كلا الأمر ليس كذلك، فأنا مثلاً بعد طول أمد تمكنت من رؤية فتيات يابانيات بمكان ما.. كم كنت أفتقد ذلك. أختي، أتبقين في إقليم كانساي من أجل عملك؟"
- "نعم إنى أمكث هنا وفقاً لمهام عملي".
- "سمعت أنك فنانة، سمعت عنك، إنه لشيء عظيم".
- "أبدو حمقاء. الأمر يختلف عنه في إنجلترا".
- وتذكرت "تائيقو" أن "كاى هارا" يحب الويسكى، وشعرت بأنه سيرغب في قضاء مزيد من الوقت معاً هذه الليلة. على أى حال لا بأس من احتساء الشاي بأي مكان بالجوار لكن..
- وسرعان ما تراجععت "تائيقو" عن الفكرة وأسرعت باتجاه محطة "هانكيوو".

الفصل الثالث والعشرون

عزيزتي..

منذ ذاك الحين وأنا مشغولة للغاية. يوميًا لا أجد متسعًا من الوقت لأكتب لك أو أتواصل معك. أستمعك عذرًا.

مساء رحيلنا، وفور أن انطلق القطار انهمرت كل الدموع الحبيسة بعيني أختي، ثم بعد فترة وجيزة ارتفعت حرارة الصغير "هيدبو" وآلمه بطنه وظل يتردد ذهابًا ومجيئًا طوال الليل على المرحاض، ولم يمكننا أنا أو أختي حتى أن نغفو قليلًا.

الأسوأ من ذلك كله أن البيت المستأجر في بلدة "أووموري" فجأة لظروف ما، مالكة لغى العقد، ولم يعرفوا بذلك إلا قبيل المغادرة بيوم وكان فات الأوان وما باليد حيلة. بطريقة ما ذهبنا للمبيت لدى السيد "تانيدا" ونحن حتى الآن ما زلنا هنا. أرجوك أن تتفهمي مدى الورطة التي نحن بها هنا بمنزل السيد "تانيدا" بسبب إزعاج 11 شخصًا جميعهم جاؤوا فجأة!

سريعًا ما جاء الطبيب إلى "هيديو" وقال إنه يعاني من نزلة معوية، ولم يتحسن سوى بالأمس.

أما عن المنزل، فقد طلبنا من كثيرين هنا ونسعى في كل اتجاه، وهم أيضًا يبحثون من أجلنا بأسرع وقت ممكن، وأخيرًا وجدوا لنا واحدًا في "دوجنزاكا" في حي "شيبويا". ذاك البيت المستأجر بناؤه حديث. الدور الأرضي به أربع غرف والثاني به ثلاث غرف وبلا أي حديقة. إيجاره 55 ينًا لكننا لم نره بعد. أظنه ضيق ولن يتسع لسكن أسرة كبيرة مثلنا، لكني حين أفكر في مدى إزعاجنا للسيد "تايدا" أجد أنه أولى بنا استئجاره. في النهاية قررنا الانتقال الأحد المقبل حتى لو سنستبدله فيما بعد.

العنوان: مدينة "أووادا" حي "شيبويا"، وسيعمل الهاتف من الشهر المقبل.

يتردد أخى على بناية "مارو نو أوتشى" ومن حسن الحظ ذلك سيعود بالنفع على "تارو أو"، فهو طريق مدرسته الإعدادية المقبلة نفسه، ما يجعل موقع البيت لا بأس به.

وإلى أن أوافيك بأخبارنا، فأول شيء سلامى لأختى والصغيرة "اتسو" وأخى "تينوسوكيه".

8 سبتمبر

أختى الكبيرة "ساتشيقو".

منذ الصباح ونحن نشعر بالرياح في "طوكيو". لقد حلّ الخريف بالتمام، كيف هى الحال عندك؟

لطفًا فلتنتبهى لصحتك،

ولتهتمى بنفسك.

في صباح اليوم الذي استلمت فيه "ساتشيقو" هذا الخطاب، تغير الجو، وشعروا بالنسمات المنعشة للخريف بإقليم "كانساي" طوال الليل، وبعدها ذهبت "اتسوقو" إلى المدرسة، توجهت "ساتشيقو" نحو زوجها واتخذت مقعدًا إلى طاولة الطعام، ووقع ناظرها على عناوين الأخبار:

"تشن قواتنا الجوية غارات موجهة من الناقلات البحرية على إقليم الشانتو بالصين ومدينة تشاوزهو"، وحينها كانت نفوح من المطبخ رائحة القهوة المغلية وتعبئ أركان المكان، وفجأة..

- "ماذا؟ الخريف!"

قالها "تينوسوكيه" ورفع عينيه عن الصحيفة.

- "هذا الصباح تأتي رائحة القهوة بشدة على غير العادة، أليس كذلك؟"

- "مممم".

وفتح "تينوسوكيه" صفحات الجريدة وانغمس في القراءة، وجاءت "أوهارو" بالقهوة ومعها خطاب "يوكيقو" على حافة الصينية.

بعدها توقفت "أوهارو" جاء بخاظرها أنه تجاوزنا اليوم العاشر من الشهر وهُمّت بفعل شيء ما، فأسرعت "ساتشيقو" والتقطت المظروف وقطعته ولاحقت عيناها السطور التي بدت أنها كُتبت في عجلة بين كثير من المشاغل، وعلى الفور تخيلت كيف يتلاقى وجهها أختيها الكبيرة والصغيرة سريعًا.

أما عن "تانيدا" الذي في "أزابو"، فـ"ساتشيقو" تعلم أن صهره الأكبر منه مباشرةً موظف بوزارة التجارة والتصنيع، وقد التقت مرة واحدة بأخته منذ أكثر من عشر سنوات بحفل زفاف، حتى إنها أوشكت

على نسيان ملامحها. ترى أختها الكبيرة أيضًا كذلك لا تلتقى بها إلى ذلك الحد؟

إن علاقته بصهره متطفلة للغاية، ترى ما الوضع الآن وهو قد أتاهم ليقيم عندهم؟ وإنما هو يعد فردًا من أفراد العائلة، و"يوكيقو" والأخت الكبيرة غريبتان بأرض لا تعرفانهما، علاوة على أنهم أقرباؤهم من "ناجويا"، ترى إلى أى مدى الوضع غير مريح وهم بورطة الإقامة بيت أناس أعلى منهم؟! والأكثر والأكثر هو مجيئهم ومعهم مريض واستدعاؤهم لطبيب.

- "هل هذا خطاب من يوكيقو؟"

تساءل "تينوسوكيه" بعدما ابتعدت عيناه عن الجريدة أخيرًا، وأمسك بكوب قهوته.

- "كانت تراودنى الهواجس وأفكر لم لم تراسلنى كل هذا الوقت، لا بد أن هناك حدثًا جليلاً."

- "وما هو؟"

- "ها هو.. تفضل اقرأ."

وبثلاث كلمات فقط أجابت "ساتشيقو" زوجها، وأعطته الخطاب.

بعد ذلك بنحو ستة أيام أو أكثر وصلتهم متأخرة بطاقة شكر على مجيئهم للوداع بذاك اليوم، مع إخطار بتغيير العنوان بأحرف مطبوعة فقط من "يوكيقو" بلا أى جديد من الأنباء.

ذهب "شوكيتشى" ابن عائلة "أوطويان" إلى العاصمة منذ ليلة الأحد ليزور "تاتسو أوو" ويساعده بالنقل وعاد في صباح الاثنين، وها هو قد جاء لزيارة "ساتشيقو" ليتبادلا أطراف الحديث عن الأحوال بـ"طوكيو" و"أشييا".

بالأمس، الأحد، استطاعوا الانتهاء من النقل بسلام.

إن أبنية المنازل المستأجرة بـ"طوكيو" متواضعة للغاية بالنسبة إلى مثلتها في "أوساكا"، وعلى غير المعتاد كل التركيبات التي بها رديئة، فمثلاً الباب الجرار من أرخص الأنواع وأسونها، والمساحات هناك يستخدمون لها وحدة قياس "إيدوما"⁽¹⁾ وليس "كيووما"⁽²⁾ كالمبتع بإقليم "كانساي"، فالطابق السفلي تتراوح مساحات القطعة به ما بين 4م²، 7م²، 8م²، 11م²، والطابق الثاني المساحات ما بين 14م²، 8م²، 5م²، ما يعنى أن الإقامة فقيرة للغاية، وما عندنا مساحته 14م² بالتقريب هو عندهم 11م²، وما عندنا 11م² لن يعادل سوى 8م² بوحدة قياسهم.

أما عن المزايا هناك، فالمباني جديدة وتعطى إحساسًا بالبهجة، وهى بالجنوب لذلك فالشمس هناك أفضل والبيوت صحية عن البيوت المعتمدة في مدينة "أويه هون"، وإن لم تكن هناك حداثق خاصة بالمنازل إلا أن الكثير من الحداثق العامة والقصور الفارهة بالجوار، وطبيعة المنطقة راقية وهادئة.

بمجرد الخروج إلى "دوجين زاكا" تجد شوارع مليئة بالمحلات التجارية للتسوق، وهناك أيضًا العديد من دور السينما، لذلك فالأطفال لديهم شغف بكل شيء هناك، وعلى العكس فهم فرحون بذهابهم إلى "طوكيو". "هيديو" أيضًا لا بد له من الذهاب إلى مدرسة ابتدائية قريبة هذا الأسبوع بعدما يستعيد عافيته.

وعلى هذا النحو دار حديثهما.

- "وكيف حال أهل طوكيو؟"

(1) وحدة قياس = 182 سم تقريبًا.

(2) وحدة قياس = 190 سم تقريبًا.

- "بصحة جيدة. حين مرض الصغير هيديو قامت ابنة عائلتكم الكريمة بتمريضه عن فهم وعلى نحو أفضل من الممرضة. كرميتكم جديرة بالثناء".

- "إنها كانت تعتنى بصغيرتي اتسوقو هكذا حين تمرض، وكنت متأكدة من أنها ستقدم يد العون لأختي الكبيرة بالطبع".

- "المؤسف حقًا هو ذاك البيت، فعلى حد قولك لن تكون هناك غرفة مخصصة ليوكيقو، فبهذا الوضع الغرفة الـ8^م ستكون غرفة استذكار الأبناء، ولن تصبح غرفة نوم لها. لا بد لرب الأسرة من أن يسرع باستبدال منزل آخر واسع بهذا المنزل، مؤسف ألا يحدد غرفة ليوكيقو".

كان ذاك الذى يدعى "شوكيتشى" شخصًا ثرثارًا، ولكنه استطد بصوت خافت مضيئًا:

- "رب الأسرة سيفرح فرحًا عظيمًا إن عادت ابنتكم يوكيقو، فهذه المرة يمكنك جعلها تهرب على ما أظن وهذا من منطلق أنك حريصة على إرضائها قبلما تتأذى مشاعرها بشدة كما تعرفين".

بهذا صارت "ساتشيقو" على علم ويمكنها تخيل الوضع العام بـ"طوكيو"، لكن ما زالت لم تأتِها أى خطابات أخرى من "يوكيقو".

"يوكيقو" ليست بالشخص المولع بكتابة الخطابات مثل الأخت الكبيرة بل يبدو أنها تكره الكتابة، وفوق ذلك كله ليست لديها غرفة مخصصة لها، أى لن يصفو بالها لكتابة أى شيء، وهذا ما فكرت فيه "ساتشيقو".

- "صغيرتي إتسو، هيا فلنكتب رسالة ليوكيقو".

قالتها وجعلتها تُخرج بطاقات مصورة بعرائس "تائيقو" وتتهجى عبارات بسيطة منها، ولكن حتى ذاك لم يأتِها رد عليه.

بعد اليوم العشرين بالشهر، وبليلة اكتمال القمر:

- "ماذا إن كتبت لها هذه الليلة للمرة الأخيرة؟"

قالها "تينوسوكيه"، ووافقوا جميعهم، وبعد العشاء وبالقرب من التراس الذى يمنحهم الفرصة لمشاهدة القمر اجتمع الأربعة، كل من "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" و"اتسوقو" و"تائيكو".

جهزت "أوهارو" الحبر، وفتح "تينوسوكيه" ورقة مطوية وكتب بيتًا من أغنية، وكتبت كلاً من "ساتشيقو" و"اتسوقو" أيضًا أشعارًا على القافية نفسها، لكن "تائيكو" غير بارعة في ذلك فأخذت ترسم بالحبر مشهدًا من الطبيعة للقمر المعلق في السماء بين أشجار الصنوبر.

أغصان الصنوبر بالحديقة تنتظر مرور الغيوم

لتمسك بالقمر من بين النجوم

تينوسوكيه

البدر في تمامه

له هالة تكفى عشاقه

ساتشيقو

قمر تراه أختى من طوكيو

اتسوقو

وبعدما رسمت "تائيكو" صورتها بالحبر أكمل "تينوسوكيه" وصحح كلمات "ساتشيقو" وابنته، وفي النهاية نادى "أوهارو" وقال لها أن تكتب هي أيضًا، فأمسكت بالريشة على الفور وعلى نحو غير متوقع:

للمرة الأولى لا يسعنى أن أرى القمر بدراً بين الغيوم

أخذت "ساتشيقو" زهرة من أعشاب الحديقة اللامعة تحت ضوء القمر وقطفتها لتضعها بين طيات الخطاب.

الفصل الرابع والعشرون

جاء الرد على الخطاب الأخير سريعًا كما كانت آمال "ساتشيقو"، التي ظلت تعيد قراءته من أعماق قلبها وتطيل النظر إلى القمر من شرفة الطابق الثاني، وقرأت كلمات أثارت بكاءها مثل:

تذكرت بالعام الماضي بمنزل "أشييا" حين كنت أشاهد القمر كأنه بالأمس القريب.

لكن بعد ذلك توقفت الخطابات لفترة من الوقت.

منذ رحيل "يوكيقو" و"أوهارو" صارت تنام على سرير أسفل سرير الصغيرة، لكن بعد أسبوعين صارت "اتسوقو" تكره وجود "أوهارو"، فاستبدلوا "أوهانا" بها، وبعد أسبوعين أيضًا صارت تكرهها هي الأخرى، واستبدلوا بها "أوأكي" التي تعمل بالأسفل.

كانت "اتسوقو" بخلاف كل الأطفال يصعب خلودها إلى النوم، وتنشط حماسها للثرثرة قبل النوم بنحو نصف ساعة وكانت هذه عادتها، لكن كل من رافقتها من هؤلاء الفتيات لم تستطع مجاراتها في هذا النصف ساعة، وكنَّ يغططن في النوم قبلها دائمًا، لكن بدا أنه

الحال هكذا في الأيام الأربعة أو الخمسة التالية، إلى أن استعادت الصغيرة نشاطها وانضبطت ضربات قلبها وتحسنت حالة اضطراب جسدها، إنما الأرق ازداد حدة حتى إن "سانشيقو" تناقشت مع الطبيب "كوشيدا" عبر الهاتف ليأتي ليتفحصها، فهي جربت أن تعطيها ملعقة من دواء شراب "أدارين"، لكن ملعقة واحدة كانت عديمة التأثير، وإن زادت الجرعة فسيمتد تأثير الدواء مسبباً النوم لفترات طويلة، ولأنها تنام بالنهار بقدر لا بأس به، فعندما يحين وقت النوم تظل مستيقظة وتنتظر إلى الساعة بجوار فراشها وتبكي، واليوم أيضاً تأخرت على مدرستها، وصارت دائماً ما تقع بمواقف محرجة لتأخرها ما يجعلها تواصل صراخها ولا تريد الذهاب إلى المدرسة.

وعلى هذا المنوال، إن استيقظت الصغيرة دون تأخير واستطاعت النوم بالليلة الماضية قليلاً يشتعل غضبها وتريد النوم أكثر وتنغمس تحت الغطاء حتى رأسها، ثم تفتح عينيها لاحقاً لتجد نفسها تأخرت أيضاً مرة أخرى فتبدأ في البكاء.

أما عن الخادמות، فقد كانت مشاعرها تتأرجح بشدة حيالهن ما بين الحب والكرهية، وحين تكرهن تندفع بقول عبارات مبالغ فيها مثل "سأقتلها" أو "اقتلوها"، وتعيدها مراراً وتكراراً.

الأهم من ذلك كله أن الصغيرة في مرحلة نمو، ومع ذلك فشهيتها للطعام ليست كذي قبل، وهذا الوضع كل مدى يزداد سوءاً يوماً بعد يوم ولا تآكل سوى قدر ضئيل بكل وجبة، وتفضل الأطباق الجانبية مثل "شيوقومبو" وقطع الطوفو المجمدة والمجففة، وغيرها من الأشياء التي تشبه طعام المسنين، ويستحيل عليها أن تقدم على الطعام التقليدي، ووقت الطعام تأتي بالقطعة "سوزو" التي تحبها وتضعها عند قدميها وتعطيها مختلف أنواع الطعام حتى المأكولات الدسمة، فبدلاً من أن تأكلها تعطى القطعة معظمها. لهذا يتشددون بالنظافة على

نحو غريب. إنها في أثناء الطعام تلامس القطة، ويتوقف الذباب، وتلامس أكماس الخدم، فيجعلونها تضع عصي طعامها في الماء المغلي لعدة مرات في أثناء الطعام، وصار الخدم يتفهمون الأمر ويحضرون مع تجهيزات الطاولة من البداية قنينة فخارية للماء المغلي.

خوفهم من الذباب غير عادي، فإن وقفت ذبابة على أي من الأطعمة أو حتى رأوها تطير بالقرب لا يأكلونه، خوفاً من أن تكون وُجِدَت عليه ويصرون على سؤال من حولهم إن كان متأكداً من أنها لم تقف بمكان آخر. إن سقط شيء من عصي الطعام حتى إن سقط على مفرش المنضدة المغسول لا يأكلونه لأنه اتسخ!

في مرة خرجت "ساتشيقو" مصطحبة طفلتها للتجوال بشارع "ميزو دورو"، وإذا بها ترى فأراً نافقاً على جانب الطريق، وبمجرد اقترابهما منه ارتعبت الصغيرة وقالت لها بصوت خافت بعدما تمسكت بأמהا واحتضنتها في هلع:

- "أمي، ماذا إن دسّ عليه؟ هل ستصل الديدان إلى ملبسي؟"

اندهشت "ساتشيقو" ودون حاجة إلى النظر إلى عيني الصغيرة ابتعدنا عن الفأر تماماً حتى لا تراودها مجرد الفكرة، فلا داعي لوقوع أي خطأ.

إنها لا تزال طفلة في الصف الثاني الابتدائي، فهل كانت ستعاني من انهيار عصبي إن خاضت التجربة مثلاً؟

إن "ساتشيقو" دائماً ما توبخها بالكلام دون أن تلقى بالاً، لكنها لاحظت مدى جدية الأمر منذ واقعة الفأر هذه.

ها قد جاء رأي الطبيب "كوشيدا" ليؤكد أن الانهيار العصبي للأطفال قطعاً ليس مستبعداً. للأسف ربما ذلك هو تشخيص حالة

الصغيرة "اتسوقو"، وإن كان هو لا يمكنه أن يتفحصها، ولكن سيقدمهم لطبيب مختص حاصل على الدكتوراه ليتولى المسألة، فهو يقتصر عمله فقط على العناية الطبية بالأمراض العضوية مثل الـ"برى برى"، لذلك قال لهم إنه من الأفضل أن يياشرها الطبيب المختص الدكتور "تسوجى" فى حى "إيشى نومييا"، وعليهم أن يسرعوا بطلبه عبر الهاتف ليأتيهم فى زيارة منزلية.

فى النهاية جاء الدكتور "تسوجى" بالمساء، وبعد فحصه الطبى لـ"اتسوقو" تحدث معها وسألها أسئلة عدة، وجاء تشخيصه أنه "الهيبار عصبى".

كانت تعليماته أولاً أن يتمموا علاج الـ"برى برى" كلياً، وجرعة الدواء ستحفز شهية الطعام، وإن كانت ستعانى من عدم توازن بنظامها الغذائى. ثانياً بالمدرسة، فإنه من الأفضل أن يجعلوها تغادر مبكراً وتذهب متأخرة وفقاً لحالتها المزاجية، لكن إن توقفت عن المدرسة تمامًا فسيستحيل أن تتحسن حالتها الصحية، وذلك لأن توجيهها نحو شيء واحد بعينه موجود بعقلها لن بدع لها مجالاً لنسج كثير من الأوهام.

أخيراً، عليهم ألا يثيروا غضبها حتى إن كان هناك ما لا تفهمه فلا داعى لتوبيخها من البداية، وليخبروها بتفسير واضح.

هكذا ظهر أثر غياب "يوكيفو" على الصغيرة "اتسوقو".

ليس بالضرورة أن يكون صعباً على "ساتشيقو" أن تصدر حكماً، لكنها لا تريد أن ينحرف فكرها بهذا التيار، فالآن من يتحمل المسؤولية عليه أن تنحرق يداه دون أن يدري ماذا يجب عليه فعله.

إنها كلما صادفت موقفاً تصبح كأنها ستبكى. لو كانت "يوكيفو" بطول صبرها فى الموقف نفسه لجعلت الصغيرة تسمع وتوافق، ومع ذلك ظلت تفكر مراراً وتكراراً.

ظاهرياً الوضع مختلف وله أسبابه، فالشخص المعنى لا يعترض على أى شيء من "يوكيقو". حتى إن لم يستعيدوها فإن فقط أخبروها بوضع "اتسوقو" بالتأكيد ستأتيهم على الفور دون حتى انتظار للإذن من أخيهن، لكن طلبها لطوق النجاة والاستسلام دون حتى أن يمر شهران هو أمر ليس بيدها ولا يتماشى مع عنادها، ومهما كان قلقها ستقول فلننتظر قليلاً ونرى الوضع، وماذا عساي أن أفعل! ستنقضى الأيام يوم تلو الآخر كما ترغب بالضبط.

أما عن "تينوسوكيه"، فهو ضد عودة "يوكيقو" من أجلهم، فطريقة التربية التى لا تسمح بتناول أى شيء لمجرد سقوطه على مفرش المنضدة وتعقيم عصى الطعام بالماء المغلى مرات عدة، وغيرها من أشياء على ذاك النهج الذى تسلكه "يوكيقو" و"ساتشيقو"، فهذا بوجه عام لا يروقه حتى إن كانوا يطبقونه على أنفسهم، فهو بعدما صارت لديه طفلة رقيقة مرهفة الحس يريد أن يقوم تلك العادات، لذلك فلا بد أولاً من أن يتوقف الكبار عما يفعلونه.

إنه رغم المخاطر يجعل الصغيرة تأكل من حيث توقفت ذبابة مثلاً، ليثبت لها فعلياً أنها لن تمرض هكذا إلا نادراً، على الرغم من أنهم دائماً ما يقولون لها بحزم "التعقيم"، وهكذا تصبح المشكلة هى عدم احترامها لما يقال من تعليمات. "ساتشيقو" لا تنفذ أبداً من آراء "تينوسوكيه"، ودائماً ما تنبه الصغيرة قائلة لها: "أهم شيء هو أن تجعلى حياتك منضبطة".

بالنسبة إلى "ساتشيقو" فإن شخصاً مثل زوجها قوى المناعة وصحته جيدة لن يدرك أبداً شعور أمثالهم من المرهفين الذين تسهل إصابتهم بالأمراض.

وبالنسبة إلى "تينوسوكيه" فإن احتمالية المرض بسبب العدوى لأن الجراثيم علقت بعصى الطعام أمر نسبته واحد فى الألف، والهلع

بهذه الطريقة يضعف مناعتها كل مدى. من ناحيته هو يقول إن اللطف أهم للطفلة من القواعد، في حين إنه من ناحيتها هي تقول إن هذا خطأ وذاك الأسلوب في التفكير نمطه قديم، فلا بد للأسرة كلها من الانضباط في مواعيد الطعام والترفيه، وغير مسموح إطلاقاً بأى أفعال طائشة أو دون توجيه. إن قالت له إنه شخص همجى وتفكيره ليس به أى معايير للنظافة الصحية، يقول لها بدوره إن طريقة حضركم في التعقيم ليس بها ولا حتى القدر الأدنى من المنطق، تميتون الجراثيم العالقة بعصى الطعام بالماء المغلى وأنتم أصلاً لا تدرون مصدر الطعام نفسه أو إن كان لامس القاذورات قبلما يُحمَل ويُقدَّم لحضراتكم. سيادتكم مخطئون باتباعكم الأفكار الغريبة في النظافة، ألا يأكل الروس المحار النيئ بلا أدنى مبالاة؟

وغيره من كلام من ذاك القبيل.

عادةً ما يتبع "تينوسوكيه" سياسة عدم التدخل، ويتخذ موقفاً عامّاً بالابتعاد وترك مسألة تربية الطفلة خصوصاً لأهلها، لكن مؤخراً، بعدما اندلعت الحرب اليابانية الصينية⁽¹⁾، وفي فترات تأدية مهام الجبهة الداخلية، صار لا بد للزوجين أن يفكرا معاً في تنشئة الطفلة على الحماسة والوطنية، ما أشعرهما بالقلق.

حدث في مرة ما أن وجد "تينوسوكيه" الصغيرة تلعب مع "أوهانا" ومعها إبرة لحقنة مستخدمة، وفجأة وجدها تمسك بذراع الدمية المحشوة بالقش ذات الشكل الأجنبي لتعطيها حقنة! ففكر لم لها أن تلعب ألعاباً كريهة غير طبيعية كهذه؟ وشعر أن هذا مثال من أمثلة كثيرة لمساوئ التعليم الصحى.

منذ ذاك الحين وهو يفكر في وجوب أن يصحح كل شئ برمنه بطريقة أو بأخرى.

لكنه فقط على يقين بأن أهم شخص لدى "اتسوقو" هو "يوكيقو"، التى هى بالتأكيد تدعم أسلوب زوجته، وإن تدخل أى تدخل أخرق سيخاطر بحدوث زوبعة بالعائلة، لذلك من هذا المنطلق غياب "يوكيقو" هو الفرصة التى طالما انتظرها "تينوسوكيه".

هكذا فإن "تينوسوكيه" أيضًا يشعر سرًا بالشفقة حيال موقف "يوكيقو"، وإغا تربية ابنته أهم. إنه كان يجب عليه دائمًا التفكير فى الصدمة النفسية التى ستلقاها "يوكيقو"، فإنه ليس من السهل مطلقًا إبعادها عن الصغيرة دون الإساءة لها أو التسبب فى الإزعاج. هذه المرة أخيرًا جاء الحل من تلقاء نفسه، وبغياب "يوكيقو" يصبح أمر زوجته سهلًا، وهذا ما دار بخلده.

وعليه، قال "تينوسوكيه" لزوجته إنه مثلها تمامًا يشعر بالشفقة حيال "يوكيقو"، وإن كانت هى ترغب فى العودة ولن تمانع، لكنه لا يمكن استدعاؤها لترجع من أجل "اتسوقو"، بالطبع هى تعتاد التعامل مع الصغيرة وإن جاءت ستكون قدمت لهما يد العون هذه الفترة، وإنما السبب الخفى لحالة الانهيار العصبى تلك يكمن فى أسلوب تربيتها هى وأختها، لذلك فمن الأفضل نزع تأثير "يوكيقو" فى الصغيرة الآن واستغلال هذه الفرصة حتى لو بتحمل الصعاب، وشيئًا فشيئًا ستستجيب "اتسوقو" مع تغيير أسلوب التربية الحالى لكىلا نأتيننا "يوكيقو".

وهكذا سيطر على "ساتشيقو".

بدأ شهر نوفمبر، واقتضت مهام عمل "تينوسوكيه" ذهابه لبضعة أيام إلى "طوكيو"، وحينها زار بيت العائلة فى "شيبيوا" للمرة الأولى، ووجد الأطفال قد اعتادوا الحياة الجديدة تمامًا ويستخدمون لكنة

طوكيو بطلاقة، لدرجة أنهم يفرقون في استخدام المفردات بين الأسرة والمدرسة، و"يوكيقو" وزوجة "تاتسو أوو" بحالة جيدة. على الرغم من أن المبيت بمكان ضيق شيء غير مريح فإنهم جميعهم طلبوا منه البقاء معهم، وبالفعل قام "تينوسوكيه" بالمبيت الليلة واحدة بيت أخيه بالقانون، لكن بالطبع لضيق المكان حجز "تينوسوكيه" بفندق بحى "تسوكي چى"، وفي الصباح الباكر خرج "تاتسو أوو" وأبناؤه، وذهبت "يوكيقو" لترتيب الطابق الثانى، وفي أثناء هذا قالت الأخت الكبيرة "تسوروقو" لـ "تينوسوكيه":

- "ها هى يوكيقو بدأت تهدأ وتعامل مع الأمر، إنه ما من سبيل آخر".

قالتها "تسوروقو"، وجاء في حديثها أن "يوكيقو" تساعد بأعمال المنزل وتحسنت حالتها بعدما انتقلوا لبيتهم، وهى تساعد أيضاً بمشكلات الأطفال. هى قطعاً لم بتغير سلوكها نحوهم وإنما كانت من حين إلى آخر تبقى وحدها بغرفة بالطابق الثانى ولا تنزل ولا يراها أحد لبعض الوقت، فتطلعت إليها أختها الكبيرة لترى ما بها لتجدها جالسة أمام مكتب "ترو أو" شاردة الذهن ويدها على وجنتها، وأحياناً تجدها تبكى. كان ذلك أوائل الشهر، أما مؤخراً فقد بدأت تعتاد الوضع تدريجياً. إنها بذاك الحين حتى بعدما نزلت ظلت لبقية اليوم لم تنطق بكلمة، ولكن ما لأختها أن تفعل لها! لكن "يوكيقو" صارت حتى أمام الناس لا تستطيع إخفاء دموعها التى انهمرت فجأة.

أضافت "تسوروقو" أنها هى وزوجها أيضاً يحرصان كل الحرص ويراعيان للغاية معاملتهما لها، وهى لا تظن أن هناك أى سبب ما قد جرح مشاعرها. فى النهاية فكرا فى أن ذلك من اشتياقها لحياتها بإقليم "كانساي"، وتوصلا إلى أن ذلك ليس إلا حالة تشبه الشعور بالغربة والحنين، فرأيا أن أسلم حل هو تشتيت انتباهها كي لا تكتئب، فقالت

لها أن تواصل مرة أخرى تدريباتها لتعليم فنون الخط والإتيكيت، لكنها لم تبال تمامًا.

على قول "تسورقو" فإن "يوكيقو" نفذت كلام الجدة "طومى ناجا"، وجاءت معهم رغم صعوبة الأمر عليها، والكل فرح جدًا بذلك، وإغا الأمر بالنسبة إلى "يوكيقو" صعب لأقصى درجة، ولو لم يكن كريهاً أيضاً ويؤملها لما وصلت بها الحال إلى البكاء، وإنهم لهم ثقاليدهم الخاصة ولكن لم لا بد لها أن تكرههم لذلك الحد؟ وهنا انهمرت دموعها.

حتى إن كان هناك عتب، فقد صار الحل الوحيد لحالتها المقلقة للغاية بعدما صارت بائسة ووضعها يرثى له، فإن كانت تفضل أوساكا فلتفعل ما يروقها، ولقد فكرت في شيء وهو أن ينتهى هذا الوضع ويدعوها تبقى في "أشيبا"، وإن كان "تاتسو أوو" لن يسمح، فلأن المكان ضيق الآن وإلى أن ينتقلوا إلى بيت أوسع سيفعل، وإن لم يكن فعلى الأقل يدعوها تذهب ولو لعشرة أيام ليجعلوها تستريح وتسترد عافيتها.

رغم كل شيء، لا يصح ألا نبدي أعذاراً مناسبة لكن بكل شكل من الأشكال الحالة التى عليها "يوكيقو" الآن مؤسفة وأختها لا تتحمل رؤيتها هكذا، ورب العائلة لا يمكنه أن يفعل بها ذلك.

استفاضة "تسوروقو" بحديثها من قبيل النقاش، لكن "تينوسوكيه" اكتفى بإلقاء التحية، فإذا كان الأخ والأخت الكبيرة أيضاً في ورطة فهذا لا يعنى مطلقاً أن "ساتشيقو" تقع على عاتقها أى مسئولية، وبالطبع لم يتطرق بالحديث ولا بكلمة واحدة إلى مرض طفلته، لكن بعدما عاد دار حوار بينه وبين زوجته عن "طوكيو"، فعندما سألته "ساتشيقو" عن حال "يوكيقو" في هذه الآونة، ولم يخفٍ عنها شيئاً مما قالته الأخت الكبيرة.

- "أنا لم أتخيل أن يوكيفو ستكره طوكيو لذلك الحد".
- "في النهاية، هل قالت لك إنها تكره وجودها مع أخيها الكبير؟"
- "كلا. لا أدري".
- "حسنًا. أهي تريد أن تلتقى اتسوقو؟"
- "إن كان هذا أو ذاك، فالأسباب متعددة والحقيقة واحدة، ففي الأصل يوكيفو شخص لا يتماشى مع أجواء طوكيو".
- تذكرت "سانشيقو" كم كانت "يوكيفو" تتحمل منذ صغرها، ومهما واجهت من صعاب لا تنطق بكلمة بل فقط تظل تبكي وتنهمر دموعها، وشعرت كأنها ترى أمام عينيها هيئة أختها الصغيرة عند المكتب تذرف الدمع الآن.

الفصل الخامس والعشرون

كان علاج الانهيار العصبي لدى "انسوفو" له نظام غذائي علاجي لا بد أن يتبع كمهدئ بخلاف دواء "بروميد البوتاسيوم"، عليها تناول الأطعمة المليئة بالزيوت حتى لو من ضمنها الأطعمة الصينية التي تفضلها، ومع اتباعها للتغذية السليمة، وبالتعافي من الـ"برى برى" بحلول الشتاء، مع تغاضي مدرسيها عن واجباتها الدراسية، واهتمامهم باستعادة صحتها، كل هذا جعلها تتحسن حتى إن لم تأتِ هذه الأشياء الكثيرة بشمارها المرجوة.

بهذا لم تعد هناك حاجة تتطلب الغوث واستدعاء قارب النجاة، وإنما منذ سمعت "ساتشيقو" بعديث "طوكيو" وهي لا تهدأ رغبته في رؤية "يوكيقو" بأي طريقة، وحين تفكر في ما آل إليه الوضع تجد أنه في اليوم الذي أتت فيه الجدة لتتجادل معهم كانت هي ذاتها أول من اتخذ موقفًا قاسيًا حيال "يوكيقو"، فما كان لها أن تضغط عليها بشكلٍ أمرٍ هكذا لترحل، في حين إنها أعطت "تائيكو" متسعًا من الوقت لشهرين أو ثلاثة. كان من الأفضل لو كان لديها قليل من الإنسانية وتوسّطت بإعطائها هي الأخرى متسعًا من الوقت. إنها لم

تدع لها حتى مجرد مجال فقط لتودع بقاياها على مهل، وهكذا أيضاً عنادها المستمر حتى مع غياب "يوكيقو" ظهرت أماراته بقوة وعلى نحو غريب خصوصاً بذاك اليوم.

بمثل تلك المواقف، ومع كل شيء لم تنطق "يوكيقو" بنصف كلمة تعبر عن استيائها، بل تفهمت الوضع برصانة وبدت في منتهى الوداعة إلى حد مؤسف.

والآن صارت "ساتشيغو" تفهم لم كانت "يوكيقو" متأنفة الملبس وتبدو بحالة جيدة وغير عابئة بشيء كأنها ذاهبة في رحلة، وبعدها اختلقت الأعذار لتقدمها لها مباشرة قالت "يوكيقو" كلماتها بحالة من الصفاء الذهني غير المتوقع.

إن "يوكيقو" كانت في أمس الحاجة إلى كلمات "ساتشيغو" في ذاك الحين، وإنما بمجرد وصولها إلى "طوكيو" صارت كأنها اكتفت بهذا القدر، خصوصاً أن "ساتشيغو" لم تتقدم بفعل أي شيء من أجلها، بل تركتها تذهب بمفردها، ولم تجعل من شأن "تائيغو" أي مشكلة، وحتى الآن هي تبقى للعيش في إقليم "كانساي"، ورأت "يوكيقو" كم ستصير حمقاء إن ظلت وحدها، وربما هذا ما جعلها تلتزم الصمت.

والآن، ترى "ساتشيغو" ستسوى الأوضاع؟ وماذا سيقول زوجها بعدما صار شعور الأخت الكبيرة هكذا ولا مانع لدى رب الأسرة؟ أم أنه صارت مسموحة الآن مناشدتها للرجوع في غضون الأيام العشرة المقبلة بعدما تستقر حالة "انسوقو" وبعدها انقضت أربعة أشهر بكاملها؟

فكرت "ساتشيغو" في أن تخوض النقاش مع زوجها بعد ما يحل الربيع، لكن لحسن الحظ بالأيام الأولى من العام الجديد جاءها خطاب من السيدة "جينبا" التي لم تسمع أي شيء عن أخبارها منذ ذاك الحين. كانت تسألها عن حال الشخص الذي سبق أن أرسلت

صورته في العام الماضي، وفي ما يتعلق بهذا الحديث تقول إنها انتظرت الرد طويلاً ولم يصلها أي شيء منهم، فهل الأخت الصغيرة لا يرونها الأمر؟ إن لم يكن هناك نصيب، فهي تريد استعادة تلك الصورة بعد إذنهم وإن لم يكن فيها إزعاج، وعلى أي حال إن تبدل إحساسها فلم يفت الأوان، وهي لا تدري إن كانوا بالفعل بحثوا في أمره أم لا، لكن بوجه عام وفقاً للمعلومات المكتوبة خلف الصورة هناك شيء واحد أغفلت كتابته وإن كان لا يستحق الذكر، وإنما تود أن تخبرهم به ألا وهو أن ذاك الشخص ليس لديه أي مدخرات ويعيش براتبه الشهري فقط، وهذا ما ودت إرفاقه مع ما سبق، وبناءً عليه هي تعلم أن ذلك لن يلقى استحسان أختكم، ولكن هذا الشخص يبحث جدياً عن ابنة لعائلة كريمة تكون بجمالها وهو ينتظر مهما طال انتظاره. إنه متحمس للغاية كما يقول السيد "هامادا"، وهو يصر على أن تفضلوا بلقائه ولو مرة واحدة، وهذا ما صرح بقوله لها وللسيد "هامادا" أيضاً.

هذه العبارات كانت بالنسبة إلى "ساتشيقو" بمثابة سفينة عبور للضفة الأخرى.

أرفقت "ساتشيقو" هذا الخطاب مع صورة ذاك الشخص المدعو "نومورا مينو كيتشي"، وأرسلت إليهم تسألهم عن رأيهم، وأن السيدة "جينبا" بالطبع ستريد إجراء مقابلة سريعاً، لكن بسبب ما سبق أن حدث مع "يوكيقو" فهل سيفضلون التحري عنه قبل المقابلة؟ إن كان ذاك هو الأفضل، فهل يسرعون بالبحث بأكبر قدر ممكن؟ إنها تستشير أختها وأخاها الكبير أولاً.

بعد ستة أيام تقريبًا جاءت لـ "سانشيقو" رسالة طويلة وغريبة
للاغاية من الأخت الكبيرة ردًا عليها.

عزيزتي

تهانئي بمناسبة العام الجديد وإن كانت متأخرة. أتمنى لكم جميعًا
عامًا سعيدًا. إنها المرة الأولى لنا بهذه الأرض ولقد أمضينا هذه
المناسبة بين أشجار الصنوبر بلا أي شعور بمذاقها. إن "طوكيو" الشتاء
بها بالذات قارس البرودة كما سمعت، وإنما الملحوظ هنا منذ اليوم
الأول هو أنه لم يمر ولا يوم دون هبوب رياح منذ أن دخل الشتاء،
والبرودة حقًا لم أرَ مثلها في حياتي، فمثلًا هذا الصباح تجمدت منشفة
اليدين وأصبحت كالعصا، ولها صوت طقطقة. لم يمر على مثل هذا
الشئ من قبل في أوساكا. بـ "طوكيو" هنا بالمدينة القديمة يعد أفضل
حالة نوعًا ما، ولكن هذه المنطقة تقترب من المناطق السكنية التي
بالمرتفعات ما يجعلها أكثر برودة على ما يبدو، وبفضل ذلك كل من
بالبيت يصابون بنزلات البرد بالدور، حتى وصل إلى الخادمت وصارت
كل واحدة منهن طريحة الفراش، لكن أنا و"يوكيو" اقتصر الأمر
معنا على الرشح فقط.

هنا الغبار أقل مقارنةً بـ "أوساكا" والجو أنقى في الحقيقة وبالدليل،
فحوائف الملابس لا تتسخ. إنني هنا أرثدي الكيمونو نفسه لعشرة أيام
وأستبدله وهو لم يتسخ بعد، وأخوك الكبير كان دائمًا بـ "أوساكا" يتسخ
قميصه الأبيض بثالث يوم، أما هنا فعحتى اليوم الرابع يظل نظيفًا.

أما بخصوص عرض زواج "يوكيو" فأظن أنه من الواجب على
شركك على قلقك الدائم بشأنها. إنني على الفور جعلت أخاك يرى
الخطاب والصورة وتناقشنا، لكن أخاك الكبير تغيرت حاله مؤخرًا ولا
أذكر له ما يزعجه، وعلى الأرجح الأمر متروك لك كما أشعر.

هذا الشخص إن كان خريج كلية زراعة وفي الأربعين من عمره ويعمل كتقني مصايد أسماك، فليس هناك أى فرصة لازدياد دخله الشهري كما ذكرت سابقًا، وترقيته الوظيفية توقفت إلى هذا الحد على ما أظن، ولأنه يعيش دون أى دخل إضافي من أى مدخرات ما فيبدو أن حياته ليست مرفهة، ولكن إن كان الشخص المعنى يوافق فلن يعترض أخوك الكبير، وإن كان يرغب هو في الاستمرار فلا مانع من أن تختاري وقتًا ما مناسبًا للمقابلة، على أن تكون بعد ترتيب وبحث مفصل. إنما إن كانت رغبة الطرف الآخر ملحة فهل لنا أن نسرع بالمقابلة على أن يكون البحث الدقيق فيما بعد؟

أظن أن هذا ما سألك إياه زوجك.

أنا و"يوكيقو" كلانا يصعب عليه تحديد ما يجب فعله. ولكنى أفكر في اختلاق أى فرصة لإرسال "يوكيقو" إليكم وتحدثت إليها بالأمس، لكن لأن الدفع نقدًا فهي وافقت على الفور بشأن مقابلة الزواج ما دام سيمكنها الذهاب إلى إقليم "كانساي"، وخرجت منذ الصباح الباكر وقد دبّ فيها النشاط وتعافت فجأة، حتى إنى قد أصابنى الدهول.

على أى حال متى تفضلتم وحددتم موعدًا مؤكدًا ستغادر "يوكيقو"، ولتعدّ في غضون أربعة أو خمسة أيام من انتهاء المقابلة، وليست هناك مشكلة إن امتد بقاءها لأكثر من ذلك، سأمهّد بالقول لأخيها الكبير.

لقد أطلت عليكِ بكتابتى، فهذا أول خطاب منى منذ مجيئى إلى "طوكيو"، والآن أيضًا أشعر بالبرودة كأن يدي تجمدت وهى ممسكة بالريشة، وكأن ظهري ينصب عليه الماء البارد.

الجو دافئ في "أشييا" لكننى أرجوك بشدة أن تعتنى بصحتك كي لا تصيبك نزلات البرد من فضلك.

بالنسبة إلى "ساتشيقو" التى لا تعرف "طوكيو"، فإنها مهما قيل لها "شيبويا" و"جوار" "دوجن زاكّا" فإن إحساسها الفعلى لا يتحرك، لذلك تبادرت لمخيلتها البيئة المختلفة للمناطق المحيطة بـ "أوساكا" مثل القرى والبلاد والمناطق السكنية بضواحي المدينة التى تراها من نافذة قطار "ياماتيه"، ومشهد البيوت عن بُعد مترامية بين التضاريس متوغلة بين بساطين الأشجار، والتلال، والوديان، وخلف هذا كله يلمع لون السماء المحملة بالبرودة.

لم يكن أمامها سوى التخيل على طريقته، لكن حين قرأت عبارات مثل: "تجمدت يدي الممسكة بالريشة"، "وكان الماء البارد ينصب على ظهري"، تذكرت عهدها بـ "أوساكا" والشتاء ببيت العائلة ذى الطراز القديم، تذكرت كل شيء، إنهم بالكاد استخدموا المدفأة.

أما بيت "أويه هون" فإنهم يوقدون المدفأة الكهربائية بغرفة الصالون، وركبوا الموقد الكهربى أيضاً لكن فعلياً لا يستخدمونه إلا نادراً فقط فى حالة مجيء ضيوف أو بالأيام شديدة البرودة، وعادةً ما يستخدمون المدفأة اليابانية التقليدية "هيئاتشى".

كانت "ساتشيقو" حين تذهب إلى أختها الكبيرة بيناير، أول العام، وتجلس قبالتها كانت دائماً ما ينتابها شعور كأن الماء البارد ينصب على ظهرها، وكل مرة تعود مصابة بنزلة برد، وما جعل أختها الكبيرة تذكر ذلك هو أنهم كانوا ببيت العائلة فى "أوساكا" ينشرون أجهزة

التدفئة بكل مكان في أواخر العشرينات من عصر "تايشو"⁽¹⁾، حتى إن أباهم أيضًا الذى يتبع الرفاهية في كل شيء كان للمرة الأولى يشغل الموقد الجاز بغرفة المعيشة بالعام الذى قبيل وفاته، لكنهم فعليًا لم يستخدموه للتدفئة كثيرًا، فجميعهم في طفولتهم نشأ على استخدام المدفأة التقليدية مهما كانت بعض الأيام شديدة البرودة. لكنهم بعد زواج "ساتشيقو" و"تينوسوكيه" بعدة سنوات، وبعدما انتقلوا إلى بيت "أشييا" بدؤوا يستخدمون المدفأة المدمجة ببنية المنزل، وصاروا لا يمكنهم الاستغناء عنها، فدونها يصبح الشتاء لا يحتمل، وهم شعروا بأنه سيكون من الغريب في هذه الآونة إن استخدموا ما اعتادوه وهم صغار كالمدفأة التقليدية وغيره. بالضبط مثلما تفعل الأخت الكبيرة الآن بعدما ذهبت إلى "طوكيو" وما زالت تبدو على النمط القديم الذى عفا عليه الزمن.

"يوكيقو" تحتمل لأقصى درجة فهي ذات القلب المتحمل التى إن كانت هى بهذا الوضع لأصابها على الفور التهاب رئوى أو ما شابه ذلك.

أما عن تحديد موعد مقابلة الزواج، فقد كان السيد "هامادا" هو الوسيط بين السيدة "جينبا" والسيد "نومورا"، وعلى الرغم من أنه تلقى الاتصال لترتيب الأمر فإنه استغرق وقتًا. كان من الواضح أن رغبة ذاك الشخص هى إتمام اللقاء قبيل انتهاء الشتاء قدر الإمكان، وبالفعل كانت نية عائلة "ماكي أوكا" إرسال "يوكيقو" مباشرة يوم 29 من ذاك الشهر "يناير". لكن "ساتشيقو" تذكرت أنها وقعت في خطأ ما في أثناء مكالمه هاتفية سابقة، فأسرعت إلى غرفة المكتب المنفصلة بالمنزل وطلبت من زوجها إجراء مكالمه من أجلها، لكن في مساء يوم 30 جاءتها بطاقة من أختها الكبيرة التى أساءت فهمها لتخبرها

(1) عصر تايشو من 1912 إلى 1926.

بأن طفليها الصغيرين أصيبا بنزلة برد فجأة، والطفلة "قوميقو" التي لم تبلغ الرابعة من عمرها بعد تفاقمت حالة الالتهاب الرئوى لديها، وهى تثير ضجة عارمة ولا بد من إحضار ممرضة، لكن نظرًا إلى ضيق البيت فلا مكان لتنام فيه، وهى تدرى منذ مرض ابنها "هيديوو" أنها يمكنها الاعتماد على "يوكيقو" بدلاً من استئجار شخص متخصص لهذه المهمة، لذلك لم تأت بممرضة وقالت لها: "نريدك أن تستمعي عذراً السيدة جينبا بطريقتك لتنتظر قليلاً". فى الوقت ذاته كان القصد هو إخبارها بمرض صغيرتها وإصابتها بالالتهاب الرئوى.

بعد أكثر من أسبوع وجدت "ساتشيقو" أن الوضع لا يزال غير مستقر، فأخبرت السيدة "جينبا" بالأسباب وأنهم سيؤجلون الموضوع الآن وأنه لا داعى لقلق الطرف الآخر.

ما زالت الحال يرثى لها بالنسبة إلى "يوكيقو" التى يتمحور دورها دائماً فى استخدامها كبديل لممرضة. وهنا، وفى تلك الأثناء التى تأجل بها اللقاء بدأت ترتيبات البحث، وأحرزوا تقدماً ووصلهم تقرير من وكالة المباحث والتحريات، وطبقاً لما ورد به، فإن السيد "نومورا" يشغل منصب مسئول كبير من الفئة الثالثة، وراتبه السنوى فى حدود 3600 ين بخلاف بعض الحوافز، أى نحو 350 ينًا بالشهر. والده كان يزاول أعمال الفندقية ببلدته مسقط رأسه "هيميجى" وإنما الآن لم تبقى لديه أى عقارات. بالنسبة إلى أقاربه، فأخته الصغيرة متزوجة بصيدلى يدعى "أوتا بوه"، ولديه عمان ببلدتهم "هيميجى" أحدهما يعمل بتجارة التحف بجانب كونه معلماً للطقوس اليابانية التقليدية، والآخر كاتب قضائى بالسجل المدنى. غير ذلك فإن السيد "هامادا چووكينشى" رئيس شركة قطارات إقليم كانساي هو ابن عمه، وهو الوحيد فخر العائلة وحامى حماها (وهو أيضاً ما تسميه السيدة جينبا "الراعى"، فقد صنع جميلاً بزوجها وجعله يعمل حارساً لديه طوال فترة الدراسة).

هذا ما ورد ذكره وانتهى به التقرير، إضافة إلى نتيجة التحرى عن مرض زوجته السابقة التى توفيت عام 1935، والذي لم يكن أى شيء سوى نزلة برد، وقطعاً سبب وفاة الطفلين أيضاً ليس مرضاً وراثياً وهذا أمر مؤكد.

أما عن هيئته وشخصيته، فلقد طلب "تينوسوكيه" العون من جهتين أو ثلاث، ولم يتوصل إلى عيوب أخرى سوى عادة غريبة لديه هى أنه يهتمهم متحدثاً لذاته من حين إلى آخر وعلى حين غرة بكلام غير مفهوم تماماً، بحسب ما ذكر زملاؤه الذى يعملون معه بمكتب محافظة "هيوجو"، ويبدو أنه حين ينغمس فى هذه الحالة يظن أنه ما من أحد بالجوار يسمعه على الإطلاق، لكن حتى إن كان هذا هو ظنه فالجميع من حوله يمكنه سماعه، والآن لا يوجد أحد من بين زملائه لا يعرف حالته وجميعهم يعلم أنه أصيب بها بعدما ماتت زوجته وأبناؤه.

زملاؤه يقولون عنه "الأب قاتل الغرائب" ويضحكون، فمثلاً فى مرة كان أحد زملائه بالمرحاض العام للهيئة وسمع شخصاً جاء ودخل المرحاض المجاور وكان هو "نومورا"، وسمعه يقول: "ألو هل أنت السيد نومورا؟" وسمعه يعيد السؤال نفسه مرات عدة بل ويجيب على نفسه قائلاً: "كلا أنا لست فلاناً". زميله هذا يؤكد أنه لم يختلط عليه الأمر وذاك الصوت كان صوت "نومورا" نفسه. ظن ذاك الشخص أن "نومورا" لا يدري بوجود أحد بالمرحاض المجاور، فحبس أنفاسه وأصبح الوضع مثيراً للشفقة، لكنه استمر طويلاً وسئم الانتظار وخرج هو أولاً وانصرف خلسة دون أن يريه وجهه.

من المؤسف أيضاً أن السيد "نومورا" حينها تنبه لخروج أحد من جواره ولكنه لم يتذكر مطلقاً من هو، وفى النهاية خرج ليزاول مهام عمله على نحو طبيعى كأن شيئاً لم يكن.

هذه الحالة لا يمكن التعبير عنها إلا بمصطلح "ليس بكامل قواه العقلية"، وإن كانت هذه ليست بجرعة، وإنما إن سمع بها أحد سيتفاجأ ويشعر بالغرابة.

لقد خرج وهو غير عابئ بشيء، وكلامه غير مفهوم!

ولا يمكن وضع احتمال أنه كان معه أحد مثلاً.

أي أحد سيسمع بذلك لا بد له أن يطلق صيحات الاندهاش بأعلى صوت، وأي أحد مكان ذاك الشخص الذي أخفى حاله لا بد أن يصاب بالذهول ويظن أنه أمام مجنون.

كل هذا يؤكد أنها عادة لا تتسبب في مشكلات أو إزعاج للآخرين، بل ولا يمكن حتى أن تصل إلى حد السلوك الاجتماعي، لكن قطعاً من الأفضل لها أن تظل دون زواج عوضاً عن اختيار شخص بهذا الوضع، والأكثر من هذا وذاك هو أن وجهه يبدو عليه الكبر وبالتأكيد يتجاوز السادسة والأربعين من عمره بكثير، إنه يبدو كعجوز، بل كمسن اجتاز الخمسين، وهذا هو أصعب شيء فكرت فيه "ساتشيكو".

هي تكاد تكون متأكده من أنه لن يروق "يوكيكو"، وواضح من البداية أن حظها غير موفق هذه المرة، ما يعنى أن هذه المرة مخيبة للآمال وغير مشجعة بالمرة، لكن بما أن هذا هو السبب الظاهري لاستدعاء "يوكيكو" فلا مفر من المقابلة.

على هذا النحو كان الشعور الحقيقي للزوجين "ساتشيكو" و"تينوسوكيه".

على أي حال، لا يبدو أن الأمر وصل إلى نهايته ما دام لم يخبراهما بأي عيوب.

وبهذا حسم الزوجان نقاشهما بالأبصار بقول أي شيء لـ "يوكيكو" عن واقعة حالته الغريبة تلك.

الفصل السادس والعشرون

عادت "انسوقو" من المدرسة وساعدتها أمها و"أوهارو" لتزيين الغرفة غربية الطراز، ورص عرائس الـ"هينا"⁽¹⁾ على الأرفف المتدرجة، فهم ينتظرون مجيء "يوكيقو" وجاءتهم برفقة.

عمومًا موسم مهرجان الـ"هينا" تتأخر احتفالاته بإقليم "كانساي" شهرًا، ما زال الوقت مبكرًا، لكنهم منذ 45 يومًا تقريبًا جاءتهم الأخبار بمجيء "يوكيقو"، وبذاك الحين كانت "تائيقو" تستعد بصنع الدمى للصغيرة وقدمت لها دمية "كيكوچورو" الخاصة بمعبد "دوچی چی" من أجل هذه المناسبة، وتذكرت "ساتشيكو" فجأة:

- "انسوقو، دعينا نزين بهذه الدمية أيضًا مع عرائس الـ"هينا".
- هكذا قالت "ساتشيكو" ثم أضافت:
- "عرائس الـهينا أريدها في استقبال أختك الكبيرة".
- "ماذا! أمي أليس مهرجان الـهينا الشهر المقبل؟"

(1) مهرجان الـ"هينا" يقام في اليابان لتنمو النباتات بصحة جيدة، وتستخدم عرائس ودمى الـ"هينا" للتزيين مع ورود الكرز والخوخ.

وقالت "تانيقو":

- "ما زال زهر الخوخ لم يفتح بعد".

وقالت الصغيرة:

- "ألا تقولين إن البنات يتأخر زواجهن إن خرجن لمهرجان الهينا بعد انتهاء موسمه؟"

- "بالضبط، وأنا طفلة كانت أمي دائماً ما تقول لي ذلك، وإن انقضى موسم المهرجان لا يمكننا الإسراع وإعداد العرائس، وإنما لا بد من الاستعداد مبكراً والتزيين، وخطأ أن تتم الاستعدادات بعد فوات الأوان".

- "مم، حقاً! لم أكن أعرف".

- "سأذكر هذا جيداً. ألا يناسب هذا القول أختي أيضاً؟"

في الماضي كان مهرجان "هينا" بهذا البيت يعنى أن يجعلوا متجر "ماروهيرا"⁽¹⁾ بـ"كيوتو" يصنع للصغيرة العرائس في بداية الاحتفالات، ثم بعد انتقالهم إلى بيت "أشييا" صارت غرفة الصالون التي يستخدمونها للم شمل العائلة أنسب غرفة للتزيين، وإن كانت هناك الغرفة غربية الطراز إلا أن الاحتفال بمهرجان "هينا" يجمعهم كل عام بتلك الغرفة. وكي ترحب "سانشيكو" بـ"يوكيكو" التي ستأتيهم بعد غياب نصف عام، أعدت الزينة لتظل شهراً ويسارعوا بالاحتفال بدايةً من موسم المهرجانات وفقاً للتقويم الشمسي.

دار حوار حول أن "يوكيكو" قد تمكث شهراً، فهذا الاقتراح قائم وها هو اليوم الثالث من مارس يبدوون في الإعدادات.

- "مهلاً اتسوقو، افعلوا كما قالت والدتك".

(1) متجر للعرائس مر على تأسيسه أكثر من 250 سنة، وهو من أقدم الأماكن بمدينة "كيوتو".

- "هيا، سنقوم بذلك اليوم بالتمام، وستأتى أختى مع بداية موسم الاحتفالات". فقالت "أوهارو":
- "يا لها من علامة لحسن الحظ".

فقالت الصغيرة:

- "وهل هى هذه المرة ستمير عروسًا؟"

أجابتها "أوهارو":

- "اتسوقو لا تقولى مثل ذاك القول أمام أختك أبدًا".
- "مم، فهمت. مثل ذاك القول، حاضر. حسنًا، وأنتِ أوهارو إن لم تنتبهى سيحدث معكِ كما حدث سابقًا".
- "أفهم، وهل تعلمين لم؟ كله بفضلكِ".
- "ماذا!... حسنًا. هيا إني أريد أن أهاتف أختى تائيكو"، وقالتها الصغيرة بصوت مملؤه الحباسة:
- "هيا بنا لنطلبها".
- "اتسوقو، اطلبوها بنفسك".
- "مممم".

وهنا انطلقت الصغيرة نحو سماعه الهاتف لتطلب شقة "شوطوو".

- "مم، حسنًا، بالتأكيد إنه اليوم، فلتعودى إلى البيت سريعًا. أختى، ليس بقطار تسويامى، ولا بالقطار السريع كاموميه، ستذهب أوهارو لاستقبالها بأوساكا".

وبينما "ساتشيكو" تضع التاج الذهبى ذا الزخارف المعلقة على رأس الدمية التى تمثل الإمبراطورة، وصل إلى مسامعها صوت صياح

الصغيرة عاليًا، فنادتُها ونهرتها في غضب حين رأتها ممسكة بسماعة الهاتف.

- "اتسو، هيا قولى لها إن كان لديها متسع من الوقت فلتذهب لتستقبل أختك".

- "حسنًا، أمى تقول لك إن كان لديك متسع من الوقت فلتذهبي لاستقبال أختى. ممم، مممم، أوساكا، فى تمام التاسعة. ستذهبين؟ لا داعى لذهاب أوهارو إذًا؟"

كان المغزى من كلمات "ساتشيقو" أن تذهب لاستقبال "يوكيقو" بمحطة "أوساكا" هى تفهمه جيدًا، ففى العام الماضى حين جاءت الجدة "طومى ناجا" لتجعل "يوكيقو" تغادر، ثم تلحقها "ثائفو" ثلاثة أشهر على الأكثر لتذهب هى الأخرى إلى طوكيو، بيت العائلة، تغاضى عن الأمر منذ ذاك الحين فلم يكن الموضوع بهذه السهولة، واستمر الوضع كما هو عليه (على الرغم من أنهم لم يفعلوا مع يوكيقو بالمثل)، وبهذا تصبح "يوكيقو" فقط هى الماهرة فى سحب البطاقات الخاسرة ولديها شعور بالظلم، ما يعنى أنه من الواجب حتمًا الذهاب لاستقبالها.

مكتبة

t.me/soramnqraa

- "هل أنصل بوالدى أيضًا؟"

- "كلا. لا داعى، إنه بالفعل فى طريق العودة الآن".

عاد "تينوسوكيه" إلى المنزل بال مساء، وكان هو أيضًا قد افتقد "يوكيقو" بشدة، فقد مرت ستة أشهر كاملة وأكثر منذ رحيلها. كان يلوم ذاته على عدم رغبته فى عودتها، وتنبه للعديد من الأمور الدقيقة مثل هل ستفضل الدخول للاغتسال فور وصولها، وهل وجبة القطار كانت كافية لها للعشاء؟ قطعًا لن تنام، ترى هل سترغب

في أكل شيء ما؟ وجعلهم يحضرون ثلاث زجاجات من خمر العنب الأبيض الذى تحبه ومسح الغبار عن واحدة ليرى تاريخها.

نصح الجميع الصغيرة "اتسوقو" بالتمهل للغد للقاء "يوكيقو"، لكنها ظلت في انتظارها ولا تصغى، وبعدما اقتربت الساعة من التاسعة والنصف اصطحبته "أوهارو" للطابق الثانى، وسرعان ما رن جرس البوابة الأمامية وسمعت صوت وقع أقدام الكلاب وهى تجرى إلى هناك.

- "إنها أختى". قالتها ونزلت مرة أخرى.

- "أهلاً".

- "أهلاً وسهلاً".

- "عوداً سالمًا".

قفز "جونى" في فرح، واستوقفته "يوكيقو" وهى أمام المدخل ومن بعدها "تائيكو" وهى تحمل حقائب السفر، وحين اصطفت كلتاهما جنبًا إلى جنب فى حماسة فى داك الوقت، ظهرت آثار تعب السفر على وجه "يوكيقو"، وكان الإنهاك ملحوظًا.

- "أين تضعين الهدايا؟" قالتها الصغيرة بسرعة وفتحت الحقيبة بنفسها وبدأت البحث بداخلها، وعلى الفور وجدت صندوقًا محترمة ومجموعة من الأوراق الملونة والمزركشة بأشكال للزخرفة.

- "اتسوقو مؤخرًا تقوم بجمع المحارم".

- "ممم، شكرًا".

- "ما زالت هناك واحدة أخرى، انظرى فى الأسفل".

- "وجدتها، وجدتتها، إنها هذه".

- وأمسكت "اتسوقو" بصندوق ملفوف بأوراق متجر "أوا" بحى
 "جينزا" ووجدت بداخله "زورى" مطليًا باللون الأحمر.
- "حسنًا صار لدى حقًا صندل من طوكيو".
- أخذته "ساتشيقو" بيدها لتراه وقالت:
- "حسنًا فلتحصى عليه جيدًا وتنتعليه الشهر المقبل في موسم
 رؤية الزهور".
- "كثير من الشكر أختى".
- "عفوًا. هل هى الهدايا التى طال انتظارك لها اتسوقو؟"
- "بالتأكيد. إنها رائعة. هيا خذيها كلها معكِ لغرفتكِ".
- "إلى الليلة مع أختى".
- "أعلم، أعلم". قالتها "ساتشيقو" وأضافت:
- "أنتكِ الآن ستذهب للاغتسال. اذهبي أنتِ أولاً للنوم مع
 أوهارو".
- "حسنًا. فلتأتى سريعًا أختى".
- اقتربت الساعة من الثانية عشرة حين انتهت "يوكيقو" من حمامها،
 ولبعض الوقت مكثت الأخوات الثلاث مع "تينوسوكيه" بالقرب من
 المدفأة بغرفة المعيشة.
- تعالى صوت الحطب فى النيران، وتلاقت وجوههم بعد طول غياب
 حول منضدة صغيرة عليها خمر العنب الأبيض والجبن.
- "يا للدفع هنا! بمجرد نزولى بمحطة أشياء على الفور شعرت
 بالفرق بين هنا وطوكيو".

- "ها نحن على مشارف احتفالات ميزوتوري⁽¹⁾ واقترب الربيع.. لكن هل الاختلاف إلى ذاك الحد! لم أكن أدري".

- "الفرق شاسع، وأكثر شيء هو أن الهواء حين يلامسك لا تجدينه رقيقاً مثل هنا. هناك بالذات البرد قارس، منذ يومين أو ثلاثة ذهبت للتسوق بمتجر تاكاشي ياما، وبمجرد خروجي لطريق العودة نحو خط التزام السطحي هبت الرياح وعصفت بكل ما كنت أحمله، وكنت كلما لاحقت شيئاً للإمساك به تدرج أكثر كأنه إلى ما لا نهاية، وبصعوبة تمكنت من الإمساك بالأشياء كافة، حينها أطراف ملابسى هى الأخرى طارت وانقلبت لأعلى فأصبحت بإحدى يدي أضغط عليها أيضاً بشدة. هنا لا يوجد أى من رياح طوكيو العاصفة".

- "لكنى بالعام الماضى حين أزعجتكم بمجئنى إلى شيبويا كيف كان للأطفال أن يحفظوا كلمات المنطقة بهذه السرعة. فى ذاك الوقت كنا بشهر نوفمبر ولم يكن قد مرَّ على ذهابكم إلى طوكيو سوى شهرين أو ثلاثة، وعلى الرغم من ذلك كل الأطفال ببيت العائلة يستخدمون لكنة طوكيو بطلاقة، حتى الأطفال الصغار كانوا بارعين".

- "هذا لا أمل فيه بسن أختى الكبيرة". قالتها "سانشيقو" تعليقاً على عبارة زوجها السابقة.

- "ليس كذلك، أختى الكبيرة لا يروقها حفظ تلك الكلمات. كنا مرة بالحافلة وبدأت الحديث بلكنة أوساكا، ويا للورطة، تطلع بوجهها كل الركاب لكن أختى الكبيرة استمرت فى حديثها على نحو طبيعى مهما حدَّقوا إليها. ذاك حقاً ما يجعل قلبها

(1) ميزوتورى هو مهرجان سنوى واحتفال بوذى يقام فى محافظة "سارا"، فى معبد "طوداى جى" فى 13 مارس ويعنى "طقوس سحب المياه المقدسة" وهو احتفال لتطهير الناس من الخطايا ولدخول ربيع عام جديد، وبمجرد اكتمال مراسمه يبدأ تفتح زهرة الكرز

عظيمًا. حينها كل من أنصت إليها قال: لكنة أوساكا ليست بالشئ السيئ حقًا".

وقلدت "يوكيقو" النطق بلهجة "طوكيو" بمهارة وهي تقول: "لكنة أوساكا ليست بالشئ السيئ حقًا"، وعلق "تينوسوكيه" قائلاً:

- "هكذا هن السيدات الناضجات. كانت هناك امرأة جيشا أعرفها تتجاوز الأربعين من عمرها، ولكنها إن ذهبت إلى طوكيو واستقلت القطار تعتمد استخدام لكنة أوساكا وتقول بصوت عالٍ: دعوني أنزل، وبالتأكيد الكل يتوقف لها".

- "وماذا عن تارو أو؟ ألا يعترض على استخدام أمه للكنة أوساكا وهما يسيران معًا؟"

- "لا أدري إن كان الأطفال كذلك أم لا".

- "تري ماذا سيكون شعور أختي الكبيرة حينها!" قالتها "تائيكو".

- "مم. الأمر مختلف عنه في أوساكا. هناك مهما حدث لا أحد يقول شيئًا ويبدون كأنه لا أحد يبال، فوق ذلك كله فطوكيو بها كل امرأة تقدر كيانها وشخصيتها ولا يتمسكن بالموضة بقدر ما يفضلن ارتداء الأنسب لهن، وهنا أظنهن أفضل حالاً من أوساكا".

كانت "يوكيقو" تثرثر بمرح لا مثيل له كالمتوقع بالضبط، وإنما ربما بسبب الخمر. بتلك الحالة هي لا تعبر صراحةً، ولكنها كانت بالتأكيد حالة من السعادة لاستطاعتها العودة إلى أراضى إقليم "كانساي" الذي أمضت به ما يزيد على نصف عمرها.

هكذا في غرفة المعيشة ببيت "أشييا"، "ساتشيقو" وأختها الصغيرتان سهرن الليل معًا محتضنات فرحتهن بلا شئ يعكر صفوها.

- "هيا ألن ننام!"

قالها "تينوسوكيه" في حين كان الحديث يتخذ مسارًا حيويًا، فنهض ليلقى ببعض من الحطب في نيران المدفأة.

- "إنى أريد أن تصطحبنى أنا أيضًا في مرة إلى طوكيو، لكن البيت فى شيبويا ضيق للغاية، متى ستبدلونه؟"

- "حسنًا، وإنما هم لا يبحثون عن منزل أو ما شابه."

- "إدًا، هل ستنوى الذهاب؟"

- "ليس كذلك، وإنما فى العام الماضى هم قالوا إن كان المنزل ضيقًا فلا يهم سنستبدله، وفى هذا العام أصبحوا لا يقولون ذلك. فماذا إدًا؟! يبدو أن أخى الكبير وأختى أيضًا قد تبدل تفكيرهما". وهكذا قالت "يوكيكو" وصارت تروى لهم على نحو غير متوقع.

- "هذا ما لاحظته، أن أيًا منهما لم يقل شيئًا بوضوح، وإنما فى الأصل الدافع لقرارهما الذهاب إلى طوكيو والابتعاد عن أراضى أوساكا وهى كارهة للبعد لذاك الحد هو رغبته فى النجاح فى مجاله، وأيضًا السبب الذى أدى إلى رغبته تلك فى الترقى هو أن ميراث الأب العاضن لأسرة من ثمانية أفراد لن يكفى لإطعامهم، وإن اعتبرناه ببالغ قليلًا إلا أنه بدأ يشعر بصعوبات المعيشة فذهب الآن إلى طوكيو، والشكوى من ضيق البيت حين يستقرون به شيئًا فشيئًا سيعتادونه وتلاشى شكواهم، أليس ذلك ما مهد له؟!"

والأدهى من ذلك أنه أغراه الإيجار الزهيد للمنزل الذى هو 55 ينًا. فماذا لأخى الكبير ولأختى أن يفعلًا! فمثل ذاك البيت إيجاره رخيص للغاية وقالها صراحةً دون تقديم أعذار لأحد، ووقتها قال لنا عن هذا الموضوع كانت نواياه البقاء بأى مكان رخيص يتمكن من اصطاده.

إنما لو كان لا يزال بأوساكا لكان لا بد له من الأخذ في الاعتبار اسم العائلة ومكانتها الاجتماعية، لكن في طوكيو إن قلت عائلة ماكي أوكا فلا أحد يدري، وبدلاً من التباهي غير المجدي فمن الأولى أن يكون هدفه زيادة مدخراته، وعلى هذا النحو فليس من الغريب إطلاقاً أن يتحول ويعتق مذهب المنفعة.

الدليل على ذلك أن أخى الكبير صار الآن مدير فرع وزاد راتبه، فإن قلنا فقط بناءً على ما يدخل جيبه من بدلات ستجده بخيلاً للغاية بكل شيء مقارنةً بعهده بأوساكا. أختى الكبيرة أيضاً تبنى مبادئه تلك وصارت مقتصدة إلى حد مثير للدهشة، إنها يوماً بيوم ترى بعينها مشتريات المطبخ وتقتصد منها، والأكثر أنها تدفع تكلفة وجبات لسته أطفال، لذلك سواء بتفكير أو دون تشتري نوعاً واحداً من الخضراوات، أى أن الوضع مختلف اختلافاً مريعاً، وإن حكيت لكم بكل تواضع فدعوني أقول إن قائمة الطعام للطبق اليومى اختلفت عن أيام أوساكا، الحساء والأرز بالكاري، حساء اللحم والخضر الميسوشيرو، بالطبع صار هو طبقاً واحداً بقليل من المكونات، وهذا حل بارع لتمتلى بطون الجميع شعباً.

وعلى هذه الحال، اللحم البقرى فى أكلة مثل سوكى ياكى لا نأكله إلا نادراً، بالكاد قطعة أو قطعتين من قصاصات اللحم تطفو، وتطعمنا إياها. على الرغم من ذلك، فمن حين إلى آخر بعدما ينتهى الصغار من طعامهم تعد قائمة طعام مختلفة للكبار فقط ليتشاركوا مع والدهم ويستمتعوا بالعشاء، ومهما كان سمك المرجان سيئاً بطوكيو، فإن إعداد اللحوم الحمراء وتناولها لا يكون إلا فى ذاك الوقت. وفى الواقع حينها بدلاً من أن تقول إن هذا من أجل أخى الكبير تعتبره من أجلى.

- بدا من كلام "يوكيكو" أنهم دائماً ما يجعلونها تنضم إلى الأطفال بما أنها تبدو مثيرة للشفقة!
- "إن كنت مكان أختي الكبيرة بالتأكيد لن أفعل مثلها. انظروا جيداً، هذا كله بناءً على تغييرها لبيتها".
 - "ممم.. بالضبط. بعدما ذهبت إلى طوكيو تغيرت شخصيتها تمامًا".
 - "إذاً ملاحظات يوكيكو في محلها". قالها "تينوسوكيه".
 - "وفُرصة هجرته إلى طوكيو هي أعمال لمبدأ التوفير والادخار تخلياً عن غروره. يستحيل أن يكون تفكير أختي الكبير صار هكذا. إن استمع أي أحد لمثل ذاك الحديث، سيقول ألا يفعل هذا الرجل أي شيء يُشكر عليه؟! إنما مهما كان فماذا عن مثل ذاك البيت الضيق! إن فكرت بتأنٍ أجدي لا يمكنني فعل ذلك أبداً".
 - "من الواضح أن كله صحيح، فحتى الآن يوكيكو ليست لديها غرفة، وهذا غير لائق بالمرّة، ومن الغريب أنه يضع نفسه في موضع تقديم الأعذار للناس".
 - "إذاً، ما سيقوله الناس ليس إلا أنه تغيير تمامًا وعلى حين غرة. كان أولى به أن يصنع لنفسه مظهرًا لائقًا ولو بالقليل".
 - "إذاً الآن صار لا يمكنني الذهاب إلى ذاك البيت الضيق؟"
 - قالتها "تائيكو" متسائلة بغاية الحماسة عما يخصها.
 - "بالضبط. إن جئتَ لن تجدي أي مكان للنوم".
 - "إذاً يبدو أن الحال على ما يرام حتى الآن بالنسبة إلى".

- "على أى حال، هم الآن وعلى ما يبدو ساهون عن شأنكِ أختى الصغيرة".

- "هيا هيا فلنذهب للنوم".

ودقت الساعة التى فوق رف المدفأة مشيرة عقاربها إلى الساعة الثانية والنصف، ونهض "تينوسوكيه" واقفاً مندهشاً.

- "يوكيقو لا بد أنكِ تعبِ اليوم".

- "هناك أحاديث عن مقابلة الزواج، وإنما فلندعها للغد".

واستمرت "يوكيقو" فى سماع مثل تلك الكلمات من "ساتشيقو" وهى تسبقها للدور الثانى، لكن حين دخلت غرفة النوم وجدت الصغيرة وضعت منضدة مكان الوسادة وعليها كل الهدايا من ذى قبل وصولاً إلى صندوق الصندوق الذى حصلت عليه اليوم، كلها مصفوفة، وهى قد غلبها النوم، فنظرت إلى وجهها الملائكى وهى نائمة على وميض ضوء المصباح المعلق، وغمرتها السعادة لعودتها إلى هذا البيت.

وبين سرير "اتسوقو" وفرش نوم "يوكيقو" سقطت "أوهارو" غارقة فى سبات عميق، فهزتها لبضع مرات لتوقظها وتنزل تكمل نومها بالأسفل.

- "أوهارو، أوهارو".

الفصل السابع والعشرون

مقابلة الزواج، تحدد موعدها ومكانها.

قالت السيدة "چينبا" إن يوم 8 من الشهر يوم مناسب، فلنجعل اللقاء في هذا اليوم، وأخبروا "يوكيفو" برغبتهم تلك، لكن وقع حادث غير متوقع في مساء يوم 5 من الشهر، ما اضطرهم إلى التأجيل.

في صباح ذاك اليوم كان لا بد لـ "ساتشيقو" أن تذهب إلى سيدة تعمل بمنتجع صحي للاستجمام بفترات النقاهة، وكانت بالفعل حجزت موعدًا واتفقت مع ثلاث من صديقاتها ليذهبن معًا، وعلى الرغم من أن الذهاب بالقطار لا بأس به فإنهن استقلن الحافلة وعبرن محطة "روفوو" وصولاً إلى "أريما"، وفي العودة استقلن قطار "شينيوو"، لكن في تلك الليلة بعدما ذهبت إلى فراشها للنوم فجأة انتابها ألم ورأت نزيقًا، واستدعوا الطبيب "كوشيدا" ليأتيهم بزيارة منزلية وفاجأهم بأنه إجهاض، واستدعى طبيبًا مختصًا على الفور، ووفقًا لفحصه الطبي سيستمر النزيف للصباح التالي. لازمها "تينوسوكيه" بغرفة المشفى، وظل منذ بداية ألمها يمحك رافعًا مسند مريره ويجلس بجوار الوسادة، وفي اليوم التالي بعدما استقرت حالتها وتوقف النزيف بالكاد أراح مسند

مقعده فقط، وحتى بعدما بدأت تتماثل للشفاء استمر في إجازة من عمله ملازمًا لزوجته. كان يجلس ناظرًا إلى الأسفل ويضع كلتا يديه حتى المرفقين بالقرب من صحن المدفأة، وراحتي يديه إحداها فوق الأخرى فوق ألسنة اللهب، وظل على هذا الوضع طوال اليوم دون أدنى حراك، فقط من حين إلى آخر يتبادل النظرات مع زوجته وقتما يشعر بها ترفع ناظرها إليه وعيناها تترقرقان بالدموع.

- "أحسن الآن؟" قالها سائلًا إياها بوجه هادئ وأضاف:

- "هل هناك ما يمكنني فعله لك؟"

- "أنت، تسامحني أليس كذلك؟"

- "ماذا؟!"

- "أنا لم أنتبه."

- "وذاك ما حدث، إنني على العكس كنت أريد ذلك مستقبلاً."

بمجرد أن قال ذلك "تينوسوكيه" انهمرت الدموع الحبيسة بعيني زوجته وغمرت وجنتيها.

- "إدًا يا للأسف."

- "هذا الحديث ليس وقته قطعًا. سيمكننا فيما بعد."

ظل الزوجان اليوم بطوله يعيدان الحوار نفسه لمرات عدة، وكان "تينوسوكيه" يتمعن في وجه زوجته الشاحب بعدما فقدت الكثير من الدماء، وهو لا يستطيع أن يخفى شعور الإحباط الذي اعتلى وجهه.

الحقيقة الصادمة هي أن "ساتشيقو" كانت في شهرها الثاني من الحمل ولم يأتها أي هاجس، فهي بكل حال من الأحوال منذ ولادة طفلتها منذ قرابة العشر سنوات قال لها الأطباء إنها لن تتمكن من الإنجاب فيما بعد دون إجراء عملية، فبالأكيد هي لم تلق بالاً للأسف.

لكنها تدرى بما يرغب فيه زوجها فيما بعد، وحتى إن كانت هى ذاتها لا ترغب فى كثير من الأطفال مثل أختها الكبيرة، لكنها تشعر بأن طفلتها وحيدة، فكانت تأمل أن يكون هناك حمل ويتم، وكان بنتها أن تذهب للاستشارة، لذلك حين اصطحبت رفيقاتها بالأمس راودها هذا الإحساس فجأة لكنها لم تريد أن تبالغ وتأخذ الموضوع على محمل الأهمية.

كم تبدو حمقاء والشعور بالاستنكار يجتاحها إلى أبعد مدى، وهذا جعل كل من حولها يخطط للترفيه عنها، وراح تفكيرهم فى الاتجاه المعاكس تمامًا، لكنها كانت لديها أسبابها لتجاهلهم، ولا يمكن لومها ففعلتها تدعو للحسرة، وقالتها لطبيبها "كوشيدا" ولنفسها "لما ركبت الحافلة، لما ذهبت لمثل ذاك الموعد"، وتذرف دموع الندم وما باليد حيلة. زوجها كان قد تقبل حقيقة كون ذاك الجسد لا يمكنه أن يحمل بأحشائه طفلًا، لكن دون أى محاولات منهما جاءهما البرهان على قدرتها على الإنجاب، لذلك قال لها إنه ليس حزينًا بل سعيد لأنه صار لديه الأمل مجددًا بالمستقبل.

لكن على الرغم من قوله هذا الكلام ليريحها، فإنها أيضًا أدركت كم أن زوجها بداخله بانس بشدة، ومهما أعطاها من عطف ومعاملة طيبة كانت تظل فى منتهى الندم لأنها غلطتها حتى لو لم يقل، فالخطأ ليس بهيئ ولا يمكن إنكاره.

فى اليوم الثانى بدأ زوجها أيضًا يتعايش، ويستعيد عافيته، وخرج بموعده المألوف للعمل، ومكثت "ساتشيقو" ممددة فى فراشها بالدور الثانى، وكلما فكرت فى أن الأسى لن يجدى نفعًا سرعان ما تنهاوى ولا يمكنها تجنب أفكارها الأولى. إنها كانت منذ قريب قد اشتاقت لـ "يوكيقو" وتريد لقاءها، أما الآن فهى لا تقوى على رؤيتها أو رؤية الخادמות وطفلتها الوحيدة، وكلما مكثت وحدها فاضت عينها بالدموع.

لو لم تكن فعلت فعلتها تلك غير المقصودة لكان لها أن تضع حملها في شهر نوفمبر، وصار مثل هذا الوقت في العام المقبل طفلها يستطيع الضحك. لا بد أنه بهذه المرة كان صبيًا، أليس كذلك؟ وبالطبع سيفرح زوجها. ترى "اتسوقو" كانت ستفرح أيضًا؟

إنها كانت لا تلقى بالأعلى الإطلاق، ولكنها كانت على وشك أن تراجع. ذاك الوقت كان نذير شؤم، ومع ذلك فلماذا لم تمتنع عن ركوب الحافلة؟ ولماذا لم تعتذر على الفور بأي حجة؟ فمهما قالت لكان من الأفضل لها أن تذهب بمفردها لاحقًا. كان يمكنها إيجاد العديد والعديد من الأعذار، فلما لم تفعل؟! مهما كان ندمها فسيظل هذا هو الشيء الوحيد الذي لن تكتفى من ندمها عليه.

وإن كان كما يقول زوجها إنه من حسن الحظ معرفتهما أنها يمكنها الإنجاب فيما بعد، وإنما إن لم يكن، فمهما مرت عليها السنوات لن تنسى أبدًا بل ستظل تفكر لو كان طفلها على قيد الحياة الآن لأصبح كذا ويسن كذا، وفي الغالب هذا الندم صعب الشفاء منه وسيظل يلاحقها مدى الحياة.

عادت "ساتشيكو" تلوم ذاتها بقوة، واستمرت في الاعتذار على ما ارتكبته من جرم، فطفلها الفقيد لن تعوضه هي وزوجها مهما كان، وانهمرت دموعها من جديد مرارًا وتكرارًا.

أما بالنسبة إلى السيدة "جينبا"، فالضرورة تفتض رفض الماضي قدمًا في الموضوع، لكن "تينوسوكيه" قال بما أننا لا نعرفهم البتة فإنه أولى بهم الآن أن يرسل هو السيدة "جينبا" نيابةً عن "ساتشيكو"، فهي التي تتولى مسئولية الاتفاق بين الطرفين وما زال الشخص المعنى لم يظهر بعد، وعلى الفور في مساء اليوم نفسه 6 من الشهر كتب لها أنه بالتأكيد يصعب عليهم طلب التأجيل، ولكن لسوء الحظ زوجته مصابة بنزلة برد وحرارتها مرتفعة، وإن كان الأمر يبدو أنانيًا

للغاية وإغما يستميحهم عذراً أن يتأجل الموعد إلى يوم 8، وهو يرسل تلك العبارات سالفة الذكر لتبدو الأمور منطقية، وبالطبع هذه هي الأسباب فقط وليس هناك أى شيء آخر، لذلك يرجوهم ألا يسيئوا فهمهم بخصوص هذه الجزئية، ونزلات البرد ليست بالمرض العضال، فإن تكرموا وانتظروهم إلى الأسبوع المقبل سيكون من الأفضل.

أرسل "تينوسوكيه" الخطاب بالبريد السريع.

لكن كيف تلقاه الطرف الآخر؟

في مساء اليوم السابع أنت السيدة "جينبا" في زيارة مفاجئة لتطمئن على "ساتشيقو" وأيضاً تسألها، ودخلت وقالت لـ "تينوسوكيه":
- "عذراً إن كنت سأخذ من وقت السيدة زوجتك قليلاً ولكنى أود مقابلتها".

اصطحبها "تينوسوكيه" للغرفة التي ترقد بها زوجته، وحين رأتها "جينبا" وهي طريحة الفراش فعلاً هداً بالها، ما يعنى أنها تفهمت الموقف، لكنها أيضاً بمجرد أن رأت وجه صديقتها التي وثقت بها أظهرت لها "ساتشيقو" شعوراً بقوة صداقتهما، فسألتها "جينبا" عن حقيقة مرضها، ولأن هناك في هذه اللحظة حديثاً منتظراً، ظلت "ساتشيقو" تعطى المقدمات وتقول:

- "وجدت أنه من الأفضل أن أكتب لك خطاباً فإنك مختفية منذ فترة طويلة".

ثم قصت عليها باختصار ما حدث مساء اليوم الخامس من الشهر، فاستمعت لها وهي تروى وقلبها يعتصره الألم، وأضافت "ساتشيقو" أنها أفصحت بالقول لها هي فقط، وبالتأكيد هي عليها أن تجد أى شيء ما لتخبره للطرف الآخر ما عدا الحقيقة بأى حال من الأحوال، وترجتها "ساتشيقو" ألا تشعر بالأسف حيالها، ومن

الأفضل أن يمهلوهم بعض الوقت، فبعد أسبوع قد تكون تحسنت وتستطيع الخروج وهذا على حد قول الطبيب، وحينها فليحددوا موعدًا جديدًا لمرة أخرى، وبهذا، أنهت "ساتشيقو" حديثها وهي تؤكد عليها ألا تخبر حتى زوجها بمثل هذا الحديث المؤسف، وفور ما وجدت "جينبا" أن "ساتشيقو" اغرورقت عيناها بالدموع سارعت بتغيير مجرى الحديث قائلة:

- "حسنًا بعد أسبوع، ترى سيكون أى يوم بالشهر؟ 15؟"

في الصباح الباكر وصلت رسالة بالبريد السريع تقول بها السيدة "جينبا":

"قبلما أتى لزيارتك تناقشت في الترتيبات مع الطرف الآخر، وعلمت أنه سيكون في عطلة الاعتكاف بالمعابد⁽¹⁾ من يوم 18 حتى 24 من الشهر الحالي، وتجنبًا لهذه الفترة فهل بالفعل سيكون يوم 15 مناسبًا؟ أى بعد ثمانية أيام. إن كان غير مناسب فلنجعلها في أى موعد آخر بالشهر المقبل. لكن ما زال هناك متسع من الوقت حتى يوم 15، نحو أسبوع، ألن يمكنك؟ بالحقيقة السيد هامادا يرجو ذلك أيضًا ويطلبه. هذه ليست أنانية منا، هذا فقط إن كان الطبيب قال تحسنت حالتك ولا داعى حتى لتتناقش مع زوجك الآن ولا تضغطى على نفسك للخروج ولو بالقليل، الغرض هو أن أبلغكم بالموافقة على أى حال، غير أنى أدعم بشدة المضى قدمًا في الموضوع فيما بعد، حتى إن جاء يوم 14 وكان لا يزال لديك نزيف ولو بالقليل من حين إلى آخر فلا داعى لتنهضى وتتحركى كثيرًا".

منذ البداية و"تينوسوكيه" يسألها ما إن كانت على ما يرام لتحديد ذاك الموعد، فهو يفكر إن كان لا يزال هناك خطر عليها، فمن حسن

(1) عطلة "هى جن" عطلة بوذية تحتفل بها الطوائف البوذية اليابانية على وجه الخصوص في الربيع والخريف، ويعتكفون لتقديم الخدمات بالمعابد البوذية.

الحظ أن السيدة "جينبا" تدرك حقيقة الوضع، ما يعنى أنه لا مانع من الحديث معها عن أمر تغيب "ساتشيقو" عن اللقاء ويذهب هو بمفرده مع "يوكيقو" للمقابلة، وهذا ما تبادر لذهنه، فموقفهم لا تمكن مقابله بالإهمال، وإنما الصعب في هذه الفكرة هو أنه إذا تغيبت "ساتشيقو" فلن يكون هناك أحد ليقدم كلا الطرفين للآخر.

"يوكيقو" داهمها القلق، فلا بأس من كون أختها لن تفعل شيئاً دون استطاعتها من أجلها، وإنما إذا طلبوا التأجيل مرة أخرى فهذه الحالة قد يلغى كل شيء، وشطح تفكيرها إلى أنه في ذاك الحين سيقولون في الأصل ليس من نصيبها، ولمرة أخرى "ساتشيقو" ستتذكر فجأة بهذه الأجواء شعورها بالشفقة حيال أختهم الصغيرة المنسية بسبب أحزانهم.

إلى ذاك الحد كانت مقابلات زواج الصالونات التقليدية بالنسبة إلى "يوكيقو" كوقائع حادث أليم لا يمكن للممة توابعه بسهولة، والغريب أن هذا أيضاً ما توقعته بهذه المرة. ليتته يخيب ظنها، وإنما ها هو من البداية يتوالى ظهور العقبات، بدايةً بمرض ابنة أختها الكبيرة بمنزل العائلة، وحين ظنت أن الأمر انتهى وقعت الحادثة البائسة لإجهاض أختها، لذلك تملكهم كلهم شعور غريب لا يمكن ردعه بأن القدر الذي يربطهم يسحبهم ويغمسهم بداخل حظ أختهم الصغيرة، لكن على غير المتوقع فـ"تاتيقو" لا يبدو عليها ولا تبالى بأى شيء، فقط تزداد براءتها كلما تقابلت وجوههم.

في هذه الحال، حين خرج "تينوسوكيه" ذاهباً إلى عمله في صباح يوم 14 كان يميل لأن يجعل "ساتشيقو" تتغيب عن الموعد، وكانت هى ذاتها كلما غلبتها رغبتها في التغيب، عادت في قرارها وظلت في حيرة دون أن تحسم أمراً، لكن في نحو الساعة الثالثة جاءتها مكاملة هاتفية من السيدة "جينبا" تسألها عن أحوالها من بعد

تلك الواقعة وكانت تحاول أن تستشف الوضع، فأجابتها "ساتشيقو" بأنها تحسنت بنسبة كبيرة، فتابعت السيدة "جينبا" حديثها لتخبرها بأن السيد "نومورا" يلاحقها متسائلاً إن كان موعد الغد مناسباً، فهو اتخذ قراره بأن يجتمعوا في الخامسة مساءً بفندق "أورينتال أوتيل"، فقط يجتمعون بالفندق ويحتسون الشاي ثم يذهبون لتناول العشاء بمطعم ما لم يقرره بعد، ومع أن هذه مقابلة زواج وإنما فلتكن دون تكلف وكمجرد لقاء لعدة أشخاص، وعليه فبعد اللقاء بالفندق وتبادل الحوار فليذهبوا إلى مكان ما يستحسن لو قررتموه مسبقاً، وهو يقول إن السيدة "جينبا" وزوجها هما نيابةً عن السيد "هامادا"، وبهذا يصبحون ستة أشخاص، ثلاثة من كل طرف.

في اللحظة الأخيرة و"ساتشيقو" تسمع لذلك الحديث اتخذت قرارها، وقالت لها حسناً هذا عظيم، وإنما فلتخبرهم بأنهم ما زالوا غير متأكدين ولا داعي لكل هذا، وفي الحقيقة هي بالكاد تعافت وإنما في الغد ستكون المرة الأولى التي تخرج بها ونزيفها لم يتوقف بالكامل بعد، وأضافت "ساتشيقو":

- "أنا يصعب عليّ قول ذلك حقاً، وإنما أنتِ لديكِ مهاراتك الخاصة للتعامل مع الموقف، فأنا حقاً لن يسعني المشي، وحتى لو لمسافات قصيرة عليّ أن أستقل سيارة أجرة. إن أخذتِ هذا بعين الاعتبار فلا اعتراض، وهذه الجزئية فقط أؤكدُها عليكِ مسبقاً".

حين جاءت هذه المكالمة لم تكن "يوكيقو" بالبيت وذهبت إلى صالون تجميل "إيتاني" لتهدم شعرها للقاء الغد، وحين عادت واستمعت لما دار من حديث وعرفت بالتفاصيل الأخرى ظهر استنكارها للمكان. "فندق أورينتال".

إنها في السابق حين التقت "سيجوشي" كان أيضاً في المكان نفسه، وهذا إن لم يكن نذير شؤم فماذا إذاً إن تذكرها النادل أو المضيفات

وغيرهم في ذاك الحين! هل سينظرون إليها بعين العروس التي جاءت مرة أخرى لمقابلة زواج! بالطبع هذا وضع مسميء وغير مقبول. لكنه لم يرد بتفكير "ساتشيقو" أدنى اعتراض من ذاك القبيل حين استمعت لعرضهم من البداية، ولكنها أدركت فور بدء الحديث أن "يوكيقو" سيصعب إرضاؤها لقبول ذلك، فدخلت غرفة مكتب زوجها لتهااتف السيدة "جينبا" وشرحت لها الأسباب كما هي بالضبط، وطلبت منها إعادة النظر فقط في "أورينتال أوتيل".

بعد ساعتين جاءتها مكالمة هاتفية من الطرف الآخر، فقد تحاوروا مع سيد "نومورا" وقال إن كان ليس لهم أن يذهبوا إلى ذاك الفندق فهو لم يفكر في مكان آخر مناسب، وليذهبوا مباشرة إلى مطعم ويلتقوا هناك. أما عن تحديد المطعم فهنا القرار متروك لهم بلا أي مشكلة، وإن كان لديهم أي مقترحات فهو بانتظارها، وعليه فإن كانت الأمور ستسير وفقًا لطريقتهم فلا بأس، فلقد كان المقصد فقط إيجاد مكان لنجتمع أولاً، ولتخبروا الأنسة "يوكيقو" أن اختيار فندق "أورينتال أوتيل" كان من أجلها، فهو يفضلها للغاية وإن لم يكن كذلك بالنسبة إليها فبالطبع لن يدع شيئاً يزعجها هكذا.

تناقشت "ساتشيقو" مع زوجها بعدما عاد إلى البيت، والنتيجة أنه بالطبع يفضل احترام مشاعر "يوكيقو"، فهو لا يريد أن يصعب الأمر عليها.

وقال: "فلنبحث عن حل وسط، ولنفكر جيداً، ودعونا نلتقي مرة أخرى في الصباح".

كانت هذه تحيته فور عودته، وبصباح اليوم 15 جاءتهم المكالمة الهاتفية لسؤالهم: "ماذا عن فندق طووا أوتيل؟"

على هذا استقر الحديث أخيراً.

الفصل الثامن والعشرون

كان يوم اللقاء يومًا باردًا بعدما انتهت احتفالات "ميزو ثورى"، وإن كانت ليست هناك رياح وإنما ندف الثلوج عالقة بالسماء الغائمة. فور أن استيقظ "تينوسوكيه" سأل زوجته:

- "هل توقف النزيف؟"

فهذا أول شيء يهتم له ويعيره انتباهًا، وفي المساء عاد مبكرًا وسألها مرة أخرى:

- "كيف حالك؟ والنزيف؟ إن كنتِ لستِ في مزاج جيد فلنعتذر، ولا بأس سأذهب أنا بمفردى نيابةً عنكِ".

كانت "ساتشيقو" بكل مرة يسألها تجيبه بأنها على ما يرام ولا بأس بالخروج لقليل من الوقت، لكنها في الحقيقة منذ مساء البارحة بعدما تحركت للعديد من المرات لتتحدث بالهاتف تأدّت بعض الشيء، واليوم زاد قدر نزيفها ولا تزال لا يمكنها الاغتسال وتكتفى بغسيل وجهها ومؤخرة عنقها فقط، وحين جلست أمام مرآتها رأت كم تظهر آثار الأنيميا أيضًا على لون وجهها، وشعرت بأن الإنهاك

يتغلب عليها، لكنها حاولت أن تجعل الأمور تبدو طبيعية قدر الإمكان بحضورها لتلك المقابلة الخاصة بأختها الأصغر، لكن من قبل حين حدث وتبهرت لها السيدة "إيتاني" بمدخل الفندق وسألت "ساتشيقو":

- "هل أنت بخير؟ الوهن يبدو عليك".

مدخل الفندق كانت تترقب وصولهم السيدة "جينبا"، واقتربت فور رؤيتهم يدخلون وهم يحيطون بـ "يوكيقو" من الجانبين، وقالت لـ "ساتشيقو":

- "دعيني أقدم لك زوجي"، قالتها وأشارت إلى "سنتاروو" الذي كان يقف ممشوق القوام بهيئة أنيقة تفصله عنهم خطوات، ونادت عليه فقال:

- "مرحبًا. زوجتي عادةً ما تتسبب لكم في الإزعاج".

- "إطلاقًا إطلاقًا، مرحبًا بك. بهذه المرة أيضًا واجب علينا شكر زوجتك لاهتمامها الفائق وبالذات اليوم، فقد كنّا في غاية الأنانية بطلباتنا. نعتذر بشدة".

- "حسنًا يا ساتشيقو". قالتها السيدة "جينبا" بصوت خافت.

- "انظري هناك، إنه السيد نومورا، سأقدمكم له لكنني لم ألتقي مديرًا من قبل إلا مرة أو مرتين، لذلك لا أعتاد الموقف والوضع غريب عليّ إلى حد ما، لهذا إن رغبتكم في السؤال عن أي شيء سألوه مباشرة فأنا لا أدري".

وظل السيد "جينبا" بالجوار ساكنًا يستمع لثرثرتها مع الزوجين وانتظار انتهاء هذا الحديث الهامس.

- "حسنًا، تفضلوا من هنا". وانحنى بخفة مشيرًا لهم بإحدى يديه كأنه يدفعهم ليتحركوا.

وقبلما يقدمهم بعضهم لبعض تذكرت "ساتشيقو" وأختها السيد الأنيق الذي اتخذ مقعدًا بساحة الاستقبال للفندق وحده. كان ينفث دخان سيجارته ثم يضعها بالمرمدة، ويحركه متهورة أخذ يطفئها ساحقًا ما بها من لهب ونهض واقفًا. كانت بنية جسده قوية على نحو لا يصدق وتبدو عليه الصرامة والحزم، وإغا ما كانت تخشاه "ساتشيقو" أن يكون عجوزًا كما بدا بالصورة أو تكون هيئته كرجل طاعن بالسن. أول شيء لم تدركه من الصورة هو شعره، إنه ليس بأصلع وإغا أكثر من نصف شعره يكسوه الشيب، وخفيف من الجانبين، مجعد، أشعث، ويبدو متسخًا بشدة، ووجهه كثير التجاعيد. للوهلة الأولى تظنه في الرابعة أو الخامسة والخمسين من العمر. إنه في الحقيقة سنه لا تزيد على سن "تينوسوكيه" إلا بعامين، وعلى الرغم من ذلك فإن السيد "نومورا" يبدو أكبر منه بعشر سنوات.

الأكثر من ذلك أن "يوكيقو" تبدو في الواقع أصغر من 28 سنة، بالكاد في الرابعة أو الخامسة والعشرين من العمر، لذلك فالفرق بينهما كما لو كان أبًا وابنته، والأخت الصغيرة بهذا الموقف تحظى بشعبية كبيرة، الطلب عليها كثير، ومرغوبة بشدة.

لكن "ساتشيقو" شعرت كم أن وضع أختها لا يصل إلى نهاية مطلقًا.

بعدما انتهى الأشخاص الستة من التعرف بعضهم إلى بعض، التفوا حول مائدة الشاي وخاضوا أحاديث لكنها لم تكن في مسار الدردشة اللطيفة، بل من حين إلى آخر كان يسود الصمت. "نومورا" شخص تشعر كأنه بمكان ما بعيد يصعب الوصول إليه وهو لديه أسبابه، على الرغم من أن الزوجين "جينبا" قاما بدور المساعد فإنيهما كانا في منتهى التحفظ معه، وكانت الأجواء قاسية.

ربما كان الزوجان "جينبا" يريان أنه ابن أخ السيد "هامادا" ولي نعمتهما، لذلك فمن الوقاحة أن يتعاملا معه على نحو طبيعي، وعادةً في مثل تلك الأوقات يصل بهما الارتباك إلى حد يجعلهما يلزمان الصمت، وإن كان في متناول أيديهما الجهة الأخرى الزوجان "تينوسوكيه"، لكن اليوم "ساتشيقو" ليست في كامل لياقتها وهذا أيضًا أثر بالسلب في "تينوسوكيه" وجعله كئيبيًا نوعًا ما.

- "السيد نومورا، عمك بمكتب المحافظة ما طبيعته؟"

توالى الأسئلة تدريجيًا على ذاك النحو، وبدأ الحديث حول التوجيهات المتعلقة بزيادة إنتاج أسماك السلمون تحت حماية محافظة "هيوجو"، وحول بأي منطقة يوجد السمك الألد مذاقًا، وحول هذا النوع من الأسماك بمدينة "تاتسونو" و"تاكينو"، وهكذا دار الحكى.

في تلك الأثناء قامت السيدة "جينبا" وقالت:

- "عفوًا".

وسحبت "ساتشيقو" معها ونوارت الاثنتان عن الأنظار ووقفتا تتحدثان، ثم عادت "جينبا" بجوار السيد "نومورا" وهمست بأذنه ثم أسرع إلى غرفة الهاتف ومرة أخرى نادى "ساتشيقو"، وبدأ أنها منشغلة بأمر ما، ثم عادت السيدتان إلى مقعديهما، وفي المرة التالية قامت "ساتشيقو" ونادت على زوجها ووقفت تتحدث معه:

- "ماذا هناك؟"

- "إنه بخصوص مكان المطعم، أتعرف متجر الطعام الصينى

بيكين روه في منطقة ياماتيه؟"

- "كلا لا أعرفه".

- "السيد نومورا يذهب إليه دائماً لذلك يرغب في أن نكمل لقاءنا هناك. إنه لا بأس بالطعام الصيني ولكن اليوم ستسوء حالتى إن مكثت هكذا على مقعد، وأريد مطعمًا يابانيًا بحضر تاتامى، وهناك مطعم أو اثنان تقريبًا على الطراز اليابانى ويقدمان الطعام الصينى، ويديرهما أشخاص صينيون، والآن السيدة چينبا حجزت لنا فى أحدهما، أليس هكذا أفضل؟"

- "إن كان من الأفضل لكِ فأى مكان مهما كان بالنسبة إلى سىكون جيداً. أنتِ لا تقفى وترهقى نفسكِ على هذا النحو. فلتجلسى بمكانك قليلاً."

- "حسنًا إنها فقط نادتنى."

وذهبت "ساتشيقو" إلى المرحاض وتغيبت نحو 20 دقيقة، وفى النهاية عادت ووجهها يفتقد للدموية كأنه أزرق، ومرة أخرى قالت "چينبا":

- "عفوًا".

ونادت عليها، لكن "تينوسوكيه" قال لها:

- "كلا سأذهب أنا".

ونفض ذاهبًا بالفعل إلى السيدة "چينبا" وقال لها:

- "عفوًا، إن حالتها الجسدية لم تتحسن بعد لذا إن كان هناك أى خطب فلتتفضلى وتخبرينى به".

- "حسنًا، فى الحقيقة لقد جاءت سيارتان الأولى للسيد نومورا ويوكيكو وأنا، والأخرى لحضرتك وزوجتك وزوجى، ما رأيك؟"

- "إدًا هذه رغبة السيد نومورا؟"

- " كلا ليس كذلك، وإنما فقط ماذا بها إن جعلنا الأمور تسير على ذاك النحو؟ فهذا ما خطر ببالى".

- "إذًا.."

تطلب الأمر مجهودًا أكثر لكيلا يظهر على ملامحه رفضه الشديد بكل حال من الأحوال.

أما "سانشيقو"، فهي اليوم تتحمل صعبًا جسدية بحضورها ونستمر في مواجهة المخاطر، وهذا ملحوظ من الأمس، وعلى الرغم من أن التلميحات تكررت منذ حين فإن السيدة "جينبا" ظلت تسألها ولم تنطق بكلمة واحدة تؤازرها أو تبدى تعاطفها، والأهم من ذلك كله أن "تينوسوكيه" غير راضٍ.

وها هى اليوم أكثر إصرارًا وعن قصد تتجاهل ذلك، لكن مهما كان فأولى بها أن تظهر بعضًا من التعاطف حيال "سانشيقو" لكنها بالغت في عدم مبالاتها، أو لعله رد فعل من "جينبا" لاعتبارها سلوكهم أنانيًا، فبهذا التفكير هى تظنهم بمنتهى الأنانية حقًا، فحتى الآن التأجيل لعديد من مرات من طرفهم، وعليه فهى ترى أن طرفها تحمل للآن التأجيل كثيرًا لذلك فهم عليهم الآن تقديم التضحية ما داموا قد وصلوا إلى هذه النقطة، وهذا منطقى وفى الغالب هذا كان شعورها، ولا داعى لذكر أن هذا كله ليس لأحد سوى الأخت الأصغر، فالسيدة "جينبا" تتعامل بلطف حيال "يوكيقو" فقط، ومن أجلها هى أيضًا تتحمل "سانشيقو" عناءها الجسدى.

إنهم جميعهم بلا خلاف يحسنون لها صنيعًا، أليس هذا ما يظنون؟

وهنا على ما يبدو شعر "تينوسوكيه" بالغيرة، لكنه كان يظن أن هذه السيدة هى مثل "إيتانى" بالضبط، وفكر فى أن الابنة المتورطة

بتأخر زواجها لا بد أن يكون الجميع في عونها، وهو مثلاً ألا يليق به أن يشعر بأنه يسدى إليها معروفًا؟!

حسب كلام "ساتشيقو" فإن زوج السيدة "جينبا" هو رئيس قسم الطاقة بشركة القطارات بإقليم "كانساي" التي يرأسها السيد "هامادا تاكيكيتشي"، لذلك فهو عليه أن يلبي رغبات السيد "نومورا" كلها بكل جد ولأداء لمديره، ما يعني أنه لن يهتم شيء بخلاف ذلك، ولعل هذه هي الفرصة الأولى، لذلك ففكرة أن يستقل "نومورا" و"يوكيقو" عربة واحدة هي من منطلق الولاء، أليس كذلك؟ ولا يبدو أنها من مقتبس أفكار "نومورا"، ومهما كان فبهذا الموقف يشعر "تينوسوكيه" بأنهم جعلوا منه الأحمق الذي لا يكثر.

- "حسنًا، هل هذا على ما يرام إن لم ترفض الآنسة يوكيقو؟"

- "كلا ويؤسفني قول إن الأمر مرفوض حتى لو وافقت يوكيقو، فإننا لو تركنا الأمور تأخذ نصابها الصحيح فلك الفرصة ستأتي كثيرًا في المستقبل بالتأكيد".

- "هاهاهههه". وضحكت السيدة "جينبا" وتنبهت للون عيني "تينوسوكيه" وابتسمت ابتسامة مجبرة عليها، واتسع أنفها كجراد البحر.

- "إدًا وماذا بعد؟ إن جعلنا الأمور تسير هكذا، فما تفضله يوكيقو وإن كان ضد الأعراف ولا يمكن البوح به وإنما هو على العكس نتيجه هي الأفضل، أليس كذلك؟ حسنًا، فقط خطررت لي الفكرة وقلت أخبركم بها، فماذا إدًا؟"

لكن هذا أثار حنق "تينوسوكيه"، وليس هذا فقط بل أيضًا كان المتجر الذي يدعى "بيكين رو" هو بالمرتفعات التي جهة الجبال محطة "موطوماتشي" على خط القطار العام، وهو متأكد من أن السيارة لا بد لها أن تسير بمحاذاة شريط القطار ولا بأس ولا داعي

للقلق، إنها ستظل تحت ناظره وأمام البوابة سيصرون جنبًا إلى جنب معًا، وهناك من "موطوماتشي" إلى "كوبيه" سيتخذون الطريق المتجه شمالاً لخطوط السكة الحديد العلوية، لكن حين وصلوا جميعًا إلى المكان المنشود كان هناك درج صخري لا بد أن يصعدوه للمدخل ومن بعده أيضًا سلم للطابق الثاني.

تأني "تينوسوكيه" ليعتنى بزوجته ويصعدا معًا على مهل، وحين وصلا إلى الطابق الثاني كان "نومورا" يقف بالردهة متطلعًا نحو البحر ولم ينتبه لوجودهما، ثم بعد برهة قال بصوت مفعم بالبهجة:

- "كيف الحال سيد ماي أوكا؟ أتريد أن تلقى نظرة من هنا؟"

وهنا اصطف واقفًا بجواره السيد "جينبا" وقاطعهما معلنا عن وجوده وهو يقول:

- "إدًا، لقد أحسنت اختيار المكان".

- "حين تلقى نظرة على مدن الموانئ من هنا سيراودك شعور غريب كأنك عدت إلى ناجاساكي".

- "بالضبط، بالضبط. حقًا شعور ناجاساكي".

- "إني دائمًا ما أتردد على مطعم صيني في مدينة ناكين، وإنما لم أكن أدري بهذا المكان في كوبيه".

- "هنا قريب من مكتب المحافظة، لذا فأنا آتيه باستمرار، طعامه لذيذ أيضًا".

- "حسنًا هيا بنا. وإن قلنا الشعور غريب، أليست هذه المباني التي تشبه المباني الموجودة بمدن الصين تغيرت بشدة؟ إن المطاعم الصينية التي يديرها صينيون الكثير منها رديء لكن التصميم المعماري في نحت النوافذ والدرايزين وزخارف الغرف مميز بشكل يثير الاهتمام".

كانت "ساتشيقو" تقف رغمًا عنها ولكنها لاحظت شيئًا ما فقالت:

- "يبدو أنه دخلت الميناء بارجة من أسطول حربي".

- "ترى أسطول أى بلدة؟"

وتبادلوا أطراف الحديث على ذاك النحو، لكن السيدة "جينبا" ذهبت إلى منسق الاستقبال بالأسفل للتناقش بشأن ما وعادت لهم بالأعلى مرة أخرى ووجهها يبدو عليه الإحراج.

- "ساتشيقو، أنا بغاية الأسف، الصالة بابانية الطراز ليس بها أى مكان شاغر، ونود أن تتحملى البقاء بالصالة الصينية. لقد عرفت ذلك حين أجريت اتصالى الهاتفى سابقًا وظننت أنه قد نجد مكانًا عندما نصل، على أى حال النادل هنا صينى وأنا أكدت عليه عدة مرات أن يخبرنا فور أن يجد مكانًا".

لقد رأى "تينوسوكيه" وهو يصعد للطابق الثانى التجهيزات بالصالة الصينية التى قبالة الردهة واستغرب الأمر، لكن إن كان النادل أخطأ السمع فليس بالضرورة أن يقع اللوم على السيدة "جينبا"، وإن كانت خرجت لمكاملتهم فذاك النادل لا يمكن الاعتماد عليه، فأى حيلة أكثر من هذا كان لهم أن يقوموا بها حيال "ساتشيقو"؟ إنه لم يظن أن ذلك وقع من عدم مبالاتهم مثلاً. علاوة على ذلك، فحتى السيد "جينبا" والسيد "نومورا" لم يطلبوا منهم تقديم أى مبررات لتغيير مكان اللقاء، بل وامتدحا هذا المكان بشدة.

- "حسنًا إذًا، هل ستتحملين هذا المكان؟".

وسألتهما "جينبا"، وقبل أن تمهلها لتجيب أمسكت بيد "ساتشيقو" بكلتا يديها بقوة وقالت كما لو كانت طفلًا يلح على شيء ما:

- "حسنًا حسنًا، هنا ليست صالة بحصير قاتامى وإنما لا بأس بها. هيا أخبرينى أنه جيد ولا مانع".

شعرت "ساتشيقو" بأن زوجها قبلاً منها لا يروقه ما يحدث،
فمالت نحوه:

- "أنت.. أأنا تصطحب مرة اتسوقو ابنتنا الصغيرة إلى هنا؟"

- "ممم لا أدري، أيفرح الأطفال إذا رأوا مراكب الميناء؟"

قالها "تينوسوكيه" بوجه تعتليه نظرة متجهمة.

التفوا جميعهم حول منضدة دائرية و"ساتشيقو" قبالة "نومورا"،
وبدأ العشاء بالمقبلات مع خبز الشاوزيرنج الصيني والخمور اليابانية،
ومناسبة الحديث عن الصين وأستراليا وألمانيا، أمسك السيد "جينبا"
بالصحف اليومية وكان العنوان الرئيس هو دخول هتلر "فينا"،
واستقالة رئيس وزراء أستراليا، لكن جانب عائلة "ماكي أوكا" كانوا
يرتشفون القليل من حين إلى آخر في حين "نومورا" و"جينبا" يتشاركان
النقاش، وحاولت "ساتشيقو" قدر المستطاع أن تظهر لهم أنهم غير
مهتمين. إنها بذهابها إلى فندق "طووا أوتيل" ومجيئها إلى المطعم
ثم البحث عن مكان وصولاً إلى مائدتهم، بلا شك كل هذا تسبب في
حركة جسدها فجأة فزاد نزيهاً بعد الخروج للعشاء بذاك المساء،
وفوق ذلك كله، حدث كما توقعت تمامًا وبجلوسها على مقاعد
المطعم ذات الظهر العالي والقاسي ساءت حالتها، وبتحملها لكل تلك
المتاعب راودها القلق حيال ما ترتكب من أخطاء وما باليد حيلة.
كلما فكر "تينوسوكيه" في الأمر تأجج غضبه، لكنه يدرك جيداً
أن زوجته تبذل قصارى جهدها، وإن كان هو لا يروقه الوضع فهي
تتحمل أكثر منه، وفي النهاية هو أيضاً عليه أن يبذل الجهد فقط
لفتح حديث حتى إن استعان بطاقة الخمر.

- "هيا هيا سيدة ساتشيقو تفضلي".

قالت لها السيدة "جينبا" بعدما ملأت كئوس الرجال بالخمير، وبعدها توجهت إليها بالقنينة.

- "أنا اليوم لا يمكننى الشرب وإنما يوكيقو لا مانع من القليل".

- "إِذَا، يوكيقو، تفضلى".

أضافت "سانشيغو" بلورات السكر إلى كأسها وارتشفت القليل من نبيذ "شاوشينغ" الصينى، لكنها هى وأخواتها يمثل تلك الأجواء لا يبتهجن، فـ"نومورا" قبلتها يحدق إليها ولا يرفع عينيه عنها، والأكثر أنه كان يغمرها بسيل من النظرات ولا يحول ناظره إلا حين تبدى الاستياء، ويضم كتفيه أكثر وأكثر ويضيق المسافة بينهما كما لو كان عروس "هينا" ورقية، لكنه ثمل وبدأ الثثرة، ونتيجة لأن "يوكيقو" أيضًا أمامه فبدأ مُثَارًا، وصلة قرابته بالسيد "هامادا" تجعله شديد الفخر، وتحدث لعدة مرات بذاك الاسم، والسيد "جينبا" أيضًا يعيد بعده القول "رئيس الشركة"، ولبعض الوقت صار الحديث السائد عن "هامادا"، ويلمّح ضمنيًا إلى كيف هى رعاية السيد "هامادا" لابن أخيه "نومورا"، وما دعا "تينوسوكيه" للاندهاش هو أن "نومورا" كان يتحرى بدقة عن الشئون كافة الخاصة بعائلة "ماي أوكا" من حين إلى آخر دون أن يلحظ أحد، مثل حادثة الصحف لـ"تائيقو"، والأخ والأخت الكبيرة ببيت العائلة ووالدهم المتوفى، والأخوات جميعًا وبالطبع "يوكيقو" ذاتها، وبدأ يسأل عن عديد من التفاصيل قائلاً لهم تفضلوا بالسؤال أيضًا عن أى شيء تتشككون به، وفي ما بين تلك الأسئلة والأجوبة كان يستفسر منهم كي يعرف عن "يوكيقو" أكثر وأكثر.

ربما بفضل "هامادا" جمع كل ما طالته يداه من البحث، لكن طريقة كلام "نومورا" توحى بأنه سأل "إيتاني" بالتأكيد ولا شيء سوى ذلك. إنه يعلم حتى بشأن الأشعة السينية التى أجرتها "يوكيقو"، وأسباب إلغاء عرض زواجهما من "سيجوشي"، وبالتأكيد أرسل أحدًا إلى

مكان معلمة البيانو السابقة "مدام تسوكوموتو" والطبيب "كوشيدا"،
وصالون تجميل "إيتاني".

(وإن كان الأمر كذلك، فإيتاني حين يجيء إليها للاستفسار عن عروس
فمن هذه الناحية لن تمنع أبدًا، وستتحدث بالتأكيد عن كونها في وقت
سابق أخبرت ساتشيقو بموضوع ما بخصوص عروض الزواج، وهنا لا بد
من إضافة أن ساتشيقو كانت مطمئنة بخصوص تلك البقعة التي بوجه
يوكيقو، فقد اختفت تمامًا منذ عودتها هذه المرة من طوكيو، لكن بكل
حال من الأحوال هي لا تظن أنها تحدثت إلى ذاك الحد مع إيتاني).
وما دام "تينوسوكيه" وافق أن يحمل على عاتقه هذه المهمة فهو
يدرك أن ذاك الشخص الذي يدعى "نومورا" في غاية التوتر، ويشعر
بأنه ليس بالغريب أن تكون لديه عادة التحدث مع نفسه بالطبع.
أخذًا في الاعتبار أنهم بهذا الوضع منذ البداية وهم لا يعلمون ما
يخفيه في جعبته مطلقًا، وبعد إمعان التفكير لاتخاذ القرار بشأن هذه
العلاقة، ففي مثل تلك الحالة سيتفائلون خيرًا أكثر وأكثر وتأخذهم
الحماسة كما لو كانوا أناس آخرون غير هؤلاء الذين تلقوا انطباعًا
صعبًا حين التقوا بفندق "طووا أوتيل"، وحين يتساءل متدخلًا في أدق
التفاصيل.

أما شعور "تينوسوكيه" الحقيقي فهو أنه يسعده أن ينهى هذا
اللقاء بأسرع وقت ممكن، ولكن ما حدث أعاده إلى الشعور الأول
نفسه، فالزوجان "جينبا" اللذان سيعودان إلى "أوساكا" كانا سيقلان
معهما عائلة "تينوسوكيه" إلى مدينة "أشيا"، وبعدها سيواصلان إلى
"هانكيوو"، لكنهم حين خرجوا لم يجدوا سوى عربة واحدة والأخرى
انصرفت. ولأن بيت السيد "نومورا" في "أويا"، أي بالاتجاه نفسه وإن كان
في الضواحي، فقد طلبوا منه أن يقلهم معه. بالنسبة إلى "تينوسوكيه"
فلا فرق يذكر في المسافة بين العودة مباشرةً من الطريق الدول
السريع أو العودة من طريق "أويا" بالضواحي، ولكن طريق الضواحي

سين وملء بالمنحدرات وهو يدري أن الرجرجة به عنيقة، والتفكير كثيراً أثار غضبه مرة أخرى، وفي كل مرة تنحرف السيارة يتوتر ويفكر كيف هو شعور زوجته الآن، ولأن الثلاثة رجال اصطفوا في المقعد الأمامي فهو حتى لا يمكنه الحراك والالتفاف للخلف ليتطلع إليها.

باقتربهم من "أويا" فجأة قال لهم "نومورا":

- "ألا تفضلون لأقدم لكم القليل من القهوة؟"

وتحمس بشدة في الحقيقة ولم يقبل بسماع أي أذار.

كان البيت فوضوياً ولكنه يطل على منظر رائع لـ "برج بكين"، وكان يفتخر بأن الميناء أمام ناظره مباشرة وهو جالس بالغرفة يابانية الطراز ذات الحصر، ثم نهض واقفاً ودعاهم ليتفضلوا ليروا أسلوب معيشته، وأيده بتلهف الزوجان "جينبا"، وراقهما الأمر ونهضا. بدا أن بيت السيد "نومورا" فقط امرأة عجوز وطفلة لذلك فهم لن يتسببوا في الإزعاج لأحد، وانتهازاً لهذه الفرصة سألهم عن رأيهم بتصميم المنزل، لكن "تينوسوكيه" أيضاً لم يحاول أن يسأل "يوكيقو"، فهو لا يرغب في أي سلوك يفسد الموقف، ومهما كان فهو لا يدري ما سيؤول إليه الحديث وكيف ستخوض الحوار، على الرغم من أنه بكل الأحوال لا يروقه الزوجان "جينبا".

إنهما يفتقدان الذوق لكن غرضهما المساعدة بالتأكيد.

أما مثل ذاك الخنوع فهو دفن بأعماقهما منذ البداية لذلك فليتحملوهما قليلاً، وهذا هو المبرر الذي قالت له "ساتشيكو" أولاً وانصاع لها زوجها، وتغاضى عن استيائه من الطريق المؤدى إلى بيت السيد "نومورا" الذي كان سيئاً، ضيقاً، وملئاً بالمنحدرات الخطرة، ولكن السيد "نومورا" على غير العادة في غاية المرح والسرور كأنه طفل صغير.

أسرع "نومورا" بفتح الباب الجرار الخارجى لغرفة حصير التاتامى ليستطيعوا رؤية البحر ثم ليتفضلوا ويروا غرفة المكتب، وبعدها اصطحبهم فى جولة بباقى الغرف بالمنزل والمطبخ.

كان منزلاً متواضعاً من طابق واحد مستأجر، وليست به سوى ست غرف. دعاهم "نومورا" إلى غرفة الشاي ليريهـم المنظر المطلـة عليه، ويريهـم أيضاً صور زوجته السابقة وطفليه التى يزين بها النصب البوذى. حين مرّ الزوجان من غرفة التاتامى قالـا له كم أن المنظر رائع بما فيه مشهد "برج بكين" كنوع من الإطراء العابر. كانت هذه الغرفة ذات الحصير مبنية بجدران صخرية عالية، وبوصولك إلى نهايتها حيث مشهد البحر تشعر كأن جسدك معلق بالخارج على شفا الهاوية، وشخص مثل "تينوسوكيه" سيواتيه شعور سيئ كأنه يشارف على السقوط، وعليه فهذا البيت خطر السكنى من وجهة نظره.

خرج "تينوسوكيه" وأسرته وركبوا السيارة مرة أخرى و"نومورا" يسرع بمناداتهم ليشربوا القهوة، ولحق بهم الزوجان "چينبا" فى هرولة وقالـا:

- "السيد نومورا مزاجه جيد جداً هذا المساء".

وأضافت السيدة "چينبا" لتطرق الحديد وهو ساخن:

- "حقاً إن السيد نومورا لم أره من قبل يتحدث هكذا. بالتأكيد ذلك لأنه بجوار فتاة شابة جميلة.

سيدة سانشيقو ها نحن ذا نعلم شعور السيد نومورا ولا نحتاج إلى سؤاله، أما أنتم فقد كان بتفكيركم مثلاً أنه يعيبه كونه ليست لديه أملاك، ومع ذلك فقرابته بالسيد هامادا تجعله لا يتورط فى حياته فى أى شىء مهما كان، فهذه الجزئية ألا يضمناها لكم السيد هامادا بوضوح!"

- " كلا، شكرًا. جزيل الشكر حقًا لكل ما قدمتموه. سنتناقش في الأمر ونسأل بيت العائلة عن رأيهم".

وأجابها "تينوسوكيه" بقول قاطع لكنه سرعان ما عاد أدراجه، وقبيل نزولهم من السيارة شعر بقليل من الأسف حيال الزوجين "چينبا" فكرر اعتذاره لمرات عدة قائلاً:

- "عذرًا، بالغ أسفنا لما بدر منا هذا المساء".

الفصل التاسع والعشرون

تركهم ليوم، وفي صباح اليوم 17 جاءت لزيارتهم بـ"أشييا" السيدة "چينبا"، وكانت "ساتشيقو" ما زالت مستلقية بفراشها بعد كل المشاق التي تحملتها أول أمس، وبمجرد أن سمعتها شعرت بأنها هذه المرة ملزمة بلقائها، وكما توقعت بالضبط، تحدثت إليها قرابة الثلاثين دقيقة وأسرعت بالعودة إلى موضع وسادتها.

باختصار، جاءت لتخبرهم أن السيد "نومورا" يرغب في الموضوع بشدة، وأنهم رأوا مستوى معيشته وبيته ويعرفون وضعه، لكن هذا لأنه عزب وإنما يمكنه إيجاد مكان آخر أفضل ومهيأ لاستقبال زوجة والانتقال على الفور، خصوصاً إن كانت "يوكيقو" هي التي ستشرفه بالوجود. إنه يريد أن يقدم لها حبه الخالص. إنه ليس رجلاً غنياً ولكنه يمكنه ألا يجعلها تشعر بأنها ينقصها شيء.

هذا ما قبل، وفي الحقيقة هذا ما يراه السيد "هامادا" أيضاً، لذلك فهي تريدهم أن يبذلوا قصارى جهدهم ليتموا الموافقة على أي نحو، وقالت بإلحاح:

- "إنه حتى إن كان ليست لديه مدخرات تفي من تشاركه حياته، لكن إن فكرتم في الأمر أريدكم أن تتركوا هذه المهمة لي وأنا سأضمن لكم فعليًا وإن كنت أورط حالي، وإنما انظروا إلى أنا مثلاً! فالسيد هامادا لا يجعلنا نواجه أيًا من متاعب الحياة نهائيًا، وأنا أبوح لكم بهذا، فما بالكم بقريبه! بالتأكيد بالمثل. أليس هذا كفيلاً بكسب ثقتكم؟

السيد نومورا مظهره لا بأس به، وإن كان وجهه عابسًا لكنه طيب ورقيق المشاعر، وواضح أن زوجته السابقة كانت أهم شيء لديه. يشاع عنه أن طريقته في تمريضها قبيل وفاتها تجعل أي أحد لا يتمالك نفسه من البكاء، وحاليًا وبذلك الليلة ألم تروا بأنفسكم كيف يزُين المكان بصورها؟ وحديثه عن كونه لا يوفيها حقها لا ينتهي، وبالنسبة إلى أي امرأة فالحصول على حب زوجها هو أكثر شيء يسعدها. فلتفكروا بجدية، ولنخبروني بردكم بأسرع وقت ممكن".

إن "ساتشيقو" وهي تعد ردّها بالرفض كان الأمر حينها معتمدًا عليها هي وزوجها فقط، دون الأخذ في الاعتبار "يوكيقو" ذاتها تقبل أم ترفض، وهي لم تنزعج من هذه الطريقة، لكن ماذا عن بيت العائلة ودوره الضروري؟

إنهم هنا نيابةً عنه فقط، لذلك تحرّروا البحث عن هوية "نومورا"، ما يعني أن بيت العائلة الأصلي على علم بكل شيء.

"يوكيقو" لم تظن السوء بهم، فهي تلقى كل اللوم وكل المسؤولية على بيت العائلة في الأساس كما تلقى عليهم التحية كلما دخلت عليهم، لكن هذه المرة "ساتشيقو" لم تسنح لها الفرصة لتستكشف

- رأى "يوكيقو" في الحال فهي لم تستطع تجاوز آلامها، وكان لا بد لها من الراحة التامة تنفيذاً لتعليمات الطبيب.
- بعد خمسة أيام من المراقبة وفي الصباح، تصادف وجود الأختين فقط وحدهما بغرفة المشفى، فانتهزت "ساتشيقو" الفرصة:
- "يوكيقو، ما رأيك بذلك الشخص؟" وحاولت جذبها للحوار، فقالت "يوكيقو":
- "مممم".
- ولم تتبعها بإضافة أى كلمة أخرى، فاستطردت "ساتشيقو" وألقت على مسامعها رأى السيدة "چينبا" الذى جاءت به أول أمس حين زارتهما في الصباح.
- "هذا هو الحديث الذى دار معها، لكن أنتِ تبدين غاية في الشباب وذلك الشخص يبدو طاعناً في السن بشدة، فماذا بخصوص هذا الشأن؟"
- سألتها "ساتشيقو" وهي تترقب تعابير وجهها، وأضافت:
- "لكن على الرغم من ذلك فأنا أظن أن شخصاً مثله سينفذ لك كل ما ترغبين فيه مهما كان، وسيجعلك تعيشين كما تحبين".
- وتركتها مع مثل تلك الكلمات.
- "ساتشيقو" تدرى أن قولها "سيجعلك تعيشين كما ترغبين" ستفهم "يوكيقو" المقصد منه دون حاجة إلى سؤال. إنها ستأتى "أسييا" للتنزه وقتما تريد، وإن كان يصعب ذلك لو كانت عروساً بأى مكان آخر. فذاك الذى يبدو كجد لهم في الغالب سيرضى بكل ما يريدونه، ومثل تلك الراحة فقط هي ما لن تجدها مع سواه.

إن كانت "يوكيقو" ستتزوج وفقًا لمثل هذا الفكر، ألن يكون هذا هو الشخص المرجو؟

لكن إن كان الأمر أن ذاك الجد لا بأس به بالنسبة إليهم، فهل سيقولون له تفضل عندنا؟ أم إن حدث فسيقول لهم: "لا أقدر على الخروج؟"

إنه شأن خاص بـ"يوكيقو"، فهي ستقيد بحب ذلك العجوز وإن كانت ستعيش في راحة، وأمر آخر لا يمكن إغفاله، فإذا تمكنت من إنجاب أطفال حينها ستواجه الأكثر والأكثر.

إن كان هو يطلب بالاحاح الأخت الأصغر المتورطة بتأخر زواجها، فمشكور له تفكيره فيها، وإنما إن كانت كارهة للأمر فلا داعي له. كل هذا دار بخلد "ساتشيقو"، لذلك قالت لها:

- "أحسًا ستفكرين؟ أيروق لك مثل ذاك الحديث؟ أنا لا أدري".

وصار هذا هو الوضع شيئًا فشيئًا، وأحجمت عن التوضيح أكثر، وحينها قالت:

- "لكن إن كنتِ مترددة بعض الشيء فاعلمي أنه غير مناسب".

وضحكت "يوكيقو" في مراوغة لتفادي الإجابة، وانتهى الحديث دون أن يستقر على نهاية.

وصل إلى "طوكيو" خطاب بيوم مشرق خطت سطورهِ القصيرة "ساتشيقو" وهي مستلقية بفراشها لتخبر أختها الكبيرة فقط بإتمام مقابلة الزواج، وإطلاقًا لم يأتها رد.

أمضت "ساتشيقو" إجازة الاحتفالات البوذية "هي جن" ما بين النوم والاستيقاظ، لكن بصباح أحد الأيام كان لون السماء ساحرًا وبدا أنه حلّ الربيع على حين غرة، وأشعة الشمس تغمر أركان غرفة المشفى واصله إلى الوسادات المفروشة على الأرض عند الشرفة، وفجأة

رأت "يوكيقو" تنزل من التراس بالدور الأرضي إلى العشب، وعلى الفور نادتها لكنها تذكرت أنها خرجت لترسل الصغيرة "اتسوقو" للمدرسة وستبقى بالحديقة لبعض الوقت للاسترخاء.

ورأتها في صمت من خلف الباب الجرار الزجاجي وهي تلف حول أحواض الزهور ثم شاطئ البحيرة وتلمس أغصان الـ"ليلك" والـ"قوديماري"، وانحنيت نحو أشجار الياسمين المقلمة على شكل دائري، ولأنها تطل من الطابق الثاني فاستطاعت أن تراها وهي تربت على وجنتي قطة لا يظهر منها إلا عنقها المنحني إلى أعلى. إنما لم تستطع أن تميز ملامح "يوكيقو" في ذاك الحين، ولكن بالنسبة إلى "ساتشيقو" فهي يمكنها أن تقرأ بوضوح ما تفكر فيه بأعماقها. لعل "يوكيقو" الآن تخبئ هواجسها باقتراب اليوم الذي سيعيدونها به إلى "طوكيو" وتصعب عليها مفارقة الربيع بالحدائق، لو كان الأمر بيدها لمكثت حتى ترى بعينيها تفتح الزهور وتتمكن من جمعها، هذا كل ما تمنته.

هذا لا يعني أن أختها الكبيرة بـ"طوكيو" تسأل عن موعد عودتها، لكن "ساتشيقو" تفهم جيدًا وتري بعيني "يوكيقو" أيضًا ما تخفيه بحنايا قلبها.

نرى ستعود اليوم أم في الغد؟

إنها تريد قضاء أطول وقت ممكن هنا.

"ساتشيقو" تعلم كل ما تفضله أختها الكتوم دون حاجة إلى النظر إليها، ولو كانت يمكنها المشي والخروج لاصطحبتها كل يوم إلى السينما والشاي. هذا ما تبادر إلى خاطرها، وإنما "يوكيقو" لا يمكنها أن تنتظر، ففي هذه الآونة كلما سنحت لها الفرصة دعت "تاتيقو" للخروج والذهاب إلى "كوبيه"، ودون أن تقول شيئًا تجول في "موطو مانشي" وغيرها ولا ترغب في العودة كأنها لم تكف بعد، وبأي وقت تهاتف

"تائيقو" بشقة "شووطو" قبل أن تلتقى بها لتتفق معها، وعلى الأرجح هي تستمتع بالخروج في مرح ولا يشغل بالها مطلقاً عرض الزواج.

"تائيقو" بالطبع أولاً وأخيراً "يوكيقو" هي من تجعلها تخرج، وبسبب انشغالها بالعمل هذه الأيام لم تستطع أن تجعل أختها تشاركها باستمرار في أهم مواعيدها في المساء، ما استوجب الاستياء، لكن وقت أن جاءت "تائيقو" إلى البيت أخبرت "ساتشيكو" بشيء ما:

- "هناك شيء غريب حدث بالأمس"، واسترسلت في الحكى.

- "مساء الأمس كنت أسير مع كي أن بموطوماتشي، ونحن نبتاع الحلويات الغربية من متجر سوزوران فجأة بدا عليها الارتباك وقالت: أختي الصغيرة! ماذا عساي أن أفعل! لقد جاء إلى هنا!

سألتها: جاء إلى هنا! من الذى جاء؟

توترت وقالت: ماذا جاء به إلى هنا؟

وأنا لا أدري ما الأمر، ولكن بداخل صالة المشروبات كان هناك رجل عجوز وأنيق لا أظننى رأيته من قبل، وإنما في ذاك الحين وقف وأسرع خطاه وجاء لأختي يوكيقو وألقى التحية بأدب ثم قال: علي أى حال إن لم يكن لديك مانع تفضلى ولو لبضع دقائق لاحتساء الشاي.

ارتبكت يوكيقو أكثر وأكثر واحمر وجهها خجلاً. إنه.. إنه..

وظلت في حالة تأتأة هكذا والرجل الأنيق واقف يكرر طلبه لعدة مرات. في النهاية استسلم في الغالب وانحنى بأدب مرة أخرى وقال: أنا في غاية الأسف.

وعلى الفور قالت لى يوكيقو: أختي، أسرعى، أسرعى.

وجعلتني أحشر الحلوى في فمي وطارت للخارج سريعًا، وحين سألتها: من هو؟، أجابتني: إنه مَنْ قابلته من قبل.

أخيرًا فهمت أنه إذًا ذاك الشخص المدعو نومورا الذي التقت به بمقابلة الزواج. لماذا يوكيقو لم تعجل بردها على الرغم من أنه من الأفضل لها أن ترفض، بل ظلت تتملل.. إنه.. إنه. إن ما فعلته يوكيقو بذاك الحين عديم الجدوى، إنها مهما بلغت من العمر ستظل بجواره كأنها ابنته ذات السبعة عشر عامًا.

ظلت "ساتشيقو" تصغي منتظرة أن تعرف عمَّ سألتها "تائيكو" وكيف ستفكر "يوكيقو" في شأن ذاك الشخص، وإلى أي مدى الأمر كرهه بالنسبة إليها، ثم منتصف الحديث سألتها عن رأيها، فقالت "تائيكو" إن عروض الزواج شأن متروك للأختين الكبيرة والوسطى، وإنما هي نفسها لن ترغب في الذهاب إلى أي مكان، وعن ذاك الشخص تحديدًا لن تذهب للعيش معه أبدًا، وأكدت رأيها قائلة:

- "أنا كما هو أنا حقًا، سأعطيكم رفضي، وتفضلوا هذا فقط كل ما لدي".

قالت الأخت الصغيرة كل ما رغبت في قوله للأخت الوسطى وأجابتها عما طلبته، وكان هذا هو قول "تائيكو".

"تائيكو" أيضًا بمجرد أن رأت "نومورا" وللمرة الأولى وقبل أن تستمع له كانت في اندهاش من كونه طاعنًا في السن إلى ذاك الحد، وشعرت بأنه من المنطقي أيضًا أن تقول لـ "يوكيقو" كم كرهه هذا الأمر، وظنت أنه بلا خلاف ذاك هو السبب وراء استياء "يوكيقو" من الموضوع، لكن كون "يوكيقو" لا تعبر ولا يظهر عليها أي شيء يفصح عن رفضها، والأكثر بذهابها إلى بيته بتلك الأمسية التي نم بها اللقاء، ورؤيتها لصور أطفاله وزوجته المتوفاة التي يزين بها النصب البوذي، كل هذا أولى أن يجعلها ترفض بشدة.

كل هذا يعنى أنه حتى لو صارت "يوكيقو" عروسًا فهذا بمثابة إقرار بكونها رقم 2. أليس هذا بالضرورة ما شعر به وجعله يريها تلك الصور؟

والآن هو عزب لذلك يبقى على هذه الأشياء سرًا، وما هي مشاعر قلبه مفهومة، فهو يصلى من أجل أرواحهم التى فارقته.

ذاك الشخص لم يسارع بإخفاء الصور أو حتى وضعها بأى مكان بعيد عن ناظرها، على الرغم من أنه هو من دعاها لرؤية البيت، فماذا يعنى بهذا وهو يرشدها إلى مكان النصب وما يزينه!

إنها إذا نظرت إلى ذلك الموقف فقط فلن يمكنها كامرأة مرهفة الحس أن تستوعب ذلك أبدًا، ولذلك ستحبه وتكرهه أكثر من أى شئ.

بعدما امتنعت "سانشيقو" هى الأخرى عن المراسلة لفترة ولم يجد الأمر نفعًا شعرت بأنها بمأزق، فنصحت "يوكيقو" شيئًا فشيئًا بأن تعود لبعض الوقت ثم ترجع ثانية.

فى هذا، وفى اليوم الثالث من أبريل، وفى يوم الاحتفالات الموسمية، كانت "اتسوقو" تدعو صديقاتها بالمدرسة وتعد لهن حفل شاي كما جرت العادة كل عام، وكانت "يوكيقو" تعد بنفسها الشطائر والفطائر كعادتها هى أيضًا.

لقد قالت "يوكيقو" إنها ستعود إلى "طوكيو" بعد انتهاء احتفالات الموسم، وإنما بعد الانتهاء من الاحتفالات بأيام سيحين وقت مشاهدة أشجار الكرز ليلاً بإقليم "كي أون".

وهذا ما آلت إليه الحال.

- "أختى، فلتعودى بعد مشاهدة الزهور، لا تذهبي قبل ذلك،
حسنًا أختى؟"

قالتها الصغيرة "اتسوقو" وظلت تكررهما، لكن هذه المرة
"تينوسوكيه" هو من تحمس لبقاء "يوكيقو".

بعد نحو ثلاثة أيام استطاعت "ساتشيقو" أن تمشى وتخرج
أخيرًا، وفي ذاك اليوم بعدما انتهت من طعامها ارتدت ثيابها وقالت
لـ"يوكيقو":

- "إننى سأذهب إلى السيدة جينبا لأخبرها برفضنا وأعود".

- "مممم".

- "ذاك الحديث لأنى مؤخرًا سألت أختك الصغيرة".

- "مممممم".

وكما ظنت "ساتشيقو" بالضبط، بعدما تم الرفض دار الحديث مع
بيت العائلة وكانت الإشارات ضمنية إلى متى ستعود "يوكيقو"، لكن
مع "يوكيقو" كان الحديث ودّيًا دون السؤال عن تفاصيل، ولم تسأل
"يوكيقو" أيضًا.

بعد ذلك وقرب نهاية ذاك الفصل من السنة، جاءهم مظروف
من "جينبا" به فاتورة مطعم "بكين رو"، وتقول لهم أن يتفضلوا
ويتحملوا نصف المبلغ، فأرسلوا لها الأموال المطلوبة، وبهذا انتهى
عرض الزواج نهاية قاطعة.

مرت قرابة الشهر على وجود "يوكيقو"، ومهما كتبوا من أخبارهم
لا يأتيهم أى رد من بيت العائلة مطلقًا. لكن "يوكيقو" أيضًا ستندم
على مغادرتها إن لم ترَ زهور "كيوتو" التى يطول انتظارها، ومن
المزعج تغيب الشخص الأهم دورًا بالحدث كل عام.

في الحقيقة "تينوسوكيه" لديه أسبابه الأقوى من ذاك كله، فزوجته بهذه الآونة ومنذ الإجهاض وهي مجروحة المشاعر على نحو غريب، وكلما مكث الزوجان وحدهما من حين إلى آخر تبدأ الحديث عن جنينها الذي لم يؤذن له أن يولد وتزعجه ببيكائها، فربما إن ذهبت لمشاهدة الزهور مع أختها تشتت انتباهها وتناست قليلاً، وهذا كان دافعه الخفى.

تقرر الذهاب إلى "كيوتو" بيومي السبت والأحد الموافقين 9، 10 من الشهر، لكن حتى ذاك الحين و"يوكيقو" مذبذبة ولا تميل إلى شيء بوضوح أو تقرر هل ستعود أم ستبقى.

في النهاية بعدما أشرق صباح يوم السبت دخلن جميعهن غرفة الزينة، وبعدها انتهين من وضع مساحيق التجميل على وجوههن فتحت "يوكيقو" حقيبة ملابسها التي جاءت بها من "طوكيو"، وأخرجت من أعماقها علبة ورقية وفكت رباطها وظهر بداخلها رداء جديد أعدته لرؤية الزهور وفقاً لما كانت ترغب بالضبط.

- "ماذا! عزيزتي كي أن، أكنت قد جلبت معكِ رداءكِ!"

والتفتت إليها "تائيكو" بعدما كانت خلف "ساتشيكو" تربط لها حزام الكيمونو.

خرجت "يوكيقو" من الغرفة وعادت متعجبة مما يقولون.

- "يوكيقو دائماً في صمت. كنا نظنك شخصاً لا يمكنه تدبير حاله". قالتها "ساتشيكو".

- "انظروا، انظروا، لو كان لديك زوج الآن لنفد كل ما تأمرين به".

في "كيوتو"، وبزحام الطريق لرؤية الزهور، كان "تينوسوكيه" كلما صادف شخصاً يحتضن طفله يشعر بزواجه يراودها الإحساس نفسه وترقرقت عيناها بالدمع، ما يعنى أن الزوجين هذا العام لا داعي ليتمكنان ويلحقان بهم فيما بعد، بل في مساء يوم الأحد عادوا كلهم معاً، وبعدها ببضعة أيام، وفي منتصف شهر أبريل غادرت "يوكيو" إلى "طوكيو".

مكتبة
t.me/soramnqraa

نبذة عن المؤلف

جونيتشيرو تانيزاكي



جونيتشيرو تانيزاكي (باليابانية: 谷崎 潤一郎) (24 يوليو 1886 - 30 يوليو 1965)، روائي ياباني وقد يكون أشهر روائي ياباني بعد ناتسومي سوسيكى. تمثل أعماله ديناميكية الحياة العائلية اليابانية في سياق التغيرات السريعة في المجتمع الياباني في القرن العشرين، كما تمثل البحث عن هوية ثقافية يابانية في العالم الحديث. حصل على وسام الثقافة عام 1949.

صنفه النقاد إلى جانب ميشيما يوكيو، وكاواباتا ياسونارى، كأكبر كاتب عرفته اليابان في القرن العشرين، نشر روايته الأولى "وشم" عام 1910 -وسنه 24 سنة- وبدأت منطبعة بتيار الأدب الحديث والمتأنق جماليًا. خسر منزله بعد أن دمره زلزال طوكيو المأساوى واضطر إلى الانتقال إلى "كيوتو"، وهناك انقلبت حياته وأفكاره رأسًا على عقب عندما صدمته مدينة "كيوتو" التى جسدت التقاليد والأصالة مقابل

حادثة "طوكيو"، ليكتشف أن الأدب الحديث الذي كان يعتقده ابتكاراً أوروبياً خالصاً إنما يجد معادله في الأدب الياباني العريق.

الجوائز:

- صاحب الاستحقاق الثقافي 1951
- وسام الثقافة 1949
- جائزة أساهي 1948

نبذة عن الرواية

أربع أخوات. لكل منهن حكايتهن.

حب وزواج وعلاقات أسرية تتأرجح بين منفعة ومصلحة أو احتواء وعطف بخلاف الغيرة أحياناً والضجر أحياناً أخرى. الأخوات الأربع تختلف طبائعهن وطموحاتهن وتطلعاتهن، وفي النهاية كلهن مقيدات بأعراف المجتمع والتقاليد، ولكل واحدة منهن طريقة تعبيرها الخاصة، تجد المندفعة وتجد المنكئمة مثلاً.

إن كان الكاتب يستعرض في الرواية مختلف أنواع الشخصيات النسائية وبالمثل أيضاً عن الجانب الذكوري، فستجد في الرواية الزوج مرهف الحس المحب لزوجته، والزوج العملي المهتم بوضعه الوظيفي على حساب من حوله، والأب الطيب المرفق، ومختلف شخصيات العرسان الذين يتقدمون لخطبة الأخت الصغرى "يوكيقو".

الرواية صدرت في ثلاثة أجزاء بدايةً من عام 1943 إلى عام 1948 رصدًا لحياة أسرة غنية بـ"أوساكا" في عام 1936، وتركز على حياتهم الاجتماعية ومحاولتهم إيجاد زوج مناسب لأختهم "يوكيقو" دون تنازل

عن مستواهم الاجتماعى، ما يعرضهم لكثير من المواقف المحرجة والمشكلات.

اسم القصة مستوحى من الأشعار اليابانية الكلاسيكية وصورة تساقط أزهار الكرز بالربيع المبكر التى دائماً ما تُنسج حولها الأشعار، وذلك كناية عن اللادوام.

صارت الرواية فيلمًا سينمائيًا للمرة الأولى 1950، ثم أعيد إخراجها مرة أخرى فى عام 1959 وصدر للمرة الأخيرة كفيلم فى عام 1983. أيضًا تحولت القصة إلى مسلسل تلفزيونيّ لكثير من المرات، أولها عام 1957 ثم 1959 و1966 وأخيرًا عام 1980.

كلمة من المترجم

هذه الرواية ترجمة مباشرة من اليابانية إلى العربية للمرة الأولى للأديب "تانيزاكي جون إيتشيرو"، فالكثير من أعماله مترجم إلى الإنجليزية، ونادر في عالمنا العربي أن تُترجم الأعمال اليابانية من الأصل وليس من الإنجليزية. المعروف أن الترجمة من غير النص الأصلي تفتقر إلى الدقة عادةً وتجعل العمل عرضةً للتحريف، وعليه فقد عملت جاهدة للمحافظة على روح النص ونقل إحياءات الألفاظ والمقاصد المستترة بين السطور كما هي ليستشعرها القارئ.

هنا يجب التنويه إلى أن قارئ الأدب المترجم ليس بأي قارئ، فهو يتميز بسعة الأفق وشغفه بالثقافات المختلفة والبعيدة عن عالمه، وبقدرته على تقبل الآخر من منطلق التطلع والتعرف إلى كل جديد وغريب. بالنسبة إلى هذا النوع من القراء، فهي هو قد وجد ضالته بهذه الرواية. إنها باب مفتوح على مصراعيه لإلقاء نظرة على المجتمع الياباني.

الرواية تدور أحداثها حول أربع أخوات لكل منهن ظروفها وسماتها المختلفة عن بقية الأخوات، ويسرد الكاتب ببراعة وسلاسة

مواقف حياتية تثير فضول القارئ خصوصاً في بلادنا العربية، فستجدهم ترسم بمخيلتك أشكال البيوت والشوارع والناس وترى عاداتهم وتقاليدهم وتقارنها بحالنا، وتارة سيثير دهشتك مدى التشابه وتارة أخرى ستتعجب من مدى الغرابة بالنسبة إلينا، وعليه ستزداد فضولاً حيال كيف صار شكل المجتمع الياباني الآن والحياة، وكيف تغيرنا نحن.

إن الكاتب أبدع في ربط الأحداث ونسج خيوطها، فتجده مرة يتعرض لنواح سياسية وأثرها الملموس في حياة العامة، ومرة يسرد عادات وتقاليده وموروثات خاصة بالزواج والعمل والحب وهي تتأرجح بين الاستمرار وبدء الزوال، ويستعرض مختلف طبقات المجتمع وطبيعة العلاقات الإنسانية، ومن بين السطور ستستشف استحسناته أو رفضه. في النهاية ستجد أنك لديك صورة متكاملة الأركان ومتناسقة الألوان للمجتمع الياباني وهو على أعتاب الحرب العالمية.

لقد أبدع المؤلف إلى حد صعب على مهتمى التى بذلت فيها قصارى جهدى، وأرجو من الله التوفيق.

آية حسن شاكر

アーヤ . ハッサン

مكتبة
t.me/soramnqraa

谷崎潤一郎

تانيزاي جون إيتشيرو



細雪
رقائق الثلج

الترجمة عن اليابانية آية حسن

小説
رواية

162

telegram @soramnqraa

رقائق الثلج

الجزء الثاني
الأخوات ماي أوكا

أما "ساتشيقو" فهي تقضي أوقاتها وحيدةً
بغرفتها في التزل، واتباعها شعور بالإحباط
لاغترابها، وبالييلة الماضية لم يغمض لها جفنٌ
طوال الليل، وكان هذا هو حالها طوال
الأسبوع، وأصبح وضعها بائسًا. لكن بتلك الليلة
أيضًا لأول مرة ومنذ عدة سنوات تنام هي
وأختها جنبًا إلى جنب. "ساتشيقو" منذ أيام
سكناهم ببيت رصيف الميناء، وإلى أن أصبحت
شابةً بمقتبل العمر، وبآخر ليلة قبل زفافها-
وهي تشارك أختها نفس الغرفة، ووقتها كانت
بمدرسة البنات كانت الأخت الكبيرة فقط
المخصص لها غرفة وحدها، وهي والأختان
الصغيرتان بغرفة بالطابق الثاني. لم تنفصل
"تاتشيقو" عن أختها أبدًا، و"يوكيقو" دائمًا ما
كانت تسعى لمكان بينهما وبين "ساتشيقو". كانت
غرفتهم ضيقةً وبها اثنتان من الأسرة لثلاثتهم.
"يوكيقو" هي التي لا تنقلب أثناء نومها، وحتى
بالليالي الحارة تتدثر بعناية وكعادتها تنام
بهدهوء دون أن تفسد هيئتها ولو بالقليل.

العلاف عمر مصطفى

ISBN 978-977-313-858-5



9 789773 138585



المنكرسة

للمسرح والمكتبات الثقافية والمعلوماتية

رقائق الثلج

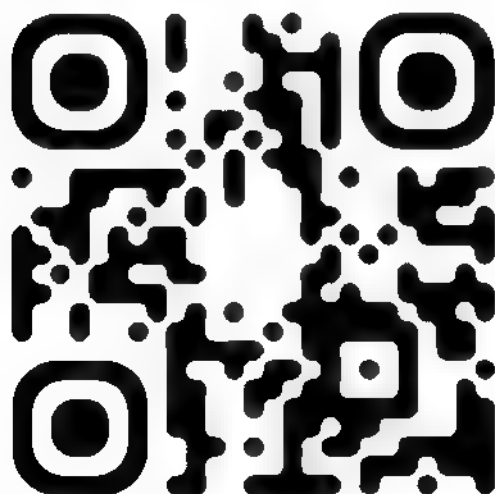
الجزء الثاني

"الأخوات ماكي أوكا"

مكتبة | 1675

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

telegram @soramnqraa



عنوان الكتاب: رقائق التلج
الجزء الثاني... الأخوات ماكي أوكا
المؤلف: تانيزاكي جون إيتشيو
ترجمة: آية حسن شاكر

مركز
المحرسة
للنشر • الخدمات الصحفية • المصطلحات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة
ت. ف. - 002 02 28432157



mahrousaeg



almahrosacenter



almahrosacenter



www.mahrousaeg.com



info@mahrousaeg.com



mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإصدار: ١٢٧٢٩ / ٢٠٢١

التوزيع الدولي: 5-858-313-977-978

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية

محفوظة لمركز المحرسة

2021

رواية

مكتبة

t.me/soramnqraa

رقائق الثلج

الجزء الثاني

"الأخوات ماكي أوكا"

تانيزاكي جون إيتشيرو

ترجمة: آية حسن شاكر

مكتبة
t.me/soramnqraa



بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

جون إيتشيرو، تانيزاكي
رقائق الثلج/ تانيزاكي جون إيتشيرو؛ الترجمة عن اليابانية: آية حسن شاكر، ط1
القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2021

م ج 2، 364 ص؛ 21.5×14.5 سم
تدمك 5-858-313-977-978

1 - القصص اليابانية

أ- حسن، آية (مترجم)

ب- العنوان

۱۱۵۱

رقم الإيداع 2021/13729

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الأول

عانت "سانشيقو" العام الماضي من مرض "اليرقان"؛ لذلك أصبح من عاداتها بين الحين والآخر أن تتفحص لونَ بياض عينيها بالمرآة، وبعد مرور عام، ها هي أزهار الـ "هيرادو" بالحديقة قد انقضى طَوْرُ نَفْثُحِها، وحلَّ أوان ذبولها.

وبينما هي تجلس مثل كل عام على كرسي من خشب البتولا الأبيض بالتراس في ظلِّ من الشمس التي حَجَبَتْ أشْعُها الستائرُ المعلقة- أطالت النظر لمشهد الأشجار والزهور بغسق يوم من أيام الصيف المبكر، لكنها على حين غِرَّة تذكَّرت أنه بمثل هذه الآونة بالضبط العام الماضي اكتشف زوجها اصفرارَ لون عينيها، بعدما نزلت إليه بالحديقة وهو يلتقط أوراق الزهور الذابلة آنذاك، واحدةً تلو الأخرى. إنه يكره هذه المَهْمَة؛ لذلك قبيل عودة زوجها من عمله بساعة تقريبا سبقته للحديقة لتنظفها؛ لترى السعادة بعينه، وتفعل كما يرغب بالضبط، وبعد انهماكها بالعمل لقراءة نصف ساعة سَمِعَتْ

بالخلف صوت خطوات أقدام بالقبقاب، فَبَدَت على ملامحها أمارات انتهاء العمل إلى هذا الحد، وأطلَّت الخادمة "أوهارو" بوجهها، وجاءتها من على الدُرَج الصُّخريِّ مُمَسِّكَةً بيدها بطاقة تعريف، وقالت:

"هذا الشخص تفضّل بقول إنه يريد مقابلتك سيدي".

رأت "ساتشيقو" البطاقة ووجدتها للسيد "أوكوباتا".

أكان ذاك بربيع العام الماضي؟!

لقد زارها هذا الفتى مَرَّةً، وإغما... وإغما هذا لا يعني أبدًا السماح له بالتردّد عليهم ذهابًا وإيابًا ببساطة.

إنها تكاد لا تنطق اسمه هذا أمام الفتيات، ولكن "أوهارو" بطريقتها القاطعة بقول الاسم تؤكّد -بلا شك- أن هذا الفتى هو الذي ورد ذِكرُ علاقته بـ "تائيقو" بحادثة الجريمة.

"سآني على الفور؛ فلتصطحبيه لغرفة الصالون".

ولأنها علّق بيدها رحيق الزهور ذهبت أولاً للمرحاض لغسيلها، ثم خرجت متوجّهةً للطابق الثاني بعدما تأكدت من زينة وجهها. "عفوًا، جعلتُك تنتظر، تفضّل...".

معروف من أول نظرة أنه "صُنِع في انجلترا"؛ هذا المعطف الصوفي، بلونه الفاتح المقارب للأبيض، والذي كان يرتديه "أوكوباتا"، على بنطالٍ بلون رماديٍّ داكن من خامة "الفلايلا"⁽¹⁾ الناعمة.

بمجرد أن دخلت "ساتشيقو" ورأى هيئتها بدا عليه الاضطراب، ونهض فورًا من مقعده بحركة فجائيةٍ مُبالِغ فيها وهو في حالة من الحذر. إنه أكبر عُمرًا من "تائيقو" بثلاث أو أربع سنوات، أي أنه الآن في الحادية والثلاثين من عمره تقريبًا. وبالرغم من أنه باللقاء السابق

(1) سيج ناعم ذو دقة عالية مصنوع في الأصل من الغزل الصوفي.

ظَلَّتْ نظراتها له على أنه فتى لا يزال بالفترة الصبيانيَّة، إلَّا أنه خلال هذه السنة أو هاتين السنتين تغيَّرت بنيَّته الجسدية تدريجيًّا، وأصبح بهيئة رجلٍ أنيق.

"لقد مرَّ وقتٌ طويل... ولم آتِ للزيارة ولا لمرةٍ واحدة، وإِنَّمَا أَظُنُّني ليس مسموحًا لي بذلك... ولقد جِئْتُ أمام المنزلِ عِدَّةَ مرَّاتٍ، ولكن لم يَسْعَني طلب الدخول..."

"يا للأسف، ولماذا لم تقترب وتتفصَّل؟".

"لم تُؤاتني الجراءة"- وارتسمت على وجه "أوكوباتا" ابتسامةٌ باهتةٌ وكأنه غير عابئ وفي عجلة من أمره. إنه لا يدري ما تظَّنه "ساتشيقو" به، وكيف اختلف بمشاعرها حياله شيءٌ ما بعد زيارته السابقة؛ فزوجها في الفترة الأخيرة كثيرًا ما يلقي على مسامعها أن "أوكوباتا" لم يَعد بعد ذاك الفتى البريء؛ فلقد وصلتته الأقاويلُ بأن ذاك الفتى يتَّخذ من موافقتهم فرصةً لتطأ قَدَمُه عالمَ المتعة، وذاك هو المنطلق الذي سمع منه الشائعات حوله، حيث يُقال إن "أوكوباتا" لا يتردَّد على مدينة "صو إيه مون"⁽¹⁾ باستمرارٍ، ولكنه على علاقة بفتاةٍ معروفة، وسألها زوجها: "تُرى، هل لا تزال أختك بحياته وهو يرغب بالزواج بها بعدما يأتي "يوكيقو" نسيبها؟ وعن إن كان لا يزال باقِيًا على عهده ذاك. ألم تخبري أختك بأن هناك الكثيرين يلاحظونها! ذاك الفتى يقول كلامًا معسولًا، ويذهب، وإن كان سئم الانتظار ويصعب قبولنا لعرضه بالزواج وليس لهذه الاعتبارات أي قيمة لديه إذن فهو كاذبٌ، ويتظاهر برفع راية "المُحب المُخلص" وقتَ الضَّرورة، وهو ليس إلَّا أحمق. حتى وإن كُنَّا إلى الآن نتعاطف معه في الخفاء إلى أن يُصحَّح

(1) 宗右衛門町 そうえもん مدينة بجنوب محافظة أوساكا تشتهر بكوبها مدينة للهو للطبقة الراقية.

الوضع، فهذا لا يعني سوى أن كليهما عليه تَحْمُلُ المشقَّة ليُصِحا مع بعضهما البعض مُسْتَقْبَلًا...".

وهذا ما قاله "تينوسوكيه" لزوجته وجعل قلبها ينتابه القلق؛ فحاولت "ساتشيقو" سؤال أختها الصغيرة "تائيقو" بطريق غير مباشر، وأجابتها بأن "أوكوباتا" هو وأسرته كلهم لديهم شعور بالألفة مع ذاك المكان منذ عهد أبيهم، فأخوه الكبير وعمه -مَثَلًا- يُحِبَّان الذهاب للهِو بمقهى هناك؛ وعليه فهو ليس كما يدَّعون، علاوة على أن وضعه بالفعل تمامًا كما يظنُّه "تينوسوكيه" فمشكلة زواجهما ليست بالشيء الهين لذلك؛ فمجرَّد تَرَدُّده على ذاك المكان هو شيء ليس بالغريب إلى ذاك الحدِّ، خاصَّةً وأنه شابٌّ، وأضافت:

"وإن كان لأول مرَّة أسمع عن علاقة حميمة له مع فتاة جيشا، ولكن ربما ذلك ليحدِّ من الشائعات، وإن لم يكن لديكم دليل قاطع فأنا لا يمكنني أن أصدِّق. إنه فقط بعد تلك النكبة لا يمكن تحاشي لَوَمِهِ على تهوُّره، وهذا هو السبب في سوء التفاهم، وسأحدِّره ليتوقَّف عن الذهاب للهِو بالمقاهي بعد الآن، أمَّا عن نفسي فلأنكم تطالبونني بكل شيء؛ فإن كنتِ تريدان منِّي الانتهاء من الأمر فسأفعل بالتأكيد، وبهذا لن تنجرفي في تيار سوء الظنِّ بـ "أوكوباتا"، خاصَّةً وأنت على عِلْمٍ بكل شيء من ذي قبل؛ ولهذا ليس بالغريب التزامك بالصمت هكذا".

وبالفعل اعتلَّت وجه "ساتشيقو" علامات الانهزام. لو كان "تينوسوكيه" يدري أن ثقة أخته الصغيرة بـ "أوكوباتا" إلى ذاك الحدِّ لما هاجمها أبدًا بهذا الشكل بلا داعٍ، وإن كان ذلك من منطلق الخوف عليها، فلماذا يتجاهلون في كل فرصة سؤال الفتاتين عن أمورهما.

ربما بسبب تحذيرهم لـ "تائيقو" كاد صوت الشائعات يختفي من حولهم بالخي، وشعرت "ساتشيقو" بالسعادة الحقيقية من أعماق

قلبها حين أخبرها زوجها أنه بليلة ما منذ أسبوعين فقط، وقرابة الساعة العاشرة أثناء ذهابه لمحطة "أوساكا" لتوصيل أحد عملائه من مدينة "أوميدا"، وأمام ضوء مصابيح السيارة- ملحت أعينه صدقة "أوكوباتا" وهو يسير مُحْتَضًا فتاة تبدو كنادلة بمقهى، تَجُرُّ أقدامها في ثُمالة، وفي الآونة الأخيرة لاحظته وهو يُلاحق مُتَعَتَهُ متخفيًا.

حين سمعت "ساتشيقو" بحديث زوجها بتلك الليلة تنبّهت كي لا تخبر أختها الصغيرة بشيء، وما زالت لم تتحدّث معها بهذا الشأن، وبمواجهتها لهذا الفتى الآن أصبحت تتخيّل وجهه وكلامه، وهو بكل شكل من الأشكال يحطّم صداقته لديهم؛ وها هي الآن توافق زوجها في كل كلماته: "ذاك الشاب ليس حَسَنَ النِّيَّة".

"... ماذا عن "يوكيقو"... ها.. ها.. إنها تُقلِقُ الكثيرين، بالطبع لديّ الكثير لأقوله، وإِذَا...".

ساتشيقو تدري أن "أوكوباتا" يريد دائمًا بتلميحاته عن أحاديث زواج "يوكيقو" تعجيل الأمور من ناحيته هو أيضًا، لكن بهذا الوضع؛ فَيَمُ ستجيبه!

في المرة السابقة أجابته ببساطة، وبطريقتها المعتادة: "لقد سألت قبل ذلك!".

وبكل مرة لا يحصل منها على أيّ وَعْدٍ يُذكر، لكن بهذه المرة إن كانت ظنون زوجها غيَرتَها فعلاً عن ذي قبل فلا يزال هناك الكثير من التحذيرات التي لا بُدَّ لها من قَوْلِها. إنهم ليس لديهم النِّيَّة لعرقلة زواج اثنتيهما إن كانا بالفعل يتمسكان بحبّهما وعطوفين على بعضهما البعض، وإِذَا هي لا تريد أن تفكّر هكذا وتَهَيَّأت بداخلها لذلك؛ وعليه فمن الضروري لها أن تلقي التحيّة فقط تَجَبُّبًا لسوء الفهم، ثم فاجأها "أوكوباتا" وهو يعتدل في جلسته ويطفئ سيجارته بالمرمدة نَقَرًا بإبهامه ويقول:

"إنني في الحقيقة جئتُكِ اليومَ أختي الكبيرة أترجّاك في أمر
"يوكيقو"، وعذراً لِمَا أتسبّب لك به من عَطلة...".

وبدأ كلامه مُنادياً إيّاها بـ"أختي الكبيرة" كما اعتاد أن يفعل دائماً.
"حسناً وما الأمر؟".

"... أختي الكبيرة، أعلم أنك بالطبع على دراية بكل شيء، وإِما
"تائيكو" تتردّد مؤخّراً على مدرسة "تاماي طوكوقو" لحياكة الملابس
الغربية لتتعلّم التفصيل. إن كان هذا أمراً لا بأس به لكنها بسببه
أصبحت لا تعير انتباهها لعملها بتصنيع العرائس، وإن كانت حقّاً
تبدو مشغولة في الفترة الأخيرة، إلّا أنها لا تعمل، ولقد سألتها فيم
تُفكّر؟ وحينها قالت: "إنني أصبحت كارهةً تماماً لكل ما له علاقة
بتصنيع الدُمى، ولديّ حماس شديد لتعلّم حياكة الملابس الغربية،
ويصبح هذا هو تخصصي مُستقبلاً، أمّا الآن فقد تلقّيت الكثير من
الطلبات للعرائس، بجانب وجود العديد من التلاميذ؛ ممّا يجعلني
لا أستطيع أن أتوقّف في الحال، لكنني سأترك التلاميذ تدريجياً بعد
تأسيسهم، وسأسلك مسار حياكة الملابس الغربية. الأهم من ذلك أن
أختي الكبيرة توافقني الرأي، وستسمح لي بالذهاب لفرنسا لعام أو
قراية ذلك؛ لأكمل الدراسة، ولن أعود حتى أحصل على الشهادة".
"ماذا! أهكذا قالت أختي الصغيرة؟".

كانت "سانشيكو" قد سمعت بموضوع دراستها لحياكة الملابس
الغربية وتوقّفتها لبعض الوقت عن تصنيع الدُمى، لكن كل ما يقوله
"أوكوباتا" الآن هو جديدٌ على مسامعها بالكامل.

"حسناً. أنا ليس لي الحق بالتدخّل في شأنها، ولكن "تائيكو" بكل
الأسف تفعل هذا بكامل إرادتها؛ فعملها المشهود له من كل الناس
أنه قَرِيْدٌ من نوعه ها هي الآن تريد أن توقّفه، وفوق ذلك كله
أنها لو قالت فقط سأتوقّف لتفهّم الأمر، ولكنّي لا أفهم أبداً شأن

حياكة الملابس الغربية، وحتى وإن كان من أسبابها أنها مهما كانت مهارتها في تصنيع العرائس تتفوق على أحدث الصيحات- فعاجلاً أم آجلاً سيملّ النَّاسُ، ومَن يشترُون الآن لن تجدهم فيما بعد، ومن العملي أن تتخذ من حياكة الملابس الغربية مهنة؛ فمهما مرَّ من زمن لن يضعف الطلبُ عليها، فلماذا ابنةُ عائلتكم تفعل ذاك؟ ولماذا لا بُدَّ لها أن تجني أموالاً؟ أليس من الأفضل لفتاةٍ ستتزوج عن قريب أن تخطط لحياتها الشخصية؟ حتى وإن كنتُ أنا شخصاً لا نفعَ منه، فانا لن أقيدها أبداً فيما تحتاجه من مالٍ، ولا أريدها كالسيِّداتِ العاملات. انظري... إن أختكِ الصغيرة غاية في المهارة، وأنا أتنفهم شعورها إن أصبحت بلا أي عمل، ولكن أن يصبح هدفها هو جني المال وذاك كل مبتغاها! وكيف لها أن تظلل منتجاتها مُتميّزة، وسمعتها جيّدة، واسمها مُرتبطاً بالقرن كما هو وضعها حالياً؟! إن كان عليّ تصنيع الدُملَى فهذا شيء ليس مُخجلاً حين يسألونني عنه، بل هو أمر جيّد بالنسبة لها، سواء كانت مُتزوّجة أو عزباء أو... إلخ! تفصيل الأزياء الغربية أنا أريدها أن تتوقّف عنه الآن، وبالتأكيد ليس أنا فقط، بل بيت العائلة الرئيسي، وهنا قطعاً لا تخالفونني الرأي؛ لذا جئتُ لأعرض عليكم الأمر ونتشاور...".

بالماضي كان "أوكوباتا" فتى يتحدث عن الأشياء ببطء ومَلَلٍ، وإلّا بذاك الموقف كان مُستاءً ويظهر سخاؤه كسَليلٍ لعائلة ثريّة، وبدا مُتحمّزاً، ووتيرة كلامه مُتسارعة على غير المعتاد.

"إذن، تفضّلي واسأليها، وإن كنّا وصلنا لمثل هذا القول منك فربما ذلك لأنكِ بعيدة كلّ البعد عنها، لكن إن كان هذا تفكيرها بالفعل فلن يبقى سوى حلٍّ واحد، وخُذي رأي الأخت الكبيرة... ألن يُمكنكم رَدْعها لتتخلّى عن الفكرة؟! وأنا بخصوص السفر للخارج ما زلتُ لا أدري إذا كنتُ سأسافر لفرنسا أم لا، ولكنني إن ذهبت لدراسة شيء جدير بالاهتمام ففور ذهابي سأجعلها تأتي إليّ".

إنه يأمل ذلك في أمنيّاته، وعلى الأغلب "ساتشيقو" رَأَتْ بحاله وهو مُقْتَنِع بإمكانية حصوله على نقاشٍ جادٍ وتقديرٍ لائقٍ أمام "تينوسوكيه" إن سارت الأمور على هواه، ويبدو أنه جاء عن عَمْدٍ مُسْتَهْدِفًا هذا التوقيت خُصِيصًا، لكن سواء بهذا أو بذاك فالخوض في موضوعه ليس بالأمر السهل على الإطلاق، ومجيئه هو لاستكشاف الأحوال، لكن "ساتشيقو" تتغاضى عن جوهر الموضوع قدر الإمكان، وتتعامل مع الأمر، وهي مشكورة؛ تتبّه لشؤون أُخْتَيْهَا الصَّغِيرَتَيْنِ، ومن مكانتها هذه تبذل قصارى جهدها لتتصرّف بشكل مختلف.

في ذاك الحين بدا أن زوجها قد عاد وبلغ مسامعها صَوْتُ وَقَعِ أَقْدَامِهِ؛ فَارْتَبَّتْ وفقرت من مكانها:

"عذرًا لقد جاء "أوكوباتا"."

وهرعت نحو الباب، وقالت كلماتها تلك بمجرد أن انفتح

"ولِمَ؟".

فاقترَبَتْ منه زوجته وهمست له في أذنه باختصار:

"حسنًا، إن كان الأمر هكذا فلا داعي إذن لِيُقَابِلَنِي، أليس كذلك؟".

"أنا لم أقصد ذلك، بل اذهب لِتَقُولَ أيُّ شيء".

ومكث "أوكوباتا" لحاله أكثر من 30 دقيقة دون أن يأتيه

"تينوسوكيه"، وبالنهاية جاءه لإلقاء التحية بأَدَبٍ، وقال:

"عُذْرًا، لم أسألك ماذا تُحِبُّ أن تشرب".

فهذا فقط ما أرسلته "ساتشيقو" لقوله، ولم يُبْدِ زوجها -عن قَصْدٍ-

أيَّ أعذارٍ لعدم رغبته في مُقَابَلَتِهِ.

الفصل الثاني

حتى وإن كان من المُرضي أخذُ حديث "أوكوباتا" على مَحمل الجد، ولكنه أيضًا -على حَدِّ قَوْلِهِ- "تائيقو" مشغولة للغاية مؤخرًا، فهي تخرج في الصباح تقريبًا في نفس موعد "تينوسوكيه"، والصغيرة "إنسوقو"، وهي أكثرهم تأخيرًا في العودة، ودائمًا ما تتناول عشاءها بالخارج مرّةً كُلَّ ثلاثة أيام؛ ولهذا لم تسنح الفرصة لـ "ساتشيكو" لتحدّث إليها بنفس الليلة، وفي صباح اليوم التالي بعدما خرج زوجها وابنتها وهَمَّت "تائيقو" تتبعهما للخروج هي الأخرى، فاستوقفتها: "عُذْرًا. انتظري قليلًا... أختي الصغيرة، هناك ما أريد سؤالك عنه".

واصطحبتها لغرفة المعيشة.

لم تُنكر "تائيقو" أيًا مِمَّا قاله "أوكوباتا" عن رغبتها في استبدال عملها بتصنيع الدُّمى بحياكة الملابس الغربيّة، وتفكيرها في الذهاب لفرنسا للدراسة والتدريب حتى ولو لفترة قصيرة، وبإلحاح "ساتشيكو"

عليها بالسؤال كان لديها أسبابها المُنْعِنَة: فـ "تائيكو" تُدرك جيّدًا عواقب ما فُكِّرَتْ به: إنها سَيِّمَتْ من تصنيع الدُّمى لأنها أصبحت بِالِغَةِ بما يكفي، وأوَّلَى بها أن تبتغي شيئًا ما ذا قيمة في المجتمع عَوَضًا عن عملها الطفولي هذا كالفتيات الصغيرات، وفوق ذلك تستغلُّ موهبتها وما تُحِبُّه، وبعدها تميِّز بما اكتسبته من تقنية ستصبح رائدةً في مجال حياكة الملابس الغربية، خاصَّةً وأن لديها الموهبة منذ الصُّغَر، وأيضًا أَصْبَحَتْ مَاهِرَةً في استخدام ماكينات الخياطة، حتى إنها بالرجوع للمجلَّات الأجنبية مثل "Vogue" و"Jardin des modes" - تحيك ملابس أختها "ساتشيكو" والصغيرة "إتسوقو"، بخلاف ملابسها هي بالطبع؛ وعليه فمهما كان ما ستتعلمه فهي لن تبدأ أبدًا من أساسيات المبتدئين، وسريعًا ما ستُحَرِّز تَقَدُّمًا؛ وبهذا فهي تمتلك الثقة الكافية لبناء مستقبلها بيدها. لقد ضحكت على رأي "أوكوباتا" بأن تصنيع الدُّمى يُعْتَبَر فنًّا، وإنما حياكة الملابس الغربية هي مهنة سيئة. إنها لا ترغب في لقب كاذِبٍ مثل "فنانة"، ومهما ظُنَّ أن حياكة الملابس الغربية سِلْعَةٌ رديئة فهي لا تبالى. إنها عامَّةً تتحدَّث بمثل هذا القول حين تجدهم ليسوا على دراية كافية بشؤونها، وهي لم تُعَدْ بَعْدُ في سِنٍّ تجعلها تفرح بتصنيع دُمى تلهو بها الأطفال. أليس حينها ما سيدعو للخجل هو ألا تعمل عملاً أكثرَ صِلَةً بالحياة الواقعية؟

هكذا قالت "تائيكو" وشعرت "ساتشيكو" بأنها ليس لديها مُتَسَع لتعرض ولو بكلمة واحدة، ولكن حتى وإن كان هذا الكلام صحيحًا فهي تظنُّ أنه ربما أهدافها الرائعة تلك وراءها إحساسٌ دَفينٌ بالاشمئزاز من ذاك الشاب المدعو "أوكوباتا"، أليس كذلك؟!

إن "تائيكو" لا يمكنها أن تعترف بخطئها في علاقتها بـ "أوكوباتا" بهذه السهولة، خاصَّةً بعدما تَغَنَّت بعلاقتها الصُّخْف، حتى وإن كانت هذه هي رغبة أَخَوَيْهَا وأخواتها الكبار وكل الناس من حولها أيضًا.

هي لن تقول إنها نادمة على ما حدث رغم أنها في الواقع تريد أن تُنهي علاقتها معه، وإحساسها الحقيقي هو أنها تريد إلغاء وعدها بالزواج المنتظر فور أن تسنح الفرصة... أليس كذلك؟

بهذه الحالة فإن رغبتها لتعلّم الحياكة ليست إلا طريقة لا بديل عنها لتستقلّ بذاتها، وهي تريد أن تستعدّ لذاك الوقت، و"أوكوباتا" لا يدري شيئاً عن نواياها الدفينة، ولم يفهم أبداً لماذا تريد جني المال وتريد أن تصبح زوجة عاملة، وإنما "ساتشيقو" ترجمت الأمر على الفور، وتفهمّت مقصدها؛ لذا ستوافقها الرأي بالذهاب لفرنسا، فحتى وإن كانت ترغب في تعلّم حياكة الملابس الغربية، إلا أن هدفها الأول هو اتخاذ موضوع السفر لأوروبا علةً للانفصال عن "أوكوباتا"؛ وعليه فإن أسوأ شيء في مجيء "أوكوباتا" هو حاجتها لتقديم الأعذار، وإصرارها على الذهاب بمفردها.

بالواقع تخمين "ساتشيقو" لم يُصب سوى نصف الحقيقة، وما زال بعيداً عن نصفها الآخر.

إن "تاثيقو" إذا صرفت نظر عن "أوكوباتا" من تلقاء نفسها وبدون إقناع من أحد فسيكون هذا أقصى ما تطمح إليه "ساتشيقو"؛ فهي من نفسها مُقتنعة بالانفصال عند هذا الحدّ، وبالطبع هذا هو الوقت المناسب لتطلب منها "ساتشيقو" بشكلٍ غير مباشر، ودون جرح لمشاعرها- أن تبعد قليلاً.

لكن هل هذه هي مشاعرها الحقيقية، أم أنها فقط لن تُظهر أبداً إقرارها بالهزيمة؟

إن "تاثيقو" التي تجمع شتات كلماتها وهي تبدو وكأنها لا تلقي بالاً بالتأكيد- هي الآن قلبها لم يتخلّ عن "أوكوباتا"، وربما قرارها في المستقبل القريب الزواج منه.

إذا أخبرتها "تائيكو" أنها اليوم تدري أكثر من أي أحدٍ أن ذاك المدعو "أوكوباتا"، سليل العائلة المعروفة برصيف الميناء القديم، هو حقًا رَجُلٌ مُمِلٌ ولا يستحقُّ، وليس لهم أن يقلقوا حيال ذاك الأمر بعد الآن، والأكثر هو أنها حينما وقعت بغرام "أوكوباتا" منذ حوالي ثماني سنوات كانت لا تزال فتاةً طائشة، ولم تكن تدري أنه إنسانٌ تافهٌ هكذا.

ألا ينهدم كلُّ الحُبِّ بمجرد قولها إنه تافهٌ وعلاقتها الآن فقط لِوَعْدِها له؟!

لكنها على الأقل ليس لها أن تندم أو تكره أوَّلَ حبيبٍ لها لأسبابٍ تتعلق بالمنفعة، وإذا كان حُبُّها لشخصٍ تافهٍ مثله هو قَدَرٌ محتوم؛ فما يُقلق بزواجهما فقط هو مشاكل الحياة اليومية.

إنه يريد أن يدير فعليًا أعمال عائلته الناشئة من مؤسسات الأوراق المالية، وإن تَمَّ الزواج سيريد أن يحصل على ممتلكاته الخاصة والعقارات من أخيه الأكبر، فمثل ذاك الشخص سيُفكر بالمعالم من هذا المنطلق السطحي، ولن ينتابه أيُّ قلقٍ على الإطلاق.

في الحقيقة "أوكوباتا" حتى يومنا هذا لا يعيش حياة تتناسب مع وضعه المادي أبدًا؛ ففاتورة المقاهي شهريًا ومدفوعات محلات الملابس والمتاجر العائمة هي بمبالغ طائلة، ويتوشل لأُمه دائمًا لتقرضه المال. لكن هذا فقط بحياة أُمه، فإن أصابها مكرهٌ لن يبقى بهذا البَذَخ، ومهما كانت ممتلكات عائلته؛ فهو الابن الثالث، وحين تصبح كل الأملاك تحت تصرف أخيه الكبير لن يكن نصيبه يُذكَر، خاصةً وإن كان أخوه هذا لا يوافق على الزواج.

في هذه الحالة إن أخذ كلُّ واحد نصيبه بالتساوي، وسواء طالت يداه الأسهم أو خدعوه، فهو بكلِّ الأحوال شخصٌ يسهل الإيقاع به،

وبدون حتى أن يأتي اليوم الذي سيأخذ به كل أخ نصيبه ويتخلّوا عن بعضهم البعض.

أي أن هذا الوضع المُقلق هو قائم بالفعل، ووقتما يحدث ذلك فعليها ألا تعتمد على شخصيّة مثله في أيّ من شؤون الحياة؛ لكي لا تجعل الناس يتشدّقون بالنميّة قائلين: "أرايتم ما حدث له!، بل على العكس، عليها ألا تجعله أبدًا بأيّ وقتٍ مسؤولًا عن قُوتها.

عليها أن تجد لنفسها وظيفة، ومن البداية لا تعتمد على راتب "أو كوباتا"، وهنا يكمن دافعها الوحيد للاستقلال بذاتها من خلال عملها بحياكة الملابس الغربية. أضف إلى ذلك أن "ساتشيقو" اتّضح لها من حديث أختها أنها قطعًا لن تنتقل لبيت العائلة الرئيسي بطوكيو، فهذا أمرٌ بديهي؛ ففوق ذلك كله لا يبدو أبدًا أن الأخ والأخت الكبيرة لديهما أي نيّة لاستدعائها، في حين أن "يوكيكو" تبقى لحالها هناك رغمًا عنها، وشأنها ليس بإرادتها. هذا ما قالته "يوكيكو" منذ وقت مضى، فالיום حتى لو استدعى بيتُ العائلة الرئيسي "ثانيكو" فعلى الأغلب لن تنصاع. إنها منذ أن انتقل أخوهم بالقانون إلى طوكيو وهي يَرِد إلى مسامعها أنها سيكون لها غرفة مستقلّة، ويمكنها أن تُنْخِذ لها مخزنًا أيضًا، وبما أنها لها دخلٌ شهريٌّ من عملها فيُستَحَسَن أن يُنْقِصوا منها تتلقّاه شهريًّا من نصيبها من المال، فيومًا بعد الآخر سيكبر الأطفال السُتّة الذين بالبيت الرئيسي، ولا بُدّ من الاعتناء بشأن "يوكيكو" أكثر، بخلاف الكثير من النّفقات، وبالتأكيد فإن الكلّ يرغب في تخفيف أعباء الأخ والأخت الكبيرة؛ لذلك بهذه الأجواء سيكون من الأوّل لها أن ترفض بالكامل كلّ ما يأتيها من تحويلاتٍ لأنها فقط تريد من أخيها وأختها الكبيرة أن يستمعا لها، وفي العام المقبل إذا سمحا لها بالذهاب للدراسة في فرنسا سيعطيانهما جزءًا أو كل المبلغ الذي أودعه والدهم لنفقات زواجهما كتكاليف سَقَرِها للخارج، هذا المبلغ تحت وصاية أخيها الكبير ليحفظه لها، وهي لا تدري حتى مقداره. بكل

الأحوال هي لا بُدَّ لها أن يتوفَّر معها كل ما يكفيها لتكاليف الإقامة في باريس لستَّة أشهر، وربما لعام، بما فيها ثمن التذكرة ذهابًا وعودة بحرًا؛ لذلك فهي تريد أن تستلم كل أموالها لديهم بأي طريقة مُمكنة، وستصرف كل ذاك المبلغ وتبذل كل ما في استطاعتها من أجل السفر للخارج، ولن تشتكي حتى لو لم يتبقَّ معها شيء لنفقات زواجها.

لذلك فما تُخطِّط له وتُفكِّر به لم تُفصح عنه حتى الآن، وهي تريد من أختها الوسطى "ساتشيقو" أن تخبر بيت العائلة الرئيسي في الوقت المناسب لتنال رضاهم، وإن كان هذا ما ترغب به؛ فرُّمًا عليها الذهاب لطوكيو لمرة واحدة.

هكذا هي لم تُبالِ بما قاله "أوكوباتا" عن تحمُّله لنفقات سفرها للخارج. إنه عادةً ما يقول أنا سأدفع المال إذا كُنَّا سنسافر سوياً، لكن هل هو الآن لديه المقدرة فعلاً؟ إنها غالبًا تعرف أكثر منه نيَّته الذهابَ باكيَّا لأُمِّه يتوسَّلها لتدفع، لكن لأنه لم يُتِمَّ الزَّواجَ بعدُ فـ "تاشيقو" تكره أن يُقدِّم لها ذاك الجميل، وحتى وإن كان بعد الزواج فهي لا تريد أن تطال يدها أيًّا من ممتلكاته، بل وتريده هو أيضًا ألا يفعل، وترغب في الذهاب بمفردها مُستقلَّةً بأموالها مهما كلفها الأمر. وبالنسبة له، فلينتظرها بهدوء حتى تعود من سفرها، وعليه ألا يأتي لقول كلام مُزعج كهذا لأختها الوسطى بعد الآن؛ فإن كان يأتي مرارًا وتكرارًا لنقل الأحاديث؛ أَمَلًا منه في جعلها تُوافق، فما هي ذا تريده ألا يُقْلِق نفسه بشؤونها من الأساس، وهذا ما قالته.

"أوكوباتا" يقول إن كان تفكير ابنتكم الصغيرة إلى ذاك الحد فلا داعي للمزايَدة بالنَّصح، وبالنسبة لـ "ساتشيقو" فهي ترى أن عليهم فقط التأكُّد من جدِّيَّة قرارها ومدى إصرارها عليه، وإذا كان الأمر بكل احتمالاته على ما يُرام فلا بأس من عرضه على بيت العائلة وبذل قصارى جهدها لإقناعهم، وبهذا استهدأ المشكلة، على الأقل الآن.

في تلك الأثناء استمرت "تانيقو" مُنْشَغِلَةً بحياتها، وكما قال "أوكوباتا" إنها مُؤَخَّرًا فَقَدَتْ شغفها بتصنيع العرائس مهما أنْكَرَتْ ذلك، وللأسف تقول إنها لا ترغب حقًا في المزيد من التصنيع، ولكن طالما عليه الطلب فستستمر قليلًا؛ فهي تريد أن تزيد من مُدْخَرَاتِها، غير أن تكاليف المعيشة ترتفع، ولعديدٍ من الأسباب فإنها تعمل بهذه الآونة بكَدٍّ أَكْثَرَ من ذي قبل، وإن كانت ستتوقَّف عن هذا العمل عاجلاً أو آجلاً على حَدِّ قولها فهي تسعى جاهدةً لتجهيز أكبر قَدْرٍ مُمكن من المنتجات.

في ذلك الوقت أيضًا لم تكن "تانيقو" تتردَّد بانتظام على مدرسة حياكة الملابس الغربية للأنسة "تاماي طوكوقو"، والتي تقع في منطقة "نويوري" ببلدة "موطوياما"، بل كانت مستمرةً في أنشطة التدريب على رقص القرى الجبلية. لم يكن تَعَلُّمُ هذه الرقصات بالأمر السهل أو من قبيل الهواية. إنها تريد أن تقف مُتفَرِّدةً بحالتها في هذا المجال أيضًا كَمُعَلِّمة، وتحصل على شهادة الاعتماد لمزاولة الأداء مُستَقْبَلًا. هكذا بدا طموحها الجامح.

كانت "تانيقو" تتردَّد مرَّةً أسبوعيًا على ساحة التدريب التي قيل عنها إنها الأكثر عِراقَةً فيما بين القلائل الآخرين الذين يُنسبون لهذا النمط من الرقص - "رقص القرى الجبلية" في "أوساكا"، والذي يشتهر بالاسم الرائج: "ساجي" 三好 舞، وتقدِّمه الابنة الكبرى لـ "إيتشي حاوا ساجي جورو" ⁽¹⁾ راقصة الجيل الرابع من رقصات القرى الجبلية.

لكن ساحة التدريب تلك هي بالطابق الثاني لبيت "جيشا" بطريق ضيق في بلدة "تاتاميا" بقلب الجزيرة.

(1) إيتشي حاوا ساجي جورو 市川團十郎 いちかわだんじゅうろう ممثل شهر للفن المسرحي "الكابوكي" في عصر إيدو.

على أية حال؛ فبسبب أن المكان هكذا فأغلب من يأتيه هُنَّ فتيات الليل ومساعداتهن... مهما كانت تصنيفاتهن، فبذاك البيت تكاد أعداد الأنسات لا تُذكر.

كانت "تائيكو" عادة ما تأتي وييدها حقيية صغيرة بها تحمل فيها الرُّبِّي الياباني التقليدي ومروحة اليد، وبرُكنٍ من الساحة تستبدل زِيَّها الغُريِّ الطراز بالملابس اليابانية، وبينما هي في انتظار دورها تختلط بجموع فتيات الجيشا والراقصات، وتشاهد التدريبات، وتبادل الحديث مع الفتيات الودودة القسّات، ولم يكن بالغريب حينها أن تتذكّر عُمَرها الحقيقي؛ فالكل -بدايةً من المعلّمة- يظنّون أنها بداية العشرينات، واستمتعت "تائيكو" بتَمَلُّقهم لها وهم يقولون كم هي فتاة لَيِّقة وهادئة رابطة الجأش.

كان كل من يأتي لذاك المكان -سواء من المتمرّسين أو الهواة- يستنكر بشدّة تيارَ رقصات طوكيو الذي اجتاح رقص الفلكلور بـ "كيوتو" و"أوساكا"؛ وبهذا يظلّ هناك الكثير ممّن لديهم نَوَقٌ عجيب لرقص القرى الجبلية، من منطلق رغبتهم في إظهار الفن الأصيل التقليدي لأراضيهم للعالم أجمع، والذي أصبح في طريقه للاندثار، وتجد على وجه الخصوص المؤيدين المتحمّسين ينظّمون ما يُطلَق عليه "اجتماعات مَحَلِّيَّة"، ويجتمعون شهرياً ببيت أرملةٍ ملحامٍ يدعى "كامي سوجي"، وأصبحوا مثلاً يُحتذى به.

كانت "تائيكو" تحضر هذه اللقاءات أيضاً؛ فهي شخصية قيادية، حتى لو كان الأمر مجردَ رقصاتٍ مُعتادة. ذات مرّة اصطحب "تينوسوكيه" زوجته وابنته "إتسوقو" و"يوكيقو" لمشاهدة أداء "تائيكو" بالرقصات، والتي كان من الطبيعي أن تجمعها بالأشخاص المتواجدين باللقاء علاقةٌ أُلْفَة؛ لأن مثل هذه العلاقات هي التي طلبها منها المنسّقون المسؤولون.

في آخر شهر أبريل من ذاك العام توجّهت إليهم بحديثها، طالبة أن يعيروها بيت "أشيا" من أجل ذاك الملتقى في شهر يونيه؛ ففي الواقع كل التجمّعات المحلية توقّفت منذ شهر يوليو بالعام الماضي بسبب الأحداث الراهنة، واكتفوا باللقاءات الدراسية البسيطة؛ لذلك لن يعترض أحدٌ إن التزموا بالانضباط بهذه المناسبة، علاوة على أن هناك مشاكل في تكرار اللقاء كل مرّة بمنزل أرملة السيد "كامي سوچي"؛ ولهذا جاءت الآراء المقترحة بتغيّر المكان، ولو لمرة.

بما أن هذه هي الطريقة التي تفضّلها "سانشيقو" وأخواتها؛ فوافقوا بالفعل على إتاحة غرفة لهذا اللقاء، ولن يكون لديهم مشكلة في التجهيزات مثلما يحدث ببيت السيد "كامي سوچي" غير المُعدّ على أكمل وجه. لكن بعضٌ منها -كمنصّة المسرح- هم في حاجة لنقلها من "أوساكا" إلى "أشيا"، ومن ناحية أسرة "ماكي أوكا" فهم سيُفرغون محتويات الغرفة غربية الطراز التي بالطابق السفلي من الأثاث، ويجلس الحضور على سجّاد غرفة الصالون وكأنه مقاعد المشاهدين، ويضعون بجانبه ما لديهم من حصير التاتامي الكبير الموجود بغرفة الملابس والزينة بالطابق الثاني.

كان اللقاء بيوم 5 يونيه، والذي يوافق أوّل يوم أحد بالشهر، من الساعة الواحدة مساءً إلى الساعة الخامسة، وكانت "تانيقو" ستقدّم رقصة الـ "يوكي".

كان هذا ما تمّ الاتفاق عليه لذلك بمجرد بداية شهر مايو كثّفت "تانيقو" من تدريباتها، وتردّدت على مكان التدريب مرّتين أو ثلاث أسبوعياً، وخصيصاً من يوم 20 في الشهر داومت مُعلّمتها على المجيء لها يومياً ببيت "أشيا" لتدريبتها.

إن مُعلّمتها -التي ستبلّغ هذا العام الثامنة والخمسين من العمر- هي بطبيعتها ضعيفة الصّحة، وتُعاني من مرضٍ كَلَوِيٍّ مُزمن؛ فأصبح

مجيئها هذا طوال أيام الأسبوع بمثابة جميل استثنائي لم يسبق له
مثيل، ووجودها أصبح سبباً لتوطيد علاقتها بالمساعدات والمتدربات،
وجعلها تختلط معهم وتتحمس وتجتهد، ومن حُسن صنيعها أيضاً
أنها كانت تأتياها بالأيام الحارة بأول الصيف من جنوب أوساكا بقطار
خَط "هانكيوو"، وبالرغم من أنه ما من أحد يقبل أن يذهب لإعطاء
الدروس المنزلية لمُراجَعَة الاستعدادات اللازمة لرقص القرى الجبلية، إلا
أنها تتفهم كون هذا مرفوضاً عادةً بالتفكير التقليدي المتحفظ.

لكن بعد ذلك، وبانقطاع علاقة "تائيكو" بساحة التدريب، ظَلَّت
ترغب في مزيد من التعلُّم؛ لذلك إن كانت المعلمة ستتولى تدريبها
فمن الأفضل تكثيف الدروس حتى ذاك التوقيت، بجانب توجيه ما
يلزم من نصائح.

كان جدول مواعيد المعلمة "أوساكو" يختلف يوماً عن الآخر، وفي
الغالب بكل يوم تُحدِّد موعد اليوم التالي، لكنها لم تلتزم بالدقَّة
الكاملة، فأحياناً كانت تنتظرها "تائيكو" حتى الساعتين، وأحياناً لا
يسعها المجيء بسبب سوء الأحوال الجوية. كانت "تائيكو" تعود
للمنزل في عَجَلَةٍ من أمرها وسط كل مشغولياتها لتنتظرها، ثم بعد
حين اعتادت الوضع وطلبت منها أن تخبرها بالهاتف، وأحياناً أخرى
كانت تأتي مُسرَّعةً من "شوكوجاوا"، وتجِد الصغيرة ما زالت في
منتصف تدريباتها.

لكن بالواقع لم يكن الخروج شيئاً بهذه السهولة للمعلمة "أوساكو"،
بحالتها الصحية السيئة تلك.

في البداية كانت تأخذ استراحةً قصيرة بغرفة الصالون، وخلالها
تبادل الحديث مع "ساتشيكو" لبضع دقائق، ويلُطف في آخر مرَّة
قاموا بالتمرينات في مجلس غرفة الطعام بعدما أبعدوا المنضدة
والمقاعد جانباً، ودنَّكَت "أوساكو" بالأغاني لِتُريها مثلاً، ولكن حينها

بدا عليها الإنهاك وتلاخَّفت أنفاسها، وقالت إنها منذ الليلة السابقة وهي تشعر بالألم الكلوي مرةً أخرى. كان وجهها مُنتَفَخًا ولونه شاحبًا، لكنها -على العكس- أرادت أن تستعيد عافيتها، وقالت:

"الرَّقص يحافظ على جسدي".

لم تكن تتألم من المرض إلى ذاك الحدِّ، ولكن تُرى هل كان هذا حقًا أم أنه من تَوَاضُعِها؟

إنها كانت تقول: "أنا لا أجيد التعبير بالكلام"، وهي في الحقيقة ثرثرة للغاية، وماهرة في التقليد والتمثيل، وبالدردشة كانت "ساتشيقو" وأخواتها يَسْتَعِجْنَ منها بشدَّة. ربما ذلك يرجع إلى أن جدَّها مُمَثِّل مسرح الكابوكي "إيتشي جاوا دانجورو"؛ فَوَرَّثَتْ منه الموهبة.

لهذا تجد ملامح وجه المعلِّمة "أوساكو" دقيقةً، ووجهها بياضويًا، وطول قامتها مُمَيَّزًا، وإذا أُلْقِيت نظرة عن كثب ستلاحظ نَسَبَها لفنَّاني عصر "ميجي". هؤلاء الذين عاشوا قديمًا، الحواجب الدقيقة الخفيفة، الأسنان المصبوغة بالسَّواد، أيَّا كان ما تشبههم به فذلك الوجه الكبير يظلُّ به قدرات متنوِّعة لا حصر لها. إنها حين تُقلِّد ملامح وتعبيرات شخصية ما تشعر وكأنها ارتدت وجه الشخصية وطُوِّعت ملامحها بإتقان تام.

عادت الصغيرة من المدرسة كانت ترتدي الرُّبِّي الياباني الذي لا ترتديه سوى بوقت مشاهدة تَفْتُح الزهور كل عام. كانت ترتدي جوربًا يابانيًا⁽¹⁾ كبيرًا للغاية لا يتناسب مع مقاس قَدَمِها، وتزيِّن

(1) 足袋=تابي"جورب ياباني ذو أصبع منفصلة.

مروحة يد على طراز القرى الجبلية مُزَرَّغَشة بأشكال الورد السامية الأربعة⁽¹⁾.

"حلّ شهر الربيع، وفي "موروو" حشود الزهور

فيما بين المسرحيات والاحتفالات والبطول

فتتلاقى الوجوه والعيون..."

كانت تُعلّمها رقصة أغنية "Tokaebisu + 日戎" والتي مَطَّلَعُها هو الأبيات السابقة، ولأن ساعات النهار أصبحت الآن أطول فَقَدْ انتهت الصغيرة "إتسوقو" و"تائيكو" لا تزال في تدريبات رقصة "يوكي 雪".

الصغيرة انتهت في حين أن "تائيكو" مهما مَرَّ عليها من وقت وهي تتدرَّب تَظَلُّ الحديقة مستضيئة، وزهور "الهيرادو" التي تأخر أوانها بدت فجأة وكأنها تحترق والعشب يشعُّ خُضرة.

أطفال عائلة Stolz بالجوار... "روزماري" و"فريتز" أصبحا مؤخَّرًا -وبكل يوم تقريبًا- ينتظران عودة "إتسوقو"، ويأتیان لِلْعِبْ بغرفة الصالون، لكنهما كانا يتسلَّان لِلْهُو مع رفيقتهما بهذه الغرفة التي يُفَضِّلونها، وينظران بشكل غريب من التراس، وظلًّا يُحدِّقان إلى رقص "إتسوقو" و"تائيكو" وحركات أيديهم، وبالنهاية جاء أخوهم الثالث "بيتر" ليُشاهد هو أيضًا.

بذاك اليوم صعد "فريتز" لمكان التمرين وهو ينادي مُقلِّدًا صوت عائلة "ساتشيقو"، وكان أحدًا منهم ينادي:

"المعلّمة "أوساكو"... المعلّمة "أوساكو"..."

(1) 四君子 (Shi Jun Zi) : "شيكون شي" تشير إلى أربع نباتات تُستخدَم في الفنون الصينية، وهي: البرقوق، الأقحوان، الأوركيد والخيزران، حيث الاعتقاد بإشاراتهم إلى: الاستقامة، البقاء، التواضع والمثابرة على الظروف القاسية. تمّ استخدامهم في الصين في عهد أسرة سونغ (960 - 1279)، ثم تدوّلت الفكرة في اليابان وكوريا أن هذه النباتات تُمثّل الفصول الأربعة: البرقوق في الشتاء، الأوركيد في الربيع، الخيزران في الصيف، والأقحوان في الخريف.

وأجابته "أوساكو" على نحوٍ طريفٍ وهي تطيل نبرةً صوتها:
"نعم"...

ومهما طال الأمد تَظَلُّ تُجيب بجدِّيَّة: "نعم، نعم"، وتلعب وكأنها
طفلةٌ صغيرة مع الطفلة ذات العيون الزرقاء.

الفصل الثالث

"أختي الصغيرة، هل أسمح لفتى مَتَجَر التصوير بالدخول؟ هيّا قولي".
كانت "تائيكو" بالوقت الترفيهي لمجلس اليوم ستقدّم الرقصة الافتتاحية على أغنية "أومورو نو هانا زاكاري"⁽¹⁾، وصعد المصوّر لغرفة ملابسهنّ بالدور الثاني وهي على حالها بثيابها وزينتها.
"تفضّل".

وحين انتهت من ارتدائها ملابس رقصة "يوكي" أمسكت بيدها اليمنى العمود حتى لا تتعثر، ووقّفت وطلّبت من خادمتها "أوهارو" أن تلبسها الجورب، ودون أن تحرك رقبتها وهي تعقص شعرها على

(1) نتفتح الرهور في "أومورو" بنال شهر قمرّي.

弥生(やよい)は御室(おむろ)の花盛(はなざか)り

النَّمط التقليدي الشائع بعصر "إيدو"⁽¹⁾ "تسوبوشي شيمادا"⁽²⁾، وتتوجّه بناظرِيها فقط هنا وهناك.

تعرّفت "تانيقو" على عَمّة شابّة ترتدي دائماً الملابس الغربية منذ عشرة أيام من أجل الاستعدادات وارتداء الزي الياباني وهندمة شعرها على النمط الياباني التقليدي هذا، وكما كان مُتوقّعا عِلقت بها كُلّ الأنظار في ذهولٍ واندھاش من طريقة استبدالها لملابسها.

في الحقيقة الملابس التي ارتدتها كانت من ثلاث طبقات: الطبقة السفليّة هي التي استخدمتها الأخت الكبيرة التي بالبيت الرئيسي "تسوروقو" قديمًا في حفل زفافها.

اليوم، حتى وإن كان القليل من الناس مُجتمعين، إلّا أنّه بدونها لَمّا سارت الأمور على ما يرام، وطالما فَكّرت "تانيقو" في ملابس جديدة، وبنقاشها مع "ساتشيكو" تذكّرت أن هذه الملابس لأختهم الكبيرة موجودة في مخزن بيت بلدة "أويهون"، فاستعارتها. إنها من إحدى مجموعات الملابس التي عمل والدهم وهو في أزهى أوقاته على أن تُصبغ خصيصًا لها، وأُتي بثلاثة رُسامين ليرسموا زخارفٍ بأشهر معالم اليابان على الطبقات الثلاثة المُلحقة بالرُداء.

كانت الطّبقة الأولى مرسوم عليها جزيرة "إتسوكوشيما 嚴島" على خلفيّة سوداء، والطبقة التي تليها عليها جزيرة "ماتسوشيما 松島" على خلفيّة حمراء، والطبقة الأخيرة للممّر الرُملي "أمانوهاشيدا 天橋" على خلفيّة بيضاء.⁽³⁾

(1) عصر إيدو 江戸時代 من 1603 إلى 1850.

(2) تسوبوشي شيمادا 漆島田 نوع من تزيينات الشعر الشائعة في عصر إيدو، وارتطبت بفتيات الجيش والمُعلمات، وُشئتُ منها عديد من قَصّات الشعر.

(3) مَمَرٌ رُمليّ بطول 3.6 كم بخليج ميازو شمال مقاطعة كيوتو. تُغطّيه حوالي 7000 شجرة

منذ حوالي سبعة عشر عامًا -أي في أواخر عصر "تايشو"- حين تزوجت الأخت الكبيرة وهي لم تُرر يدها على مجموعات الملابس تلك سوى مرة واحدة؛ لذلك فهي حقًا تبدو كالجديدة تمامًا، ولا تزال بروئقها، لكن "تانيقو" بارتدائها لإحداها، والتي عليها منظر الممر الرَّملي بريشة الفنان⁽¹⁾ "كاناموري كانيو 金森觀陽"، وبربطها لحزام من السَّتان الأسود لم تُعد تبدو كالابنة الصغيرة كالمعتاد، بل بدت كامرأة ناضجة، وبإقامتها لمثل ذلك الحفل الياباني الخالص أصبحت تُشبه "ساتشيقو" كثيرًا؛ وجنتاها الممثلتان، وهيئتها الكاملة، يُدعمهما حضورها الأخاد الذي لا يظهر في ملابسها الغربية.

"... سيدي المصور".

قالتها الصغيرة "إتسوقو" وهي تقف على منتصف السَّلم لشاب في أواخر العشرينات من العمر يُحدق في "تانيقو" وهي تُطل من زهرة الطابق الثاني.

"حسنًا. تفضل بالدخول".

"صغيري "اتسو"، كرية قَوْلِكَ "سيدي المصور"... قولي: "السيد إيتاكورا"".

قالتها "تانيقو" غير عابئة وهي تعتذر له وتدعوه للدخول.
"الأخت الصغيرة، اثبتي هكذا".

صنوبر، وهو ثالث المواقع السياحية في اليابان، وتم اختياره ضمن أفضل 100 موقع في العالم للينابيع والأنهار من قبل منظمات البيئة الدولية.
(1) رسام ياباني في أوائل عصر مييجي، وُلد في عام 1884 وتوفي في 1932.

وعلى الفور اثنًا على رُكبتَيْه، ووجه نحوها الكاميرا التي من طراز LEICA، وواحدة تلو الأخرى من الأمام ومن الخلف ومن اليمين واليسار، التقط هكذا بضع صُور.

مكان التَّجمُّع بالدُّور السفلي بعد فقرة "إتسوقو" قدَّموا أيضًا بضع أغاني شهيرة، واختتم اللقاء بعد خامس أغنية "إيدو مياچيه 江戸" وبوقت الاستراحة بدؤوا بضيافة الحضور بالشاي وأطباق الـ "سوشي"، وبغرفة الصالون التي كانت بمثابة صالَّة مقاعد المشاهدين تَوَاجَدَ قرابة الثلاثين شخصًا، حيث إنهم -عن عَمْدٍ- لم يدعوا سوى أقارب مُقدَّمي الرقصات، ولكن كان بينهم أيضًا "روزماري" و"فريتز"، اللذان احتلَّا موقعَيْهما بالصف الأول. كان كل منهما يجلس القُرفصاء حينًا، وعلى ركبتيه حينًا آخر، أو على وسادات الجلوس التي على الأرض؛ ليُشاهد الرقصة الافتتاحية لـ "إتسوقو".

بالخارج، بالتراس، تَوَاجَدَت أيضًا أمُّ الطُفلين Hilda Stolz؛ فهي سَمِعَت من الأطفال عن هذه المناسبة، ورغبت بشدَّة في الحضور، وقبل فقرة "إتسوقو" الافتتاحية جاءت من جهة الحديقة، وعرفها بهم ابْنُها "فريتز"، بعدها طلبوا منها التَّفَضُّل بالدخول، لكنَّها فضَّلت البقاء بالتراس، فجلبوا لها كرسيًّا من الخوص، وجلست هناك لتُشاهد منصَّة العرض.

"فريتز"، اليوم فلتلتزِم الصَّمْتُ تمامًا.

قالت لها المعلِّمة "أوساكو" للصَّبِيِّ من خلف الحاجز المتحرِّك الذهبي الذي كان على منصَّة العرض. كانت ترتدي كيمونو مُطرَزٌ ومُزَرَّكش الأطراف، ياقته بيضاء.

"حقًّا! من أيِّ بَلَدٍ أنتم يا أطفال؟".

تَسَاءَلَت السيدة الأرملة "كاميسوجي"، والتي كانت بمجلس المشاهدين؛ فأجابتها المعلِّمة:

"إنهم أصدقاء الصغيرة، وهم من ألمانيا. هم أصدقاؤى المقربون أيضاً، عادةً ما ينادونني "أوشوهان أوشوهان".

"حقاً! لا يستطيعون نطق اليابانية هكذا! ومع ذلك جاؤوا بشغف للمشاهدة!".

"الأكثر من ذلك هو سلوكهم في الجلوس بهدوء...".

قالت لها إحدى الحضور.

"حسناً إذن، أيتها الطفلة الألمانية، وأنتِ، ما اسمكِ؟... هل هكذا لن تُؤلمكما أرجلكم؟ فلتمددوها... لا بأس...".

حينها لم تسعف الذاكرة المعلمة "أوساكو" بأسماء الطفلين "روزماري" و"فريتز"، لتتدخل مُنقِذة الموقف.

بالرغم ممّا قيل للطفلين إلا أنهما مهما يحدث يتخطيان الأمر ويلتزمان الصمت، وتعتلي وجهيهما نظرات صارمة بهذا اليوم على وجه الخصوص.

"سيدتي، تفضلي طعامكِ".

قالها "تينوسوكيه" للسيدة Stolz حين وجدها تَضَعُ طبقاً إلى "سوشي" على رُكبتَيْها ولا يمكنها استخدام عَصِي الطَّعام.

"أنت لا يُمكنكِ أكل ذلك، إن كان لا يروقك اتركه من فضلك".

قالها "تينوسوكيه".

"هلا، أليس هناك أي شيء آخر يمكن للسيدة Stolz تناؤله؟".

قالها "تينوسوكيه" للخادمة "أوهانا" التي كانت تتجول بين الحضور لتقديم الشاي.

"أليس من الأفضل "كيك" أو أي شيء آخر؟ إنها ستأتيك به وتأخذ "السوشي" هذا".

"كلًا، أنا سأكل...".

قالتها السيِّدة Stolz ورفضت أن تأخذ "أوهانا" طَبَقَها.

"أهذا صحيح؟ هل ستأكلينه سيدتي؟".

"نعم سأكل. إني أحبه...".

"حسنًا، طالما تحبينه... يا "أوهانا"، أحضري ملعقةً".

بدا أن السيدة Stolz تُحبُّ الـ "سوشي" حقًا، وفور ما أخذت من "أوهانا" الملعقة التَّهَمَّتْ طبقها بالكامل دون أن تُبقي حتى الفتات.

كانت الفقرة القادمة بعد الاستراحة هي رقصة "يوكي"، التي ستقدمها "تاتيقو"، وكان "تينوسوكيه" منذ البداية لا يُلقي بالآ، ويتجول، ويطلع وينزل السُّلَّم لِعِدَّةِ مرَّات، وكلَّما ظَنَّ أن عليه أن يُرحِّب بالضيوف في الدُّور السُّفليّ عاوَدَ مرَّةً أخرى وصعد لهم، ودون أن يدخل غرفة ملابسهنَّ.

"هيا، لقد حان وقتي".

"إذن ها أنتِ ذا أتممتِ استعداداتكِ".

جلس بالغرفة الواسعة كلُّ من المصوِّر و"إتسوقو" و"ساتشيقو" حول "تاتيقو"، والتي هي أيضًا بدورها كانت تجلس على كرسي، وخشية أن تُسَيِّخ ملابسها فرشت على ركبتيها فوطَة مائدة، وكانت تزمُ شَفَتَيْها حتى بدا فمها وكأنه حرف "O"، وتُدخِلُ به القليل من الأرز المطهو، و"أوهارو" تُمَسِّكُ لها فنجان الشاي، وبعد كل مرَّة تأكل فيها تأخذ رشفةً من الشاي.

"أنت. كيف هكذا؟".

"أنا للثُو أَكَلْتُ بالأسفل... أَنْتِ يَا أُخْتِي، هل تستطيعين الأكل هكذا؟" إِنْ فَرَعْتَ المِعْدَةُ خارت القوى" هكذا يُقال. ألن تؤمك مَعِدَتُكَ إِنْ شعرت بالجوع وَأَنْتِ تُقَدِّمين الرِّقْصَات؟".

"فعلاً، ويُقال أيضًا إِنْ هؤلاء الذين يأكلون جيّدًا بوجبة الغداء يسقطون أرضًا وهم يتميلون ويدورون بالرقصات. يقول كبار مُمثلي المسرح بفن "الكابوكي" لا تأكل شيء مُطلقًا، والرقص لا يختلف عن التمثيل المسرحي؛ لذلك إِنْ لم أكل كان أفضل".

"أخي... هَيَّا... ألن تُجَرِّبِ أَنْ تأكل هكذا. تُدخل القليل لفمك دون أَنْ تلمس شفّيتك وتبدو وكأنَّكَ أَكَلْتَ الكثير".

"أنا منذ البداية مُعجَبٌ بطريقة أكلك الـ "سوشي".

قالها "إيتاكورا".

"ولِمَ؟"

"لِمَ؟! تفتحين فمك هكذا كهوة واسعة، وتضعين السَّمَك والكعك، ثم تزمّنين شفّيتك بشدّة هكذا وتأكلين الكثير!".

"ماذا! أتنظر للناس من حيث أفواههم!".

"فعلاً، هذا حقيقي يا أُخْتِي"، ورفعت الصغيرة صوتها بالضحكات.

"لقد استطعتُ تعلّم أن أكل ولا أكل في نفس الوقت".

"مِنْ مَن؟".

"المعلّمة "أوساكو" تُعلّم كُلَّ مَنْ يأتياها من فتيات الجيشا... فتيات الجيشا إِنْ وضعن أحمر الشّفاه يأخذن حذرهنّ، ولا حتى يُبلّلن شفاههنّ باللّعب، وإِنْ أكلن شيئًا عليهنّ وضعه بداخل أفواههن بعِصِيّ الطعام دون أَنْ يلمس الشفاه. هُنَّ مِنْ أوّل بدايتهن يتدرّبن على طريقة أكل "الطوفو المجفّف"، وإِنْ قُلْتَ لِمَ الـ "طوفو المجفّف"

تحديدًا؟ فهذا لأنه يحتاج لتدريبٍ كي تشفط حِساءَه دون أن يسقط على أحمر الشَّفاه".

"لم أكن أعلم أمرًا عظيمًا كهذا من قبل".

وتدخَّل "تينوسوكيه" ليسأله:

"جثت يا "إيتاكورا" اليوم للمشاهدة أليس كذلك؟".

"... للمشاهدة، ولكن لالتقاط الصور أيضًا".

"وهل صور اليوم أيضًا ستجعل منها بطاقاتٍ بريدية؟".

"كلًا، لا يمكنني. الأخت الصغيرة نادرًا ما تظهر لتؤدي الرقصات وتُصَفِّف شعرها لأعلى بالشكل التقليدي الياباني، وأظنُّها تريد فقط الصور التذكارية".

وردَّت "تائيكو":

"وهذه هي مهمَّته اليوم".

إن "إيتاكورا" يملك متجرًا للتصوير ويديره للدعاية والتصوير الفني، ويعلِّق عليه يافطة "إيتاكورا للتصوير"، وهو شمال محطة "تاناكا" لخطوط النقل السريع "هانشين". هذا الرجل في الأصل كان عامِلًا حرفيًّا بمتجر عائلة "أوكوباتا"، وقبل أن يُنهي دراسته الإعدادية سافر لأمريكا ودرس تقنيات التصوير في "لوس أنجلوس" لِسِتِّ سنواتٍ تقريبًا ثم عاد. في الحقيقة تدور حوله الشائعات بأنه لم تسنح له الفرصة ليصبح مُصوِّر أفلام بـ "هوليوود"، وفور عودته من الخارج أراد أن يفتح مَقَرًّا لعمله الحالي، وحينها قدَّمه "أوكوباتا" لـ "تائيكو" لأنها كانت تبحث عن مُصوِّر مناسب من أجل الدعاية لمنتجاتها، وأراد "أوكوباتا" أيضًا أن يُسدي إليه صَنِيعًا؛ حيث إن العلاقة بينهما كانت برعاية الابن الأكبر لعائلة "أوكوباتا" له، وتقديم يد العون، وكثيرًا ما أقرضه المال أيضًا.

وعليه، فمنذ ذاك الحين وكل صور منتجات "تائيقو" التي بمنشورات الدعاية، والتي أيضًا على البطاقات البريدية المصوّرة- هي كلها من انتقاء وتصوير "إيتاكورا"، وبمجهوده الخاص؛ وبهذا فهو يتلقّى طلبات الشغل الخاص بـ "تائيقو"، إضافة إلى الإعلانات، ولأن "أوكوباتا" على عِلْم بهذه العلاقة فأسلوبه مع "تائيقو" و"إيتاكورا" بالمثل -وعلى حدّ سَوَاء- فهو من البداية يعتبرها علاقةً بين رَبِّ العَمَل والأجير.

بالطبع علاقة "إيتاكورا" بـ "تينوسوكيه" والعائلة جاءت من علاقته بـ "تائيقو"، وتعلمه بأمريكا وتجوّله في مختلف الأماكن بكل وقت فراغ، إضافة لِكَونه رَجُلًا لَيَقًا- كل هذا جعله الآن يتداخل مع هذه الأسرة دون أن يدري أحدٌ لِمَ، حتى فيما بين الخادِمات أيضًا انتشر سحره فهو مثلما يفعل الآن يمازح الخادمة "أوهارو" ويسألها:

"سيدتي هل لك أن تصبحي زوجتي؟".

وقاطعه "تينوسوكيه" قائلاً:

"حتى وإن كانت هذه مَهْمَّتُكَ إلّا إنه أنا أيضًا ألتقط الصُور. أليس كذلك؟... هيا فلنلتقط واحدة. أختي الصغيرة، ادخلي في المنتصف واصطفُوا جميعكم".
"كيف نطف؟".

"أنت مع السيدات. من فَضْلِكَ، اصطفُوا جميعكم خلف مقعد الأخت الصغيرة... حسنًا... هكذا، بعد ذلك ابنتي. هيا "إتسوقو" قفي جهة اليمين".

"أوهارو" هيا ادخلي بالصورة معنا"، قالتها "ساتشيكو".

"حسنًا إذن... "أوهارو" تعالي بجهة اليسار...".

"ليت الأخت الكبيرة بطوكيو كانت معنا"، قالتها الصغيرة فجأة ورَدَّت "ساتشيكو":

"حقًا... إن أخبرناها لاحقًا ستحزن".

"لماذا يا أمي لم تخبريها لتأتي؟ ألا تعلمين بشأن اليوم منذ شهر مضى؟".

"لم أفكر هكذا، بل قُلْتُ إنها للتوّ عادت لبيتها بالشهر الماضي...".

نظر "إيتاكورا" في عدسة آلة التصوير، ولاحظ أن عيني "ساتشيقو" ترقرتا بالدموع فجأة، فتراجع بوجهه مندهشًا. زوجها "تينوسوكيه" أيضًا انتبه لذلك في نفس الوقت، ولكن لماذا تبدّلت تعبيرات وجه زوجته على حين غرة!

إنها منذ إجهاضها بشهر مارس وهي أصبحت من عاداتها بكل مناسبة أن تنهيم دموعها وتذكر جنينها الذي لم يكتمل. أحيانًا تُفاجئهم بالأمر، وإنما الآن يبدو أنه ليس كذلك، وهو ليس لديه أدنى فكرة!

ثرى، هل كلُّما رأت مظهر "تانيقو" اليوم بردائها وزينتها وهي تجلس على المقعد اجتاحتها مشاعرٌ عميقة وتذكرت الأخت الكبيرة، وهي بيوم بعيدٍ منذ زمن ارتدت هذه الملابس ورفعت شعرها لأعلى بنفس الطريقة؟

إن لم يكن هذا ولا ذاك؛ ثرى، هل انتابها الحُزن حين أمعنت التفكير بأن "تانيقو" تتألق كما لو كانت عروسًا بليلة زفافها؟ ثرى، متى يأتي هذا اليوم حقًا ولا يزال لا بُدَّ لـ "يوكيقو" أن تسبقها؟

ظنَّ "تينوسوكيه" أنه ربما كل هذا يدور بخلد زوجته.

على أيّة حال، فيما بين كل من رغب برؤية طَلَّة "تانيقو" اليوم هو شخص آخر، وعلى غير المتوقَّع هو "تينوسوكيه"؛ فذاك الرجل يشعر بالأسف من أعماق قلبه.

لكن إن كان الوضع هكذا فمجيء "إيتاكورا" لالتقاط الصور، ألن يكون من تدبير "أوكوباتا"؟! وهكذا تبدلت ظنونه دون أن يدري.

""ساطوو""...

نادت "تائيكو" على فتاة جيشا تبدو في أوائل الثلاثينات من العمر تستعد للخروج بعدها على أغنية "تشا أوندو" ((1))^{*}، وكانت تقف بالزاوية قبالة الغرفة أمام المرأة الكبيرة.

"عفوًا، لي طلبٌ عندك".

"ماذا".

"حسنًا، أُمَكِّكُك أن تتفضلي معي بتلك الغرفة هناك؟".

فيما بين الأربع أو خمس راقصات المتواجدات اليوم سيّداتٌ شهيرات يعملن كمُدْرِبَات رقص مُعْتَمَدَات، ويشارك أيضًا اثنان من فتيات الجيشا، و"ساطوو" هي راقصة من بلدة "صو إيه مون"، وتحظى بمَوَدَّةٍ خاصّة من المعلّمة "أوساكو" كمقدّمة لرقصات القرى الجبلية.

سألها "تائيكو":

"لم أرقص من قبل مُمَسِّكَةً بطرف رداي، ولا أدري إن كان جيّدًا هكذا؟ إنني قَلِيَّةٌ للغاية. هل تُعَلِّميني طريقة مَسِّكِه؟".

أجابتها "ساطوو" في همس:

"هذا يعتمد على الثَّمَايِل في الرقص، هيّا تمايلي قليلًا قليلًا..."

(1) 茶温度: اسم لأغنية شعبية.

فالتها وهي تأخذها قبالة الرُدْهة.

بالأسفل اصطفَّ الجميع ليستطيعوا المشاهدة، وكان صوت ضَبِطِ نغمات الآلات الموسيقية مسموعًا مثل آلة "قوكيو"⁽¹⁾ و"شاميسن"⁽²⁾.

ظَلَّت "تائيقو" مع "ساطوو" 20 دقيقة بأكملها، وهما تقفان بجوار الباب الجَرَّار لغرفة المعيشة، لكن جاءها "إيتاكورا" قائلاً:

"أنتِ. هيا فلتُسرعِي"، ووقف في انتظارها.

"حسنًا. أنا مُستعدة"، قالتها وفتحت الباب وأضافت:

"إيتاكورا"، هيا، أمسك هذا الطرف."

وجعلته يمسك بطرف الكيمونو، ونزَّلت السُلَّم ونزل بعدها كلُّ من "تينوسوكيه" و"ساتشيقو" والصغيرة "إتسوقو" مع بعضهما البعض، وبمجرد أن بدأت الفقرة دخل "تينوسوكيه" بين مقاعد المشاهدين في هدوء، وربَّت على كتف طفل من الأطفال الألمان الذين يشاهدون "تائيقو" على منصَّة الرقص بكل تركيز.

"فريتز" ذاك الشخص هناك، أنا لا أدري مَنْ هو."

امتعض وجه "فريتز" بشدَّة، والتفَّت بوجهه ليبيِّن له ذلك، وعلى الفور عاد مُتُبِّتًا ناظره على منصَّة الرقص مرَّةً أخرى.

(1) 胡弓こきゅう: آلة عزف يابانية تقليدية بثلاثة أو أربعة أوتار، ويُعرَف عليها بالقوس، وهي ذات صوت وشكل مُميَّز.

(2) 三味線 shamisen: آلة عزف تقليدية بثلاثة أوتار، وهي في الأصل آلة صينية

الفصل الرابع

إنه صباح اليوم الخامس من شهر يوليو، وبالضبط بعد شهرٍ بالتمام من الملتقى لتلك الرقصات. بشكل عام، تتزايد كمية هطول الأمطار بهذه السنة منذ شهر مايو مُقَارَنَةً بالسنين الماضية، وبمجرد بدء الفصل المطير والأمطار لا تتوقّف، وأيضًا منذ حلول هذا الشهر والأمطار تستمرُّ باليومين، لكن منذ فجر اليوم الخامس تزايدت شدّتها على حين غرّة، وأصبح المشهد غائمًا، لا يسعك رؤية الأمطار الغزيرة تتوقّف أبدًا.

بعد قرابة اثنتي عشرة ساعة سجّل إقليم "أوساكا وقوبيه" وضعًا كارثيًا لم يتوقّعه أحد، حيث كان الفيضان هائلًا. حتى بيت "أشيا" كان الوضع ليس أحسن حالًا.

جرت العادة أن تخرج "أوهارو" قرابة الساعة لتذهب بالصغيرة للمدرسة، وبالفعل أخذت استعداداتها للمطر قَدَرَ الإمكان، واتّخذت طريقها وسط العاصفة الرعدية المطيرة.

كانت مدرسة "إتسوقو" هي ثالث بناية تقريبًا بعد عبور طريق "هانشين" الدولي السريع، وجنوبًا بعد خَطَّ السكة الحديد، ويمكن قريب من ضفة نهر "أشييا"، وعادة ما كانت تعبر "أوهاروا" للجهة المقابلة بأمان وتتركها لتكمل طريقها وتعاود هي، لكن بذاك اليوم بسبب الأمطار الغزيرة أوصلتها "أوهارو" حتى المدرسة وعادت للبيت والساعة تجاوزت الثامنة والنصف.

أثناء عودتها نزلت الأمطار بغزارة، وهرول شباب المجموعات الأمنية للتحذير من المياه؛ فالتفت في طريقها وخرجت عند ضفة النهر وعاوَدَت أدراجها بعدما رأت كمَّ المياه المتزايدة بالنهر. كان الوضع رهيبًا بمنطقة جسر "ناريهيرا باشي".

روت "أوهارو" أن المياه كانت تتدفق بشكل مُرعب وتكاد تطال الجسر، لكن ومع ذلك لم يكن هناك أيَّة تنبؤات بالوضع رغم خطورته.

بعدما عادت "أوهارو" ببضع دقائق همَّت "تانيقو" تستعدُّ للخروج، وانتعلت حذاء مطاطيًا، وارتدت معطفًا مطرٍ من الحرير المشمَّع بلون الزمرد.

رغم أن "ساتشيكو" استوقفتها قائلةً: "هل ستخرجين بذاك الوقت العصيب؟"، إلا أنها كانت بذاك الصباح لن تتوجَّه إلى "شوكوجاوا" كالعادة، بل كان يوم الذهاب إلى مدرسة الحياكة التي في "موتوياما". لم تتوقَّف "تانيقو"، بل مارَحتُها قائلةً:

"الخروج بالمطر مُمتع، حتى وإن كان غديرًا إلى ذاك الحدّ".

فقط "تينوسوكيه" هو مَنْ انتظر مربيًا، وبينما هو يبحث عن أشياء بمكتبه متردِّدًا، بلغ مسامِعَه الصَّوتُ المزعج لصافرة الإنذار.

بذاك الوقت كانت شِدَّة الأمطار بلغت ذروتها، وحين نظر "تينوسوكيه" أدرك أن مكانهم هو الأكثر انخفاضًا، ومع تجمُّع مياه الأمطار بالرُّكن الجنوبي الشرقي لحديقة مكتبه أصبح أسفل شجرة المشمش أشبه بِرِكةٍ مساحتها 2م7.

لكنه لم يُقرَّ بعدُ أن الوضع أصبح غريبًا، ففوق ذلك كله المكان لا يبتعد كثيرًا عن الضفَّة الغربية لنهر "أشيًا"، وهذا أيضًا لم يجعله يستشعر أن الخطر بات وشيكًا.

لكن بما أن مدرسة الصغرة أقرب للنهر منهم؛ فماذا إذا انكسر السدُّ؟ أي منطقة ستهدم أولًا؟

نُرى، هل تلك المدرسة الابتدائية بخير حال؟

وهذا أول ما تبادر لذهنه، لكنه لم يرغب في إثارة قلق زوجته دون داعٍ؛ لذلك هذًا من روعه، وعن عَمَدٍ خرج من غرفته المنفصلة هذه بعد قليل من الوقت، وبمجرد أن خطا خَمْسَةً أو سِتَّة خطوات من بيته أصبح مُبتلًا بالكامل.

تساءلت "ساتشيقو" عن سبب صافرة الإنذار، وظننت أنه بالتأكيد هناك خَطْبٌ ما هي لا تدريه، وأرادت أن تخرج لترى ما يحدث بالجوار، وما إن ارتدت معطف المطر فوق رداء الكيمونو من نوع "ساتسوما جاسوري"⁽¹⁾، واتَّجَهَت للباب حتى امتقع لون وجه "أوهارو"، لقد كان المعطف مُلطَّخًا بالوحل بعدما جاءت مُسرَّعةً من الباب الخلفي.

رأت "ساتشيقو" وَضَعَ المياه المتزايدة. تنبَّهت لكون الإنذار يأتي من جهة المدرسة الابتدائية، ودون أن تدري هرعت لتلك الجهة.

(1) نوع من الملابس يُصنَّع بمنطقة "ساتسوما"، وهي مقاطعة قديمة تقع في محافظة كاغوشيما الحالية، والتي تشتهر بمنسوجاتها القطنية عالية الجودة والقشوش المميَّزة.

كانت المياه للتو وصلت للناحية الشرقية من المنزل وتأتي من منطقة التلال الجبلية مُتَّجِهَةً نحو البحر وتتدفق بكل قوَّة وسرعة من الشمال للجنوب. في البداية كانت تنغمس في الماء حتى ساقها في محاولتها لمواصلة السير جهة الشرق وسط تلك المياه، ثم بعد بضع خطوات غمرت المياه رُكَبَتَيْهَا وأوشكت أن تغطِّي ساقها بالكامل، وصاح بها شخص من أعلى سطح أحد البيوت، وكان يرمقها بنظرات شديدة الغضب ويصرخ بها:

"إلى أين ستذهبين؟ كعادة كل النساء... أفعالكن غير منطقية".

توجَّهَت ساتشيقو بناظرها تبحث عمَّن هم بزيِّ مجموعات الأمن والحراسة، ولكن بدا ذاك الوجه مألوفًا بالنسبة لها. إنه الشاب "يا أوتسونيه"، وحين همَّت بسؤاله ما إن كان هو تنبَّهَت لوجود "أوهارو" أمامها، وواصل صياحه:

"هل هذا جنون! أبوسطِ هذه المياه! حتى الرجال لا يمكنهم الخوض أكثر من ذلك؛ فالحَدَثَ جَلَلٌ قُرْبَ النهر. لقد تهدَّمت بيوت ومات أشخاص".

وحاول الشاب أن يلقي على مسامعها المزيد، وقال:

"يبدو أن هناك انهيارًا أرضيًا جهة فيضان نهر "أشيَّا جاوا" و"قووزاجاوا"، ومن جهة الجسر بشمال حَطَّ سكة حديد "هانكيوو" تتدفق المياه جارِفَةً البيوت، والصخور والرمال، والأشجار، وكلها تلو بعضها البعض تتكدَّس كالجبال؛ لأن السدَّ يعوق التيار، وبسبب فيضان الأنهار على الضفاف والطرق فالوحل يدور في دَوَّامَاتٍ يصل عمقُها لثلاثة أمتار في بعض المناطق، والكثير من البيوت يطلب سُكَّانُهَا الإنقاذ من على الأسطح".

كانت "أوهارو" أكثر ما تقلق بشأنه هو المدرسة الابتدائية؛ لذلك مهما حدث بتلك المنطقة ومهما كانت لا تدري ما آلت إليه الأوضاع

ستذهب، لكن بوجه عام إن كانت أعالي الطريق السريع تضررت بشكل بالغ فربما بالأسفل قُرب النهر ليس كذلك، والأهم أنه إذا كان الدمار هائلًا جهة الضفة الشرقية فربما الجهة الغربية ليست إلى ذلك الحد، وربما المدرسة الابتدائية بخير حال.

إن هذا مُجرّد كلام انفعالي لذلك من الأفضل أن تحاول الذهاب للمدرسة من طريق ما ملتف، لكن ليس هناك أي طريق لم تُغرقه المياه بعد مهما التفت، وإنما كلما اتَّجَّهت شرقًا كلما زاد عمق المياه، ولو اقتصر الأمر على العمق فقط لهانت؛ فالمياه تتدفَّق بسرعة، والخطورة ما إذا انزلقت قدمها هنا، حينها ستصطدم بكل ما جلِبِه الفيضان مُتدفِّقًا من أعلى من أحجار وجذوع أشجار، والأسوأ هو انجرافها حتى البحر. حتى وإن تمسَّكت بحبال الإنقاذ من مجموعات الأمن تحسبًا لخطر الموت وغيَّرت طريقها، فهيئتها كامرأة ستعوقها، وما باليد حيلة، فمن البداية عليها أن تعود أدراجها. هكذا ظنَّت "أوهارو".

عادت "أوهارو"...

وكلهم عادوا أدراجهم...

على الفور حاول "تينوسوكيه" الاتصال بالمدرسة هاتفياً، لكنَّه وجد أن الاتصالات مقطوعة، فقال لـ "ساتشيقو":
"إذن سأذهب أنا".

لكن "ساتشيقو" لا تتذكَّر بماذا أجابته، فقط حين همَّ بالخروج انهمرت الدموع المتجمَّعة بأعينها كلها فجأة، ولحظتها احتضنها زوجها بشدَّة، وهذا كل ما تذكَّره.

استبدل "تينوسوكيه" ملابسه اليابانية بأسوأ ملابس غربيّة لديه، وانتعل حذاءه البوط المطاطيّ طويل الرقبة، واعتمر قبعته المضادة للماء على معطف المطر وخرج، لكنه بعدما سار عدّة خطوات ونظر للخلف وجد "أوهارو" وهي تهرول إليه. إنها منذ قليل عادت للمنزل كفأر مُبلّل مُغطّى كله بالوحل، لكنها بهذه المرة ترتدي زيّها برباط الأكمام⁽¹⁾، وحول خصرها حزام أحمر يشدّ حاشية ثيابها.

صاح بها "تينوسوكيه":

"لماذا تأتي إليّ. عودي للمنزل".

لكنها لاحقته وقالت له إنه لن يتمكّن من الذهاب للمدرسة من هذا الطريق، بل عليه التوجّه جنوبًا مباشرة دون الذهاب جهة الشرق، وتبع "تينوسوكيه" كلامها حتى وصل للطريق السريع.

خاض طريقه جهة الجنوب قدر الإمكان، وحين أصبح على مقربة بنايتين من خط سكة حديد "هانشين" اعتبر حاله نجح في الوصول دون أن تطيح به المياه الهائلة المتدفّقة، لكنه كي يصل للمدرسة يجب عليه أن يقطع الطريق شرقًا.

لحسن الحظ كان الماء بهذه المنطقة عمقه لا يتجاوز ارتفاع حذائه المطاطي، وحين عبر خطّ السكة الحديد ليقترّب من الطريق وجد الماء ضحلًا أكثر على غير المتوقع. بذاك الوقت تمكّن أخيرًا من رؤية مبنى المدرسة في طريقه، ورأى الأطفال يطلّون بوجوههم من نوافذ الطابق الثاني، والمدرسة ليس بها أي شيء غير عادي، وجاء من خلفه صوت مُفَعَم بالسعادة يقول يا للفرحة!

والتفت ليجد "أوهارو" لا تزال تتعقبه وهو لم ينتبه لوصولها.

كان تدفّق المياه لا يزال كما هو سريعًا، فكان عليه أن يخطو كل خطوة بحذر، ويتسرّب الماء داخل حذائه البوط ثقّلت قدماه وأصبح عليه أن يحترس أكثر، أمّا "أوهارو" الأقصر قامّة منه والتي تلتخ رداؤها بالوحل حتى حزامها الأحمر استخدمت مظلتها كعُكّاز، وتمسّكت بحوائط البيوت وأعمدة الإنارة وهي بالكاد تجرّ قدميها وتلاحقه طوال الطريق.

كانت "أوهارو" دائماً ما تُهمهم بأقوال شهيرة من الأفلام مثل: "يا للفرحة!"، "أي نوع من الأشخاص هذا!"، هكذا لحالها، وتبدي اعجابها أحيانًا، وتثير الريبة حينًا آخر، وتصفّق بيدها، وهذا كله من ضمن عاداتها والتي تعجّب "تينوسوكيه" بشدّة لظهور أحدها وسط الفيضان بكل مخاطرهِ.

لم تستطع "ساتشيقو" أن تظلّ هكذا لا تُحرك ساكنًا بعد خروج زوجها، وكلّما هدأ المطر قليلًا خرجت أمام البوابة؛ فمرّ سائق المرباب المقابل لمحطة "أشييا" وألقى عليها التحية، وكان أول همّها أن تسأله أوّلًا عن حال المدرسة الابتدائية. أجابها بأن المدرسة على الأغلب بخير حالٍ ولن يغمرها الفيضان لأنها بمكان مرتفع حتى وإن طالت المياه أماكنٍ أخرى بنفس المنطقة، فهي على الأرجح أكثر مكانٍ آمن، ولو أنه لم يذهب بذاته ليرى.

تنفّست الصعداء بسماعها لذلك الحديث، لكن السائق استطرد:

"كل الأقاويل تؤكّد أن الوضع بنهر "أشييا" قاسٍ، ولكن فيضان نهر "سومي يوشي" عنيف لأقصى حدّ. توقّعت كل خطوط السكك الحديدية، وكل الطرق أيضًا مقطوعة؛ ولذلك لم يتّضح لي الوضع بالضبط، وإنما سألت مَنْ يأتون سيرًا على الأقدام من جهة الغرب، وقالوا إن الطريق حتى محطة "ياماموتو" بخطّ سكة حديد "شووسن"

الفيضان بنفس القوة، فالسير مُمكنٌ على خطّ السكة الحديد، ولم تَطْلُه المياه، لكن كلما توجّهت غربًا ستجد التيار الموحل يتدفّق بعُنف في كل مكان مُتّجِهًا للبحر، أمّا عند الجبل فالأمواج العاتية تلتفّ عكسيًا، وتطوي بعضها بعضًا، وتجرف كل شيء تحتها. الناس تنجرف وتصرخ طالبة النجدة وتحاول التمسّك بأغصان الأشجار، ولا يمكن فعل أي شيء لهم".

... مثل هذا الحديث جعل القلق يُداهِمها حيالَ أختها "ثانيقو"، وما إن كانت بمأمن. إن مدرسة الخياطة التي تتردّد عليها ببلدة "ياماموطو" هي جهة الشمال قليلًا من محطة الحافلات التي عند مدرسة "بنات قونان" على الطريق الدولي. إنها ثالث بناية تقريبًا من ضفة نهر "سومي يوشي"؛ لذلك فالحديث الذي دار مع السائق الآن يجعلها بكل الأحوال تتخيّل أختها وهي وسط بحور من تيارات موجليّة جارفة.

قال لها السائق أيضًا إن "ثانيقو" حين تذهب لمدرسة التفصيل تخرج سيرًا على الأقدام حتى "تسوحي" ^(١)، ثم تستقل الحافلة، وعلى حدّ هذا القول فهي بالتأكيد تذهب جهة الطريق الدولي. هو لم يمرّ من هناك، ولكنه ربما بعد وصولها ازداد تدفّق المياه هكذا وأصبح الوضع مُقلقًا عمّا هو عليه بالمدرسة الابتدائية.

هرعت "ساتشيقو" إلى الداخل مرتبكة ولا تدري ماذا عليها أن تقول، وبكل ما بها من قوة نادى على "أوهارو".

لكن "أوهارو" خرجت خلف زوجها وما زالت لم تعد بعد. انقلبت ملامح وجهها على الفور كطفلة صغيرة وبدأت في البكاء. اندهشت كلتا الخادمتين: "أوهانا" و"أو أوي"، وحدّقتا بوجهها الباكي في صمتٍ،

(1) اسم مكان مدينة "أشيا"، في محافظة "هيوجو".

فشعرت بالإحراج قليلاً وهربت من غرفة الجلوس للتراس، ثم نزلت بالعشب الأخضر في الحديقة.

أطلت السيدة STOLZ برأسها من على السور السُّلْكِي ونادت عليها ووجهها ممتقع لونه:

"سيدتي، عفوًا... ماذا فعل زوجك؟ ماذا عن مدرسة "إتسوقو"؟".

"زوجي ذهب ليأتي بها، ومدرستها في الغالب لم تتضرر. وأنت سيدتي... أين زوجك؟".

"زوجي ذهب ليأتي بـ "بيتر" و"رومي" من "قوبيه"، وأنا في غاية القلق".

منذ بدء أحداث الحرب اليابانية الصينية الثانية⁽¹⁾ وكل المناطق التجارية خاوية، وفيما بين الأطفال الثلاثة لعائلة STOLZ لا يزال "فريتز" صغيراً لا يذهب للمدرسة، بخلاف "بيتر" و"روزماري" اللذين يذهبان للمدرسة الابتدائية الألمانية التابعة للنادي الألماني بمنطقة التلال الجبلية في "قوبيه".

رب عائلة STOLZ هو أيضاً عمله في "قوبيه"؛ لذلك كانت تراه من ذي قبل يخرج مصطحباً أطفاله الثلاثة، وأحياناً يخرج وأحياناً يبقى، ومؤخراً أصبح يخرج بالصباح ومعه طفلان فقط.

وعليه، فبهذا الصباح أيضاً كان الأب متواجداً بالبيت، لكنه راوده القلق على أبنائه، وقال إنه سيذهب ليرى الأحوال في "قوبيه"، وللتَّوَّ خرج وهو بالطبع لا يدري أن الفيضان بلغ ذلك الحد، وكان لا يعلم أيضاً أن خطوط القطارات متوقفة، ومن حُسْنِ الحَظِّ أنه لم يصل للطريق. هكذا روت لها السيدة STOLZ وهي في غاية القلق. كانت إجادتها لليابانية ليست أفضل حالاً من أبنائها، وبالرغم من انخراطها

(1) الحرب اليابانية الصينية الثانية 1937 - 1945.

في الحديث إلا أن الأمر كان صعبًا عليها، وكانت "ساتشيقو" لتجاريها
تمزج بحديثها كلمات إنجليزية غير واضحة لتهذي من روعها
وتطمئننها وتلهيها قدر الإمكان، فقالت "ساتشيقو":

"إن زوجك بالتأكيد.. بالتأكيد سيعود بأمان. هذه المياه فقط في
"أشيا" و"سومي يوشي"، وليس بالضرورة أن يكون الوضع هكذا في
"قوبيه". "بيت" و"رومي" بخير حال... أنا حقًا متأكدة من ذلك. قطعًا
هُم في أمان".

وبعدما أعادت كلماتها مرارًا وتكرارًا وجعلتها تبتهج قليلًا انصرفت
قائلة:

"حسنًا، ألقاك لاحقًا".

قالتها وعادت لغرفة الجلوس، ومن البوابة الرئيسية التي كانت
مفتوحة بالفعل منذ وقت قليل مضى جاءت "إتسوقو" برفقة
"تينوسوكيه" و"أوهارو".

كالمتوقع، المدرسة الابتدائية التي بها الصغيرة كانت بمأمن وبعيدة
تمامًا عن منسوب المياه، أما المناطق المحيطة بها فغمرتها المياه
بالكامل، وملاحظتهم لمنسوب المياه لحظة بلحظة أوقفوا الحصص
الدراسية، وجمعوا التلاميذ كلهم بفصول الطابق الثاني، وحرصًا على
سلامة الأطفال جعلوا أولياء أمورهم يأتون بأنفسهم، وبالفعل تم
تسليم الأطفال واحدًا تلو الآخر لذويه، ولهذا تساءلت "إتسوقو"
نفسها عما حدث ببيتهم دون أن يصيبها الرعب، وبإسراع أبيها
و"أوهارو" بالمجيء لها أصبحت هي من أوائل التلاميذ الذين غادروا،
فمن بعد "تينوسوكيه" تتابع أولياء الأمور لأخذ أبنائهم.

أخذ "تينوسوكيه" ابنته وتوجّه بالشكر للمدرّسين ومدير المدرسة،
واتخذ من نفس الطريق الذي جاء منه سبيلًا لعودته، وكان لوجود
"أوهارو" فائدة: أنها فور رؤيتها لـ "إتسوقو" سالمةً بردهة المدرسة

تَشَبَّثَتْ بِهَا رَغْمَ مَلَابِسِهَا الْمَتَسَخَّةِ بِالْوَحْلِ، قَائِلَةً: "فَتَاتِي الصَّغِيرَةَ"، وَجَعَلَتْ الْجَمِيعَ مِنْ حَوْلِهَا تَصِيهِمُ الدَّهْشَةَ، وَبِطَرِيقِ الرَّجُوعِ اجْتَازَتْ تِيَارَ الْمِيَاهِ وَكَأَنَّهَا تَحْمِي "تِينُوسُوكِيَه".

ارْتَفَعَ مَنْسُوبُ الْمِيَاهِ حَوْلِي سَبْعَةَ سَنْتِيْمَتَرَاتٍ عَنْ ذِي قَبْلِ، وَاشْتَدَّتْ قُوَّةُ الْمِيَاهِ؛ فَتَوَجَّجَ عَلَى "تِينُوسُوكِيَه" حَمَلُ ابْنَتِهِ عَلَى ظَهْرِهِ فِي حَيِّزٍ ضَيِّقٍ، وَهَنَا أَصْبَحَ الْمَشْيُ مَهْمَةً عَسِيرَةً مَعَ الْحِمْلِ، وَكَلَّمَا جَاهَدَ لِرَفْعِ قَدَمِهِ حَاوَلَتْ "أُوْهَارُو" بِجَسَدِهَا أَنْ تُجَنِّبَهُ قُوَّةَ الْمِيَاهِ الْمُنْدَفَعَةِ بِشِدَّةٍ، فَلِذَا لَمْ يَبْقَ جَنْبًا لْجَنْبٍ مَعَهَا مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَخْطُو خُطْوَةً وَاحِدَةً فِي هَذَا الْوَضْعِ الْخَطِيرِ؛ فَفِي الْأَمَاكِنِ الْعَمِيقَةِ كَانَتْ الْمِيَاهُ مِنْ جِهَةِ "أُوْهَارُو" تُغْرِقُهَا حَتَّى خَاصَرْتِيهَا، وَهَذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ أَبَدًا.

اسْتَمَرَّتْ الْمِيَاهُ فِي الْإِنْدِفَاعِ مِنَ الشَّمَالِ لِلْجَنُوبِ، وَأَصْبَحَتْ كُلُّ الطَّرِيقِ وَكَأَنَّهَا تَتَّجِهُ لِلْغَرْبِ فَقَطْ؛ مِمَّا تَطْلُبُ تَرْكِيزًا شَدِيدًا لِقَطْعِ الطَّرِيقِ مِنْ نَاحِيَةٍ لِأُخْرَى. قَدَّمَتْ فِرْقَ الْإِنْقَازِ يَدَ الْعَوْنِ وَمَدَّتْ الْأَحْبَالَ لِلتَّمَسُّكِ بِهَا، وَأَذَاعَتْ التَّحْذِيرَاتِ، لَكِنْ بِإِحْدَى الْمَنَاطِقِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ مِنْ وَسَائِلِ الْإِنْقَازِ تِلْكَ؛ فَتَمَسَّكَ اثْنَتَاهُمَا بِبَعْضِهِمَا الْبَعْضَ بِشِدَّةٍ، وَاحْتِاجَ اسْتِخْدَامِ مِظْلَةٍ "أُوْهَارُو" لِمَزِيدٍ مِنَ الْقُوَّةِ، وَبِصُعُوبَةٍ مَكَّنُوا مِنَ الْعَبُورِ.

بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذَا، فَرَحَتْ "سَانْشِيْقُو" بِسَلَامَةِ ابْنَتِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهَا مُتَسَعٌّ مِنَ الْوَقْتِ لَتُقَدِّمَ الشُّكْرَ لـ "أُوْهَارُو"، أَوْ حَتَّى زَوْجِهَا، بَلْ قَطَعَتْ الْحَدِيثَ مَعَ زَوْجِهَا وَهِيَ يَبْدُو عَلَيْهَا الْإِنْزِعَاجُ، وَسَأَلَتْهُ: "أَنْتِ، مَاذَا عَنْ أُخْتِي الصَّغِيرَةِ؟".

وَبَدَأَتْ فِي الْبُكَاءِ مَرَّةً أُخْرَى.

الفصل الخامس

عادةً ما لا يستغرق مشوار "تينوسوكيه" للذهاب إلى المدرسة الابتدائية والعودة أكثر من ثلاثين دقيقة، ولكن بذاك اليوم استغرق ما يزيد عن ساعة. بتلك الأثناء تناقَلَت أنباء عن فيضان نهر "سومي يوشي"، وعن أن التيار الموحِلَ غرب طريق "تاناكا" الدولي أصبح وكأنه نهرٌ عظيم يكتسح كل ما أمامه، وبدا أن الوضع كارثيٌ في كل من: "نويوري"، "يوقويا"، و"أوجي"، وجنوب الطريق الدولي حيث سوق "قونان" أيضًا، واختفى ملعب الجولف وأصبح وكأنه امتدادٌ للبحر، والضحايا من كل أنواع الكائنات الحية، والبيوت المتدمِّرة المنجرفة توضح أن أعداد الخسائر هائلة...

على هذا المنوال شاعت الأنباء وكان الوضع غامضًا، وكل ما وصل لمسامع أسرة "ساتشيقو" دلَّ على الإحباط. لكن "تينوسوكيه" لديه تجربة سابقة مع الكوارث بتواجُّده وقت الزلزال المدمر لإقليم

"الكانتو"⁽¹⁾، وهو يدري أنه في مثل هذه الأحوال تنتشر الشائعات مليئةً بالتهويل، فضرب ذاك المثل ليهْدئ من روع زوجته "ساتشيقو" بعدما أَصْبَحَتْ في حالة بائسة من قلقها على أختها الصغيرة "تائيقو". إن وصل إلى خَطِّ السكة الحديد سيتمكّن من الوصول إلى محطة "موطوياما"، ومنها سيمكنه الذهاب إلى أي مكان يريده، وسيتأكد بعينه ما إن كانت قوة المياه كما يُشاع حقًا، لكن حتى وإن ذهب بنفسه فماذا عساه أن يفعل!

ماذا إذن وهو لديه شعور بأن الوضع ليس كذلك؟ إنه على دراية بأوقات الكوارث، ويعرف أن مُعَدَّل وفيات الأشخاص في الكوارث الطبيعية ليس بكثير، وبخلاف المُتَوَقَّع، والتفكير بالأمر برُمته بنظرة شمولية يبيّن أنه حتى الحالات التي ليست في حاجة ماسّة للمساعدة عادةً ما يتمُّ إنقاذها، إذن فليَمَ القلق؟!

الصراخ والنحيب الآن شيء سابق لأوانه، ومن الأفضل لـ "ساتشيقو" أن تهدأ وتنتظر عودتها مهما تأخّرت دون قلق، وهو لن يخوض مغامرة متهورّة، وأينما رأى استحالة المضيّ قُدّمًا سيعود أدراجه. هكذا قال "تينوسوكيه"، وجعل زوجته تُعِدُّ له كُرات الأرز بعناية، مع القليل من مشروب "BRANDY"؛ تَحَسُّبًا للشعور بالجوع بمشواره، وأخذ بجيبه بضعة أقراص دواء، وتَفَادِيًا لخبرته السابقة مع الحذاء البوط طويل الرقبة انتعل حذاءً عاديًا وبنطالًا، وخرج مرّةً أخرى. رهما المسافة حتى "نويوري" أكثر قليلًا من 2.5 ميل ما إذا سار بمحاذاة خط السكة الحديد.

(1) إقليم الكانتو يضمُّ طوكيو والمناطق المحيطة بها، وقد وقع بها زلزال مُدمّر في الأول من سبتمبر عام 1923، وتضرّر أكثر من 900 ألف شخص، وراح ضحيته 105 ألف شخص، وكان يُعَتَبَر أكبر كارثة في تاريخ اليابان، إلى أن وقع زلزال شرق اليابان الكارثي في 11 مارس 2011، والذي كانت خسائره غير مسبوقة.

كان "تينوسوكيه" يُحبُّ المشي ويعرف جيّدًا مَعَالِمَ تلك المنطقة، وكثيرًا ما يَمُرُّ أمام البناية التي بها مدرسة التفصيل والتي هي مبتغاه الوحيد الآن. إذا خرج من خط السكة الحديد العام لمحطة "موطوياما" واتَّجَهَ غربًا عشر بنايات ثم جنوبًا، فعندما يتفرَّع الطريق سيجد "مدرسة بنات قونان" ومدرسة التفصيل بالجوار في الغرب قليلًا، أمّا إذا اتجه جنوبًا مباشرة من خط السكة الحديد فسيجد المدرسة بعد بناية واحدة، ولو استطاع الوصول لأي مكان بالجوار من على مسار السكة الحديد سيُمكنه تَقْصِي حُجْم الدمار الذي لحق بالمنطقة، حتى ولو لم يصل لمدرسة التفصيل بعينها.

بمجرد خروج "تينوسوكيه" تَبَعْتَهُ "أوهارو" مرّةً أخرى بتهوُّرٍ كعادتها، لكنه صَدَّهَا، مُعَنِّفًا إِيَّاهَا قَائِلًا:

"بهذه المرّة حَقًّا يجب ألا تذهبي، ومن الأولى أن تبقي بالبيت مع "ساتشيقو" والصغيرة؛ فكلتاها لا يمكن الاعتماد عليه"، وشدّد على طلبه منها بالبقاء، وخرج مُتَّجِهًا شمالًا نحو خط السكة الحديد.

لم يَرِ مِيَاهًا بين الأبنية على الإطلاق، فقط من جهة الغابة والحقول التي على الجانبين تفيض المياه، لدرجة أن عُمَقُهَا قد يصل لـ 60 أو 90 سم، وبالخروج من الغابة وصولًا إلى "تانابيه" تنحسر المياه وتَبْقَى فقط بشمال حَظِّ السكة الحديد. أمّا في الجنوب فكان يومًا كسائر الأيام العادية، لكن كلّما اقترب من محطة "موطوياما" تظهر المياه شيئًا فشيئًا.

ما زال الوضع آمِنًا على قضبان السكة الحديد، ولم يشعر "تينوسوكيه" أثناء سيره بأيّ من الصعاب أو المخاطر تحديدًا، وإمّا بين الحين والآخر يصادف مجموعةً من طُلاب مدرسة "قونان" الثانوية، فيستوقفهم سائِلًا عن الأحوال هناك، ولم يُجِبْهُ أحدهم إجابةً مثل الآخر؛ فمنهم من قال لا يوجد أي شيء، ومن قال إن الوضع كارثيٌّ عند

محطة "موطوياما" وما قبلها، وأيضًا هناك مَنْ قال له: "إذا مشيت قليلًا ستجد الطريق كُلُّه أمامَكَ أصبح كالبحر"، وحين قال إنه يريد الذهاب غربًا جهةً مدرسة "قونان" أجابه أحدهم إن تلك المنطقة هي الأسوأ على الإطلاق، وأنه وقتما خرج من المدرسة كانت المياه مستمرةً في التدفق والزيادة، ولعلَّها الآن غمرت خطَّ السكة الحديد وأغرقت جهة الغرب كلها.

بالنهاية وصل "تينوسوكيه" إلى محطة "موطوياما" ورأى بنفسه، وبالفعل كانت قوة المياه هائلةً بهذه المنطقة، وأراد أن يريح قدميه قليلًا ويدخل مبنى المحطة، لكن كل الطرق أمام المبنى كانت غارقة بالمياه، وداخل المحطة أيضًا المياه تغمره أكثر وأكثر بكل لحظة، ويتراكم أمام البوابات أكياس الرمل والحصى وموظفو المحطة والطلاب، واحد تلو الآخر يأخذ دوره ليزيح المياه من الأركان بمقشة. إذا اقترب "تينوسوكيه" أكثر سيتوجب عليه أن يأخذ دورًا هو الآخر ويأخذ المقشة ويقدم المساعدة؛ فالتقط أنفاسه وواصل السير مرةً أخرى على القضبان، مُعرِّضًا ذاته لخطر الأمطار التي اشتدت قوتها مرةً أخرى. كانت المياه موجلةً مُتَعَكِّرةً باللون الأصفر، تشبه للغاية نهر "يانج تسي" YANGTZE⁽¹⁾، ويمتزج صفارها بأوساخ سوداء عالقة بداخلها كحبوب الفاصوليا.

خطا "تينوسوكيه" بقلب الماء من بين الحين والآخر، ودقق بعض الشيء وتذكَّر أنه أثناء سيره كان فيضان نهر "تانাকা" يتدفق مُقَرَّبًا من جسر السكة الحديد، وكلما ابتعد تختفي المياه مرةً أخرى عن القضبان، لكن منسوب المياه يرتفع أكثر في الجهتين.

(1) اسم نهر بالصين.

توقّف "تينوسوكيه" وأمعن النظر بما يراه؛ لقد قال له أحد الطُّلاب إن المنطقة هناك أصبحت كالبحر، وها هو ذا المشهد كذلك بالضبط أمام ناظريه.

يمثل هذا الموقف كلمة "عظيم" أو "مبهر" لن تفي بالغرض، فالحقيقة أن أول إحساس انتابه هو الافتتان والذهول، فالوضع لا يقتصر على كونه يدعو للدهشة فقط؛ فهذه المنطقة بالكامل والتي هي على المنحدر الجنوبي جهة خليج "أوساكا" على أطراف سلسلة جبال "روقُو"، وغابات الصنوبر، وجداول الأنهار، وما بها من صفوف بيوت ذات أسقف حمراء غربية الطراز وبيوت عتيقة للفلاحين- من منظوره ستكون بمنأى عن أي شيء، وصافية الأجواء؛ لأنها مرتفعة لن تطلها المياه، وإقليم "هانشين"⁽¹⁾ هو دائماً مكان مُبهِج للتمشية، لكن المشهد تبدّل تمامًا وجعله يتخيّل كيفما يكون الفيضان العظيم لنهر ي "يانج تسي" و"هوانج هو"⁽²⁾ بالصين مثلاً!

الفرق الوحيد بينهما وبين مياه الفيضان هذه فقط أنها تتدفّق من منحدراتٍ بقلب جبال "روقُو"؛ ممّا جعل الأمواج عاتيةً وعليها رغوة ناصعة البياض ويتطاير رذاذها وتأتي متسارعةً واحدة تلو الأخرى، وتراها كما لو أنها ماء مغليّ، كله هائج فورانه. بالتأكيد حيثما تتوقّف الأمواج ستجد البحر وليس النهر.

هذا بخلاف الأمواج العالية المُعْكَرة بالسواد التي حين تصل تصبح بحرًا مُوحِلًا، وخط السكة الحديد الذي يقف عليه "تينوسوكيه" يمتدّ كما لو كان رصيفًا بحريًا داخلًا لقلب ذاك البحر الموحِل، وفي حيّز

(1) إقليم يسمّ "أوساكا" و"قوييه".

(2) النهر الأصفر/ HOWANG HO هو ثاني أطول نهر بالصين بعد نهر "يانج تري YANGTZE" وسادس أطول أنهار العالم طوله 5464 كم.

قريب ضيق للغاية يصبح وكأنه يغرق تحت سطح الماء. العوارض الخشبية للقضبان تبدو وكأنها درجات سُلَّم طافية.

فجأة وجد "تينوسوكيه" اثنين من صغار السلطعون يتقافزان بين خطوات قدميه. إنها تهرب فوق القضبان بعدما أغرقت الأنهار الصغيرة كل الكبار منها.

وعلى هذا الحال أصبح ليس هناك أحد سواه يسير على قدميه، وفكر أنه ربما عليه أن يلتفت عائدًا، لكنه وجد مَنْ يشاركه الطريق من طُلاب مدرسة "قونان". إنهم بالصباح يحضرون لساعة أو ساعتين فقط، ثم يبدأ ضجيجهم مُعلنًا انتهاء الحصص، وبرؤيته لهم يفرون لمحطة "أوكاموتو" من كارثة الفيضان أيقن أن الوضع مُريب في "هانكيوو"، ثم همجنهم إلى محطة "موطوياما" تأكد أن كل محاولاته للذهاب لن تجدي نفعًا؛ فاستراح قليلًا بالمحطة.

الكل ساعد في نزع المياه من داخل المحطة في البداية، لكنْ تدفّق المياه كان في تزايدٍ مُستمرٍّ، وكلّما مرَّ الوقت أصبح وجودهم غير آمن؛ وانقسم المغادرون إلى مجموعتين، مجموعة ستعود إلى "أوساكا" والأخرى ستتوجّه إلى "قوبيه"، وقرّروا أن يسيروا على خط السكة الحديد. كل الجموع كانت من صغار الشباب الأصغّاء؛ فلم يشغلهم ما قد يواجهون من مخاطر، إلى أن علّق أحدهم بالمياه وارتفع صوته بالصباح على نحوٍ غريب. تعقّبهم "تينوسوكيه" ليصل لوجهته هو الآخر. كانوا يعبرون بصعوبة قفزًا على العوارض الخشبية الطافية من قضبان السكة الحديد المعطّلة، وبالأسفل يتدفّق الفيضان بعُنف وبسرعة تصيب الناظر إليه بالدوار.

اختفى صوت الأمطار والمياه، وأصبح لا يفهم شيئًا ممّا يدور حوله.

ومن مكان ما تعالت الصيحات: فنظر ووجد بالقرب منه قطاراً متوقفاً، ومن نوافذه يُطلُّ تلاميذ من نفس المدرسة برؤوسهم ينادون على الجموع المترجلة هنا:

"أنتم... إلى أين ذاهبون؟! كل الأماكن التالية غاية في الخطورة. ليس هناك مكان للعبور... الفيضان هائل لنهر "سومي يوشي"... تعالوا هنا".

صعدوا لعربة القطار، ومن ضمنهم "تينوسوكيه" أيضاً.

كانت عربة للدرجة الثالثة بقطار سريع، وبخلاف مَنْ بداخلها من تلاميذ "قونان" كان هناك أيضاً العديد من الأشخاص ممَّن يبحثون عن مكان آمن، حتى إنه من ضمن الجموع أسرة كوريَّة تجمعت مع بعضها البعض، يبدو أن منازلهم انجرفت، وبالكاد لاذوا بالفرار مذعورين، وكان من بينهم مصابون مُلطَّخون بالدماء، وامرأة عجوز، معها خادمتها، وعلى الفور بدؤوا بالتضرع وتلاوة الصلوات لبوذا.

أيضاً كان هناك رَجُلٌ يبدو أنه تاجرٌ جائل يحمل الأقمشة على ظهره، وضع جانباً اللِّفَافَ الكبيرة للأقمشة والمنسوجات، وألَّتِي اتَّسَخَّتْ بالوحل، وظلَّ يُجَقِّفُ ماغلَّفه حول خصره من ملابس وغزلٍ صوفيٍّ، ويحاول تجفيف جسده.

نَمَتْ صُحْبَةُ الطلاب بمزيدٍ من الرفاق، وبدؤوا في الثثرة وهم بخير حال، وأخرج أحدهم حلوى "الكراميل" ووزَّعها على رفاقه، وكان ينتعل حذاءً بوط طويل الرقبة، فخلعه، وقلَّبه، ليخرج الماء المتسخ والرمال التي ملأته عن آخره، ثم خلع جوربه وحدَّق في قَدَمه البيضاء الملتطخة، وبعدها أخذ يعصر ملابس المبتلة بالكامل ويجقِّف جسده العاري، وشعر بالخجل من أن يجلس هكذا فظلَّ واقفاً مكانه، أمَّا باقي الطُّلاب فكانوا يتناوبون الدَّورَ للجلوس بجوار النوافذ وتنفُّد ما يحدث بالخارج. انهارت أسقف وانجرف حصير البيوت وعروق

خشبية ودرجات وسيارات تلو بعضهم البعض؛ ممّا أحدث صخبًا،
وبتلك الأثناء صاح أحدهم:

"انظروا! كلب هناك".

"ذلك الكلب ألن يساعده أحد؟".

"ماذا! هو ليس ميّتا... أليس كذلك؟".

"كلّا... كلّا... لا تزال به الروح، انظروا على القضبان تلك...".

كان كلبًا هَجِيئًا، من فصيلة "TERRIER"، متوسط الحجم، ذيله
مُتَسَخ بالوَحْل، يحاول أن يحتمي بعجلات القطار قدر الإمكان من
ضربات الأمطار.

نزل إليه حوالي ثلاثة طُلاب وجلسوا القرفصاء وهم يرتجفون
ويحاولون طمأنته، إلى أن سحبوه ورفعوه للعربة. انتفض الكلبُ
بمجرّد دخوله وهزّ رقبته دافعًا بكل الماء الذي على جسده، ثم
جاء أمام الصبية الذين أنقذوه وجلس في هدوء ورفع عينيه إليهم
بنظرات يملؤها الرعب، وكأنه مندهش ممّا يحدث. جلب له أحدهم
"الكراميل"، وقربها من أنفه، لكن الكلب اكتفى فقط بالرائحة ولم
يحاول تجربة أكلها.

"تينوسوكيه" أيضًا أغرقت الأمطارُ ملابسه وأصبح يشعر بالبرودة؛
فخلع معطف المطر وشترته واتّخذ مقعدًا، وأشعل سيجارته بعدما
شرب كأسين من الـ "BRANDY". أشارت ساعة يده للواحدة، لكنه لم
يشعر بالجوع بعدُ فلم يفتح لفافة طعامه، ومن مقعده وجّه نظريه
نحو الجبال، واستطاع أن يرى مبنى "مدرسة موطوياما الابتدائية" في
أقصى الشمال غارقًا والنوافذ المصفوفة بالطابق الأول أصبحت كبوّابات
لسدّ عملاق، وكأنها هي التي تتحكّم بكمية المياه أمامها وتجعل
النهر الموَحْل الهائل يتقدّم، لكنه ما إن رأى تلك المدرسة هناك حتى

أدرك مَوْقِعَ القطار، وأتَّضح له أنه متوقَّفٌ شمال شرق "مدرسة بنات قونان"، وبالكاد يبعد 50 مترًا، وبهذا فمدرسة التفصيل التي ينشدها قد يصل إليها خلال بضع دقائق لو كان بيوم عاديّ.

بتلك الأثناء بدا على الطلاب بداخل عربة القطار أنهم ليسوا على ما يرام كما كانوا من قبل، وبدأ الوجوم يعتلي وجوههم وكأنَّ لا أحد يستوعب ما يحدث.

هكذا أصبح واقعهم، ليس مزاحًا على الإطلاق، وظهر الاستنكار بأعين الفتية المُفْعَمين بالحيويَّة.

أطلَّ "تينوسوكيه" من النافذة ليرى الطريق الذي أتى منه سابقًا برفقة هؤلاء الطلاب، ووجد أن القضيب الحديدي بينهم وبين محطة "موطوياما" غمرته المياه بالكامل، وموقع القطار بدا وكأنه جزيرة لا أحد يدري متى سيُدرِكها الطوفان. على أسوأ تقدير ربما تتموِّج الأرض من تحت القطار وتهتز.

كان ارتفاع جسر حَطِّ السكة الحديد بهذه المنطقة حيثما نظر "تينوسوكيه" قرابة المترين، وكل هذه المسافة الآن تنغمر تحت الماء شيئًا فشيئًا. السيل الموحل يضرب بقوة مباشرة، والأمواج تتكسر على شاطئ البحر، ويتطاير رذاذها، وسرعان ما ستطالهم المياه؛ فارتبكوا وأغلقوا النوافذ. كان السيل الموحل بالخارج يأتي ليصطدم بأخر، ويصلا معًا لذرورة الاندفاع وتدور دوامة وتعلو رغبة بيضاء.

فجأة بذاك الحين جاء زوج ساعية البريد يجري مُسرِّعًا نحو العربة، مُحاولًا الهرب، ثم لحق به وقع أقدام حوالي خمسة عشر شخصًا ممَّن تَمَّ إجلاؤهم، لكن على الفور جاء مسؤول الأمن والسلامة بالقطار وقال:

"يا سادة، من فضلكم توجَّهوا للعربة التالية، المياه طالت العربات التي في مقدِّمة القطار".

وأَسْرَعَ الجميع، منهم مَنْ يحمل أمتعةً وَمَنْ يحمل ملابس تركها لتَجِفَّ، وآخر يُعَلِّق بذراعه حذاءه البوط. الكل يتحرَّك خارجًا من العربة.

تساءل أحدهم:

"سيدي مسؤول الأمن، هل يمكننا استخدام الأسيرة؟".

إنهم بعربة نوم الدرجة الثالثة، وأجابه:

"لا بأس في هذه الظروف الآن".

استلقى بعض الطلاب على الأسيرة، لكن بدا أن الأوضاع ما زالت مضطربة، فقاموا مرة أخرى وأطلُّوا من النوافذ مُحَدِّقِينَ في الخارج. كان صوت انهمار المياه مُدَوِّيًا كالرَّعد، ولو كان بداخل العربة وليس خارجها لَصَمَّ الأذان.

اختلط صوت الجذَّة التي كانت تتضَّرَّع بالدُّعاء بحماسة من ذي قبل مع صوت أطفال العائلات الكورية الذين انخرطوا في البكاء فجأة.

"ارتفعت مياه الفيضان".

قالها أحدهم، واتَّجه الجميع نحو النوافذ الشمالية يطلون منها. لم تصل المياه بعدُ للقضبان أسفلهم لكنها طالت حواف الرصيف ووصلت لقضبان القطار المجاور.

"سيدي المسؤول، هل سيكون الوضع هنا آمناً؟".

تساءلت سيِّدةٌ مظهرُها يدلُّ على أنها في الثلاثينات من العمر وتبدو من المقيمين في إقليم "هانشين".

"حسنًا... يبدو أنه من الأفضل لو استطعنا الهرب لمكانٍ أكثر أمانًا، ولكن...".

حدَّق "تينوسوكيه" بهدوء بمقطورة جَرَّ بالدراجة انجرفت داخل دوامة. إنه حين خرج من المنزل لم تكن لديه نيَّة حَوْض أَيْة مغامرة، وبالرغم من قوله إنه سيعود أدراجَه فور مُصادَفَتِه لأيِّ حَظَرٍ إلَّا أَنه بمثل هذه الظروف وهو يرى الدراجة تنزلق ببطء لم يسعه التفكير بخطر الموت مَثَلًا؛ فهو ليس فتاةً أو طفلًا، بل بحالة طارئة كهذه يتبقَّى بداخله نوعٌ من الشعور بالالتزام. وعلى وجه الخصوص، شعر بقلقي عارِمٍ عندما تذكَّر أن البناية التي بها مدرسة التفصيل التي ترتادها "تانيقو" هي على الأغلب من طابق واحد، وإن كان يظنُّ أن قلق السيدة التي تساءلت عمَّا قليل تفتقر للمنطق، إلَّا أن الهواجس تجتاح قلبه... أليس كذلك!

ترأت مُخيِّلته هيئة "تانيقو" وهي تقدِّم رقصة "يوكي" منذ شهر مضى، باليوم الخامس من الشهر الماضي تحديدًا. كم كانت جميلةً ومحبوبة بشكل غريب، ورجع بذاكرته إلى الصُّورة التي التقطها للعائلة بذاك اليوم وهي تتوسَّطها، حينها بكت زوجته دون سبب.

ربما هي الآن على سطح البناية تصرخ طالِبَةً النجدة، وبالرغم من أنها على مسافة أقرب ممَّا بين العين وأنفها، ولكن ماذا عساه أن يفعل! وتُرى كم من الوقت عليه أن يبقى هنا؟ وطالما وصل لأقرب نقطة منها وخاض المخاطر كُلِّها؛ كيف له أن يعتذر من زوجته إن لم يصطحبها عائِدًا للبيت! وبدا أمام عينيه وميضٌ خاطف لتبدُّل وجه زوجته بتلك اللحظة من وجهٍ تكسوه مشاعر الامتنان إلى وجهٍ باكِ بانس، وبينما هو مستغرق في تفكيره بالأمر، ويشاهد ما يدور بالخارج في اهتمام، فجأة حدث ما خلع قلبه من موضعه هَلَعًا، حيث تراجعت المياه من جهة الجنوب على حين غِرَّة، وانكشفت الرِّمال، وعلى العكس بالجهة الأخرى بالشمال تزايدت أكثر وأكثر، وتجاوزت الأمواج حتى القُضبان المرتفعة، وضربت شريط السكة الحديد.

"من هنا، هيا، المياه انحسرت بهذه الناحية"، وصاح أحد الطُّلاب.

"أهذا صحيح! إذن هيا... يمكننا الذهاب".

"هيا لنذهب لمدرسة بنات "قونان".

قفز الطلاب مُتسارعين للأمام، ثم لحق بهم الكثيرون ممَّن يحملون أمتعتهم بأيديهم ولقائف الملابس على ظهورهم، ومن ضمنهم "تينوسوكيه"، لكنه بنفس الوقت الذي نزل به من على رصيف المحطة وهو لاهٍ في حاله أَسْرَعَتْ مَوْجَةٌ قَوِيَّةٌ فجأة لعربة القطار من جهة الشمال، وكان للماء صوتٌ مُخيف وهو ينهمر على رؤوسهم وكأنه شلال، وانخلعت العوارض الخشبية للقضبان من الجوانب، بالكاد استطاع "تينوسوكيه" الهَرَبَ من تيار السيل الموحل، وذهب لمكان جافٍ مُرتَفِعٍ عن المياه، لكن دون سابق إنذار انغرست قدماه عميقًا في الرمال، وغرق حتى ركبتيه، وانخلعت فردة حذائه وهو يحاول الخلاص، وما إن أفلت قدميه وخطا بضع خطوات حتى وجد مرَّةً أخرى تيار مياهٍ مُحتدِّمًا، عَرَضَهُ يقارب السَّتِّ أقدام، والمترجلون أمامه يعافرون للعبور وهم على وشك الانجراف.

كانت قوة ذاك التيار لا تُقَارَن أبداً بوقت أن كان يَعْبُرُ حاملاً ابنته على ظهره من ذي قبل.

راوَدَتْه الأفكار السيئة بضع مرَّات...

"انجرفتُ ولا محال..."

"لا فائدة..."

بالنهاية وصل للجهة المقابلة وهو لا يزال عالقًا بالرمال التي تخطَّتْ خصره، وكادت تبلغ أكتافه، وبارتباكٍ شديد تشبَّثَ بعمود الإنارة، وأمسك به وتسَلَّقَه بيديه وقدميه.

أصبحت البوابة الخلفية لمدرسة بنات "قونان" أمام وجهه، وعلى بُعد عشرة أمتار، وليس أمامه اختيار آخر سوى أن يهرع لهنالك، لكن بهذه العشرة أمتار لا زال تيار السيل جارياً، ويبدو بالنظر كم من الصعب عبوره. كانت ضلفتا البوابة مفتوحَتَيْن على مصرعيهما، والناس بالداخل يمدُّون له شيئاً أشبه بالمجرفة؛ فأمسك بها، ووجد نفسه انسحب للداخل دون أن يدري كيف حدث ذلك.

الفصل السادس

بذاك اليوم بدأت تضعف قوّة الأمطار بعدما تجاوزت الساعة الواحدة ظهرًا، لكن بدون أي مؤشرات تدلّ على قلة منسوب المياه، وأخيرًا توقّفت تمامًا بحين أصبحت الساعة الثالثة، وبدأت تنقشع الغيوم وتظهر السماء الصافية في بعض الأماكن شيئًا فشيئًا.

رأت "ساتشيقو" أن الشمس في طريقها للظهور فمرّت من أسفل الستارة الخوص الحاجبة للشمس، وخرجت للتراس. لم يكن هناك أي أثر بأيّ مكانٍ لمثل تلك الانهيارات الأرضية والمشهد يسوده الهدوء. على عشب الحديقة الذي يُشعّ خضرةً تراقصت فراشتان، وفيما بين شجر الصنّدل وزهور الـ "ليلاك" حطّت حمامةٌ في بركة ماء وسط النخيل تبحث عن شيء ما تلتقطه.

فقط توقّفت خدمات المياه والغاز والكهرباء، وهذا طبيعي بالمناطق المتضرّرة، وإنما بهذا البيت يوجد بئر مياه بخلاف خطّ

المياه العمومي، فكانوا لا يعبؤون باستخدام المياه في أغراض أخرى غير الشرب.

توفَّعت "سانشيقو" عودة زوجها للبيت مُلطِّخًا بالوحل؛ فأعطت أوامرها منذ قليل بتجهيز المغتسل له.

دعت "أوهارو" الصغيرة للخروج معها لمكان البئر لتشاهد المياه بعدما التزمت الصمت لبعض من الوقت بداخل البيت، وتناهت لمسامعها من الباب الخلفي أصوات خَدَم وخادِمات الجيران الذين جاؤوا ينتظرون الدُّور لأخذ الماء، وبتوقُّف المحرِّك الكهربائي سمعت أيضًا صرير إنزال الدُّلو وقرقرة المياه يقطعه صوت "أو أي" و"أو هانا" وهما تتبادلان الأحاديث مع نظائرهما حول ما يشاع عن الأضرار الناجمة.

بالساعة الرابعة جاء لزيارتهم السيد "شوكيتشي"، وهو الابن الذي يرعى بيت العائلة بمدينة "أويه هون"، وكان هو أسرع مَنْ زارهم. هو موظف بمتجر "تاماجيما" بالبحر الجنوبي، وليس لديه شيء بعينه جهةً "أوساكا"، ولم يتخيَّل -ولا حتى بأحلامه- الكارثة التي حلَّت بإقليم "هانشين". لقد صدر بالمساء مُلَحَقٌ للصحيفة، عرف منه أن الأضرار جسيمة والخراب هائل بصفاف نهري "أشيا" و"سومي يوشي"؛ فأخذ إجازة من الفترة المسائية بالمتجر وقفز خارجًا، ومهما كَلَّفه الأمر فليكن ما يكون، وها هو ذا وصل للتو. في طريقه غير وسيلة مواصلاته بضع مرات. استقلَّ قطار "هانشين"، ثم استبدله وركب قطار خطوط السكة الحديد الوطنية، ثم حافلة، وأمسك بشاحنة مرَّة، وسيارة أجرة مرَّة أخرى، ويخوض عابرًا تارةً ومُترجِّلًا تارةً أخرى، وفعل المستحيل ليوصلوه للأماكن التي ليست بها مواصلات. جاءهم وحقيبة ظهره بها مأكولات مغلَّفة بالرمال، وبنطاله مُسَمَّرٌ حتى أعلى ركبتيه وحافي القدمين يحمل حذاءه بيده. لقد داهمه القلق حيال

البيت وما قد يكون حلّ به بعدما رأى الوضع الكارثي بالقرب من جسر "ناريهيرا باشي". ظلّ مشهد الدمار مُخَيِّلته حتى وصل ووجد الوضع هادئًا وكأنه أكذوبة فشعر كم يبدو أحمق، لكنّه في البداية ألقى التحية على "ساتشيقو" بسعادة، وبرؤيته لـ "إتسوقو" عبّر عن امتنانه للغاية لكونها بخير حال، ومارحها قائلاً لها كم كانت ثرثرة بالماضي... كل كلامه صاحَبته تعبيرات وجهه؛ فحينها جعل صوته أخفّ وكأنه يسدّ أنفه، ثم بدا وكأنه انتبه للأمر وعاد يحدث "ساتشيقو" قائلاً:

"اجعليني أقم لك بأي شيء أستطيع فعله".

ثم سألها عن حال زوجها وأختها ممّا جعل "ساتشيقو" تروي له بالتفصيل مخاوفها وكل ما حدث منذ الصباح وكل ما استجدّ أيضًا.

الآن أصبح قلق "ساتشيقو" أكثر بكثير ممّا كان عليه بالصباح؛ لذلك استمرّت في سؤاله عن العديد من التفاصيل، فمثلاً ما إن كان فيضان نهر "سومي يوشي" يصل من "متحف هاكوتسورو الفني" وحتى مساكن "نومورا"، وما إن كانت الوديان بعُمقها دُفِنَت كلها بالصخور والرمال ولم يتبقّ لها أثر، وماذا عن الأشجار العملاقة؟ هل أصبحت كالخطب مكشوفة حتى اللحاء؟ والأحجار الضخمة التي بالملئات على جسر نهر "سومي يوشي" وحتى الطريق الدولي؛ هل تراكمت كلها فوق بعضها البعض في أكوام وتعوق حركة المرور؟ وبالقرب منها على بُعد 250 مترًا جهة الجنوب، وأمام شقة "قونان" حيث المكان مُنخَفِض عن الطريق؛ هل تنجرف الكثير من الجُثث إلى هناك؟ هل الجُثث تَصِلُ جميعها مُلتصقة بها الرمال والرواسب ومجهولة الملامح بالكامل؟ وماذا عن "قوييه"؟ هل توغّل الفيضان لداخل المدينة، وبالمثل تدفّقت المياه لقضبان السكك الحديدية وهناك غرقى من الرُّكَّاب للأسف؟

بكل هذه الإشاعات إضافات من التهويل والتخمين بلا شك، لكن فوق كل شيء، وما أصاب قلب "ساتشيقو" في مقتل هو بخصوص الوضع أمام شقة "قونان" وجُثث الضحايا التي تصل وما إلى ذلك؛ فمدرسة التفصيل التي تتردد عليها "تائيكو" هي بالضبط بالمنطقة المحاصرة على الطريق الدولي، وعلى مسافة أقل من 50 مترًا قبالة الشقة التي سألت عنها، وسؤالها عن الجُثث المنجرفة إلى هناك كان بالضبط بسبب ما يُحكى عن وجود كثير من الموتى بمنطقة "نويوري" والتي هي بشمال المدرسة تمامًا.

الظنون البغيضة لدى "ساتشيقو" لا بُدَّ لها أن تؤخذ على محمل اليقين لما جاءت به "أوهارو" من أنباء بعد عودتها مع الصغيرة سويًا. "أوهارو" أيضًا بالمثل لديها نفس الظنون؛ لذلك سألت كُلَّ مَنْ قابلته عن أحوال الدمار في "نويوري"، ولم يقل أيُّ أحد سوى أنه بلَّغهم أن منطقة الضفة الشرقية لنهر "سومي يوشي" هي الأكثر تضررًا، والمناطق الأخرى كلها بدأت تنحسر عنها المياه ويقلُّ منسوبها بشكل ملحوظ، وإنما ليس هناك أية دلائل على ذلك، يُقال إن هناك أماكن وصل بها عمق المياه لأكثر من عشر أقدام.

"ساتشيقو" على يقين بأنه ليس من طبيعة زوجها الإقدام على أي فعل مُتهوّر، ولقد قال لها قبيل خروجه إنه لن يخوض أي مخاطر؛ لذلك في البداية لم يَتَّبِعْها قلقٌ خاصٌ حياله، وإنما كلما مرَّ الوقت ثارت مخاوفها بشأنه هو وليس "تائيكو".

"لا داعي للذهاب إلى "نويوري" إن كان الوضع خطيرًا إلى ذاك الحد، وربما هو سيعود أدراجه من منتصف الطريق... لكن لماذا إذن لم يُعد للبيت حتى الآن؟! فلتنتظر قليلًا...".

وَتَظَلُّ تَفَكَّر: تُرى، هل أخذته خُطاه لمنطقة خَطِرة؟ أم جرفته المياه؟ أم حدث له أي شيء من هذا القبيل؟
ومرّة أخرى أخذها الفِكر.

إن زوجها لن يُغيّر ما برأسه، وبدلاً من أن يتّخذ حذره سيُصمّم على الوصول لوجهته التي يقصدها بأي حال من الأحوال، وإن كان طريقه لا رجاء فيه فسيقصد آخر، وسيحاول بكل اتجاه، لكنه ربما أيضاً ينتظر انحسار الماء من أي مكان. أليس كذلك؟

إنه حتى لو نجح في إنقاذ "تاتيقو" ووصل لحيثما أراد فمِن المنطقي أن عودته سَيراً على الأقدام بوسط الماء ستستغرق وقتاً، وحتى وإن أصبحت الساعة السادسة أو السابعة فليس بغريب. هكذا ظَلَّت "ساتشيقو" تتأرجح بتخيّلاتها بين أفضل الظنون وأسوئها، ويبدو أن كَمّة السوء غالباً ما ترجح.

"وإن كان ليس بالضرورة وقوع مكروه ما وإنما إذا بلغ بك القلق ذاك الحدّ فدعيني أذهب لأرى وأتيك".

هكذا قال "شووكيتشي" وهو لا يدري ما إن كان سينجح في إيجادهم أم لا، ولكنه يحاول أن يَهْدئ من روعها وله كل الشكر.

... و عليه، أعدّ حاله على الفور وأوصلته للباب الخلفي قبيل أن تصبح الساعة الخامسة عصرًا.

في هذا البيت تُطلُّ كُلُّ من البوابة الخلفية والأمامية على طريق مختلف؛ فَظَلَّت "ساتشيقو" تلف على أقدامها بين البوابتين، واليوم الجرس لا يعمل، فتركت البوابة الأمامية مفتوحة على مصراعها وأخَذَت تدور وتلتفّ من البوابة الأمامية وتدخل للحديقة مباشرة.
"سيدتي...".

أطلّت بوجهها السيدة STOLZ من على السور السلكي بذاك الحين.

"مدرسة "إتسوقو" بخير حال، واطمأنتِ أليس كذلك؟".

"جزيل الشكر. "إتسوقو" بخير، ولكنني بغاية القلق على أختي الصغيرة، ولقد ذهب زوجي ليأقي بها، ولكن...".

وحكت لها "ساتشيقو" مثلما قالت لـ "شووكيتشي" من ذي قبل، وبنفس الطريقة، وكان السيدة STOLZ تفهمها
"ماذا! حقًا..."

أنا أتفهم قَلَقَكِ. أنا أتعاطف معك".

وَعَقَّدَتِ السيدة STOLZ حاجبيها وهي تَنْهَتُهُ متلعثمة.

"جزيل الشكر، وأنت سيدتي ماذا عن زوجك؟".

"أنا زوجي لم يَعدْ بَعدُ، وأنا في غاية القلق".

"حسنًا، هل هو حقًا ذهب إلى "قوبيه"؟".

"بالضبط على ما أظن... لكن "قوبيه" أيضًا بها مياه، "نادا" أيضًا،
"روكو" أيضًا، "أووإيشيجاوا" أيضًا. كلهم مياه مياه مياه... زوجي، بيتر،
روزماري؛ كيف حالهم وهم أين!... أنا قَلِقَةٌ جدًّا".

إن زوج هذه السيدة؛ رب عائلة STOLZ هو رجل ألماني مُتْقَدِ الذكاء، متناسق البنية كالأبطال الواعدين؛ فهمها واجه من كميات مياه لن يبالي، ولم تفكر "ساتشيقو" في "بيتر" و"روزماري"؛ فهما يتردّدان على مدرسة جهة تلال مرتفعة وبالتأكيد لم تحلّ بها الكارثة. إنها فقط كل ما يسعها التفكير به الآن ما إذا كان طريق العودة مُغْلَقًا أو ما شابه، ولكنها بالطبع لو يمكن زوجه لتصوّرت الكثير من الاحتمالات، ومهما حاولت "ساتشيقو" طمأنتها أجابتها:

"كلّا، أنا سألت بنفسي. المياه في "قوبيه" هائلة، والكثير والكثير ماتوا".

هكذا كلما رأت "ساتشيقو" ذاك الوجه الذي تغمره الدموع عجزت عن التفكير بأي شيء، وبالنهاية أصبحت لا تدري ماذا عساها أن تقول. "بالتأكيد كل شيء بخير".

"ادعي من قلبك لسلامتهم..."

ليس هناك سوى تكرار مثل هذه العبارات المحددة التي لا تُجدي.

واحترق قلب "ساتشيقو" بالكلمات التي نواسي بها السيدة STOLZ، وإنما بتلك الأثناء رأت قبالة البوابة الرئيسية شخصاً مُصاباً، وأسرع "چوني" عَدُوًّا لَعْلُهُ زوج أحدهما، لكن... حينها تسارعت ضربات قلب "ساتشيقو"، لكنها رأت هيئته بنظرة خاطفة وهو يقترب نحو البوابة. كان رَجُلًا ببذلة رسمية يعتمر قُبْعَة؛ فسألت "أوهارو" التي نزلت بعد حين من التراس للحديقة:

"مَنْ".

"إنه السيد أوكوباتا".

"حسنًا...".

كادت "ساتشيقو" أن تفقد صوابها، وبمجيء "أوكوباتا" اليوم للزيارة راوَدَها الشُّكُّ ما إن كان ذلك خدعةً أم هذا هو المعتاد منه! وحتى وإن كان كذلك فكيف لها أن تتعامل معه الآن؟

في الحقيقة، هي منذ آخر زيارة له وهي تتعامل بشكل رسمي قدر الإمكان، لدرجة أنها ترغب أن تلتقيه عند البوابة وتَدَّعه يعود، وهذا ما تظنُّه الأفضل، وهذا أيضًا ما قاله لها زوجها؛ وإنما اليوم على هذا الحال فرمما جاء ليطلب منها الانتظار حتى يطمئنَّ على سلامة "تاتيقو".

إن كان هكذا فعليها أن تنتبه وتُنحِّي مشاعرها جانبًا وتُنهي الوضع بحسم، لكنها في الواقع اليوم تحديدًا تريده أن ينتظر ويرى وجه

"تائيقو" وهي عائدة بسلام. تريد أن تسعدهما سوياً وبين الأسرة جميعاً.

"عفوًا. إنه يسأل عن الأخت الصغيرة وما إن كانت قد عادت، وطلب أن أخبرك سيدي بمجيئه".

إن تفاصيل علاقته بـ "تائيقو" بها الأسرار التي يخفونها على أسرتهما فيما عدا "ساتشيقو"، وهو على علم بذلك، إلا أنه بدا غير مُكترث وهادئ، مُتناسياً تماماً سلوكه المتوتر المعتاد منه، وذاك ما سمعته من الخادمة التي جاءتها بنص عبارته. إنه اليوم فقط يريد أن تسمح "ساتشيقو" بوجوده، وهكذا فُكّر، وإلى ذاك الحد كان رهانه خاسراً، وإن كان ما يزال يتبقى لديه مشاعر الحب.

"بالتأكيد، دعيه يتفضل".

واستغلت ذلك الاستغلال الأمثل وقالت للسيدة STOLZ التي ما زالت تطل برقبته من فوق السور:

"عذراً... جاءني ضيف".

واستأذنت معذرة بلطف وتوجّهت لغرفتها بالطابق الثاني لتحاول أن تداوي أعينها التي تورّمت من البكاء لعدة مرّات منذ الصباح.

بعد فترة من الانتظار نزلت "ساتشيقو" لغرفة الصالون وجعلتهم يأتونه بمشروب الشعير المبرّد في البئر بعدما توقّفت الثلاجة الكهربائية عن العمل، وتأهّب "أوكوباتا" ونهض مُستعدّاً للقائها. كان يرتدي بنطالاً من الصوف باللون الأزرق الداكن يتناسق بشدّة مع ملابسه المهندمة التي لا تشوبها شائبة. بالطبع كانت هيئته مختلفة تماماً عن "شووكيتشي" الذي وصل متلطّخاً بالوحل منذ قليل، ولكنه علم بتشغيل خط السكة الحديد من "أوساكا" إلى "أوجي"، فاستقلّه حتى

"أشييا"، ومن هناك فقط اتخذ طريقه الذي بالكاد يتجاوز العشر
بنايات سيرًا على الأقدام.

كان بطريقه بعض الأماكن التي لم تنحسر عنها المياه بعد، ولكن
ليست بالوضع الخطير، وما كان عليه سوى أن يُشمر بنطاله قليلًا
للعبور، وإن ابتل حذاؤه بعض الشيء. هكذا روى لها "أوكوباتا"
وأضاف:

"عُذرًا، لقد جئت للزيارة مرة أخرى أسرع من المعتاد ولكنني
عرفت من الملحق الإضافي للجريدة الذي صدر للتو ولم أعلم من قبل.
بكل حال من الأحوال ما كان لها أن تخرج باكراً لمدرسة الحياكة بيوم
كهذا... أمازالت بالخارج؟ إن كان كذلك لعله خير...".

لقد دعت "ساتشيقو" للدخول وأصرّت على بقائه من قلقها وبدافع
رغبتها في سماع الدعوات بسلامة أختها وزوجها وهي تحترق من
الانتظار وليس بيدها أي شيء لتفعله، وظلّت تجلس حينًا وتقف حينًا
آخر، مُحاولَةً أن تخفي ما يدور بغلدها، ولكنها بصراحة إذا نُحِت
نواياها الطيبة جانبًا ونظرت للوضع مباشرة ستجد أنه من الأفضل
عدم خلط الأمور بالطبع؛ ولهذا ظهر نَدْمُها.

"أوكوباتا" أيضًا رغبته بمعرفة أي أخبار عن "تائيقو" لم يُغْفها
الكذب، وبدا غير طبيعيٍّ ومُتّ تعبّرات وجهه وأسلوبه في الحديث
عمّا يعتريه من قلق.

لكن على "ساتشيقو" أن تتوخّى الحذر... ألن ينتهز مثل هذه
الفرصة ليتداخل بالأسرة!

وعليه جاءت إجابتها له بأن "تائيقو" خرجت ولم تكن المياه وصلّت
إليهم، لكن المناطق المجاورة لمدرسة التفصيل تلك هي الأكثر تضررًا؛
لذا لم تحتل أبدًا ظنونها ما إن كانت بخير أم لا؛ فطلبت من زوجها
أن يتفقدها، وكان هو أيضًا قلقًا بشدّة، فقال إنه سيذهب حيثما

تستطيع قدماه أن تصل، وخرج بحوالي الساعة الحادية عشرة صباحًا، وقبل ساعة جاءها للزيارة "شووكيتشي" والذي وصل من بلدة "أويه هون" ثم خرج هو الآخر ولم يَعد أيُّ منهما بعدُ. هذا كل شيء، وهي في غاية القلق.

بذلت "ساتشيكو" قصارى جهدها لتلقي على مسامعه كلامًا روتينيًا من ذاك القبيل، واستمرَّت في حديثها بلا هوادة، وأضافت: "بما أنه الأمر هكذا، فعفوا، لا يمكنني أن أدعك تنتظر أكثر من هذا. تفضَّل...".

وأقرَّت بخطئها عن طيب خاطر، وتدارَّكت فعلتها وألقت التحية وانصرفت لغرفتها.

بدا أن الضيف سينتظر بعض الوقت؛ لذا لم تنزل من عُرفِها مرَّةً أخرى أو تجعلهم يقدِّمون الشاي أو حتى المجلَّات المتنوعة حديثة الإصدار ليتسلَّى بقراءتها مَنَّا، بل تذكَّرت الصغيرة التي من طبيعتها الفضول، ومن بين الحين والآخر كانت تأتي للرُّدهة:

"صغيري إتسو. تعالي هنا"، وجاء صوتها من الطابق الثاني عبر السُّلم.

"إتسوقو، يااااه لخصالك السيئة، حين وجدت ضيفًا لِمَ تختلسين النَظَر باستمرار لغرفة الصالون؟".

"إني لم أفعل؟".

"لا تكذبي. أمكِ رأتكِ وتعلم. لا تقومي بأفعال مُخجَلة كهذه مع الضيوف".

احمَرَّ وجه "إتسوقو" خَجَلًا، ورفعت ناظرِها لأعلى، وهَمَّت بالانصراف والنزول للأسفل مرَّةً أخرى.

"ابقي هنا ولا تنزلي".

مكتبة

t.me/soramnqraa

"ولِمَ؟".

"ابقي هنا واستذكري دروسك، لديك حصص بالمدرسة غدًا".

ودون سبب يُذكَر دفعت "ساتشيقو" الصغيرة للداخل وجعلتها تأتي بكتبها المدرسية ودفترها، وبعدما أدخلت عيدان البخور الطارد للناموس تحت المكتب خرجت للشرفة وأطالت النظر للطريق لعل زوجها يأتي أو أختها.

فجأة تعالي صوت صرخات الفرح قادم من جهة بيت عائلة STOLZ فنظرت على الفور، ووجدت السيد STOLZ يلتف من جهة الحديقة الخلفية إلى البوابة الأمامية ويلوح بيده مُناديًا باسم زوجته: "هيلدا، هيلدا"...

ولحق به "بيتر" و"روزماري".

تعاليت الصيحات بالآهات فظننت أن زوجته تحتضنه بالتأكيد وتنهال عليه بالقبلات.

اتَّخَذَت الشَّمْسُ طريقها للمغيب، لكن ما زالت الحديقة مُستضَاءة بعض الشيء؛ لذا من بين فراغات أوراق شجر الصندل وسور الأشجار الفاصل استطاعت أن ترى مشهد أحضان كالذي تراه بالأفلام الأجنبية، وما إن ابتعد الزوجان من حضن بعضهما البعض حتى قفز الأبناء "بيتر" و"روزماري"، كل بدوره.

كانت "ساتشيقو" تنعني مُتَكِنَّة على درابزين الشرفة، ثم بهدوء تَوَارَتْ خلف الباب الجَرَّار دون أن يلحظها أحد.

فور ما أفلتت "روزماري" يد أمها جاءت السيدة STOLZ وأطلت من على السور في سعادة:

"سيدتي".

وأخذت تنادي على "ساتشيقو" بشكلٍ جُنونيٍّ وهي تحمِلُ بأعينها
في كل مكان بالحديقة باحثةً عنها.

"سيدتي، لقد عاد زوجي، وأيضًا "روزماري" و"بيتر".

"كل شيء على ما يرام".

قفزت "ساتشيقو" من خلف الباب الجرار للشرفة دون تفكيرٍ،
وهرعت إليها "إتسوقو" أيضًا التي كانت تستذكر بالغرفة المجاورة
بعدما ألقت بقلمها الرصاص.

"بيتر"... "ماري"... عاش أصدقائي".

"عاش، عاش".

ولوح الأطفال الثلاثة بأيديهم لأعلى وأسفل، ورفع الزوجان STOLZ
أيديهما بدورهما أيضًا.

"سيدتي".

بهذه المرة كانت "ساتشيقو" هي التي تنادي من شرفتها بالطابق الثاني:

"هل ذهب زوجك إلى "قوبيه"؟".

"إن زوجي وهو بطريقه إلى هناك التقى بـ "بيتر" و"روزماري"
وعادوا سوياً".

"إذن لقد التقوا بالطريق. أليس كذلك؟ يا لحسن الحظ... "بيتر".

ولأن اللغة اليابانية للسيدة "هيلدا" بطيئة وضعيفة للغاية؛ توجّهت
"ساتشيقو" بحديثها إلى "بيتر":

"أنت، أين التقيت بـ "بابا"؟".

"بالغرب من "طوكو إي" على الطريق الدولي".

"حسنًا، إذن لقد ذهبتم من "قوبيه" إلى "طوكو إي" سيرًا على الأقدام".

"كلًا، ليس كذلك. لقد استقللنا القطار العام من "سانوميا" إلى "نادا".

"إذن الخطوط الحديدية تعمل حتى "نادا".

"بالضبط. لقد اصطحبت "رومي" من "نادا" إلى "طوكو إي" سيرًا إلى أن التقينا بابا".

"وبالرغم من هذا التقيتما بـ "بابا" على خير. من "طوكو إي" إلى هنا... كيف وصلتم؟".

"عبر الطريق الدولي، لكننا مررنا بأماكن ليست على الطريق ذاته. سيرنا فوق خط السكة الحديد حينًا، وحينًا آخر بأماكن ليس بها طريق، والأكثر من ذلك كله ما عند المناطق الجبلية...".

"صعب للغاية. ألا تزال هناك أماكن لم تحسر منها المياه بعد؟".

"ليس كثيرًا... القليل فقط... بأماكن وأماكن...".

حديث "بيتر" أيضًا لم يَفِ بالغرض أو يريح بالها؛ فكيف وصلوا، وأي الأماكن لا تزال بها مياه، وكيف هي الأوضاع بالطُّرُق، وغيرها كثير من الأشياء لم تتَّضح بعد.

لكن برؤيتها للصغيرة "روزماري" المفعمة بالطفولة وهي بسلام، وبوصول ثلاثهم أيضًا إلى هنا أصبح الأمر لا يستدعي التفكير بالمخاطر المفزعة أو الصعوبات التي واجهوها، حتى وإن كانت ملابسهم مُتسخة بالوحل إلى ذاك الحد، إلا أن "ساتشيقو" لا يزال زوجها لم يُعد بعد، والشك بأعماقها متأجج.

إن كانت مثل هذه الطفلة الصغيرة استطاعت بالفعل قَطَعَ المسافة من "قوبيه" إلى البيت سَيراً على الأقدام فكان لا بُدَّ لزوجها وأختها أن يعاودا منذ حينٍ مضى، وغيابهما يجعلها تفكر في وقوع خَطْبٍ ما لهما، بل وبالتحديد "تائيقو" هي مَنْ أصابها مكروهٌ، وبالتأكيد زوجها، ومن بعده "شووكيتشي". استغرقا وقت أكثر من المتوقَّع في البحث ومحاولة المساعدة مثلاً، أليس كذلك؟

"وَأَنْتِ سيدتي، كيف حال أختك وزوجك؟ ألم يعودا بعد؟".

"لم يعودا... رجعت أمرتك بالسلامة، كيف حالهم؟ لقد كنتُ قَلِقَةً بشأنهم..."

وبينما "ساتشيقو" تتحدَّث هكذا اختنق صوتها بالبكاء، ولم يَسْعَها فِعْلُ أيِّ شيءٍ، لكن السيدة STOLZ اختبأ جزءٌ من وجهها خلف أوراق شجر الـ "بولونيا"، وتوالى صوت عطساتها عِدَّةَ مرَّاتٍ.

بذاك الحين صعدت إليها "أوهارو" وربتت على يدها قائلة:

"سيدتي، السيد "أوكوباتا" يقول إنه هو أيضًا سيحاول الذهاب إلى "نوري"، وطلب مني أن أخبر حضرتك سيدتي".

الفصل السابع

هَمَّت "ساتشيقو" بالنزول، وكان "أوكوبانا" لا يزال واقفاً عند المدخل يستند على عصا من الخشب مُطَعَّمة بقطع معدنية يشع بريق لونها الذهبي.

"استمعت الآن لذاك الحديث. إن كانت تلك الطفلة الأجنبية قد عادت فلماذا لم نَعُدْ بعد "تاثيقو"؟"

"هذا ما أفكر به بالضبط."

"مهما كان ما حدث فقد تأخروا للغاية. سأذهب لأتفقد الأحوال هناك وأعود... أو حسبما أجد الظروف."

"جزيل الشكر. لكن لقد حَلَّ الظلام... ألا تنتظر هنا قليلاً..."

"ما من شيء أفعله بوجودي هنا. سأذهب سريعاً بدلاً من انتظاري."

"حسناً إذن."

إن "ساتشيقو" بهذا الموقف الآن عليها أن تتوجّه له بالشكر، فإن كان هناك مَنْ يهتمُ بشأن أختها ويرعاها فليس أحدًا سواه؛ لذلك لم تكن بحاجة لإخفاء دموعها عن ذاك الشاب.

"حسنًا إذن، سأذهب. أختي الكبيرة أرجوك، لا داعي لقلقك هكذا..."

"شكرًا جزيلاً. من فضلك انتبه لحالك"، قالتها "ساتشيقو" وهي تنزل متوجّهة للمدخل وسألته:

"عفوًا. هل معك كشّاف يدوي؟"

"نعم، معي".

ومن أسفل القبة الخوص المقلوبة عند المدخل التقط "أوكوباتا" شينين في ارتباك، ووَضَعَ أحدهما سريعًا بجيبه. الشيء الآخر كان الكشّاف، وإنما ما أدخله بجيبه كان شيئًا لا يختلف عن آلة التصوير من نوع LIECA أو CONTAX، وشعر بالإحراج من حمله لذاك الشيء بهذا الوقت.

بعدما رحل "أوكوباتا" اتّكَأت "ساتشيقو" على ركيزة البوابة وأطالت النظر مُتأملَةً الغسق، ووقفت لبعض الوقت لعلّ زوجها يأتي، ثم عادت ودخلت للمنزل وهي تحاول أن تهدئ من توترها، وأضاءت الشموع وألقت بجسدها على مقعد.

جاءت "أوهارو" تخبرها بالانتهاء من إعداد الطعام، وتردّدت في سؤالها بعدما رأت وجهها ممتقع اللون، ولم ترغب "ساتشيقو" في المضّي نحو مائدة الطعام أبدًا، رغم ملاحظتها لمرور الكثير من الوقت على موعد العشاء، وأخبرت "أوهارو" أنه لا بأس وهي بخير هكذا، ولتذهب وتطعم الصغيرة، إلا أنها هي الأخرى قالت فيما بعد، وفي الحال نزّلت "أوهارو" من عندها بغرفتها بالطابق الثاني.

كان من الغريب بقاء الصغيرة "إتسوقو" هادئةً هكذا رغم انتهاء وقت المذاكرة، وهي التي دائماً ما تشعر بالوحدة إن مكثت لحالها بالغرفة العلوية. إنها عادة في مثل هذه الأوقات ما تستمر في ملاحقة أمها وإزعاجها، ولكنها الآن تعرف ما ستلقاه من توبيخ عنيف فلم تقترب. مكتبة سُر مَن قرأ

ظَلَّت "ساتشيغو" على حالها قرابة نصف الساعة دون أن تهدأ. إنها فُكِّرَت بشيء ما جعلها تصعد للأعلى، ولم يكن هناك صوتٌ لـ "إتسوقو"، فدخلت غرفتها وأضاءت الشمعدان، وبأسفل إطار فتحات التهوية والإنارة⁽¹⁾ مكثت تتأمل الصور الأربع المعلقة واحدة تلو الأخرى كما اعتادت أن تفعل دائماً.

إنها الصور التي التقطها "إيتاكورا" لأختها وهي تؤدِّي الرقصات بالخامس من الشهر الماضي.

في ذلك اليوم كانت عدسات "إيتاكورا" مُوجَّهة باستمرار نحوها طوال فترة تقديمها للرقصات، وبالمساء قُبِيلَ خلعها لهذه الملابس طلبت أن تقف وخلفها الحائل القابل للطّي ذو النقوش الذهبية يلتقط لها عدّة صور مرة أخرى بأوضاع مختلفة.

اختارت "تانيغو" بنفسها من بين الكثير من الصُور التي تَمَّ تجميعها الأربع صور هذه لتكبيرها، وهي الصور التي تَمَّ التقاطها لاحقاً بناءً على طلبها الخاص، وحين التقطهم "إيتاكورا" تَطَلَّب منه الأمرُ مجهوداً كبيراً بسبب تأثير الإضاءة والصَّخب المحيط، لقد كانت متحمّسة للغاية في أدائها للرقصات بشكل مثير للدهشة، وظلَّ "إيتاكورا" مُتذكِّراً العبارات والتَّمايلات ليطلبها ذاتها أثناء التقاط الصور.

(1) هناك نوع من النجارة موجود بالعمارة اليابانية يُسمَّى: 欄間 RANMA، وهو يوفِّر فتحات بين السقف لغرض الإضاءة والتهوية والديكور.

بهذا يمكن اعتبار هذه الصور تُحَقِّقُ فَنِيَّةً فريدة من نوعها لـ "إيتاكورا"، و"ساتشيقو" هنا الآن تسترجع بوضوح غريب الكلمات والنظرات والحركات... وكل ما قالته وفعلته "تائيكو" بعفوية بذاك اليوم. لقد أدَّت حينها بالرقصة الافتتاحية رقصة "يوكي 卍"، والتي قدَّمتها بغاية المهارة. لم يكن ذلك شعور أختها فقط، بل مُعَلِّمَتها "أوساكو" أيضًا أشادت بأدائها، وهذا بالطبع بفضل مجهودها المتفاني الذي قدَّمته بمجيئها يوميًا من مسافة بعيدة لتدريبها، وإنما إضافة لذلك فـ "تائيكو" تتدربُ على الرقص منذ نعومة أظافرها؛ ممَّا جعل عضلاتها مرنةً بشكل طبيعي، ولعل هذا ما يجعلها الأفضل، وهذا ما تظنه "ساتشيقو". إن دموعها قريبة ومشاعرها جيَّاشة، وبذاك اليوم حين شاهدت رقص "تائيكو" ورأت مدى براعتها لم تتمالك نفسها من البكاء، ومشاعرها الفيَّاضة حينها تتدفَّق الآن مرة أخرى وهي تشاهد الصور...

لقطات لتمايلاتها بالرقصات وهي تضمُّ أيديها على الأنغام، وحين تفتح المظلة وتضعها خلفها، وعندما تنحني بخصرها ليسار مُتَكِنَّةً على ركبتيها، ووقتها تضمُّ أكمامها على بعضهما البعض وتميل بعنقها... تبادر لمخيَّلتها كلمات الألحان، وأكثر مقطع تفضُّله:

"رنين الأجراس يختفي في ثلوج السماء البعيدة".

بوقت التدريب كانت "تائيكو" تؤدِّي كل تلك الحركات على عزف مُعَلِّمَتها، وكانت نشاهدها "ساتشيقو" بكل مرة، ولكن هذه هي الأقرب لقلبها؛ فهيئتها بذاك الرداء وهندمة شعرها جعلتها مُبِهَرَّةً أكثر من مرات التمرين.

لم تدِرِ "ساتشيقو" لِمَ تحبُّ ذاك المقطع تحديداً، ربَّما لأن "تائيكو" المعتادين عليها وهي تتبع أحدث صيحات الموضة لا تظهر به على الإطلاق، وتظهر أختها بهيئتها اليابانية الأصلية. إن "تائيكو" تُمَثِّلُ الابنة

المعاصرة التي تفعل ما يحلو لها دون الأخذ في الاعتبار ما سيظنه الآخرون، وهي مغامرة ومُفَعِّمة بالحيوية، حتى إنها هي الوحيدة التي غيّرت لون شعرها فيما بين الأخوات الأربعة، لكن أدائها للرقصات أعلن عن وجود الابنة اليابانية الملهذبة الأصلية -والتي هي محبوبة وجميلة- بمعنى مختلف عن ذي قبل؛ فملامح وجهها تختلف حين تعقص شعرها المنسدل دائماً، وتضع مساحيق التجميل على النمط التقليدي، وتتلاشى طبيعتها المفعمة بالحيوية والشباب، ويظهر عليها جمال السيدات بمنتصف العمر؛ تماشيًا مع عمرها الحقيقي؛ فهي لديها طابع مميز.

منذ شهر بالضبط التُقِطت لها هذه الصورة بمظهرها ذاك المثير للإعجاب، وعلى ما يبدو هو اجسها المشؤومة حينها لم تكن صدفة؛ فبذاك اليوم حين توسّطت "تائيكو" الصورة مع "ساتشيكو" و"تينوسوكيه" و"إتسوقو" كان ذلك لتظل الصورة ذكرى مخيفة. تذكّرت "ساتشيكو" حينها عندما رأت "تائيكو" بثياب اختهم الكبيرة وكادت أن تنهمر دموعها وفُضِّلَت ألا تُعبّر عن مشاعرها... تُرى، هل ستصبح هذه الصورة آخر ذكرى لتألّفها، وستضيع سُدَى آمالها في رؤيتها عروسًا بمثل هذا الرداء؟!

غرقت في مثل تلك الأفكار المُنْهَكّة، واستغرقت في تأمل الصور حتى أصبح الأمر وكأنه نذير شؤم، ثم توجّهت بناخريها للأرفف الأخرى حيث الدمى التي صنعتها "تائيكو" مؤخرًا.

منذ حوالي 3 سنوات تَرَدَّدَت "تائيكو" على مسرح الجيل السادس لفن الكابوكي في أوساكا مع الكهنة البوذيين، وبذاك الحين تحديدًا شاهدت رقصات الجيل السادس، وها هي تجعل جسد هذه الدمية يبدو كتذكير حيٍّ لإحساس الجيل السادس، وإن كانت جعلت ملامح

وجھها لا تشبھهم، إلا أنها تمسكت بالعادة وشكلتها بمهارة... يا ملوھبتھا!

ترى هل هي الأسوأ حظاً؟

إنھا وُلدت بأواخر عهد أخواتها الكبار بالطفولة، لكنها أكثرهم دراية بشأن الحياة، حتى إنها تُعامل أخواتها الكبار وكأنهم هم الصغار وليست هي، ولطالما كانت "ساتشيكو" تفضّل أن تنأى بنفسها جانباً بعيداً عنها، بل وتتحاشاها بشئى الطرق، وإن كانت ترى حالها يُرئى له عن "يوكيكو"، وھا هي تتمنى لو أنها لم تفعل، ومن الآن فصاعداً ستفكر بشأنها بالمثل كـ "يوكيكو".

بالطبع لم يكن هناك داعٍ أبداً لتقلب الأمور بشكل فجائي هكذا لكي تنتبه "ساتشيكو"؛ فكل ما ترجوه الآن أن تعود بسلام، وهي ستقع زوجها بأن يدعها تسافر كما تشاء، وأن تبقى مع "أوكوباتا" أيضاً.

غربت الشمس تماماً بالخارج، وسادت عتمة الليل بدون إضاءة المصابيح الكهربائية، وكان نقيق الضفادع مسموعاً من الأماكن البعيدة. فجأة ظهر ضوء من بين أوراق الأشجار بالحديقة، وأطلت "ساتشيكو" من الشرفة لترى؛ فوجدت عائلة STOLZ أضاءت الشموع بغرفة الطعام، وندخلت أصوات ثرثرتهم العالية، وكان صوت "بيتر" و"روزماري" مسموعاً. إنهم جميعهم الآن حول مائدة الطعام مُكتِمِلو العدد: الأب، الابن، الابنة... كل بدوره يقصُّ على الأم مغامراته.

أمّا "ساتشيكو" فحتى مشهد عشايتهم السعيد على ضوء الشموع لم يبعث بها الأمل، بل لا يزال يتملّكها القلق.

أخيراً سمعت صوت وقع خطوات "چوني" وهو يجري على
العشب هاتفاً:
"عَوْدًا سَالِمًا".

وتعالت صيحات "إتسوقو" من الغرفة المجاورة:
"هه... لقد عادوا".

ورَدَدَتْهَا "ساتشيقو" أيضاً، ونزل اثنتاهما الدَّرَج بلمح البَصَر.
ساد المكانَ الظُّلُمُ الدامس؛ فلم تستطعاً التَّمييز بوضوح.
"عُدنا".

قالها "شووكيتشي" ومن بعده زوجها؛ فسألتهن "ساتشيقو" على الفور:
"وأختي؟".

"و"تانيقو" أيضاً، ها هي معنا"
أجابها زوجها سريعاً، ولم يأتِ الرُّدُّ من "تانيقو"؛ فصاحت:
"ماذا حدث... ماذا حلُّ بكِ أختي؟".

تسمَّرت "ساتشيقو" بمكانها على المدخل، ومن خلفها "أوهارو"
مُمسِكَةً بالشَّمعَدان.

أضاءت مَمَائِلَات لَهَبِ الشَّموع قليلاً بَعْضُ أَرْجَاءِ الْمَكَانِ، لكن لا
زالت "ساتشيقو" لا تستطع الرؤية بوضوح.

وقفت "تانيقو" وهي بالكاد تفتح عينيها، وثيابها مختلفة تماماً
عَمَّا كانت ترتديه في الصباح.
"ساتشيقو...".

قالتها "تانيقو" بصوتٍ مُرتَجِفٍ تملؤه المشاعر، وفي الحال فقدت
وعبها وترنَّحت عند المدخل، وفجأة بدأ البكاء والنحيب.

"ماذا بك أختي، هل أُصِبتِ؟".

"كلّا لم تُصَبْ"، وأجابها مرّةً أخرى زوجها وأضاف:

"... عانت بشدّة، لكن "إيتاكورا" أنقذها".

"إيتاكورا!".

التفتت "ساتشيقو" تنظر خلفها ولم تجد "إيتاكورا" هنا.

"إنه ذهب ليأتي ببعض الماء من الدّلّو".

غطّى الوحل "تينوسوكيه" بالكامل، من رأسه حتى أخمص قدميه،
وقدماه عاريتان في قبّاب، والقبّاب وقدماه وحتى أظافره كلّها بلون
واحد، مصبوغة بلّون الوحل... فترى؛ ماذا حلّ بحذائه؟!

الفصل الثامن

إن تفاصيل المأساة التي خاضتها "تائيكو" كما رواها "تينوسوكيه" لزوجته بتلك الليلة تتلخّص في خروجها بالصباح لمدرسة التفصيل قُبَيْل عودة "أوهارو" من الخارج؛ فهي خرجت في السّاعة الثامنة وخمس وأربعين دقيقة تقريبًا واستقلّت الحافلة من محطة "تسوتشي" على الطريق الدولي كما اعتادت أن تفعل. بذاك الوقت كانت الأمطار غزيرة، ولكنها كانت بالفعل في الحافلة، ونزلت منها أمام "مدرسة بنات قونان" كما تفعل دائمًا، وعبرت من بوابة مدرسة الحياكة التي تُعتَبر امتدادًا لذاك الطريق في حوالي الساعة التاسعة.

كانت المدرسة كسائر مدارس التدريب الخاصّة التي لا تبالي بما يتوجّب فعله في مثل هذا الطقس السيئ، لكن تزايدت أعداد الغياب بسبب حالات الهَلَع لدى البعض من اندفاع المياه، ولاحقًا أبلغوا الحضور بأن اليوم إجازة بسبب أن البعض لا يستطيع الوصول.

بدأ الحضور في الانصراف، وانتهزت الفرصة السيدة "تامأ أوكي" لتدعو "تائيكو" لشرب القهوة سوياً ببيتها في الجوار. إنها أكبر من "تائيكو" بحوالي ثماني سنوات، وبيتها مكوّن من طابق واحد على الطراز الأسباني الأنيق، وحديقته ممتدة حتى المدرسة، ومجرد أن تجاذبتا الحديث قليلاً أصبحتا هناك.

لقد توددت إليها "تائيكو" ورغبت في ألا تجعل العلاقة تنتهي عند حدّ المعلمة وتلميذتها؛ لذلك دعتهأ السيدة "تامأ أوكي" لمنزلها واستضافتها، وشاورتها "تائيكو" بشأن السفر إلى فرنسا؛ فالسيدة "تامأ أوكي" درست بباريس لعدة سنوات، وتتوفّر لديها الخبرة، ونصحت "تائيكو" بشدة بتجربة الذهاب هناك ولو لمرة.

أشعلت السيدة "تامأ أوكي" الموقد الكحولي لإعداد القهوة أمام أعينهما وهي تأخذ على عاتقها مهمة تعريفها بالأمر، وتلك الأثناء اشتدّ هطول الأمطار على نحوٍ مُخيف؛ فنصحت "تائيكو" ألا ترحل بهذه الأجواء، ووقتما تهدأ حدة الأمطار ستخرج هي الأخرى معها.

قراءة الساعة العاشرة جاء ابنها "هيروشي" مقطوع الأنفاس، فسألته أمه عن مدرسته وأحوال الطرفات، فاليوم انتهت محاضرتها خلال ساعة، وبقية اليوم تمّ اعتباره إجازة، وجاءت التنبيهات بسرعة الانصراف فبيلّ تزايد المياه وقبيل أن تصبح طرق العودة محفوفة بالمخاطر. أجابها ابنها أنه اتّخذ طريقه سيراً على الأقدام، ولكن سرعان ما لاحقته المياه فبدأ يعدو بعزم ما فيه من قوّة قبيل تمكّنها منه، وأثناء حديث الصبي "هيروشي" تناهى لمسامعهم صوتٌ عنيفٌ، حيث اقتحم سيلٌ جارِقٌ من تيار المياه الموحلة حديقة المنزل، وبدا جلياً أمام أنظارهم مدى ارتفاعه عن مستوى سطح الأرض؛ فأسرعت السيدة "تامأوكي" في دُعرٍ وأحكمت إغلاق ضلفتي الباب، لكن باغتهم صوتٌ ضجيج من الرّدهة بالجهة المقابلة وكأنه دويٌّ لأمواج البحر.

لقد تدفَّق الماء لداخل الغرفة من الباب الجانبي الذي أتى منه الفتى. ظلُّ ثلاثتهم يحاولون إحكام غلقِ ضلفتَي الباب وصَدَّه بأجسادهم، إلَّا أن قوة المياه تَغَلَّبَت عليهم ودفعتهم، وباءت كل المحاولات بالفشل، وهشَّمت المياهُ البابَ سَاحِقَةً إيَّاه وصدمتهم بشدَّة. تعاونوا هم الثلاثة لكبح جماح المياه المندفعة، وجلبوا المتنضدة والمقاعد، وغيره، وبالنهاية وضعوا مقعدًا وثيرًا قبالة ضلفتَي الباب، وعليه جلس الصبي القرفصاء، لكنه سرعان ما بدأ في الصياح عاليًا، حيث انفتح الباب فجأةً، والمقعد الوثير بدأ يطفو فوق الماء والصبي كما هو فوقه. كان الوضع مُريعًا.

تذكَّرت السيدة "تامأ أوكي" أن عليهم الإسراع بإخراج جهاز مُشغَل الشرائط الكاسيت من الخزانة كي لا يبتل، ووَضَعه على رَفٍّ عالٍ، لكنه ليس هناك أئمة أَرُقُّف بالقرب؛ فوضعه فوق البيانو، والذي تراكمت الأشياء عليه واحدًا تلو الآخر. في تلك الأثناء تزايدت المياه حتى بلغت خصرهما، والمتنضدة ذات الثلاثة مقاعد وطقم إعداد القهوة الزجاجي وعلبة السُكَّر وزهور القرنفل وغيرها من الأشياء التي بداخل الغرفة هنا وهناك. كُلُّها ارتطَمت بالجدار، وبدأت تطفو.

نادت "تامأ أوكي" على "تائيكو" لترى ما لو كانت العرائس لم تتلَف بعد؛ لتضعها على رَفٍّ المدفأة؛ فهي كانت تعتني بالعرائس الفرنسية التي صنعتها "تائيكو". كانت الدُمية بخير، لكن لا يمكن لأحد الوصول إليها بأي طريقة.

حتى تلك اللحظات كانوا لا يزالون يثرثرون هكذا، غير عابئين بالأمر، ودون أخذه على محمل الجد.

مدَّد الصبي "هيروشي" جسَدَه ليمسك بحقيبة المدرسة قبل أن تجرفها المياه، فضرب المذياع الطافي على سطح الماء رأسه، وصرخ الصبي من الألم، وضحكت عليه "تائيكو" وصديقتها وهو يمسك

برأسه، ومضت قرابة نصف الساعة في ضوضاء بتلك الأجواء، لكن في لحظة -وعلى حين غرة- تبدّل الحال، والتزم الجميع الصمت، واعتلت وجوههم نظراتٌ جادة، وكأنهم اتفقوا معًا، حيث فجأة تنبّهت "تائيكو" لكون الماء بلغ ارتفاعه صدرها؛ فأمسكت بالستائر والتصقت بالجدار، ولكن ربما كان ذلك الضرر الأكبر. لقد سقط إطارها فوق رأسها، وطفأ أمام أعينها.

وها هو ذا تمثال "الطفلة ربيه قو" للفنان "كيشيدا يوسي"⁽¹⁾ -والذي يُعدّ كنزًا ثمينًا- تبتلعه المياه هو الآخر، ويطفو حينًا ويغرق حينًا، إلى أن انجرف لزاوية الغرفة، وليس أمام "تائيكو" ورفيقتهما سوى مُلاحقته بنظرات تملؤها الحسرة.

"هيروشي"، هل أنت بخير؟

هذه المرأة اختلفت نبرة صوت أمّه تمامًا.

"نعم".

وهي كلمة واحدة بالكاد نطقها الصبي وهو لا يستطيع أن تطلأ قدماه الأرض، فقفز على البيانو.

تذكّرت "تائيكو" مشهدًا من الفيلم الأجنبي "المحقق"، الذي شاهدته في صغرها، والبطل يُقذف فجأة في غرفة تحت الأرض مُغلقة بإحكام من الجوانب الأربعة كالصندوق، والماء يغمرها أكثر وأكثر بكل لحظة، والمحقق جسده يغرق بالماء شيئًا فشيئًا...

(1) قطعة فنية ذات تأثير استثنائي للفنان الرسام "كيشيدا يوسي"، تمّ تجسيدها في كثير من اللوحات الفنية، وصورتها محفورة في أذهان اليابانيين، والقطعة الأصلية موضوعة بمتحف "توكيو" الوطني ضمن كتوز الممتلكات الثقافية، حيث يتجسّد بها جمالٌ فريدٌ من نوعه، يختلف عن النمط المتّبع بعصر النهضة، حيث اتّسمت الواقعية والتفاصيل المعبرة. تتابعت سلسلة الطفلة "ربيه قو" لوصف ابتسامتها وتصفيف شعرها وحملها للكعكة بيدها، وتمّ تشبيهها بالفن المصري من حيث صبغة الألوان.

بذاك الحين ظلَّ كلُّ منهم بموضعه بعيدًا عن الآخر: الصبيُّ بجهة الشرق فوق البيانو، "تائيقو" جهة الغرب عند ستائر النافذة، والسيدة "تاما أوكي" تستند على طاولةٍ سَحَبَتْها لمتنصف الغرفة ثم قفزت فوقها. استشعرت "تائيقو" الخطر وهي لم تَعُدْ تطال الأرض. تَمَسَّكَتْ بالستائر وهي تتعسَّس بأقدامها وتبحث عن سُلمٍ أو ما شابهه، ولحسن الحظِّ وجدت أحد مقاعد المنضدة فأسقطته على جانبه وصعدت فوقه. أدركت ذلك فيما بعد، فحينها كانت المياه موجلةً وكثيفة، يغلب عليها الرواسب والرمال. لقد استغلَّت تأثير قوة الدفع واستطاعت أن تتشبَّث بالأشياء، فحين تراجعت المياه تبيَّن عكس المتوقَّع؛ فلقد كانت كل الأشياء من منضدة وكراسي وغيرها مغمورةً بالوحل بشكلٍ يجعلها لا يمكنها الحراك من مكانها. البيت أيضًا من داخله ملأه الوحل عن آخره إلى حدِّ الانسداد، وكان عليهم تفادي الانجراف والانهيار بنفس الوقت. خطر ببالهم محاولة الهروب خارج الغرفة أو تحطيم النوافذ، ولكن حين تفحصت "تائيقو" الوضع بالخارج وجدت أن كل شيء هناك انقلب رأسًا على عَقِب، والأمطار لا تزال مستمرةً في الهطول، وهي ليس أمامها سوى بضعة سنتيمترات لتتخطى المياه طولها، ومنسوب المياه داخل الغرفة وخارجها بالمثل على حدِّ سواء، والفرق الوحيد أنه بالداخل المياه أصبحت كبحيرة راكدة، وبالخارج لا تزال مُندَفِعةً بقوة هائلة.

لم يكن هناك ما يحجب أشعة شمس الأصيل سوى تعريشة نباتات على بُعد عشرات الأمتار، فهذه المنطقة الأرض كلها حشائش، وبلا أي أشجار أو نباتات عالية.

حتى وإن قفزت من النافذة للخارج واستطاعت السباحة لتصل لهذه التعريشة بأي شكل من الأشكال، وإن نجحت أن تتسلَّقها بإحدى المحاولات؛ فمن الواضح جليًّا أن الأمر مجرد استنزافٍ لقواها.

قفز "هيروشي" واقفاً على البيانو ورفع ذراعيه، وأخذ يضرب بكفه السقف، فإن تهذم السقف واستطاع أن يصل للسطح سيكون هذا أفضل حلّ أتيح له بمثل ذاك الحين، وإنما بلا شك هذا لن يحدث أبداً بقوة صبيّ وسيدتين! وأكد الصبيّ لأمه بكل عفوية استحالة فعل ذلك.

بطرفة عين انجرفوا لغرفة الخدم، لكن ماذا حدث وماذا حلّ بهم... فليس لهم أي صوت؟

نادى الصبيّ مكرراً سؤاله عما إذا كان أيّ أحدٍ منهم هنا، لكن لم يأتَ ردّ.

التزم ثلاثتهم الصمت، وحين حدّقوا في سطح الماء الذي يفصل كلاً منهم عن الآخر اكتشفوا أن منسوب المياه ارتفع، وأن حيّز الفراغ بينهم وبين السقف لا يتجاوز الأربعين سنتيمتراً تقريباً.

عدلت "تائيغو" مقعد الطاولة الذي أسقطته على جانبه من ذي قبل، ولكنه بهذه المرة كان مُثَقَّلاً بالوحل؛ فالتوت ساقيها، ولكنها أمسكت بحامل الستائر المعدني المثبت أعلى النافذة بشدّة، وبلغ الأمر ذروته وأصبح عنقها فقط يطلّ بالكاد من فوق صفحة الماء، ورفيقتها التي تَمَرَّكَزَت واقفةً على منتصف الطاولة هي الأخرى على نفس الحال، وإنما لحسن حظّها كان فوقها مباشرة ثلاث سلاسل سمكة مُعلّقة بها وحدات إضاءة غير مباشرة، حيث تتدلى كؤوس الدورالومين⁽¹⁾ المزخرفة مقلوبة بالثقل، وكلما شعرت أنها ستسقط تشبّثت بها.

"أمي هل سأموت؟".

(1) معدنٌ خليطٌ من الألومنيوم والنحاس.

قالها الصبي "هيروشي"، لكن أمه التزمت الصمت مهما كرّر نداءه:

"أنا سأموت؟ سأموت يا أمي؟ هل سأموت؟".

بدا وكأن السيدة "تاما أوكي" تقول شيئاً ما، ولكنها من البداية تُهمهم وتُحرك فمها فقط، ولا تدري ماذا عساها أن تقول له!

نظرت إليها "تاتيقو" وهي لا يظهر منها سون رأسها على سطح الماء، وفكّرت فيما سترويه ملامح أناس بات قَدَرُ لموت منهم وشيئاً. فحتى أي محاولة إنقاذ إن وُجدت فهي مستحيلة، وبمجرد أن تملك منهم اليقين بأنها ساعة الموت؛ حلّت عليهم سَكينةٌ غير مُتوقّعة، وأدركوا أيضاً أنه ليس بشيء يمكن أن يكون مُخيفاً أكثر ممّا هم به.

بذاك الوقت شعرت "تاتيقو" أن الوقت يمرّ ثقيلًا، وكأنه مرّ عليهم ثلاث أو أربع ساعات، في حين أنهم في الواقع لم يمضِ عليهم أكثر من ساعة.

كانت النافذة التي تشبّث بالحامل أعلاها مفتوحٌ زجاجٌ ضلّقتها عدّة سنتيمترات، ومنها ينهمر الفيضان بالخارج عليهم، فأمسكت "تاتيقو" بإحدى يديها بالسنانير، وبِعزم ما بها من قوة حاولت إغلاقها، وبهذا الوقت تحديداً -أو بالضبط قبيل ذلك بلحظات- سَمِعَتْ من فوق رأسها بالغرفة التي هم بها وَقَعَ أقدام أشخاص، ولمحت ظلّ شخصٍ يَتَبَّ بخفّة من السطح للتعرّيشة، وظنّت على الفور أن ذاك الشخص انتقل لأقصى الشرق جهة النافذة التي نسرق منها نظرات خاطفة للخارج. أمسك ذاك الشخص بحافّة التعرّيشة ونزل وسط الفيضان إلى أن انغمر جسده بأكمله في الماء. بدا أنه سينجرف من شدّة التيار، فظلّ مُتشبّثاً بحافّة التعرّيشة بيديه ولا يفلتها، ثم التفت بجسده نحو النافذة، والتقى وجهه بـ "تاتيقو" لأول مرة، وب نظرة سريعة منه لها عبر النافذة بدأ في التنفيذ.

في البداية لم تستوعب "تائيكو" ما أقدم الشاب على فعله، ثم اتضح لها أنه يحاول أن يصل للنافذة بإحدى يديه، وبشكل ما يجتاز تيار الماء العنيف ويده الأخرى لا تُفْلِت التعريشة. حينها بالضبط تنبّهت "تائيكو" لكون ذاك الشاب ذي العيون البرّاقة الذي يرتدي سُرّةً جلدية وقُبْعَةً وكأنه طيّار هو المصوّر "إيتاكورا". إنه اعتاد ارتداء هذه السُرّة أثناء تواجده بأمريكا، ولم يسبق أن رآته "تائيكو" بمثل هذه الملابس من قبل، ولقد توارت ملامح وجهه خلف القبعة، وظهوره بهذا الوقت وبمثل هذا المكان تحديدًا كان شيئًا لا يمكن تخيله حتى في أحلامها. الأمطار الغزيرة والتدفّق السريع للتيار جعل المنطقة باهتة ضبابيّة، وفوق ذلك كله شعورها بأنها تسقط؛ لذلك استغرقت وقتًا كي تستطيع أن تعي وجود "إيتاكورا"، وفور ما انتبهت صاحت بصوت عالٍ تنادي، وإنما بدلًا من أن تنادي اسمه توجّهت للصبي "هيروشي" ورفيقتها تُبشّرهما بظهور مُنقذ، ثم لوَحّت له واستجمعت كل ما بها من قوة لتُحرّك ضلفة النافذة القاسية بفعل ضَغْطِ المياه، وأخيرًا انفتحت بقدرٍ يسمح بمرور جسدها، وكان هذا من حُسن حَظّها.

رأت أمام أعينها يد "غيتاكورا" ممدودة لها فتعلّقت به بيدها اليمنى، وأخرجت نصف جسدها، وبنفس اللحظة جرفها التيار العنيف بقوّة الهائلة. كانت لم تُفْلِت يدها الأخرى بعد ولا تزال تُحْكِم قبضتها على إطار النافذة بشدّة، وأول ما قاله لها "إيتاكورا" أن نَدَعَ الإطار الآن.

كان مُمسِكًا بيدها الأخرى، ويجب عليها أن تنقذ ما قاله.

فعلتها "تائيكو" وتركّت مصيرها لأقدار السماء.

بتلك اللحظة امتدّ ذراعها وذراعه لأقصى حدٍّ وتلاحما كحلقات سلسلة، ورآته ينزل أسفل التيار وبِاللحظة التالية سحب جسدها

إليه، (وروى "إيتاكورا" فيما بعد أن ذاك كان من الأفضل له هو أيضًا: فمثل تلك القوه انتشلته من براثن الموت)، وكرّر عليها "إيتاكورا" أن تتمسك بحواف التعريشة وتتشبث مثله، ونقّدت، لكن الوضع أصبح أخطر من وقت تواجدها بالغرفة؛ فالآن قد تنجرف.

"لا يمكنني فتحه".

"هيا، سانجرف".

"اصبري قليلًا. لا تفلتي يدك أبدًا. تشبّثي بقوة".

هكذا قال لها "إيتاكورا" وهو مستمرٌ في نضاله ضد التيار العنيف، وتسلق لأعلى التعريشة، وأخذ يحاول أن يفتح هُوّة ويشقّ فتحةً فيما بين سيقان النباتات، ومدّ كلتا يديه لأسفل وسحب "تائيكو" إليه واستطرد قائلاً:

"عليّ أن أنقذك أنتِ فقط أولًا..."

مسّ قلبها كل ما حملته العبارة من معانٍ على الفور.

والآن، وإن كان ليس بالأكيد ألا يصل الماء لأعلى التعريشة، وإنما المؤكّد قطعًا أن "إيتاكورا" سيفعل من أجلها أي شيء مهما حدث.

ربما الهرب مُمكنٌ من هنا إلى السطح. إنها بهذه اللحظة ليست ببعيدة عن وقت حبسيتها بداخل غرفة ضيقة؛ لذلك لا يمكنها تخيل هذا التحوّل بوجودها في الخارج، لكن فور وقوفها على التعريشة أگّدت لها الشواهد أنها لم تلبث بالداخل سوى ساعة أو ساعتين.

بذاك الحين رأت "تينوسوكيه" على بُعدٍ يعبر جسر السكة الحديد فوق نهر "تاناكا"، والمشهد بدا وكأنه بالبحر، وربما هو كذلك بالفعل، وإن كان مكانه يبدو كالشاطئ الشرقي للبحر. إذن فـ "تائيكو" حقًا تقف في عرض البحر وتلقي نظراتها من أعلى على الأمواج المستعرة التي تحاصرها من كل جانب.

إنها للتو ظننت أنه أخيراً تمّ إنقاذها عندما رأتها، ولكن ما إن رأت مدى هياج قوى الطبيعة من حولها أيقنت أنه تمّ إنقاذها مرةً سابقة، ولن يتمّ مرةً أخرى لاحقة؛ فكيف سيُمكن انتشالها هي و"إيتاكورا" من ماءٍ يحيطهما هكذا؟ ولا يزال يشغل بالها شأن مُعلّمتها وابنها؛ فماذا عنهما؟!

هزّت "تائيقو" التعريشة بقوة حتى انخلع أحد فروعها السمكية وطفأ وانجرف، و"إيتاكورا" بقلب الماء مرةً أخرى، فبدأ بتمديد جسرٍ بذلك الفرع من التعريشة إلى النافذة، وألقى بأحد طرفيه لهنالك، وساعدته "تائيقو" وثبتت الطرف الآخر بالتعريشة عندها، ومكّنتا من عمل جسرٍ نجاةٍ، ودخل "إيتاكورا" من النافذة استكمالاً لمهمته، واختفى مدّةً طويلةً وهي لا تتمكّن من رؤيته، لكنها بعد حينٍ سمعته، لقد حلّ رباط الستائر وصنع منها حبلاً ألقى بطرفه لأقرب مكانٍ من السيدة "تاما أوكي" التي استطاعت أن تلتقطه وتلقي به بدورها جهة الجدار نحو ابنها "هيروشي" الواقف فوق البيانو، وتمسّك كلاهما جيّداً، وسحبهما "إيتاكورا" للنافذة، وبعدها أمسك بالصبي ووصله بالفرع الممتدّ، ومنه إلى التعريشة، ورفعها عليها، ثم عاد مرةً أخرى للنافذة، وبنفس الطريقة أقدم على إنقاذ السيدة "تاما أوكي"، وبذل كلّ هذا المجهود الخارق مرةً أخرى مُحاولاً أن يستغرق وقتاً أقصر.

في الواقع مهما فُكّر فيما بعدُ لم يَسعه أن يستوعب كيف تمّ ذلك وكم من الوقت تطلّبه الأمر...

ابتاع "إيتاكورا" من أمريكا أيضاً ساعة يدٍ مُقاومة للمياه تعمل تلقائياً، وكان يتباهى بها، لكنه لم يجربْ خواصّها من قبل، وها هو ذا أوانها، فأثناء إنقاذه لثلاثة أشخاص ووقوفه ونزوله من على التعريشة لعدّة مرّات هطلّت الأمطار بغزارةٍ وازداد اجتياح المياه. أصبحت

التعريشة بمثابة خطرٍ مُحَقَّق؛ فعبر منها على الجسر الذي صنعاه من قبل من جذعٍ سميكٍ، وهرب إلى سطح البيت. كان ذاك الجذع بسمك ثلاثة جذوع من أشجار الغابة، وكان كطوق نجاةٍ استفاد منه الجميع. يمثل هذه الأجواء الخطيرة كان ظهور "إيتاكورا" يبدو وكأنه سقط من السماء، وبعدما وصلوا للسطح بسلام كان هناك براح من الوقت لتسأله "تائيكو" عما جاء به؟ وأجابها أنه في صباح اليوم تنبأت الأرصاد بسقوط أمطار ممّا أعاده بالذاكرة لمرةٍ أصغى بها لعجوز تكهنت بأن هذا العام وتحديدًا هذا الربيع سيقع به حدثٌ مُماثلٌ لما جرى في عام 1783 في "أوساكا وقوبيه"، حين هبَّ إعصار الأمواج العاتية الجبلي "ياما تسونامي"، وترسّخ الأمر بذاكرته، ويومًا بعد يومٍ منذ ذلك الحين وهو يستشعر الخطر كلما اشتد المطر. لكن صباح اليوم ورد لمسامعه ما تردّد من شائعات حول انهيار سدّ نهر "سوميوشي"، وتعالى ضجيج الجيران بالتحذيرات، وهرعت دوريات الحراسة للتنبيه؛ فأصبح لا سبيل له لمزاولة أيٍّ من أعماله؛ فخرج مُتوجّهًا إلى النهر ليستكشف الأحوال بنفسه، ومجرد أن رأى ضفّتي النهر أيقن أن هناك حدثًا جَلَلًا؛ فقرّر أن يعود أدراجه، إلّا أن المياه كانت تنحدر في مخرّات نحو "نويوري".

إنه بالرغم من ذلك كله، وبالرغم من معرفته بنبوءة الفيضان، إلّا أنه خرج كالمعتاد من بداية يومه بملبسه الطبيعي وسترته الجلديّة، وبعد وصوله لـ "نويوري" دون أن يتوقّف حتى لالتقاط أنفاسه انتبه لكون مظهره غريبًا بعض الشيء.

شردت "تائيكو" بتفكيرها...

لقد كان على عِلْمٍ بأنها في هذا اليوم تذهب لمُعَلِّمتها "تامأ أوكي" بمدرسة التفصيل، وكانت نواياه الدفينة التي يحتضنها بقلبه هي أن

يُسرع من أجلها خَشْيَةً أَنْ تَكُونَ وَاجَهَتْ أَيَّ خَطَرٍ مَا مِنْ قَبِيلِ سَوْءِ
الْحَظِّ... أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

لَقَدْ أَخْبَرْتَهُ مِنْ ذِي قَبْلِ بِذَهَابِهَا لِمَدْرَسَةِ التَّفْصِيلِ؛ لِذَلِكَ كَانَ لَا بُدَّ
لَهُ أَنْ يُسْرِعَ بِإِنْقَاذِهَا مَهْمَا تَطَلَّبَ الْأَمْرُ، وَ لَقَدْ تَذَكَّرَ، وَخَرَجَ مُنْدَفِعًا
بِكُلِّ تَهَوُّرٍ يَجْرِي فِي تَيَارِ الْفِيضَانِ الْمَوْجِلِ.

رَاوَدَتْهَا مِثْلُ هَذِهِ الشُّكُوكِ، وَإِنَّمَا الْآنَ تَتَوَالَى مَجْرِيَّاتُ الْأَحْدَاثِ
دُونَ أَنْ يُشْعَرَ أَيُّ مِنْهُمَا.

وَفِيمَا بَعْدَ أَصْغَتْ لِحَدِيثٍ مُفْضَلٍ مِنْهُ عَنْ صِرَاعِهِ الشَّاقِّ
وَمَخَاطَرَتِهِ بِحَيَاتِهِ، حَتَّى وَصَلَ بِالنَّهَائَةِ إِلَى بَنَاءَةِ الْمَدْرَسَةِ. إِنَّهُ هُوَ
و"تِينُوسُوكِيَه" بِالْمِثْلِ، كُلُّ مِنْهُمَا اتَّبَعَ قَضِيبَ خَطِّ السَّكَّةِ الْحَدِيدِ وَهُمَا
يَهْرَعَانِ إِلَى "مَدْرَسَةِ بَنَاتِ قُونَانٍ"، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَسْرَعَ مِنْ "تِينُوسُوكِيَه"
بِحَوَالِي سَاعَتَيْنِ، وَكَأَنَّ لَدَيْهِ مَهَارَاتِهِ الْخَاصَّةَ لِلْخَوْضِ فِي الْمِيَاهِ. انْجَرَفَ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَشَارَفَ عَلَى الْمَوْتِ أَمَّا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ سِوَاهُ الْقَفْزِ فِي
التَّيَارِ الْعَنِيفِ بِهَذَا الْحِينِ.

هَذَا كُلُّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَحْيِ خِيَالِهِ مِثْلًا؛ فَهُوَ بَعْدَمَا تَمَكَّنَ مِنْ
الْوُصُولِ لِمَبْنَى الْمَدْرَسَةِ كَانَتْ قُوَّةُ الْإِعْصَارِ الْعَاتِيَةِ وَصَلَتْ لِذُرُوتِهَا،
وَبَعْدَ حِينٍ صَعَدَ إِلَى سَطْحِ الْبَنَاءَةِ وَهُوَ فِي ذَهُولٍ، لَكِنَّهُ سَرَعَانَ مَا
انْتَبَهَ؛ فَجَهَتْ مَنْزِلَ السَّيِّدَةِ "تَامَا أُوِكِي" وَفَوْقَ سَطْحِ غُرْفَةِ الْخَدَمِ وَقَفَ
شَخْصٌ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ.

إِنَّمَا الْخَادِمَةُ "كِينِيَا".

إِنَّمَا بِدَوْرِهَا لَاحَظَتْ "إَيْتَاكُورَا"، وَبِمَجْرَدِ أَنْ أَدْرَكَتْ أَنَّهُ رَأَاهَا أَشَارَتْ
لَهُ بِثَلَاثِ أَصَابِعٍ، ثُمَّ كَتَبَتْ لَهُ فِي الْهَوَاءِ حُرُوفَ اسْمِ "تَائِيْقُو".

هَكَذَا أَدْرَكَ "إَيْتَاكُورَا" أَنَّ خَلْفَ النَّافِذَةِ يَتَوَاجَدُ ثَلَاثَةُ أَشْخَاصٍ،
مِنْ ضَمْنِهِمْ "تَائِيْقُو"، وَمَرَّةً أُخْرَى تَقَافَزَ فِي خِصْمِ تَيَارِ الْمِيَاهِ الْعَاتِيَةِ

وانجرف للمنتصف وكاد أن يغرق، لكنه جاهدَ سَابِحًا حتى نجح في الوصول للتعرّيشة، وخاض المغامرة، حتى ولو كانت معركة الموت الأخيرة، وحقًا خاطَرَ بحياته، وهذا ليس بالصعب تخمينه.

الفصل التاسع

قضى "إيتاكورا ساعاته في مَهْمَة الإنقاذ التي تَوَجَّه إليها بينما "تينوسوكيه" لجأ لِيَحْتَمِي بداخل القطار في نفس ذاك الوقت. لقد حَالَقه الحَظُّ واستطاع أن يفرَّ هَارِبًا لمدرسة "قونان"، وبالطابق الثاني هناك جعلوه يستريح حتى الساعة الثامنة مساءً؛ فهذه الغرفة كانت كاستراحة إضافية خَصَّصوها للضحايا.

بالنهاية توقَّف المطر، وبدأت المياه تنحسر شيئًا فشيئًا؛ فاتَّخَذ "تينوسوكيه" طريقه إلى مدرسة التفصيل، وقطع هذه المسافة القصيرة، لكن بالطبع هذا لا يعني أن الوصول إلى هناك كان سهلًا كأيَّ يوم عادي، وحتى وإن فُكِّر وعاد أدراجه، فطريقه لا يزال به الكثير من رواسب الرمال والخطام، وهناك أماكن يبلغ الركاب بها طُنْف البيوت ويكاد أن يدفنها، وأماكن أخرى تبدو وكأن شيئًا لم يَكُنْ؛ فالمدن بشمال البلاد تكسوها الثلوج، وتظل ملامحها كما هي.

الأسوأ على الإطلاق في كل ما توالى من أحداث هو أنه بمجرد ما واصل السير غير عابئي بهذا كله؛ وجد المستنقعات العميقة بكل مكان تشبه آكلي لحوم البشر، ويمكنها ببساطة أن تبتلع جسده. علّق "تينوسوكيه" للتوّ بمستنقع موحل، وفقد إحدى فردتيّ حذائه؛ فخلع الأخرى وألقى بها، وتابع سيره حافي القدمين، ليس بهما سوى الجوربين.

ورغم أن المسافة بالظروف العادية لن تستغرق سوى دقيقتين، إلا أن الأمر تطلّب منه فعليًا قرابة نصف الساعة، وحين وصل لمدرسة التفصيل وَجَدَ المنطقة قد تغيّرت تمامًا، وعلى نحو غريب. بوابة المدرسة اختفت معالِمها بالكامل، وبالكاد رؤوس أعمدتها تظهر على سطح الأرض وليس أكثر من ذلك، والبيوت التي من طابق واحد -كبنية المدرسة- لا يتبقّى منها سوى الأسقف الإردوزائية⁽¹⁾ فقط، وكلها تحت الانقراض.

وكطيفٍ بحلم يقظة ارتسمت هيئة "ثائقو" ومَن معها وهم يتخذون من السطح مأوى.

لكن ماذا حلّ بباقي الطلاب؟

هل نجحوا في تمكينهم من الهروب؟ أم انجرفوا؟ أم أنهم مدفونون تحت الركام؟

اتّضح ظلّ شخصٍ واحد آخر على السطح...

نال منه الإحباط؛ فبذاك المكان أيضًا يداهمه الخطر بالمثل، وبكل خطوة يخطوها يغوص حتى فخذه، وجنوب مبنى المدرسة الذي كان بالسابق حدائق عُشبية وأحواض زهور انشقت به الأرض لنصفين، والآن هو عليه أن يذهب لبيت معلّمها "تامأ أوكي".

(1) الإردوار هو حجر صلاحي.

تعريشة حديقة بيتها يتبقى منها الأفرع المتشابكة العلوية فقط ظاهرة على السطح وبجانبيها جذوع أخشاب طافية متكومة دون حراك، ولكن فاجأه ما تراءى أمام ناظره؛ فأعلى القرميد الأحمر لسقف المنزل وقفت "ثانيقو" ومعها "إيتاكورا" والسيدة "تامأ أوكي" وابنها الصبي "هيروشي" وشخص آخر... إنها الخادمة "كينيا"...
رأهم جميعاً هناك.

وبعدما روى "إيتاكورا" قصصه البطولية في إنقاذ ثلاثة أشخاص، وبدأت المياه تنحسر. أخبره أيضاً أنه فكّر في اصطحاب "ثانيقو" لمنزل "أشيا"؛ نظراً لما أصابها من إعياء، وحالتها المريضة؛ فالسيدة "تامأ أوكي" قلقّة من أن تدعها تذهب لحالها.

قص "إيتاكورا" ما حدث على "تينوسوكيه" وهو يراها بحالة يُرى لها حتى بعدما استرخت قليلاً.

بالواقع لن يفهم الوضع إلا من مرّ به وواجه حدثاً كهذا بنفسه.

السيدة "تامأ أوكي"، وابنها، و"ثانيقو" نفسها- كلّهم مهما مضى من وقت كلّما فكّروا في الأمر يتملّكهم الرهاب إلى حدّ يصل للهلز، والآن حتى وإن كانت السماء صافية أمام أعينهم والمياه تراجعت فلا يزالون لا يسعهم تصديق أنهم أحياء سالمون؛ فرعدة الخوف التي اجتاحت خلايا أجسادهم لا يمكن أن تتلاشى من ذاكرتهم بهذه السهولة.

بالفعل نجاذلت "ثانيقو" مع "إيتاكورا" حين قال لها إنه سيوصلها؛ فلا بُدّ لها أن تعاود البيت سريعاً؛ لأنه بالتأكيد ربّ أسرتها وأختها الكبيرة في قلبي عارم، ومع انتباهه للأمر فكّر فيما سينتظرهما من أهوال هناك أيضاً؛ فنزولهم من على السطح إلى مستوى الأرض ليس بهذه البساطة؛ فالنزول ممكّن فوق أكوام الحُطام إن استطاعوا الوصول لإفريز السطح، و"ثانيقو" لا تواتيها الجرأة أبداً الآن. علاوة

على ذلك، فكيف له أن يترك السيدة "تاما أوكي" لحالها ويذهب هو و"تائيكو"؟

لعلّ زوجها يصل قريبًا، وإنما على هذا الحال ففور غياب الشمس سيسود الظلام؛ ممّا يستوجب إضاءة هذه العتمة فوق السطح...

تزاخمت برأسه مثل هذه الخواطر البائسة، وبظهور "تينوسوكيه" راودتهم أيضًا نفس الأفكار؛ ممّا جعل الصبي "هيروشي" وحتى الخادمة "كينيا" يتوسّلان له لبقى معهم قليلًا.

"تينوسوكيه" أيضًا بعدما التقط أنفاسه من الصعود إليهم فوق السطح ألقى بجسده المنهك، وخارت قواه وهو يحاول البقاء متيقظًا.

بهذه الأجواء -ولأكثر من ساعة- ظلّ مُستلقيًا ووجهه قبالة السماء، وشرد بزُرْقَتِها وشمسها تتخذ طريق المغيب. بالرابعة والنصف تقريبًا على حدّ ظنّه (حيث تهشّمت ساعة يده) وصل أقرباء السيدة "تاما أوكي"، جاؤوها من بلدتهم "ميكاجيه" لزيارتها والاطمئنان على سلامتها هي وولدها.

وعليه؛ اعتنى كلّ من "تينوسوكيه" و"إيتاكورا" بـ "تائيكو" ليسلكوا سبيل العودة.

لا تزال "تائيكو" لم تستعد قواها البدنية وتبدو وكأنها غائبة عن الوعي، وفي المشوار برُمته من أوله لآخرة تارة تتكى على أحدهما، وتارة أخرى يحملها أيّ منهما على ظهره.

بطريقهم لم يتوغّلوا في التيار الرئيسي لنهر "سوميوشي"، بل عوضًا عن ذلك استطاعوا الالتفاف لجهة الشرق؛ أي من أمام "مدرسة بنات قونان" على الطريق الدولي، ومنها -وحتى منطقة "تاناكا"- كان الانحدار طفيفًا، وإنما بكل حال من الأحوال كان عبور النهر واجتيازه مُعاناة في حدّ ذاته.

بوصولهم لمنتصف النهر وتياره التقوا بـ "شووكيتشي" وهو يعبر النهر، فواصلوا الطريق سوياً هم الأربعة. وفي "تاناكا" عرض عليهم "إيتاكورا" القdom لبيته لينالوا قِسطاً من الراحة، فهُم بالقرب. إنه أيضاً كان قلقاً بشأن منزله وما حَلَّ به. أراد "تينوسوكيه" الإسراع بالعودة لمنزلهم، ولكن و"تائيقو" بهذه الحالة رأى أنه من الأفضل أن يدعها تستريح لبعض الوقت.

كان "إيتاكورا" أعزب ويعيش مع أخته الصغيرة. الطابق الثاني من المنزل به غرفة التصوير، والتي هي بخلاف مقر عمله، أمّا الطابق الأول فهو للسكنى، وبدا أنه لحق به ذاك الدمار؛ فالمياه توغّلت بالمنزل حتى قرابة الثلاثين سنتيمتراً فوق مستوى سطح الأرض.

اصطحب "إيتاكورا" عائلة "تينوسوكيه" للطابق الثاني حيث غرفة عمله، وضيّفهم بعصر التفاح بعد مرورهم وسط الماء الموحل، وبتلك الأثناء خلعت "تائيقو" ملابسها المبلّلة والمُتسخة، وأخذت تُجفّف جسدها، وأعارتها أخت "إيتاكورا" رداء "كيمونو" حريريّاً، بتوجيه منه. أمّا "تينوسوكيه" فكان حافي القدمين، واستعار هو الآخر قبّاباً من "إيتاكورا". "شووكيتشي" الذي كان بصحبتهم كان على ما يرام، وألح عليه "تينوسوكيه" ليعود هو الآخر ويكفي أنه واصل معهم إلى هنا، وأخذه "إيتاكورا" لأقرب مكان في "تاناكا" يستطع منه العوده لمنزله.

توفّعت "سانشيقو" أن يشتاق "أوكوباتا" لأختها على نحوٍ ما، وربما سيأتي لاحقاً مرةً أخرى ليسأل عنها، لكنه بهذه الليلة لم يظهر نهائياً، وبالصباح التالي أرسل "إيتاكورا" نيابةً عنه.

وبالفعل جاءهم بالصباح "إيتاكورا" يحمل رسالةً شفهيّةً منه، وأخبرهم أنه جاء بهذه الزيارة عَوْضاً عن "أوكوباتا" للاطمئنان على أحوال الأخت الصغيرة، وعلى أنها لم تتعرّض لأيّة إصابات ولا حتى نزلة برد.

استعادت "تائيكو" عافيتها بهذا الصباح، وجاءت لغرفة الجلوس مع "ساتشيكو"، وتقدّمت له بالشكر بخصوص الأمس، وتبادلوا الأحاديث وهم يسترجعون الأخطار التي واجهوها بتلك الساعات. فرغم هروبها إلى أعلى السطح، ومكوّنها لقاربة الساعتين بملابس خفيفة، ورغم أن مياه الأمطار برواسبها الموحلة... إلّا أنه لم تُصَبْ بنزلة برد؛ ممّا أثار دهشتهم جميعاً. كانت بهذا الحين مُتوتّرةً، وعلى العكس، لم تُلقِ بالآ لحديث "إيتاكورا"؛ فأنصرف في الحال. إنها مهما كان صارِعت المياه بالأمس، وخاضت بجسدها المستحيل، وبعدما أشرقت شمس هذا الصباح شعرت بالآلام في كل مفاصلها، وخصوصاً أسفل إبطها الأيمن عند أضلعها، والتي كانت يضجُّ بها الوجع. راودها القلق من أن يكون هذا هو مرض التهاب الجنّة "بلوريزي"⁽¹⁾، لكنها بالعناية الجيدة تماثلت للشفاء في بضعة أيام لاحقة.

فقط بتلك الفترة كانت بمجرد سماعها لزخات المطر بوقت اغتسالها بالمشاء يصيبها الهلع. لقد أصبحت لديها تجربة لأول مرة بحياتها على الإطلاق جعلتها تتيقّن بأن المطر شيء مُخيف، ومن الواضح أن حالة الخوف الهستيري التي تتابها بتلك الأوقات أصبحت شيئاً كامناً بأعماقها، وظلّت لفترة كلّما سقطت الأمطار لا يمكنها النوم طوال الليل وتُفكّر ماذا لو داهمتهم المياه مرّة أخرى.

(1) مرض تلتهم فيه "الحسة"، والتي هي عبارة عن نسيج من طبقتين رقيقتين، وهذا الالتهاب يؤدّي إلى انفصال الرئتين عن جدار الصدر؛ ممّا يُسبّب ألماً حاداً بالصدر، ويرداد سوءاً عند التنفّس، حيث إحدى طبقتي الجنبة تلتفّ حول الجسم الخارجي للرئتين، وتُبَطّن طبقة الحسة الأخرى جدار الصدر من الداخل، وتوجد مساحة صغيرة بين هاتين الطبقتين عادةً ما تكون ممثلة بكمية ضئيلة من السوائل، وتعمل الطبقتان عادةً وكأنهما قطعان من قماش ناعم ترلقان فوق بعضهما البعض؛ ممّا يسمح للرئة بالتمدّد والتقلّص عند التنفّس

الفصل العاشر

عرف سكان إقليم "هانشين" القصة الكاملة للدمار الهائل الذي لحق بالبلاد لأول مرة من صحف اليوم التالي، ولمرة أخرى استقبل بيت "ساتشيقو" في "أشييا" مفاجآت جديدة، وعلى مَرَّ عِدَّة أيام متتالية تَوَافَدَ عليهم الضيوف المتكبدون لعناء الطريق بشكل مُستمر؛ ممَّا جعلهم في انشغالٍ تام.

تعطَّلت كل المحرَّكات اللازمة لخدمات المياه والغاز والكهرباء والهواتف وغيرها، وسكن ضجيجها وكأنهم عادوا للحياة بسالف العصر والأوان. الأكثر أنه لم يكن متاحًا أيُّ من وسائل التعامل مع مشكلة الرواسب المتكوِّمة في كل مكان بسبب العجز في الناقلات والأيدي العاملة، وما من سبيل لإزاحتها في الحال.

مشهد حركة المرور ذهابًا وإيابًا الذي يكسوه التراب والغبرة الناصعة البياض أعادهم مرةً أخرى لمشهد الطُّرقات بـ "طوكيو" بعد الزلزال الكارثي بالماضي.

أصبح رصيف المحطة التي عند نهر "أشيبا" في "هانكيو" مدفونًا تحت الركام؛ لذا يتم رصف بديل آخر مؤقتًا على جبل الرواسب، وسيبنى جسر عالٍ فوق الجسر السابق، وجارٍ تنفيذ الأعمال اللازمة لتعود القطارات للعمل، حيث إنه ارتفع قاع النهر بين جسري "هانكيو" و"ناراهيرا" على الطريق الدولي، ويبلغ علو الطريق. لكنهم لم ييأسوا بيوم، بل قامت الحشود بأعمال الحفر والبناء يومًا بعد يوم لإزالة الرواسب، وإن كانت محاولتهم بدت كالنمل الذي يجتهد لتفتيت جبال من السكر؛ فليس هناك من تقدم يُذكر.

أشجار الصنوبر على الضفاف لا تزال مُمسِخة بالرمال، فمنذ كارثة الفيضان والطقس في جفاف تام؛ مما يجعل الغبار يظل عالقًا، وجمال المناظر الطبيعية بالمناطق السكنية المشهورة في "أشيبا" لم تظهر له أي بادرة بهذا العام...

عادت "يوكيقو" من "طوكيو" بعد غياب شهرين ونصف، وكان يومًا صيفيًا مليئًا بذاك الغبار. هناك بنفس يوم حدوث كارثة الفيضان صدرت الأخبار بالصُخف المسائية. لم تكن التفاصيل معروفة، وإنما كانت المأسى بالغّة في بيوت "شيبويا"، وذكرت الجرائد بوضوح أن ضفاف نهر "أشيبا" و"سومبوشي" هي أكثر المناطق تضررًا بدمار عنيف، وقرأت "يوكيقو" عن وقوع وفيات بين طلاب مدرسة "قونان الابتدائية"؛ فأصبح هُما الأول هو الاطمئنان على سلامة أختها "تانيكو".

باليوم التالي لتلك الأحداث جاء هاتف لمكتب "تينوسوكيه" في "أوساكا"، وحادثته كل من "يوكيقو" و"تسوروقو" وسألته عن كل ما أثار قلقهما، وأخبرته "يوكيقو" أنها سترحل بالغد للاطمئنان بنفسها على "تانيكو"، ودار النقاش فيما ستفعل وأكّدت عليها "تينوسوكيه" أنه لا مانع من مجيئها، ولكن لا داعي للاستعجال هكذا؛ فالقطارات لم

تَعُدُّ بَعْدَ لَعْمَلِهَا الطَّبِيعِي فِي غَرْبِ "أَوْسَاكَ"، وَهَذَا مَا انْتَهَتْ عَلَيْهِ
الْمَكَالِمَةُ الْهَاتِفِيَّةُ.

بِالْمَسَاءِ أَخْبِرَ "تِينُوسُوكِيَه" زَوْجَتَهُ عَمَّا دَارَ، وَبِمَجَرَّدِ سَمَاعِ "سَاتَشِيْقُو"
لَأَخْبَارِ مَنْ "طُوكِيُو" وَيَذْكُرُ زَوْجَهَا لِاحْتِمَالِ "مَجِيءِ" "يُوكِيْقُو" نَأْكَدَتْ
أَنَّهَا سَتَفْعَلُ، وَبِالْفِعْلِ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ الْأَوْضَاعِ بَعْدَةَ أَيَّامٍ وَصَلَهَا خُطَابُ
مُعَنَوْنَ بِاسْمِهَا جَاءَ بِهِ:

"أَرِيدُ رُؤْيَا وَجْهَ أُخْتِي الصَّغِيرَةِ الَّتِي بِالْكَادِ نَجَتْ مِنْ مَوْتِ
مُحَقِّقٍ، وَلَا يَفَارِقُ مُخَيَّلَاتِي مَشْهَدَ الْقَرْيِ؛ تُرَى مَاذَا لَحِقَ بِهَا مِنْ
ضَرَرٍ؟ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَرَى الْوَاقِعَ بِنَفْسِي وَلَا بِرُوقْنِي إِلَّا أَفْعَلُ، وَعَلَيْهِ؛ فَرِمَا
سَأَتِيْكُمْ فَجْأَةً عَنْ قَرِيبٍ".

وَكَانَ هَذَا بِمِثَابَةِ إِخْطَارِ مُسَبِّقٍ مِنْهَا؛ لِذَلِكَ بَدُونَ أَنْ تَرْسَلَ بِرَقِيَّةٍ
اسْتَقْلَلَتْ الْقِطَارَ بِهَذَا الْيَوْمِ مِنْ "طُوكِيُو" إِلَى "أَوْسَاكَ" وَنَزَلَتْ فِي مَحْطَةِ
"أَشِيَا" بِمَنْطَقَةِ "هَنْشِين" وَسَارَتْ أُمُورَهَا عَلَى مَا يَرَامُ، وَاسْتَأْجَرَتْ
إِحْدَى السَّيَّارَاتِ الْأَجْرَةَ لِتُقْلِعَهَا لِمَنْزِلِ أُخْتِهَا وَوَصَلَتْ قَبِيلَ السَّاعَةِ
الْسادسة.

"مَسَاءُ الْخَيْرِ. لَقَدْ وَصَلْتُ".

جَاءَتْهَا "أَوْهَارُو" لِتَأْخُذَ مِنْهَا حِذَاءَهَا، وَعَلَى الْفُورِ دَخَلَتْ "تَائِيْقُو"
لِغُرْفَةِ الْجُلُوسِ، وَوَجَدَتْ الْبَيْتَ فِي سَكُونٍ تَامٍ؛ فَسَأَلَتْ:
"هَلْ أُخْتِي هُنَا؟".

وَتَوَجَّهَتْ لِتَقِفَ أَمَامَ الْمَرْوَحَةِ تَتَلَقَّى بَعْضًا مِنْ هَوَائِهَا، وَأَجَابَتْهَا
"أَوْهَارُو":

"عَفْوًا، إِنَّهَا لَدَى عَائِلَةِ STOLZ".

"وَالصَّغِيرَةُ".

"والصغيرة أيضًا سيديتي. جميعهم مدعوون اليوم لاحتساء الشاي عند عائلة STOLZ، وهم على وشك العودة، هل أذهب لاستدعائهم؟ لقد قالت سيديتي "ساتشيقو" إن حضرتك ستأتين اليوم. دعيني حتى أنادي الصغيرة... إنها تنتظرك بفارغ الصبر...".

"كلًا، كلًا دعيهم وشأنهم "أوهارو".

بعدها، من جهة الحديق الخلفية جاء صوت الأطفال وهمّت "أوهارو" بالنداء عليهم، لكن "يوكيقو" استوقفتها، ومرّت من أسفل الستائر الخوص وخرجت للتراس وجلست على كرسي من خشب بتولا الأبيض.

طوال الطريق قبل وصولها وهي تتطلع من نافذة السيارة منتظرة أن تلمح أي شيء بعدما رسمت بمخيلتها مشاهد مريعة للدمار، إلا أنها وجدت ما فاجأها وظلت تُحدّق وتُدقّق النظر. لقد كان كل شيء على حاله كما تركته. كل نبتة وشجرة كما هي لم تُصَب بأي أذى. فقط بحلول الهدوء المسائي عَصَفَ الهواء على غير العادة، ولكن لا يزال الجو حارًا وظلال الأشجار ساكنة واضحة وأطراف العشب جليّة للعيون.

فهذا الربيع حين ذهبت إلى "طوكيو" كانت زهور "قوديماري" و"الليلاك" تفتّحت، ولكن الزهور الجبلية الصفراء والبيضاء لم تُزهر بعد، في حين أن "ورود" "كيرشيم" و"هيرادو" تساقطت وتبقّت فقط واحدة أو اثنتان من زهور ياسمين الـ "جاردينيا" متفتّحة ويفوح منها العطر، وهما مختبئتان في حديقة البيت الغربي الطراز ذي الطابقين. قُبالة السور السُّلكي الفاصل بالحديقة استمتع الأطفال باللهو ولعبوا لعبة القطار، و"بيتر" هو من حاكي دور "مرشد القطار".

"المحطة التالية هي "ميكاجيه"، التالية هي "ميكاجيه"."

"... يا سادة، هذا القطار لا يتوقّف من محطة "ميكاجيه" حتى محطة "أشيا". حضراتكم المتّجه إلى "سوميوشي"، "أوزاكي"، و"أوكي" فليتفضّل باستبدال القطار..."

هكذا كان يقول "بيتر" وهو يحاي بالضبط نبرة صوت مُرشد قطار "هانشين"، ولا يشبه على الإطلاق الأجانب في نُطقهم، ثم قالت لهم "إتسوقو":

"رومي... هيّا فلنذهب إلى "كيوتو"، وأجابتها "روزماري":

"حسنًا، فلنذهب إلى "طوكيو"، فتقول لها "إتسوقو":

"ليست "طوكيو"، وإنما "كيوتو".

بدا أن "روزماري" لا تعرف اسم المكان الذي يُدعى "كيوتو"، ومهما قالت لها "إتسوقو" وعلمتها الاسم الصحيح نظّل تقول "طوكيو"، وتأجّج غضب الصغيرة وصاحت:

"خطأ "رومي"... إنها "كيوتو".

"هيّا، فلنذهب إلى "طوكيو".

"خطأ. إن كُنّا سنذهب لـ "طوكيو" سيتوقّف بنا القطار بمائة محطة".

"حسنًا. أهكذا سنصل بعد غد؟".

"ماذا يا رومي".

"هل هكذا سنصل لطوكيو بعد غد؟".

كانت "روزماري" تتداخل حروفها في بعضها البعض وهي تنطق كلمة "بعد غد"، في حين أن "إتسوقو" معتادة على الكلمة بالعامية: "بعد بكرة"؛ ففجأة وجدت نفسها لا تستطيع فهم ما يُقال!...

"ماهذا؟ "رومي"... هذا ليس في اللغة اليابانية؟".

ثم سألها "بيتر" بدوره:

"إتسوقو"... هذه الشجرة ماذا تُسمَّى باليابانية؟".

وفاجأهم صوت احتكاك خطوات "بيتر" بأوراق شجرة المظلة الصينية حين بدأ يتسلَّقها.

كانت فروع هذه الشجرة تمتدُّ حتى الجهة المقابلة لحدود الحديقة، واعتاد الأطفال أن يمسكوا بفروعها بعدما يضعون أقدامهم على السور السُّلكي من جهة بيت عائلة STOLZ ويتسلقون بالأحذية. "إنها شجرة المظلة الصينية".

"المُظَلَّة الصينية؟".

"ليست المُظَلَّة، المظلة الصينية".

"المُظَلَّة الصينية...".

"المُظَلَّة".

"المُظَلَّة الصينية...".

سواء كان "بيتر" يُمَازِحها أو كان ينطقها هكذا حقًا فهي ليس اسمها "مُظَلَّة صينية" بل "مُظَلَّة"، واستشاطت "إتسوقو" غضبًا وهي تقول: "ليست مظلة صينية. بل حرف "ل" مرَّة واحدة فقط".

كان وَقَعُ الجملة غريبًا على مسامع "يوكيفو"، التي انفجرت ضاحكة دون أن تتمالك نفسها.

الفصل الحادي عشر

كانت الإجازة الصيفية للأطفال، وكانت "إتسوقو" يوميًا تنادي أطفال عائلة STOLZ أو ينادونها لِلهو سويًا بالحديقة ويتسلقون أشجار المظلة الصينية والصندل، أو يتسلُّون بلعبة "مرشد القطار"، وحين يشتدُّ الحرُّ وتتوسَّط الشمس السماء يدخلون البيت ويقسمون وقت اللعب؛ فبوقت البنات يلعبون بالذَّمى، وعندما يحين وقت الصُّبيان يلعبون لعبة الحرب.

يحرِّكون المقاعد الوثيرة الثقيلة التي بغرفة الجلوس من أماكنها والمقاعد الطويلة أيضًا، وتارة يجمعونها وتارة يربطونها ليصنعوا حصنًا ومنصة إطلاق نيران، ويشهرون أسلحتهم للهجوم. كان "بيتر" هو مَنْ يلعب دور الضابط القائد ويعطي الأوامر، والأطفال جميعهم في نفس الوقت ينقذون ويطلقون النيران.

كان الأطفال الألمان من أكبرهم لأصغرهم حتى "فريتز" الذي لم يَرْتَد مدرسة ابتدائية بعد دائماً ما يقولون عبارة على العدو: "FRANK REYE"⁽¹⁾.

لم تعرف عائلة "ساتشيقو" ماذا يقصدون، وهل هي كلمة ألمانية أم فرنسية، وسألوا "تينوسوكيه" الذي لم يعرف هو الآخر، وظنوا أن هذه قد تكون طريقة تَتَّبِعُهَا عائلة STOLZ لتربية أطفالهم.

لكن الأمر كان مُزَعِجاً بعض الشيء؛ فمن أجل هذه اللعبة كانوا يعبثون بالزخارف التي بَقِطَعَ الأثاث الغربي الطراز، وإن جاءهم زائرٌ على حين غرة كان لا بُدَّ أن يجعله الخدم ينتظر أولاً بغرفة الجلوس إلى أن يجتهدوا مع بعضهم البعض لفك ترتيب هذا الحصن المرتبط ببعضه البعض ومنصة إطلاق النيران.

جاءت السيدة STOLZ ذات مرة ودخلت من التراس لقلب البيت، ولَفَّت نظرها صُدْفَةً ما يفعله الصغار، وأصابها الذهول ممَّا رأت، ونساءلت في دهشة ما إن كان هذا ما يفعله "بيتر" و"فريتز" كلَّما جاءَ إليهم، وحين أَكْذَبَتْ لها "ساتشيقو" أنه ما باليد حيلة انصرفت وعلى وجهها ابتسامة ساخرة. ربما وبُخْتَنهم فيما بعد، غير أن الحال لم يتبدَّل أبداً، بل ظلُّوا هكذا كالمشرَّدين يتجولون.

كانت "ساتشيقو" من بين الثلاث شقيقات هي أوَّل مَنْ استسلم الأطفال ليجعلوا من الغرفة الغربية الطراز مكان يلهون فيه، وكان الأطفال بوقت الطعام يتذمَّرون وهم ينتقلون للجوار بالغرفة اليابانية الطراز التي كانت قبالة الحمام وتستخدم عادة لاستبدال الملابس وتجميع وترتيب الثياب بعد غسلها، ورغم أنها كانت تطلُّ على الحديقة من الجهة القبلية إلا أنهم اعتبروها غرفة مُعْتَمَةٍ لأن سقفها

(1) مصطلح ألماني ليس له ما يقابله في المعنى، ولكنه أقرب لكلمة "أمة"، ولكن ليس امبراطورية أو مملكة؛ نظراً لطبيعة الحُكم بألمانيا، التي ليست بها امبراطور أو ملك.

مليء بالعروق الخشبية وتضيئها لمبات الجاز. كانت أيضًا بعيدة عن ضوء الشمس، ومجرّد فتح الشباك الزجاجي الجرار الذي بغرب الغرفة تمرّ نسيمات الهواء الباردة حتى بأوقات الظهيرة؛ فكانت أكثر غرفة رطبة بالبيت كله، وكان الشجار دائمًا بين الأخوات الثلاث وهنّ يتسارعن بلاستلقاء أمام النافذة مُتمدّدات على الحصير، ويقضين هكذا ساعات العصر الأكثر حرًّا.

وكالمعتاد بكل عام، بمنتصف الصيف نَقِلُ شهيتهن للطعام، ويُصنّ بنقص فيتامين "B"، ويخسرن كثيرًا من الوزن، لكن "يوكيقو" بالذات بخسارتها للوزن مثلهن يصبح الأمر لافتًا للنظر، فهي -بخلافهن جميعًا- يشتدُّ عليها المرض⁽¹⁾ منذ شهر يونيه، ويبدو أنها لا تتماثل للشفاء.

كان هذا من ضمن أسباب مجيئها أيضًا؛ فلعلّ حالتها الصحية تحسّنت بتغييرها للمكان، ومنذ وصولها وهي مُجهّدة ومثقلة الخطوات؛ لذا تتلقّى العلاج "حقن بيتاكسين" مع أخذتها؛ "ساتشيقو" و"يوكيقو"؛ فجميعهن يعانين من نفس الأعراض، ويتلقّين العلاج ذاته، حتى أصبح روتينًا يوميًا.

إذا ارتدت "ساتشيقو" أي ثياب طويلة شَفَّت عن نحافتها، وقرب نهاية شهر يوليو آل بها الحال لكرهيتها للملابس مثل "يوكيقو"، وأصابتها برهاب الثياب هي الأخرى بالمثل، وبدأت في ارتداء نفس الملابس الحريري الجورجيت، والتي تبدي قوامهما كالدُمى التي يُربط الحزام الخيطيُّ على خصرتها.

وإن كانت "تانيقو" فيما بينهن هي الأكثر نشاطًا إلا أنها منذ الصدمة التي تلقتّها يومَ الفيزان لم تستردّ عافيتها بعدُ، وكالمعتاد

(1) كما ورد بالحرة الأولى: كلهن مصابات بمرض الـ "بري بري"، وهو مرضٌ يصيب الجهاز العصبي بسبب نقص فيتامين "B"، ومن أعراضه الغمول الشديد والتعب.

بصيف هذا العام، هي أيضًا ليست على ما يرام. والأكثر من ذلك أنها أخذت إجازةً من مدرسة التفصيل من بعد ما حدث، وكان من حُسن الحظ أن شقتها في "شوكوجاوا" لم تطلها المياه، ويمكنها أن تستمر في عملها لتصنيع الدُمل دون أي معوّقات، وإنما كان يلزمها بعض الوقت؛ فهي لا تزال بمزاج سيئ، ولا تتوجّه للعمل إلّا نادرًا.

استمرّ "إيتاكورا" في المجيء والسؤال عنها، ولم يكن يأتيه الزبائن لالتقاط صور منذ حادث الفيضان؛ فكل الأسواق حاليًا خاوية. كان يترجّل بالمناطق التي تدمّرت بالفعل ليجمع صورًا تذكارية لأضرار تلك الكارثة، وكل يوم يتحسّن به الطقس يرتدي بنطاله القصير ويأخذ آلة تصويره الـ "LEICA" ويتجوّل قليلًا، ثم يمرّ عليهم دون سابق إنذار والعرق يتصبّب على وجهه بعدما أحرقته أشعة الشمس. اعتاد أن يتوجّه أوّلًا نحو باب المطبخ وينادي:

- "أوهارو، ماء... ماء".

فتصبّ له "أوهارو" كأسّ الماء، ويتجرّعها دفعة واحدة، ثم بعناية ينفذ الغبار الأبيض الكثيف عن ملابسه، ومن بعدها يصعد للغرفة اليابانية الطراز حيث تجتمع أسرة "ساتشيقو"، وينخرط في الأحاديث معهم.

اليوم أيضًا كان حديثه عن الأماكن التي ذهب إليها حيث توجّه إلى: "نونوبيكي"، "روقوقوسان"، "كوشيكي إيوا"، وعيون "أريما" الساخنة، وغيرها من المناطق التي لحقت بها أضرار من الفيضان ورصدتها عدسته، ومن وقت لآخر كان يأتي بالصور التي قام بتحميزها ويشرح إحساسه ونظرته البارعة المتميّزة، ويشاركهم بها.

اعتاد "إيتاكورا" أن يبدأ حديثه فور دخوله إليهم:

"هيا، ألن نذهب للتنزّه على شاطئ المحيط؟ استيقظوا... استيقظوا، التّدْمُر لن يُجدي نفعًا".

وتجيبه عائلة "ساتشيقو" برردود فاترة، ويسألونه ما إن كانت الأمور على ما يرام بصفاف نهر "أشيا"، وما إذا كانت السباحة ستُعَجِّل شفاءهم من داء "البري البري".

بذاك الحين نَوَّوا اللُّهاب حقًّا، وأخذت "أوهاروا" بيدهن ليستفيقوا ويستعدُّوا بارتداء لباس السباحة، وطلبوا سيارة لتوصلهم للشاطئ العام على ضفة النهر.

تردَّدت "ساتشيقو" في مُرافقة ابنتها للنزول للسباحة لشعورها بالإعياء؛ فتقدَّم "إيتاكورا" واصطحبها.

وعلى هذا الحال يومًا بعد يوم يزداد الودُّ وتنساب الكلمات بسلاسة، وألفت القلوب ما استغرَبته دون أن تبالي؛ فمثلًا فتحه للخزانة من تلقاء نفسه، والذي اعتبروه سلوكًا غير مُحتمَل، وكثير من التصرفات غيرها التي على نفس الشاكلة، نظير كونه دائمًا في العَوْن يقدِّم كل ما بوسعه دون امتعاض، مهما كان ما يطلبونه جعل المسألة ساجرةً مُثيرةً للشَّغف.

في أحد الأيام كان ثلاثتهم مُستَلقِّين كعادتهم بالغرفة اليابانية الطراز أمام النسمات المنعشة التي تهلُّ من النافذة، دخل زنبورٌ كبيرٌ من الحديقة، وأخذ يدور فوق رأس "ساتشيقو" في البداية مُصدِّرًا أزيزه... "أختي، زنبور..."

وبمجرد أن قالتها "تائيقو" نهضت "ساتشيقو" في هَلَع، لكنه انتقل من رأسها إلى "يوكيقو"، ثم إلى "تائيقو" هي الأخرى... ثم أعاد الكَرَّة من أولها، وانتقل لـ "ساتشيقو" مرَّةً ثانية، وظلَّ يحوم فوق رؤوسهن واحدة تلو الأخرى. هرين جميعهن بأجسادهن العارية، وتخبَّطن داخل الغرفة هنا وهناك، وبدأ وكأنه يلاحقهن حيثما ذهبن ليسخر منهن؛ فصرخن وقفزن خارج الغرفة، والزنبور أيضًا خرج مُتعقِّبًا خطواتهن.

"آآآآ... جاء، لقد جاء."

تعالَت الصرخات وَهُنَّ يَهْرُولْنَ مِنْ غَرَفَةِ الطَّعَامِ وَمِنْهَا لُغْرَفَةُ الْجُلُوسِ، وَأَصَابَتْ الدَّهْشَةَ "رُوزْمَارِي" وَ"إِتْسُوقُو" وَهُمَا تَلْهُوَانِ.

"مَاذَا هُنَاكَ؟! أُمِّي؟".

وَبِلَحْظَتِهَا جَاءَ بِأَزِيْزِهِ وَاصْطَدَمَ بِزَجَاجِ النَّافِذَةِ.

"آآآآ، جَاءَ... جَاءَ".

وَبِهَذِهِ الْمَرَّةِ أَضِيْفَتْ صَرْخَاتِ "رُوزْمَارِي" وَ"إِتْسُوقُو".

اسْتَمَرَّتِ الْخَمْسُ فِي الْهَرَبِ وَالذُّورَانِ بِالْغُرْفَةِ، وَكَانَ هَذَا الزَّنْبُورُ شَبِيحًا.

الْأَزِيْزُ الَّذِي أَصْدَرَهُ أَفْقَدَهُنَّ صَوَابَهُنَّ، أَوْ رُبَّمَا هِيَ عَادَتُهُنَّ كُلَّمَا وَقَعَ حَدَثٌ مُشَابِهٌ؛ فَهُنَّ يَتَقَافِزْنَ بِالْحَدِيْقَةِ إِنْ حَدَثَ بِالْمِثْلِ وَلاَحَقَّتَهُنَّ أَيْ حَشْرَةٌ، وَهَآ هُنَّ مَا زِلْنَ يَهْرُولْنَ مِنْ غَرَفَةِ لِأُخْرَى، وَيَتَدَافَعْنَ وَاحِدَةً تَلُو الْأُخْرَى ذَهَابًا وَإِيَابًا بِكُلِّ أَرْجَاءِ الْمَنْزِلِ.

"مَاذَا يَحْدُثُ؟ مَا كُلُّ هَذِهِ الْجَلْبَةِ؟".

بِالضُّدْفَةِ حَضَرَ "إِيْتَاكُورَا"، وَبَعْدَمَا دَخَلَ مِنْ بَابِ الْمَطْبَخِ وَأَطْلُ بُوْجْهِهِ مِنَ السَّتَارَةِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْمَطْبَخِ وَالرُّدْهَةِ أَصَابَتْهُ الدَّهْشَةُ. لَقَدْ جَاءَ الْيَوْمَ أَيْضًا وَفِي نَيْتِهِ دَعْوَتُهُمْ لِلتَّنَزُّهِ بِالْبَحْرِ، وَارْتَدَى لِبَاسَ الْعُومِ تَحْتَ مَلَابِسِهِ، وَاعْتَمَرَ قُبْعَةَ الْبَحْرِ وَوَضَعَ مَنْشَفَتَهُ حَوْلَ كَتِفَيْهِ.

"أَوْهَارُو. مَاذَا يَحْدُثُ؟".

"يَلَاَحِقُهُنَّ زَنْبُورٌ".

"مَاذَا! كُلُّ هَذَا الْهَرَجِ!؟".

وَهَكَذَا مَرَرْنَ جَرِيًّا مِنْ أَمَامِ "إِيْتَاكُورَا"، مُتَكَتِّلَاتِ خَمْسَتُهُنَّ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ تَضُمُّ قَبْضَتَهَا تَحْتَ إِبْطِهَا بِأَحْكَامٍ وَكَأَنَّهَا فِي تَدْرِيبِ عَذْوٍ.

"اليوم... إنه لذو شأن عظيم!".

"الزُّنبور، الزُّنبور... "إيتاكورا"... هيا، أمسكه بسرعة".

صرخت بها "ساتشيقو" دون أن تستريح من الجري، و"إيتاكورا" مُتجمِّدة ملامحه وتعتلي وجهه نظراتٌ جادَّة مليئة بالفضول وهو يشاهدهن يصرخن ويضحكن ملء أفواههن وتلمع أعينهن.

خلع "إيتاكورا" قُبْعته ليلوِّح بها ويدفع الزنبور ليطير خارجاً لغرفة الجلوس ومنها للحديقة.

"يا للعجب! يا له من زُّنبور عنيد!... كم أبدؤ أحمق وأنا مندهش من زنبورا!".

"هكذا إذن! الأمر ليس مُضحكاً. إنه عن جدُّ مُرعب".

تنفَّست "يوكيقو" الصعداء واعتلى وجهها الشاحب ضحكاتٌ دون سبب. كان المرض يجعل قلبها في خفقان سريع ملحوظة دقَّاته من فوق ملابسها الحريرية.

الفصل الثاني عشر

في بداية شهر أغسطس وصلت على عنوان "تائيقو" خلاف كل الطالبات الأخريات بطاقة من المعلمة "أوساكو"، تخبرها بدخولها لمشفى بالجوار بعدما ساءت حالة مرضها الكلوي. كان المتبّع على وجه العموم هو توقّف تدريبات الرقص بشهري "يوليو" و"أغسطس" من كل عام، وحينما التقوها ببيتها في بلدتها مسقط رأسها بوقت المهرجان في شهر يونيه لم تكن صحتّها بخير، واستمرّ الحال هكذا حتى شهر سبتمبر والمعلمة "أوساكو" متوقّفة عن العمل.

انقطعت عنها "تائيقو" لفترة، وهذا ليس لكونها غير عابئة مثلاً، بل كان انقطاعها بسبب بُعد المسافة؛ فبيت المعلمة كان بمنطقة "تنجاچايا"، أي أنها من مسكن "تائيقو" في "أشييا" عليها أن تقطع "أوساكا" من الشمال للجنوب وتستقلّ القطار من حي "نانبا". لقد كان تدريبها بمكانٍ في قلب الجزيرة، وكان لا بأس من ذهابها بذاك

الحير، وإنما من بعدها لم تتكرّر زيارتها للمكان ثانية؛ لذلك كان تلقّيها للخبر بهذا الشكل صادمًا.

إنها بسبب مرضها الكلوي أصبحت تعاني من "اليوريميا"⁽¹⁾ وعلى الأرجح حالتها متأخرة.

"كيف حالها؟" تائقو، ستذهبن لزيارتها بالغد؟ على أية حال أنا أيضًا سأذهب معك."

راود "ساتشيقو" القلق من أن يكون مجيء المعلمة "أوساكو" إليهم باستمرار من مكان بعيد هكذا من أجل تدريب "تائقو" و"إسوقو" هو ما آذاها، خاصّةً وأنها انتظمت في المجيء طوال شهري مايو ويونيه أكثر من أي وقت مضى. ليت هذا لا يكون سببًا وراء مداهمة المرض لها بهذه الضراوة. إنها بذلك الحين كان ملحوظًا تورّم وجهها وشحوبه، مع تسارع أنفاسها أثناء التدريبات، لكنها هي التي قالت إن الرقص هو الشيء الوحيد الذي يُبقي على صحتها بخير، ولكنها في الواقع عليها الآن تجنّب أي حركة لجسدها، وبالتأكيد ستعذر عن أي التزام لاحقًا بالتدريب، وللأسف سيكون هذا مُحيطًا للصغيرة ولـ "تائقو" أيضًا؛ فهما مغرمتان للغاية بتدريبات الرقص.

لكن المعلمة "أوساكو" ذاتها هي أكثر من سيتأثر بالأمر، لقد بذلت قصارى جهدها من أجلهما ولم تبَح بأي شيء، وبعدما آلت حالتها لهذا الوضع ستندم إن لم تتوقّف عن التدريب على الفور. قرّرًا أن يذهبا لزيارتها عن قريب، وأن يكون هذا أول ما يفعلانه، خاصّةً بعدما وصلتهم بطاقة منها، وبالفعل بصباح يوم صافٍ أخبرتهم "تائقو" أنها ستذهب للزيارة، وأضاعت الوقت في تفحص ما ستأخذه معها من أشياء إلى أن همّت بالخروج في الظهيرة، وعادت في الساعة

(1) يوريميا "uremia" مرض من أعراض عدم كفاءة وظائف الكليتين، ويُعدّ من أحد المظاهر السريرية للفشل الكلوي. ويتمثّل في وجود مستويات عالية من اليوريا في الدم.

الخامسة أنفاسها لاهيئة، ودخلت مباشرة للغرفة اليابانية الطراز وهي تشكو الحرَّ بتلك المنطقة من "أوساكو".

كانت تتصبَّب عرقًا وتخلع ملابسها اللصيقة بجسدها كلها من رأسها وكأنها تنزع عنها جلدها، واتَّجَهَت للحَمَّام بعدما أصبحت عاريةً سوى من ملابسها الداخلية، خرجت بعد حين وهي تحيط رأسها بمنشفة مُبلَّلة، وتلفُ خصرها بأخرى كبيرة، ثم ارتدت الـ "يوكاتا"⁽¹⁾، ودون أن تربط حزامه مرَّت من أمام أختيها قائلةً: "عُذْرًا".

وجلست بجوار المروحة الكهربائية ورداؤها المفتوح يستقبل نسيمات الهواء، وأخيرًا قصَّت عليهم الحالة المرضية لـ "أوساكو"، وأخبرتهم بأن حالتها سيئة للغاية، رغم أنها بمنصف الشهر الماضي لم يكن بها شيء على الإطلاق، بل وفعلت كما نُفِضَل دائماً، وكانت هي الشخص المسؤول عن استخراج الشهادات العليا الموثقة لممارسة تقديم الفنون، وبالיום الثلاثين من شهر يوليو قدَّمت هذه الشهادة لإحدى الفتيات وأقامت لها حفلًا ببيتها، وكانت المعلمة "أوساكو" بذلك الوقت بالضبط ترتدي بعناية ملابسها المزينة بشعار الأسرة، على الرغم من شدة حرارة الطقس، وابتهلت بالصلوات لصور أسلافها وفقًا للطقوس، وبدأت المراسم بشكل صارم.

لكن باليوم التالي -اليوم الحادي والثلاثين بالشهر- جاءت هذه الفتاة لتلقي على مُعلِّمتها التحية فوجدتها مُمتقعًا لون وجهها ولا تتحسن، بعدها بأوّل يوم من شهر أغسطس لازَّمت "أوساكو" الفراش إثر الإعياء.

(1) كيموبو صيفي من القطن.

إن خَطَّ السَّكَّةِ الحديد لقطار "نانكاي" يختلف عن خَطِّ "هانشين"، حيث إن العروق الخشبية بقضبانها أقل، ومحطاته بين بيوت مُتراصة، أسطحها متلاصقة، ولكي تبحث "تائيقو" فيما بينهم عن المشفى وفي الطقس القانظ الحرارة؛ كان من الطبيعي أن تصل وهي تتصبَّب عَرَقًا. كانت غرفة المعلِّمة "أوساكو" بالمشفى غرفة حارَّة، وإن كانت جهة الغرب، ورافقتها إحدى الطالبات لرعايتها وعريضها، لكنها كانت نائمة وحدها.

لم يكن الاستسقاء لديها حادًّا إلى تلك الدَّرَجَة، ولا وجهها متورَّمًا كما ظنَّت، واقتربت "تائيقو" من وسادتها وألقت عليها التحية باحترام، ولكنها بَدَت وكأنها لم تتعرَّف عليها، وكما جاء بحديث مَنْ ترعاها فهي تستعيد وعيها بين الحين والآخر، وأنها في الغالب ستستمرُّ هكذا في حالة الغيبوبة والهذيان بخصوص أمور تتعلَّق بالرقصات بالطَّبْع.

تواجدت "تائيقو" معها قرابة نصف الساعة ثم انصرفت قائلة إنها ليس لديها مُتَّسع من الوقت، ومجرَّد خروجها لحقت بها هذه الفتاة بالردِّهة لتخبرها برأي الأطباء بأنها لا أمل بهذه المرة، وذلك بالضُّبط ما أدركته "تائيقو" برؤيتها لحالة "أوساكو" الصحية، وبعدما فُكِّرَت بأنها لن تأتي مرة أخرى وتتكبَّد العناء وتتصبَّب عَرَقًا وتلهث أنفاسها بطرقات تلفحها أشعَّة الشمس الحارقة، تذكَّرت أن مُعلِّمتها تحملَّت هذه المشقَّة ذهابًا وإيابًا يوميًّا، بحالة جسدها تلك، وشعرت بالمعاناة التي تحملَّتها من أجلها.

بعد سماع "سانشيكو" لما أصبح عليه الوضع ذهبت لزيارتها باليوم التالي برفقة "تائيقو"، وبعدها بحوالي خمسة أو ستَّة أيام جاءهم خبر وفاتها، وأول مرة سنحت لها الفرصة لزيارة بيت المعلِّمة كان بعد وفاتها؛ من أجل تقديم التعازي.

كانت "أوساكو" هي الشخص الوحيد الذي ينقل عادات وتقاليده القرى الجبلية ذات الأصول العريقة. وقدِمَا كانت تقطن بلدة "كروايه مون" في إقليم "نان تشي"، وأطلقوا على عائلتها اسم القرى التي هم منها، واعتُبرت هي الوريثة من الجيل الثاني.

اندهشت "ساتشيكو" بوصولهما للعنوان المنشود؛ فقد كان البيت مَسْكَنًا بَانِسًا، وأفضل ما يُطْلَق عليه "قعر مُدَقَّع"، ولم يتخَيَّل أيُّ منهما أبدًا أن ضيق العيش قد يصل إلى هذا الحد، ولكن هذا كان لأن الراحلة أخلصت بكل وجدانها للفن وكرهت بشدّة انهيار النموذج المثالي للرقص المتوارث منذ قديم الأزل، ولم تُغيّر معتقداتها لتجاري الزمن، وبالأوصاف الدقيقة هي كانت ضعيفة في كسب مهارات سُبُل العيش.

أليس هذا هو السبب؟!

إن "ساجي ساكو" التي كانت أوَّل مُعلِّمة مَسَرَّح بالإقليم الجانوبي، ومُصمِّمة رقصات الفلكلور "رقص إشيبه"، والتي تُعتَبَر مُؤسِّسة للجيل الأول، قبيل وفاتها أوصت "أوساكو" كوريثة لها أن تُصبح مُعلِّمة المنطقة، لكنها رفضت رفضًا قاطعًا؛ فبذاك الحين كان الرقص المتبرِّج في أوج ازدهاره في منطقة "فوجيما" و"واكياجي"، وعلى هذا فإن أصبحت هي مُعلِّمة الحي سيكون من صميم مهام دورها أن تنخرط بالأمر، ولا مَفَرٍّ من تعديل حركات الأيدي لتواكب أحدث صيحات الرقص بهذا العصر، وهذا ما لم تَبْتَغِه الوريثة؛ فهي كانت شَخْصِيَّة عَنيدة، على أتم استعداد لتَشقُّ طريقها بالحياة مهما واجهت من صعوبات. من هذا المنطلق اكتفت بقليل من الطالبات.

إن "أوساكو" أخذتها جدَّتُها منذ نعومة أظافرها وتولَّت تربيتها، ولم تعرف والديها، وأصبحت فتاة جيشا، وعلى ما يبدو أنها عاشت في كنف سيدها، إلّا أنه -كالعُرف السائد- لا يمكن لها أن تُنْجِب طفلًا

بدون زواج، وعاشت مَغضوبًا عليها من أفراد أسرتها، وعند موتها لم يَأْتِ أيُّ من ذويها.

أقيمت مراسم الجنازة بهذا اليوم شديد الحرارة في "أبيهنو" (1)* بحضور عددٍ قليل من الأشخاص الذين هم ذاتهم من تَبَقُّوا لأخذ الجثمان للمَحْرِقَةِ التي بالجوار وانتظروا الرِّفَات، وبتلك الأثناء تبادلوا الأحاديث عن ذكرياتهم مع الراحلة.

"كرهت المعلِّمة "أوساكو" وسائل المواصلات جميعها، خاصَّةً السيارات والسفن".

"أوساكو" رغم كل شيء كانت قويَّة الإيمان، وفي يوم 26 من كلِّ شهر تستقلُّ القطار وتذهب لزيارة معبد "قيوشيقوجن" دون أن يفوتها مرَّة، ولها جولة شهرية بالمعابد الثلاثة الشنتوية: "قووتزو" و"إيكوتاما" و"سوميوشي"، بمعابدهم المُلَحَّقة، وبأواخر الشتاء بمعابد بلدة "كاميماتشي"، وتُوزَعُ مُعْجَنَات الأرز بعدد سِنِّي عمرها".

"كل التدريبات زاولَتها بمنتهى الحماس، وكانت تُعَلِّم طالباتها بتواضع الإحسان اللازم لكلِّ جزئية، ونكتشف الأخطاء الشائعة وتُصَحِّهها، فمثلاً، بالرقصة التي على أغنية من الفلكلور تُدعى "shio-kumi 汐汲み" و"kanawa 鉄輪" كانت تُوجِّههن كيف يتحرَّكن، وتلقي تعليماتها بأعينٍ يملؤها الافتتان، وتشاركهم بكل انحناءٍ ومَآيل".

"أوساكو" شخصية مُتَحَفِّظَة تتمسَّك بمفاهيم عفا عنها الزمن، ولا تستطيع أن تقف لا تحرك ساكنًا وتدع الرقص المعاصر بـ "كيوتو"

(1) ABENO 阿倍野あべの منطقة في جنوب "أوساكا" غنية بالمواقع التاريخية، وهي الآن منطقة تجارية

و"أوساكا" يمضي قُدَمًا مُوَاجِبًا التيار، بل وانشغل تفكيرها بأن تطأ قدمها "طوكيو" لأول مرة بحياتها إن سنحت لها الفرصة لتجابه الأمر، وبدون تفكير منها بالموت قالت إنها حين تبلغ الستن من العمر ستستأجر مسرح الجنوب وتقيم المنتديات الرائعة".

كانت "تانيقو" هي أحدث الطالبات التحاقًا بالتدريبات وعلاقتها المقربة من المعلمة "أوساكو" لم تكن إلا بالفترة الأخيرة لذلك كانت تصغي بهدوء هي وأختها لكل ما يدور حولهما من أحاديث؛ فلقد كان لهما عناية خاصة منها، وإنما إن كانت لـ "تانيقو" نية كامنة بأن تصبح مُعَلِّمة مُعْتَمَدَة فالآن خُبأت هذه الرغبة.

الفصل الثالث عشر

"أمي، عائلة "STOLZ" سيعودون لألمانيا".

بذاك اليوم، عادت الصغيرة "إتسوقو" بهذا الحديث بعدما أمضت اليوم بأكمله تلهو بيت جيرانهم الألمان، ولأنه كلام أطفال فلم تأخذه "ساتشيقو" على محمل الجد، لكن بالصباح التالي حين التقت السيدة "STOLZ" عند السور السُّلْكِي الفاصل بالحديقة حاولت التأكد مما قيل، وفاجأها الرد بأن الأمر حقيقي.

جاء بحديث السيدة "STOLZ" أن اليابان فعلاً منذ بدء الحرب وكل الأشغال التجارية متوقفة تماماً، ويمتجر زوجها في "قوبيه" منذ بداية هذا العام والحال وكأنهم بعطلة. لقد ظنوا أن الحرب ستنتهي على الفور، وانتظروا للآن، ولكن أصبح لا أحد يدري شيئاً، وبعد تفكير طويل قرّر زوجها العودة لبلدهم. كانت تجمع شتات كلماتها وهي تقول إن زوجها في الأصل كان يتاجر في "مانिला"، لكنه منذ عامين أو ثلاثة جاء إلى "قوبيه"، ورغم تكبّده لكثير من المشقة ليُهيئ موطناً

قَدِمَ له بالشرق الأقصى إِلَّا أن مجهود السنين ضاع هباءً كفقاعة ماء،
وليس أمامهم سوى العودة للديار الآن، وقالت لـ "ساتشيقو" أيضًا:
"أنا وأطفالي نشعر بسعادة لا توصف لكوننا حظينا بجيران أفاضل
أمثالكم، ولكن علينا أن نفارقكم الآن، كم هذا مريع... أنا وأبنائي
سنعاني كثيرًا".

وكان حديثها في عَجَالَةٍ.

بهذا نَوّت عائلة "STOLZ" أن يغادر ربُّ العائلة وابنه الكبير
"بيتر" أولًا بهذا الشهر ويعودان لبلادهما، مرورًا بأمريكا، والزوجة
و"روزماري" و"فريتز" سيرحلون مع بعضهم البعض بالشهر القادم إلى
"مانिला"، ويبقون هناك بيت أختها لفترة وجيزة، ثم يتوجّهون لأوروبا
جميعهم، حيث ستغادر معهم عائلة أختها أيضًا ويرحلون لبلادهم.
كانت أخت "هيلدا" هناك بـ "مانिला" طريحة الفراش وتعاني مرضًا
عضالًا، وهي مَنْ ستتولى شؤون بيت أختها وتجمع الأمتعة، وبخلاف
أطفالها ستصطحب أطفال أختها الثلاثة.

لم يتبقَّ سوى اثني عشر يومًا على رحيل "روزماري"، وحجز أبوها
كابينة له ولأخيها "بيتر" بأخر شهر أغسطس على متن الباخرة "EM-
PRESS OF CANADA" والمغادرة من ميناء "يوقوهاما".

أمّا من ناحية عائلة "ماي أوكا" فلقد كانت "إتسوقو" تعاني انهيارًا
عصبيًا منذ أواخر شهر يوليو، غير أنه لم يكن بنفس حِدّة العام
الماضي، بجانب معاناتها من مرض "البري البري"؛ ففقدت شهيتها
للطعام وبدأت تشكو من الأرق، وربما عليهم أن يصطحبوها إلى
"طوكيو" في زيارة لبيت العائلة الكبير قبيل أن تشتدَّ حِدّة مرضها؛ لعلَّ
حالتها تتحسن. إنها لا تعرف "طوكيو"، وزملاؤها بالمدرسة يحسدون

مَنْ ذهب منهم للزيارة "نيچوباشي" (١)، وإن اصطحبوها في زيارة لرؤية المعالم هناك قد يساعدها ذلك بأي شكل، علاوة على أن "ساتشيقو" لم تَزُرْ بَعْدُ بيت العائلة في "شيبويا"؛ لذلك فهي فرصة مناسبة.

بهذا أصبح ثلاثتهم "ساتشيقو" و"يوكيقو" و"إتسوقو" ينتظرون بفارغ الصبر بدء شهر أغسطس للسفر، لكن بمرض المعلّمة "أوساكو" ثم رحيلها تَمَّ التأجيل، وربما يستطعن الذهاب بهذا الشهر، لكن أيضًا إذا كانت مغادرة ربّ عائلة "STOLZ" من "يوقوهاما" قُرْبَ هذه الأيام فعليهنّ الذهاب لوداعه أوّلًا، وهذا ما فُكِّرَتْ به "ساتشيقو"، ولسوء الحظ مرّةً أخرى فإن يوم المغادرة سيوافق يوم مهرجان "چيزوبون" (٢) ويتوجّب على "ساتشيقو" زيارة المعبد بدلًا من أختها الكبيرة ربة بيت العائلة الكبير وفقًا لطقوس "سجاي" (٣) المتبّعة.

بهذا الحال أصبح ما باليد حيلة، وفي يوم 17 من الشهر أقاموا حفل وداع لـ "بيتر"، ودعوا كلّ الأطفال، وبعدها بيوم -أي في يوم 19 من الشهر- أقامت عائلة "STOLZ" حفلَ شاي للأطفال، واجتمع أصدقاء "بيتر" وروزماري" الألمان، وانضمت لهم صديقتهم اليابانية الوحيدة "إتسوقو".

بمساء اليوم التالي جاء "بيتر" وحده لبيت عائلة "ماكي أوكا" ليودّعهم، وصافحهم فردًا فردًا، وأخبرهم أنه في صباح الغد سيتوجّه مع والده إلى "سان نوميا"، ومنها إلى "يوقوهاما"، ومن ثم عبّر أمريكا يصلان إلى ألمانيا في أوائل شهر سبتمبر.

(1) الحسر المردوج الذي أمام القصر الامبراطوري بطوكيو.

(2) مهرجان في 23 و24 من أغسطس يقام في كيوتو.

(3) 世がき施餓鬼 الطقوس للبوذية اليابانية أصبحت من التقاليد المتبّعة لوقف معابة الأشباح التي يعذبها جوع لا ينضب، على أن تكون هذه الطقوس لإجبارهم للعودة بأماكنهم في الجحيم ومع أرواح الموتى من السقوط في عالمهم. الاحتفال أيضًا يُعْتَبَر مناسبة رمزية لقطع العلاقات مع خطايا الماضي وتذكّر الموت.

سيسكنون في "هامبرج"، ودعاهم "بيتر" ليأتوا لزيارتهم بأي وقت، وأضاف أنه حين يمرُّ على أمريكا يودُّ شراء أي شيء لـ "إتسوقو" ويرسله لها. سألت "إتسوقو" أمها ثم طلبت منه أن يرسل لها حذاء، فطلب أن تعيره أي حذاء لها، ورجع لبيته، لكنه سرعان ما عاد ومعه ورقة وقلم رصاص وشريط قياس وقال:

"أخبرت ماما وقالت لي من الأفضل أن تأخذ قياس قَدَمِها بدلًا من أن تستعير حذاء".

وأخذ المقاس بعدما جعل "إتسوقو" تضع قدمًا على الورقة، وفعل كما قالت له أمه بالضبط، وكتب القياس وعاد.

في صباح يوم 22 اصطحبت "يوكيقو" الصغيرة "إتسوقو" إلى "سان نوميا" لوداع "بيتر" وأبيه، وبذلك المساء دار حديثهم حول طاولة العشاء عمَّا أخبرهما به الأب عن ابنه؛ فلقد قال إن "بيتر" منذ الصباح وهو يتملُّكه حُزنٌ شديد، وسأل "بيتر" "إتسوقو" متى ستذهب إلى "طوكيو"، وهل ستستطيع المجيء عند السفينة بالميناء يوم المغادرة 24، وأبدى لها رغبته في لقائها مرَّةً أخرى لو أمكن.

تحرك القطار وهو يعيد كلماته مرارًا وتكرارًا، وأصبح الأمر مُثيرًا للشُّفقة، ولكن في ذلك الحين انَّخَذَتْ "سانشيقو" من حديثه ذريعة لتقول للصغيرة:

"إنَّ كان الأمر هكذا فاذهبي للقاء "بيتر" في "يوقوهاما"."

فماذا بها إذا لم تُصمِّم أمها على ضرورة قضاء يوم 24 معها وتسمح لها بالمغادرة مع "يوكيقو" بالغد بالقطار المسائي وتصلان بصباح بعد غد إلى "يوقوهاما" وتذهبان مباشرة إلى السفينة بالميناء؟ وستلحق بها أمها في يوم 26 وتضطجعا في جولة لزيارة معالم "طوكيو" بعدما ينتظرانها هذه الليلة في بيت العائلة في "شيويوا".

أليس من الأفضل أن تسير الأمور هكذا؟...

لَحَظَتْهَا دار هذا النقاش:

"ماذا إذن "يوكيقو"... هل تغادران مساء غد؟".

"لم أقمُ مشترياتي بعد، تُرى هل سيمكنني الانتهاء منها بنهار الغد؟... إن ركبنا بالقطار المسائي ستنام "إتسوقو"، وإن غادرنا بعد غد بالصباح الباكر لن نلحق".

وظَلَّت "ساتشيغو" و"يوكيقو" باقي اليوم كُلِّه على هذا الحال، وأمضت كلتاهاما ليلتها بشعور بائس.

قالت "تائيغو" دون اكتراب:

"في الحقيقة من الأفضل المغادرة بعد غد، وليكن بالصباح الباكر مثلما فعلت حين مجيئك "يوكيقو"..."

ثم أضافت بنبرة يَغلبها المزاح:

"لِيتَه يُمْكِنُكَ التَّمَهُل، وإِثْمَا لا مفر؛ فكلُّه من أجل "بيتز" و"إتسوقو"...".

لقد جاءتهم "يوكيقو" بشهر يوليو، أي منذ ما يقرب الشهرين، وظَلَّت حينها أن الأوضاع استقرت هكذا، ولكنها ها هي الآن عليها المغادرة بعد غد، وبشكل أو بآخر ستفارق؛ مِمَّا يجعلها ينفطر قلبها. وإن كان بهذه المرة سترافقها "إتسوقو" وتلحق بهما "ساتشيغو"، ولن تتخذ طريقها بمفردها، إلا أن الأم وطفلتها لن تبقيا طويلاً، وسرعان ما ستبدأ المدارس ويتوجب عليهما العودة، ومن بعدها سيلزم عليها البقاء في طوكيو.

هكذا ظنّت "يوكيقو"؛ فوجودها في "أشييا" وعيشها مع عائلة أختها الوسطى "ساتشيقو" هو ما تبتغيه، غير أنه غني عن الذكر شأن قلبها المتعلق بأراضي إقليم "كانساي"، وكراهيتها لـ "طوكيو" وبيت العائلة الرئيسي وأخيها الكبير الذي لا تتوافق طباعها معه مُطلقًا، ووجودها في إقليم "كانتو" لا يناسب طبيعتها، وهذا ما كانت "ساتشيقو" على يقين منه واستنتجته من الموقف؛ لذلك في اليوم التالي لم تبادر بقول أي شيء عن عَمَدٍ؛ فماذا عساها أن تفعل؟ لو كان الأمر بيدها لاتَّخَذت أفضل قرارٍ تراه، وهو أن تدع كلاً من "يوكيقو" و"تاتيقو" على حريتهما، وتفعلا ما يحلو لهما.

بالصباح كانت "يوكيقو" بالبيت، والصغيرة تُلِحُّ عليها للذهاب، وقبل حلول المساء وهي كما هي على حالها ارتدت ملابسها في تَمَلُّل وجعلت "تاتيقو" تعطيها حقنة العلاج المعتاد، ودون أن تقول شيئاً لأي أحد اصطحبت "أوهارو" وخرجت، وبدون أيضًا أن تُحدِّد وجهتها.

عادت "يوكيقو" بعد السادسة مساءً تحمل الكثير من اللفائف لمشتريات من متاجر "موطوماتشي" و"دايمارو" في "قوبيه" وقالت: "اشتريت هذا وجئت".

وأخرجت من حزام رداثها اثنين من التذاكر الخاصة السريعة. المغادرة من "أوساكا" قبل الساعة صباحًا، والوصول لـ "يوقوهاما" قبل الساعة الثالثة مساءً، إذن هناك مُتَسَّع من الوقت لساعتين أو ثلاثٍ تكفي للقاء.

وانحسم الحوار سريعًا، وتلملمت الأمتعة في عجلة، وأخبروا السيدة "STOLZ" بما في نِيَّتِهِم فعله.

لم تستطع "إتسوقو" النوم من حماستها بعدما جعلتها "يوكيفو" تصعد لغرفتها دون فائدة وهي تأمرها بالنوم؛ ففي الغد عليهم الاستيقاظ مبكرًا، ثم أغلقت حقيبة ملابسها فجأة، وانتهى الأمر... كان "تينوسوكيه" بغرفة مكتبة يتفقد شيئًا ما، تاركًا الأخوات يثرثن بغرفة المعيشة حتى بعد منتصف الليل، إلى أن قالت "تائيقو" بالنهاية:

"هياً "يوكي" فلتذهبي للنوم".

وتشاءت بوقاحة.

هذه الأخت الصغيرة فيما بينهم جميعًا هي أكثر من تسيء الأدب على النقيض من "يوكيفو"، وأصبح شأنها مبالغًا فيه؛ فهي بالصيف قَائِظِ الحَرِّ كتلك الليلة انتهت من اغتسالها وارتدت الكيمونو القطني "اليوكاتا" عاريةً، وتركت حزامه دون أن تربطه؛ فكان بين الحين والآخر ينكشف نَهدُها، فتوجّه إليه نسمات مروحة يدها وهي تثرثر.

"إن كنت تريدin النوم فهيا اذهبي أنتِ أولاً أختي الصغيرة".

"وماذا عنك؟ ألن تنامي؟".

"اليوم تحرّكت كثيرًا، ويبدو أن قلبي مُنْهَك بشدّة، ولا أشعر بالنعاس".

"ألست بحاجة لحقنة؟ من الضروري أن تأخذها صباح الغد قبيل ذهابك. هذه المرة أنت بحالة مُزْرِية "يوكيفو"...".

قالتها "ساتشيقو" بعدما لاحظت ظهور تلك البقعة على وجهها بشكل خافٍ بعدما اختفت مدّةً طويلة.

"طوال هذا العام وأنا أتمنى مجيئك إلينا ثانية، والعام القادم سيكون صعبًا للغاية "يوكيفو"."

غادر السيد "STOLZ" وابنه محطة "سان نوميلا"، ولكنهما تباطأ قليلاً لينتظرا مغادرة "يوكيقو" و"إتسوقو" من "أوساكا"؛ فإن سارت الأمور وفقاً للموعد المحدد فلا بُدَّ لهما أن تستقلاً القطار في تمام السادسة صباحاً من "أوساكا".

اعتزمت "ساتشيكو" أن تودّعهما بالمنزل، لكن السيدة "STOLZ" قالت إنها ستصطحب أطفالها حتى محطة "أشيبا" لوداعهما؛ فكان عليها أن تفعل هي الأخرى، وفي الصباح الباكر خرجوا جميعهم؛ هي و"تاثيقو" و"أوهارو".

بالمحطة قالت لهم السيدة "STOLZ":

"أرسلت برقية للسفينة مساء أمس لأخبرهم بموعد القطار".

"بالتأكيد "بيتر" سيسارع بالصعود لسطح السفينة".

"أظنُّ هكذا... "إتسوقو"، أنتِ طيبة للغاية. جزيل الشكر".

وقالت السيدة "STOLZ" وقالت لأبنائها "روزماري" و"فريتز" أيضاً بالألمانية أن يشكروها.

وكانت كلمة "شكراً عزيزتي" بالألمانية: SCHATZ DANKE هي كل ما تعرفه أسرة "ساتشيكو" من هذه اللغة.

"حسنًا إذن، أمي تعالي إلينا سريعاً".

"أكيد، سآتي يوم 26 أو 27 على الأغلب".

"أكيد؟".

"أكيد".

"إتسوقو"، عودي إلينا سريعاً".

قالتها "روزماري" وهي تلاحق القطار الذي بدأ يتحرك، وحينها تذكرت "إتسوقو" بعض الكلمات الألمانية التي أجابتها بها وهي تلوح بيدها.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الرابع عشر

صباح يوم 27 وقفت "سانشيقو" بمحطة القطار السريع بعدما جمعت بالليلة الماضية أمتعتها والحقائب والهدايا التي ستأخذها معها إلى "شيبويا"، والتي كانت حوالي ثلاث حقائب، وبالطبع هي لن تستطيع التصرف بمفردها بمثل هذا الظرف؛ لذا فعليها أن تجعل "أوهارو" هي الأخرى تتجول بزيارة لمعالم "طوكيو".

لقد دار بخلدها الكثير من الترتيبات؛ فـ "تينوسوكيه" يعتني بحاله، و"تائيقو" دائماً بالخارج، ولا داعي للقلق بشأنها؛ لذا فمن الأفضل اصطحاب "أوهارو"؛ فهي ستعينها بكثير من الأشياء، وإذا سارت الأمور على ما يرام فحين تبدأ المدارس ستجعلها ترافق الصغيرة وتعود بها؛ لأنها تريد أن تبقى لحين من الوقت من بعدهم.

إنها لطالما كانت تودُّ الذهاب لـ "طوكيو" وبما أن الفرصة سنحت أخيراً فلتتمهل وتذهب لمسارح أو غيره...

"آآآآ... أوهارو أيضًا جاءت".

قالتها "إنسوقو" بعدما جاءت لمحطة "طوكيو" مع "يوكيكو" و"ترو أو"، الابن الأكبر لخالتها ربة بيت العائلة الرئيسي، ورأت "أوهارو" خلف أمها دون أن تتوقع؛ فتعالت صيحاتها في مرج، وبطريقهم بعدما استقلوا سيارة أجرة قالت:

"انظروا هناك... المبنى الدائري وقبالة القصر الإمبراطوري".

وارتسمت على وجهها ملامح الكبار، وبدت معنوياتها مرتفعة، وعلى الفور لاحظت "سانشيكو" لون وجنتيها المفعم بالحوية وتحسن حالتها الذي اتضح من لون بشرتها وعينيها.

"يا "أوهارو"... اليوم استطاعت "إنسوقو" رؤية جبل "فوجي"".

"نعم بالضبط، لقد رأيت من قمته لأسفله. كانت الغيوم أقل مما هي عليه الآن، ورأيت قمته".

"حقًا! ترى هل سيكون حظ "أوهارو" جيدًا بالمثل؟".

بوصول السيارة إلى "هوري باتا" أخذ "ترو أو" قبضته وأشار لهم:

"هيا، "أوهارو"... انظري هناك. إنه جسر "نيچوباشي"".

وقالت "يوكيكو":

"لقد جئنا سابقًا ونزلنا من السيارة وألقينا تحية الإجلال".

"بالضبط، بالضبط أُمي...".

"ومتى كان هذا؟!".

"سابقًا... بالضبط يوم 24، مع السيد "STOLZ" و"بيتر" و"يوكيكو"، واصطففنا لنحنى ونؤدي تحية الإجلال".

"حقًا! السيد "STOLZ" جاء الى "نيچوباشي"؟".

"نعم؛ لقد اصطحبتنا "يوكيقو".

"وهل كان لديهم مُتسع من الوقت؟".

"كان الوقت ضيقًا، والسيد "STOLZ" ينظر لساعة يده باستمرار، لكنه لم يُمانع...".

بذاك اليوم، هرولت "يوكيقو" و"إتسوقو" سريعًا، واندفعتا نحو مصدّات الأمواج، وانتظرهما السيد "STOLZ" وابنه على متن السفينة متلهفين وصولهما، وعرفت منهما "يوكيقو" أن المغادرة في الساعة مساءً، ولا يزال هناك حوالي أربع ساعات، فاقترحت عليهم الذهاب لاحتساء الشاي في "NEW GRAND"، وطالما الوقت مُبكرٌ فليتجولوا بالقطار في طوكيو أولًا، ولكن جولة القطار هذه تستغرق ساعة، وسيتبقى لديهم ثلاث ساعات؛ لذا فمن الأفضل أن يأخذوا الجولة بسيارة أجرة ويشاهدوا المعالم السياحية بالجوار، وهذا ما استقرّوا عليه.

لم يذهب "بيتر" ولا والده إلى طوكيو من قبل، و"يوكيقو" أصبحت تعرفها، وتردّد السيد "STOLZ" بعض الشيء، لكن أمام إلحاح ابنه وافق، واستقلّوا سيارة من "ساكورا جي" إلى "أوراكو"، واحتسوا الشاي أولًا في فندق "IMPERIAL HOTEL"، ثم انصرفوا في الرابعة والنصف ليستكملوا جولتهم بالسيارة في عجلة.

بدؤوا بزيارة جسر "نيچوباشي"، وأدّوا تحية الإجلال، ثم بالسيارة حينًا وعلى أرجلهم حينًا آخر زاروا المبنى المستدير، المسرح الإمبراطوري، متنزه "هيبيّا"، وزارة العدل، وزارة القوات البحرية مقر رئيس الوزراء، البرلمان الإمبراطوري، ووزارة الدفاع، وبأقصى سرعة أمّوا جولتهم السياحية ووصلوا إلى محطة "طوكيو" في الخامسة والنصف، أرادت "يوكيقو" العودة مرة أخرى إلى الميناء معهم، لكن السيد "STOLZ" ألحّ عليها بالأّ تفعل؛ فالصغيرة سيغلبها الإنهاك، خاصّة

وأنهم يتحركون بنشاط هنا وهناك منذ الصباح الباكر؛ فاكتفوا
بوداعهم عند المحطة وافترقوا.

"هل كان "بيتر" فَرِحًا؟ "طوكيو" عظيمة، وأراها أثارت دهشتك يا
"إتسوقو"، أليس كذلك؟".

"فعلًا، بها المباني الكبيرة بكل مكان... "بيتر" أباه يعرف أوروبا،
ولكنه هو لا يعرفها مثلما يعرف "مانيلًا"، "قوبيه" و"أوساكا".

"وهل وجد "طوكيو" كما تَوَقَّعها؟ وأنت، ماذا عنك يا "إتسوقو"؟".

وهنا تدخل "ترو أو" بالحوار ليُجعل منه جدلاً طفوليًا:

"إتسوقو ليست يابانية، أنا أعرف من قبل".

"ولماذا؟ أنا أعرف، "طوكيو" بمفردي وتحملتُ وحدي عناء الشرح
له".

فسأل "ترو أو" خالته:

"حقًا؟! هل فعلت؟ شرحت باليابانية؟".

"نعم، بالضبط، أنا التي شرحتُ لـ "بيتر" وهو كان يترجم لوالده،
حتى كلمات: "مقر رئيس الوزراء" و"البرلمان الإمبراطوري" عرفتُها،
ولكنه لم يفهمها؛ لذلك من حين لآخر كنّا نستخدم الإنجليزية...
"يوكيقو" تعرف مثل هذه المفردات جيّدًا بالإنجليزية".

واستمر "ترو أو" في مضايقتها، وكان يتحدث لكنة "طوكيو" بمهارة،
فقال:

"تمزجين بعض الكلمات الإنجليزية باليابانية، وتعرفين كلمة "البرلمان
الإمبراطوري" لكن كلمة "مقر رئيس الوزراء" سترجميها طبعًا لـ "هنا
يوجد السيد حارس الإمبراطور" أليس كذلك؟".

وتدخلت أخيرًا "يوكيقو" بالحوار، وأضافت:

"مهلاً، "إتسوقو" أيضاً تعرف الألمانية واستخدمتها. قُلْتِ AUF WIEDERSEN أليس كذلك؟".

"نعم، قُلْتُهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ وأنا أودَّعهم بالمحطة، مع أن السيد "STOLZ" كان يردُّ بالإنجليزية...".

كان من الطبيعي أن تُقَلِّل "ساتشيقو" من كلماتها وهي تتخيَّل كيف كان غريباً ذاك المزيج؛ "يوكيقو" بملابسها الحريرية الخفيفة بنقوش طباعة "YOZEN" التي تتمعَّن بكل كلمة، وتسحب بيدها "إتسوقو" بملابسها الغريبة التي ترشد الصبي بضِبة الرجل الأجنبي الأنيق. يدخلون فندق "IMPERIAL HOTEL" وتحيطهم المباني الضخمة في شارع الهيئات الحكومية. تخيَّلت "ساتشيقو" مدى انزعاج السيد "STOLZ" والأطفال بنضمُّون إليه في احتساء الشاي وهو يتفَقَّد الوقت بساعة يده كل لحظة، ثم يتجوَّل معهم مُتَوَثِّراً وهو ملتزم الصمت.

خَمُنَتْ "ساتشيقو" كمَّ الحماقة والمضايقات التي ستشعر بها لو كانت بمكانه...

"أمي، هل رأيت معرض الصور ذلك من قبل؟".

سألَتْها "إتسوقو" حين اقتربت السيارة من ساحات الحدائق:

"جئنَه من قبل يا أمي أليس كذلك؟ هيَّا، ساعدي المُغتربين وإفِدي القُرَى".

لكن "ساتشيقو" لم تكن على عِلْمٍ بـ "طوكيو" إلى هذا الحَدِّ. هي بالكاد جاءت مرَّةً أو مرَّتَين منذ زمن بعيدٍ، حين كان يصطحبها والدُهم لزيارة العاصمة وهي في السابعة عشرة من العمر تقريباً، ويبيتون ليلتهم في نُزُلٍ بحَيِّ "تسوكيجي". حينها ذهبت لترى كُلَّ مكان، لكن ذاك كان قبل زلزال 1923 العظيم، وبعد إعادة إعمار

العاصمة الإمبراطورية لم تتعدَّ زيارتها بضَعَّ لِيَالٍ، أمضتها في فندق "IMPERIAL HOTEL" برحلة شهر العسل، أي أنها لم تَرَ "طوكيو" منذ ولادة "إتسوقو" من تسع سنوات.

إنها في البداية كانت تسخر من شأن "إتسوقو" و"بيتر"، لكنها في الواقع هي ذاتها حين تحرك القطار من محطة "شينبashi" وحتى وصل إلى محطة "طوكيو" شعرت من مشهد العمارات الشاهقة البازغة على جانبي خط السكة الحديد وكأنها تلمس مظهرًا مهيبًا للعاصمة الإمبراطورية التي تفتقدها من زمن، ولم يسعها أن تصف مدى ما شعرت به من حماسة. وإن كان بهذه الآونة "أوساكا" تتم بها توسُّعات في "ميدوسوجي" وجزيرة "ناكانو"، وحتى رصيف الميناء أصبحت به المباني الحديثة متراصة جنبًا إلى جنب، وهناك مبنى "أساهي" ذو العشرة طوابق، والإطلالة العالية من الأفق بمطعم "الأسكا"... كلها معالم رائعة، وإما مهما كانت فهي لا تصل لمستوى "طوكيو".

لقد رأت "ساتشيقو" العاصمة الإمبراطورية "طوكيو" بعد الإعمار، لكنها لم تتخيَّل أن أحوال التطوير والتجميل بلغت هذا الحد؛ فحين حدَّقت في المشهد من خط السكة الحديد العالي رأت "طوكيو" أخرى لا تعرفها، واستقبلتها الأبراج الشاهقة، وودَّعَتْها واحدًا تلو الآخر، وفي المساحات الفاصلة بين المدن تراءى لها وميض برج القمة الخاص بمبنى البرلمان. إنه بنفس ارتفاعه منذ تسع سنوات.

بتلك الفترة لم تكن العاصمة الإمبراطورية فقط هي التي تغيَّرت، بل "ساتشيقو" أيضًا تغيَّرت هي وكل ما حولها، وها هي تسترجع كل ما طرأ على أسرتها من مُتغيَّرات، ويبقى للأمانة أيضًا أنها تظل لا تحب "طوكيو"، بل وترى أن سحرها يكمن بقلعة "يوشيدا" الرائعة، وتحديدًا

في أشجار الصنوبر التي تحيطها. إنها تتمثل بها معايير تشييد القلاع بعصر إيدو، وتقع مكانها مُحْتَضَنَةً مشهد المباني الشاهقة المبهرة. إنه مشهدٌ لا مثيل له بـ "أوساكا" أو حتى "كيوتو"، ولا تمل منه أبدًا.

من الأدعى قول إنه لم يَتَسَنَّ لها الاقتراب من "طوكيو" هكذا من قبل. "جينزا" وطرقات "نيهون باشي" كلها مذهلة حقًا، وإعماشيء ما بالهواء يجعله جافًا تمامًا؛ ممَّا لا يدع مجالًا لكل مَن يشبهونها لتفضيل السُكنى بمثل هذه المناطق، وهي تعي ذلك جيّدًا، لكنها اليوم تريد التجوُّل في شوارع "أوو ياما" قاصدة "شيبيويا". بالرغم من ذلك، تهبُّ في المساء نسائمٌ باردة وكأنها تأتي من مكان بعيد كلُّ البعد عن هنا.

لم تتذكّر "ساتشيكو" ما إن كانت تجوَّلت بهذه الشوارع من قبل؛ فالطرقات الماثلة أمام ناظرها تختلف كل الاختلاف عنها في "قوبيه"، "أوساكا" وحتى "كيوتو" التي هي أشبه بمناطق التوسّعات الجديدة في الشمال في "هوكايدو" و"مانشو" عن "طوكيو".

حتى الضواحي والمناطق النائية بالأحياء التي تشغل حيّزًا بطوكيو الكبرى، وبكلِّ مكان المحالِّ التجارية تصطفُّ على نفس المنوال، وبنفس الصخب؛ ممَّا جعلها تفتقد وجود مكان ما هادئ رطب، ورأت الناس بالشوارع وجوههم وكأنها باردة وتشعُّ بياضًا... تُرى لماذا؟

جاء لمخيِّلَتها نشوة لمسات الهواء وبهجة ألوان الأرض والسماء في "أشييا" حيثما نقطن؛ ففي "كيوتو" إن ذهبتي لأي شارع حتى لو صدفة لأوّل مرّة ستشعر باللفة وكأنك تعرف هذا الطريق جيّدًا من قبل، وتجد نفسك تريد أن تبدأ الحديث مع الأشخاص من حولك، أمّا في "طوكيو" فأينما تذهب لن تشعر بصِلَةٍ تربطك بأي شيء. أراضيها صارمة باردة.

"ساتشيقو" في مثل هذا الإقليم ومثل هذه المدينة تجدها ابنة "أوساكا" النقيّة. إنها تتعجّب من حال أختها الكبيرة، وكيف لها أن تنوّه من نفسها وترتبك وتسكن هنا الآن.

تجوّلت السيّارة بشوارع لم يروها حتى بأحلامهم، وستوصلهم سريعًا لبيتهم، المكان الذي تكرهه أمّه وخالته وهو لا يدري أبدًا كيف لهما ذلك.

هي كان لديها إحساس مُمائلٌ تمامًا وظلّت تفكّر مهما كان، فكيف لأختها أن تتأقلمًا بالعيش هنا وحتى لحظة وصولهم بالفعل وهي تشعر وكأن كل شيء ليس بحقيقي.

قطّعت السيّارة شوارع "دوجنزاكا"، وانحرفت يسارًا في شارع سَكَنِي هادئ، وفجأة هرع للسيارة يحاوطها من كل جانب ثلاثة أطفال في حوالي العاشرة من العمر.

"خالتي خالتي".

"خالتي خالتي".

"أمي بانتظارك".

"ها هو بيتنا".

"احترسي، احترسي، ابقِي عندك هناك".

قالتها "يوكيقو" من داخل السيارة التي للتوّ بدأت تُبطئ من سرعتها.

"ها هم... أختي الكبيرة وأطفالها، وأكبرهم "تسو أو".

"قصدك "هديو".

وصحَّح لها "ترو أو" الذي برفقتهم وأضاف قائلاً:

"هيديو، يوشيو، ماسا أو... كلكم كبرتُم... عجبًا، تحدَّثونني بلكنة "أوساكا"."

"كلهم يتحدَّثون لكنة طوكيو بطلاقة، ولكنهم يُعبِّرون عن ترحيبهم بخالتهم".

الفصل الخامس عشر

سمعت "ساتشيقو" بأحوال أختهم الكبيرة بيت "شيبويا" من "يوكيقو"، وبوصولهم شاعت الفوضى بكل مكان بسبب الأطفال، حتى إنه لم يكن هناك موطن لقدم، لكن الوضع كان بخلاف ما ظننته تمامًا.

بالطبع كان المنزل على طراز البناء الحديث، ولا يمكن اعتباره غير مُشمِس، أعمدته رفيعة، عوارضه رديئة، ويبدو عليه أنه بيت مُستأجر متواضع.

الأطفال يهرعون لنزول درجات السُّلم، وكل أرجاء المنزل تصيبك بالدُّوار.

الأبواب الجرزرة الورقية مُمزَّقة ومُلصَق عليها أجزاء جديدة رخيصة بيضاء، تجعلها تبدو مُزريّة أكثر ممّا هي عليه، ومُخجلة.

وإن كانت "ساتشيقو" تكره تقسيمة عُرف منزلهم المعتم القديم ببلدة "أويه هون"، والذي عفا عنه الزمن، إلا أنها بالتأكيد كانت تنعم فيه بهدوء واستقرار لم تهناً به هنا، وحتى وإن كان ذاك البيت بحالته العتيقة المعتمدة تلك، إلا أنه كان به حديقة خاصة، وغرفة خلفية للشاي، والشمس عادة ما تتخلَّل أشعَّتُها الجذوع الضخمة للأشجار، وتضيء الحديقة، ودائمًا ما تجد نسمات الهواء أمام المخزن الأرضي، وبكل مساحة شاغرة على حواف الجدران تراصت أحواض الورود بما لا يدع لك مجالاً لتطلق عليها حديقة... كم اشتاقت لهذا المشهد حين تراءى أمام عينيها الآن.

فتحت الأخت الكبيرة "تسوروقو" الغرفة اليابانية الطراز بالطابق الثاني التي تدَّعُها للضيوف بعيد عن ضجيج الأطفال بالأسفل لاستضافة "ساتشيقو" التي حملت حقائبها ولحقت بها. رأت بين السريرين بروازًا مُعلَّقًا لأسماك السلمون بريشة "سييه هوه"⁽¹⁾.

لقد كان والدهم يجمع أعماله الفنية لحين من الوقت، وتمَّ بيع أغلبها وقت ترتيب أغراضه بعد وفاته وهذه اللوحة فقط هي التي تبقَّت مع واحدة أخرى تذكَّرتها الآن ووجدت أيضًا من مقتنيات أبيها "كتابات رايشونسوي"⁽²⁾، المنضدة القرمزية التي أمام البرواز، الرف الذهبي اللون المعلق على الجدار بالساعة الممتوضعة عليه.

كل شيء من هذا مجرد أن رآته تبادر لمُخيلتها مكانه ببيت "أويه هون" وكأنها رؤيا تجتاح كل خلاياها.

جاءت أختهم الكبيرة بهذه الأشياء خصيصًا من أوساكا كتذكاري من عهدهم بالعزِّ والرفاهية في أيام مَضَّت، واقتربت "ساتشيقو" وأمعت

(1) せいほう 栖鳳 رنَّام ياباني شهير في عصر مييجي وأوائل عصر شووا 1862-1942

(2) らいしゅんすい 頼春水 أحد شعراء الكنفوشيسية في عصر إيدو

النَّظَر بكل شيء وهي تتمنى لو أن مثل هذه التَّحَفْ بغرفة صالون للضيوف وليست بمثل هذه الغرفة الرتيبة. بخلاف وجهة نظرها؛ فحقًا هذه الأشياء لا تُجدي نفعًا بغرفة تقليدية من الحصر، بل هي تجلب تأثيرًا عكسيًا. إنها تظهر كمّ بخس ذاك الأثاث تحديدًا، وأنه لمن الغريب وضع هذه التحف الثمينة وجلبها لهذا المكان بضواحي طوكيو، إنها تبدو كما لو أنها ترمز لحال الأخت الكبيرة.

"ها أنت ذا... لقد ربّيت لي أغراضٍ بعناية رغم كل شيء."

"فعلًا... حين وصلت الحقائق فكّرت أن أضعها لك فقط، ولكن البيت ضيق، وإن كدّستها بالجوار فوق بعضها البعض سيضيق أكثر؛ فرتبّتها هنا."

بدأت بهذا المساء ثرثرة الأختين، لكن صعد إليهما الأطفال وتشبّثوا بعنقيهما بشكل خانق، وتمسكوا بهما لتنزلا للأسفل؛ فكان لا مفرّ من أن تنهال عليهم أمّهم بكلمات التوبيخ كالمعتاد كي لا تتجعّد ثياب خالتهم.

"ماسا أو"، هيّا انزلي، اذهب هيّا وأحضري لخالتك شيئًا باردًا تشربه، أخيرًا "هيسا" هيّا، اسمع كلام أمك."

هكذا قالت "تسورو" وأمسكت بطفلتها "أوميه" التي لم تكمل الرابعة من عمرها بعد.

"وأنت يا "يوشي أو"، هيّا اذهب للأسفل وأحضري لي مروحة يدي. "هيديو"، ألسنت أنتِ الاخ الكبير؟ هيّا، الكبير لا بُدَّ له أن ينزل أولًا. أمك تفتقد الحديث لخالتك، وهي لا يمكنها أن تتحدث وأنتم لصيقون بها هكذا."

"هيديو"، كم عُمرُك الآن؟"

"عندي 9 سنين."

"9 سنين! أصبحت كبيرًا الآن. حين رأيتك عند البوابة ظننتُك "تتسو أو"."

"نعم، كبرت بنيتُهُ، ولكنه يظل بجواري ولا يفارقني حتى بطعامه. إنه فعلاً يشبهه أخاه الكبير قليلاً... لكن ما إن يصبح بمثل عمره حتى يستعدُّ للمدرسة وينشغل بالذاكرة، ولن يكون صبيًا مشاغِبًا هكذا."

"مَن عندك من الخادِمات الآن؟ "هيسا" فقط؟"

"نعم، كان هناك "ميو" أيضًا، ولكنها مؤخرًا طلبتِ العودة إلى "أوساكا"، وللتَّو أصبحت "أوميه قو" يمكنها السير وحدها، وأظنني بحاجة لمربية أيضًا". تأكَّدت "ساتشيقو" من أن أختها تنهكها أعمال المنزل، لكنها بالرغم من ذلك رأتها تعتني بحالها، مُهندَمة حتى في تصفية شعرها، على عكس ما ظننتُ؛ فـ "تسورقو" لا يمكنها أبدًا أن تنسى آداب السلوكيات المتَّبعة مهما حدث. إنها ترعى زوجها وستَّة أبناء، أكبرهم بعمر الخامسة عشرة، ثم الذي يليه بعمر الثانية عشرة، ثم تسع سنوات، ثم سبع وست سنوات، وأخيرًا طفلة بعمر أربع سنوات، ولا يساعدها سوى خادمة واحدة. المثير للدهشة هو أنه كان من الأدعى لها أن تكون قد اكتسبت عشر سنين فوق عمرها الحقيقي وتفقد اهتمامها بمظهرها، لكنها لا تزال تبدو أصغر من عمرها بخمسة أو ست سنوات على الأقل، وستكمل هذا العام الثامنة والثلاثين من عمرها.

عمومًا فيما بين الأربعة أخوات بعائلة "ماي أوكا" فأكبرهم "تسوروقو" والثالثة "يوكيقو" هما الأكثر شبهاً بأُمهم؛ أمَّا الثانية "ساتشيقو"، والأخيرة "تائيقو" هما الأكثر شبهاً بأبيهم. ولأنَّ أمَّهم كانت من "كيوتو" فالأختان الأكثر شبهاً بها هما مَن تبدو على ملامحهما

عَبَّقُ فتيات "كيوتو". الاختلاف بينهما فقط هو أن "تسوروقو" اجتمع بها كل المميّزات؛ قامتها أطول "من" "ساتشيقو" بنفس النسبة التي يقتضيها ترتيبهما، حتى إنها تبدو أطول من زوج أختها إن سارت بجواره، والذي يعتبر أخاها الصغير بالقانون، وهذا ليس فقط، بل بنيتها الجسمانية هي الأغنى شحومًا على أكتافها وساقها كفتيات "كيوتو" عن حقٍّ، فهي ليست هزيلةً مثل "يوكيقو"، ضئيلة بنيتها، دقيقة عظامها بشكل مثير للشفقة.

في حفل زفاف أختهم الكبيرة و"ساتشيقو" فتاة في الحادية والعشرين من العمر لا تبرح مقعدها، كانت عروسًا في غاية الجمال؛ ملامحها واضحة، وجهها طويل، أما شعرها فكان كفتيات عصر "هيان" قديمًا؛ إن وقَّفت يكاد يصل للأرض، وتعقسه لأعلى بربطة لامعة، ودا فعلاً رائعاً، وهي مبهرة، ولها هيبة بثوب زفاف تعجز عن وصفه الكلمات، وكان حفل الزفاف عظيم الشأن لا يُنسى أبدًا.

قيل إنه أصبح لساتشيقو وأخوانها أخ غير شقيق، وهو عريس أختهم الفاتنة، واستمعوا لما دار حولهم من أحاديث حو، شركته وبلدته مسقط رأسه، وكثير من الكلام من ذاك القبيل الذي تهامس به أصدقاؤهم الحضور.

مضت الأيام وخاضت الأخت الكبيرة متقلبات الحياة طول خمس عشرة سنة تقريبًا. أصبح لديها ستة أبناء، ولم يستمر مد حياتها مُرفَّهاً كالسابق، وزادت الأعباء، ورغم عدم تألقها كسابق عهدها، إلا أن نعمة قوامها وطولها تضي عليها قدرًا من الحيوية للآن.

هكذا ظنَّت "ساتشيقو" وهي تتأمل "أوميه قو" يبشرتها البيضاء الصافية، وهي في حجر أمِّها تصقُّ بكفَّيها وتربّت بهما برفق.

أشفق "تينوسوكيه" على حال الأخت الكبيرة حين توجَّهت زوجته مُصطحبة طفلهما والخادمة للمبيت لديها في "شيبويا"، واتفق مع

"ساتشيقو" أنه فور ما تتسبَّب بمتابعب أو بالأكثر بعد ليلة أو اثنتين تذهب لنزل "هامايا" في حي "تسوكيجي"، وهو سيَتَّصِلُ بمالكة النُّزل، أو سيرسل لها برقيةً مُجرَّد أن تطلب منه.

في البداية لم توافقه "ساتشيقو" الرأي، ولم تكن لديها نيَّة المبيت بنُّزلٍ هي وابنتها فقط لحالهما؛ فبيت "طوكيو" ملائم للثروة مع أختها التي تفتقدها منذ زمن؛ ولهذا أيضًا اصطحبت خادمتها، فوقما تجد أي صعب ستجعلها تساعد بأعمال المطبخ، لكن بعد يومين والحال كما هو عليه أدركت أنه من الأفضل لو اتَّبعَت نصيحة زوجها فالأطفال في العادة ليسوا بمثل هذا الإزعاج والآن هم بالإجازة الصيفية، وجميعهم بالبيت، ومن الصباح الباكر وهم في صخب، وإن كان كما تقول أختها وفي غضون أيام سينعمون ببعض من الهدوء وقت الظهيرة حين يذهب الكبار للمدرسة، إلا أن الثلاثة الصغار الذين لم يرتادوا مدرسة بعد هم حقًا لا يفارقونها ولا يدعونها تهنأ بأي وقت شاغر.

جَرَت العادة بتلك الأيام أن تأتيها "تسوروقو" بالطابق الثاني ليثرثرا، وفي التَّوَّ يأتِي الثلاثة أطفال يلاحقونها، ومهما قالت لا يطيعونها، فتمسك بهم وتنهال عليهم بالضرب على مؤخراتهم، وتعاقبهم، فتزداد الضوضاء أكثر وأكثر، ويعلو الصراخ وصيحات البكاء، ويستمر الوضع هكذا طوال اليوم.

"ساتشيقو" تعرف أن أختها دائمًا ما تتسرَّع بعقاب الأطفال منذ كانت بـ "أوساكا"، وتعني أنها إن لم تتصرَّف بهذا الأسلوب ستفقد سيطرتها عليهم.

بهذا لم يكن هناك مُتَسَّع من الوقت للتحدُّث أو الاستجمام.

"إتسوقو" خلال هذه الأيام جعلت "يوكيقو" تصطحبها في جولة لترى معبد "سِنجاكوجي" والمعبد الشتوي "ياسوكوني"، لكنها كانت

تشعر بالتعب سريعًا، ولا يمكنها مواصلة السير في همة وقتما يشد الحرُّ.

كان هناك سبب آخر "لساتشيقو" يجعلها تتجنب فكرة الإقامة بنزل، وهو أنها تريد لابنتها التي لم تعرف شعور وجود أخوة أن تجعلها يمثل هذه الفرصة تصادق أولاد خالتها، لكن الصغيرة "إنسوقو" استغربت وجود طفلة أصغر منها، ولسوء الحظ أيضًا الطفلة الصغيرة "أوميه قو" كانت شديدة التعلُّق بأمِّها، وحتى ليست كذلك مع "يوكيقو"، فكان الأمر أكبر من أن تتعامل معها "إنسوقو". فوق ذلك كله كانت المدارس على وشك البدء، وإن لم يعودوا سريعًا ستغادر "رومي" أيضًا إلى مانيلا... وانتهى الأمر بهمسات "إنسوقو" المتكررة. إنها لم تنشأ على مثل هذه الطريقة، فكانت بمجرد أن تبدأ خالتها بأسلوبها المتَّبَع في الضرب والعقاب ترتعب وتختلس النظر لخالتها بعيون زائغة.

إن "ساتشيقو" فيما بين أخواتها جميعا هي الأكثر تساهلًا في كثير من الأمور، وفي الغالب هذا هو ما أدَّى لشعور ابنتها بالاستياء، وهذا أيضًا ما أثر سلبيًا على مرضها وما تعانيه من انهيار عصبي.

قلق "ساتشيقو" من كل هذه الأشياء جعلها تفكر في ألا تدعها تعود برفقة "أوهارو" من قبلها، لكن تظلُّ المشكلة الأكبر هي الطبيب "سوجي أورا"، الذي جاء من "طووداي" من أجلهم، بعدما تعرَّف على حالتها من الطبيب "كوشيدا"، وإن لم يلتقوه بأوائل سبتمبر أثناء رحلتهم فهو لن يعود لطوكيو ثانية، وإن لم ينتظروه فلن ينالوا الغرض من اصطحاب إنسوقو لطوكيو بالأساس.

ظَلَّت "ساتشيقو" في حيرة من أمرها لا تدري إن كان من الأفضل الانتقال إلى النزل ما إذا كان بقاؤهم سيطول أم تبقى ببيت أختها. إنها لم تذهب من قبل لذلك النزل الذي يُدعى "هامايا"، وإنما

مالكته في الأصل كانت نادلّة في فندق "هاريهان" بأوساكا، وتعرف والدها حقّ المعرفة، والعلاقة بينهما كانت مألوفةً بعبارة أبيها. جاء بحديث زوجها أن النزل في الأساس كان صالّة لقاءاتٍ ثم تحوّل للنزل، وأعداد الغرف به قليلة، ونزلاءه في الغالب هم أصدقاء مقربون من أوساكا، والخدمات به غالبًا ما يستخدمون لكنة أوساكا، والمبيت بتلك الأجواء تسوده الروح الأثريّة ولا يشبه طوكيو، وظنّ زوجها أن هذا ما ستفضّله، لكن "ساتشيقو" كلما رأت كيف تُعاملُها الأخت الكبيرة من كل قلبها يصعب عليها الأمر، غير أن زوج أختها نادرًا ما يأتي على العشاء؛ لذا كانت حينًا تدعوها لمتجر بطوكيو سمعوا عنه من قبل يُدعى "فوتابا" بمنطقة "دوجنزاكا"، وحينًا آخر تتولّى الدعوة لعشاء بمأدبة صغيرة في مطعم صيني بالجوار يُدعى "بكين تي"، وتقول من أجل "إتسوقو": "سأصطحب أطفالًا أيضًا".

كان الأخ الكبير بطبيعته شخصًا مُحبًا للترف، حتى وإن قيل عنه إنه أصبح بخيلًا مؤخرًا، إلا أنه في حفاوته لم يتغيّر عن ذي قبل، وتبقى هذه عادته المتبّعة نحو أخواته بالقانون، والتي تجعلهم يعتزّون به.

لا تدري "ساتشيقو" هو أيّهما؟

هل هو الأخ الأكبر بالقانون، الذي تقلق عمومًا من علاقته التي ليست على ما يُرام مع الأختين الصغيرتين، أم هو حقًا ما يظهره لهم الآن؟

لقد اصطحب "ساتشيقو" وابنتها و"يوكيقو" كثيرًا لمطاعم صغيرة مُميّزة في أحياء المتعة؛ فهنّ يَكدن لا يعرفن سوى المطاعم الشهيرة مثل "تسورويا" و"بانهان". إن "طوكيو" تشتهر بالمطاعم الصغيرة الشهية عن المطاعم الراقية الفخمة، وهو كان يعتني بزوجته وطفلتها وضيوفهم جميعًا أولًا عن آخر.

”ساتشيقو“ أيضًا ليس لها تجربة من قبل بأيّ منهم، فلتستكشف
نكهة طوكيو برفقته“.

هكذا قالت تسوروقو وهي تستمّيحهم عُذرًا لتغيّب عن صحبتهم
بهذه الليلة وتدع ساتشيقو ويوكيقو مضيّان الأمسية بصحبة أخيهما
الكبير ليتناولوا لذيذ الطعام بالجوار دون تكلف.

استرجعت ”ساتشيقو“ الذكريات وكلها حنين وفتما جاءهم زوج
أختها وأصبح ابنًا لأبيهم بالتبني، وأخًا لهم بالقانون، وكانت تتأمر
مع أخواتها الصغار عليه بخُبثٍ، وعرفت أختهم الكبيرة لاحقًا، وبكت.
لقد شهدوا منه مواقف كثيرة وهو يعاملهم بحساسية أكثر من
أختهم، وعرفوا أن من محاسنه رِقّة قلبه. لا يمكن لـ ”ساتشيقو“ الآن
أن تتعامل بخُبثٍ كسابق عهدها، وهي بنت بحياة أبيها، وبالتأكيد
بهذه المرة لا سبيلَ أفضل من المبيت عندهم، وهي تنوي المغادرة
فور انتهاء الفحص الطبي للدكتور ”سوجي أورا“ وتعود لأوساكا بأقرب
وقت مُمكن.

استغرقت ”ساتشيقو“ بأفكارها، وبالنّهاية قضت أيامها طوال شهر
أغسطس ببيت ”شيبيويا“.

الفصل السادس عشر

حلّ مساء ذاك اليوم المشرق، اليوم الأول من شهر سبتمبر، بتلك الليلة بعدما انتهت الستة أطفال ومعهم "إتسوقو" من طعامهم تناول الزوجان العشاء بالمنزل بصحبة "ساتشيكو" و"يوكيكو"، وكان ذاك اليوم تحديدًا يوافق ذكرى الزلزال العظيم، فانتقل حديثهم عن الزلزال للإعصار الجبلي الذي حدث مؤخرًا.

تطرقّ بهم الحديث وهم حول مائدة الطعام لتفاصيل الكارثة التي تعرّضت لها "تائيكو" وما بذله المصور الشاب الذي بدّعى "إيتاكورا" من جهد عظيم، وانتهزت "ساتشيكو" الفرصة وقالت إنه لمن حُسنِ حظّها أنها لم تخض تجربة مُخيفةً هكذا، وروت بالتفصيل ما حدث وقتها، وكان ذاك بمثابة تمهيد وحديثهم كأنه نبوءة.

وما أشبه تلك الليلة بالبارحة.

ليلة بعصرٍ مضى منذ سنوات طويلة هُبَّت بها رياح عاتية لإعصار "التايفو"، وضربت إقليم "الكانتو" بأكمله، و"ساتشيقو" كل حدود صِلَتِها بالأمر أنها كانت طفلة حديثة الولادة عاشت الرعب لبضع ساعات؛ فـ "ساتشيقو" ربيبة إقليم "كانساي" الأقل تضررًا دائمًا من الأعاصير، لا تدري بوجود مثل تلك الرياح المخيفة؛ لذلك كانت المفاجأة كبيرة، ولو أنها منذ أربع أو خمس سنوات، ربما بخريف عام 1934 عاصرت الرياح العنيفة التي اقتلعت كل شيء بالجبال الشرقية في "كيوتو"، وانهار على إثرها برج معبد "تننووحي"، ولا تزال عالقة بذاكرتها تلك الدقائق المرعبة، ولكن بذاك الوقت لم يلحق بمحيط "أشييا" أذى بالغ، وحينها عندما قرأت بالصحف عن انهيار برج المعبد لم تكن تدري بعد أن قوة الرياح بلغت ذاك الحد، وبالطبع ما تشهده بـ "طوكيو" هذه المرة ليس هناك ما يضاهيه.

بالحقيقة مع كل تلك الذكريات العصيبة انتابهم قلقٌ عارٍ من ألا يحميهم البيت ويصمد أمام مثل هذه الرياح؛ ممَّا ضاعف من فرعهم. ومُجددًا يعيشون قوة رياح عاتية بمرتها الوحيدة التي باتت فيها بيت "شيويوا". أساساته الرديئة جعلتهم يشعرون بتلك القوة أضعافًا مضاعفة. هُبَّت الرياح قبيل خلود الأطفال للنوم، وكانت قرابة الساعة التاسعة مساء، لكن الوضع أصبح مُروِّعًا بحوالي الساعة العاشرة. كانت "ساتشيقو" تنام بالغرفة اليابانية الطراز بالطابق الثاني برفقة ابنتها و"يوكيقو"، وبذلك الليلة أيضًا، في البداية كان ثلاثهم بالغرفة، وحين اشتدَّت الرياح بدأ البيت يترنح، وتشبَّنت "إتسوقو" بأمها، ونادت على "يوكيقو" وجذبتها لتأتيها على سرير أمها، وانغمست بينهما وحاوِطت رقبة كليهما بذراعيها.

كلَّما صرخت "إتسوقو" وصاحت: "خائفة" حاولت ساتشيقو و"يوكيقو" تهدئتها بقول:

"اهدي، سيتوقف على الفور... لا داعي للخوف"، ورَدَدَتَا كَلَامًا مِنْ ذَاكَ الْقَبِيلِ، وَظَلَّتْ "إِسْوَقُو" مَتَشَبِّهَةً بِهَمَا بِنَفْسِ الْقُوَّةِ.

التصقت وجوه ثلاثتهم، مُحْتَضِنَاتٌ بَعْضُهُنَّ الْبَعْضَ، وَكَأَنَّهُنَّ كِيَانٌ وَاحِدٌ. كَانَتْ الْغُرْفَةُ الْآخَرَى الَّتِي بِجَوَارِهِمْ فِي الرَّدْهَةِ أَكْبَرُ، وَيَنَامُ بِهَا "تَسُو أُو"، "تَرُو أُو"، وَكِلَاهُمَا اسْتَقِيزَ وَخَرَجَ لِلرَّدْهَةِ يَنْسَاءُ مَاذَا يَحْدُثُ، وَلَمْ لَا يَنْزِلُونَ لِلْأَسْفَلِ؛ لَعَلَّهُ أَكْثَرُ أَمَانًا.

فَقَالَتْ "سَاتَشِيْقُو":

"هَيَّا، فَلْنَنْزِلْ جَمِيعًا، وَإِنْ كَانَ هَذَا سَيَنْسَبُّ بِالْإِزْعَاجِ، وَإِنَّمَا...

الْكَهْرِبَاءُ مَقْطُوعَةٌ وَالظَّلَامُ دَامَسَ. لَا يُمْكِنُنِي حَتَّى تَمَيِّيزُ مَلَامِحَ "تَرُو أُو"."

قَالَتْ كَلِمَاتُهَا بِصَوْتٍ مُتَهَذِّجٍ بِهِ شَيْءٌ غَيْرُ مَأْلُوفٍ، لَكِنَّا امْتَنَعْتُ عَنْ الْإِفْصَاحِ كَيْ لَا تَزِيدَهُمْ هَلَعًا؛ فَالْبَيْتُ بَدَأَ وَكَأَنَّهُ سَيْنَهَارٌ، وَهِيَ لِلتَّوْاسْتَشْعَرَتِ الْخَطَرَ. الْإِطَارَاتُ الدَّاعِمَةُ لِلْأَسْفَفِ غَيْرُ مُسْتَقَرَّةٍ، وَكُلُّ مَرَّةٍ تَظُنُّهَا هِيَ الْقَاضِيَةُ وَيَتَفَضَّدُ جَبِينُهَا عَرَقًا.

لَمْ تَصْدُرْ وَلَا كَلِمَةً مِنْ "تَرُو أُو" بَعْدَمَا قَالَ "هَيَّا" وَاتَّبَعُوهُ مُمَسِّكِينَ بَعْضُهُم الْبَعْضَ وَنَزَلُوا الدَّرَجَ.

بِهَذِهِ الْأُنْثَاءِ ظَنَّتْ أَنَّ الْبَيْتَ تَدْمُرُ حَقًّا إِثْرَ هُبَّةِ الرِّيحِ الَّتِي تَعْصَفُ بِالْبَيْتِ، وَإِنْ كَانَتْ اعْتَادَتْ شَعُورَهَا بِانْحِنَاءِ خَشَبِ دَرَجَاتِ السَّلْمِ تَحْتَ وَطْأَةِ أَقْدَامِهَا، إِلَّا أَنَّهَا الْآنَ أَزْدَادَ خَوْفِهَا مِنْ انْكَسَارِ الدَّرَجِ الْحَبِيسِ بَيْنَ جِدْرَيْنِ تَتَرَنَّحُ عَلَى الْجَانِبَيْنِ كَرِيْشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ. لَقَدْ تَشَقَّقَتْ الْأَرْكَانُ فِي زَوَايَاهَا بَيْنَ الْأَعْمَدَةِ وَالْجِدْرَانِ، وَتَخَلَّلَتْ مِنْهَا هَبَّاتُ رِيَّاحٍ مَصْحُوبَةٌ بِالرَّمَالِ، وَكَأَنَّ الْجِدْرَانِ تَحَاصَرُ أَجْسَادُهُمُ الْعَالِقَةِ بَيْنَهُمَا؛ مِمَّا دَفَعَ "تَرُو أُو" لِلنَّزُولِ لِلْأَسْفَلِ وَهُوَ يَتَدَحَّرُ رَاكِضًا، وَهُمْ بِالْأَعْلَى لَمْ تَكُنْ تَسْتَطِيعُ سَمَاعَهُ حَيْثُ طَغَى صَوْتُ تَتَطَايَرُ الْأَشْيَاءَ

الكثيرة بسماء الإعصار، فقوة الرياح أطاحت باللافتات وكل ما يشابهها من ألواح صفيح وأغصان وأوراق أشجار، ولكن بعد نزولهم انْصَحَتْ صرخات الخوف العالية، وبداية من "هيديو" وما يليه من أربعة أطفال تزاحموا بغرفة نَوم الزوجين، واجتمع الأطفال حول أبويهم، وجلست ساتشيقو وابنتها ويوكيقو بالقرب. ونادى "يوشي أو" و"ماسا أو" على خالتهما وتَشَبَّتا بكففيها، وتَبَقَّتْ "إتسوقو" لا حول لها سوى احتضان "يوكيقو".

احتضنت "تسورقو" طفلتها "يوميه قو" بكلتا ذراعيها، وكأنها تُخَبِّئُها وأمسك "هيديو" بأكامام ثوبها.

كانت طريقة تعبير الصبي عن خوفه غريبة، فكلما توقَّفت الرياح تمسَّك بأكامام أمه يلويها بشدَّة، ويُنصِت مُترَقِّبًا، وما أن تحتدم شدَّتها ويسمع نَهْيُجَها وهي تقترب آتية حتى يرتبك ويترك أكامامها، وبصوت أجش قوي يُفصح فجأة عن خوفه ويسدُّ أذنيه بكلتا يَدَيْه ويغمض عينيه ويضرب وجهه بالأرض.

وعلى هذا الحال اجتمع أربعة كبار وسبعة أطفال يجلسون القرفصاء وكانهم فريق الخائفين. كبير العائلة "تتسو أو" على وجه الخصوص ظلَّ دون أن ينبس ببنت شفة، وليس أمامه سوى أن يبقى على أهبة الاستعداد والأخوات الثلاثة تسوروقو، ساتشيقو، ويوكيقو كلهنَّ متأهَّبات للقاء خَتَفِهِنَّ.

طال استمرار الرياح، وإن واصلت على هذا النحو أكثر من ذلك سينهار البيت بلا شك.

كان هذا هو أكبر مخاوف "ساتشيقو" وهي تنزل الدَّرَج، وداهمتُها هذه الفكرة بشدَّة وبالحقيقة مع اشتداد الرِّيح هكذا انفصلت الجدران عن الأعمدة قرابةً الخمسة سنتيمترات، وهذا ملحوظ بوضوح بغرفهم بالأعلى. كان بالغرفة التي اجتمعوا بها مصباح يدوي

مُضَاءَ لِإِنَارَةِ هَذِهِ الْعَتَمَةِ وَشَعَرُوا وَكَأَنَّ الْفُجُوتَ بَلَغَ اتِّسَاعُهَا الثَّلَاثِينَ سَنَتِيمَةً، وَبِالْأَصَحِّ هِيَ لَمْ تَكُنْ فَتَحَاتْ؛ فَبِمَجْرَدِ أَنْ يَهْدَأَ الْهَوَاءُ تَنْغَلِقُ وَتَنْفَتِحُ مَرَّةً أُخْرَى مَا إِنْ تَهَبَ الرِّيحُ ثَانِيَةً.

مَرَّةً تَلُو الْآخَرَى يَزْدَادُ الْوَضْعُ سُوءًا، وَكُلَّ مَرَّةٍ تَنْفَتِحُ بِهَا فَجْوَةٌ تَكُونُ أَفْظَعَ مِنْ سَابِقَتِهَا. تَذَكَّرْتُ "سَاتَشِيْقُو" وَقَتْمَا حَدَثَ زَلْزَالُ "مِينِيَامَا" وَتَارَجَحَ بَيْتُهُمْ فِي أَوْسَاكََا بِشَدَّةٍ، وَلَكِنْ لِحِظَاتِ الزَّلْزَالِ لَا تَطُولُ هَكَذَا مِثْلَ الْإِعْصَارِ، وَهَذِهِ هِيَ أَوَّلُ مَرَّةٍ تَشْهَدُ بِهَا انْفِصَالُ الْجِدْرَانِ عَنِ الْأَعْمَدَةِ وَتُلَاقِيهَا مَرَّةً تَلُو الْآخَرَى هَكَذَا.

ارْتَجَفَ جَمِيعُهُمْ خَوْفًا، حَتَّى "تَاتَسُو أُو" الَّذِي كَانَ يَحَاوِلُ أَنْ يُهْدِئَ مِنْ حَالِهِ، وَلَكِنَّهُ أَصَابَهُ الذَّعْرُ بِرُؤْيَا حَالِ تِلْكَ الْجِدْرَانِ...

"تُرَى، أَهْوَ هَذَا الْبَيْتُ فَقَطُ الَّذِي يَرْتَجُّ بِهَذَا الشَّكْلِ؟

هَلِ الْأُبْنِيَّةُ بِالْجَوَارِ بِخَيْرٍ وَلَا يَحْدُثُ بِهَا أَيُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؟".

تَسَاوَلَاتِهِ تِلْكَ أَعْقَبَهَا رَدُّ "تَرُو أُو" سَرِيعًا بِأَنْ بَيْتَ السَّيِّدِ "قُويزُومِي" بِالتَّأَكِيدِ بِخَيْرِ حَالٍ، فَمَنْزَلُهُ مَتِينٌ، وَمَنْ طَابَقَ وَاحِدًا، ثُمَّ سَأَلَ بِدَوْرِهِ وَالِدَهُ:

"لِمَ لَا نَذْهَبُ لِنَحْتَمِي بِبَيْتِ السَّيِّدِ "قُويزُومِي" بَيْتِنَا عَلَى وَشْكِ أَنْ يَنْهَارَ".

"بِالتَّأَكِيدِ لَنْ يَنْهَارَ، فَمَاذَا لَوْ كَانُوا نِيَامًا... هَلِ سَنُوقِظُهُمْ لِأَنَّنَا نَبْحَثُ عَنْ مَأْوَى آمِنٍ؟".

تَرَدَّدَ رَبُّ الْعَائِلَةِ وَهُوَ يَمِيلُ لِلرَّفْضِ.

"بِهَذِهِ الْعَاصِفَةِ الْمُسْتَعْرَةِ بِالتَّأَكِيدِ الْكُلِّ مُسْتَيْقِظٌ".

قَالَتْهَا "تَسُورُوقُو" وَانْتَهَزَتْ الْقِصَّةَ لِتَقُولَ:

"هُوَ أَوْ أَيُّ أَحَدٍ كَانَ... فَلَنَجِدْ مَأْوَى بِأَيِّ شَكْلِ".

كان بيت السيد "قويزومي" لا يفصله عنهم سوى السور الخلفي، وإذا خرجوا من باب المطبخ يصبحون على بُعد خُطوةٍ من بابهم الخلفي. رب البيت موظفٌ حكومي متقاعد، ويعيش هو وزوجته المُسنَّة ولديهم ابنٌ وحيد يرتاد نفس المدرسة الإعدادية التي انتقل إليها "ترو أو"، ومن هنا جاءت العلاقة؛ ممَّا أشعرهم ببعض الارتياح، حيث إن "ترو أو" ووالده مرَّا عليهم بطريقهما بضع مرَّات.

دار نقاشٌ خلسةً بين "أوهارو" و"أوهيسا" بغرفة الخادم، حيث كانت "أوهارو" لا تُفضِّل الخروج بمثل هذا الوقت وتودُّ اللحاق بهم فيما بعد وتتفقّد أحوالهم، وذهبت لترى ما إن كان مناسبًا أن تطلب ذلك. إنها بالأساس لا تدري أين هو بيت السيد "قويزومي"، لكنها كانت على ثقةٍ بأنها ما إن تطلب من "أوهيسا" اصطحابها إليهم ستفعل، وتوجَّهت وطلبت بأدبٍ أن يسمحوا لها بالبقاء مع "أوهيسا" إن أمكن، على أن تأتيهم عندما تتوقَّف الرياح، وهي تتيقَّن من الإجابة قبلما تجد الردَّ بالقبول أو الرفض، وبلحظتها أصغت لـ "ساتشيكو" و"تسوروقو" وكلماتهما مُفعَمة بالقلق، وكل منهما تقول للأطفال:

"احترسوا أن تطيح بكم هَبَّات الرياح، احترسوا كي لا تصابوا".

فَعادت أوهارو على الفور وهي نَحْتُ أوهيسا على الإسراع بالخروج من الباب الخلفي، لكن الكل اتَّبَعَ خطوات القائد الصغير "ترو أو" الذي ظلَّ يُوجِّههم بعبارات مثل: احتموا سريعًا، هيَّا، اخرجوا جميعًا من فضلكم، هيَّا لا بأس سنعود لاحقًا، هذه الرياح لن تكون أكثر من وَخزٍ لذلك البيت وسنجد أن ما شهدناه كأنه كذبة...

اتَّجَهت "أوهارو" نحو "إتسوقو" تريد حملها، وقالت لها: "لا... ما مِن مكانٍ آمِنٍ الآن لأدعك تمشين"، لكن الصغيرة دفعتها بالمرَّتَيْن قائلة:

"سَأْخُذُهَا زَحْفًا".

"الكثير من الأشياء تتطاير، وليس معنا لحاف نغطي به رؤوسنا كي لا نصاب".

أمرهم ربُّ البيت "تسوّ أو" بالذهاب سريعاً ثم أضاف مضطرباً:
"دعوني أنا سأبقى".

شعرت "تسوروقو" بالقلق بشأن تَرْكِهَا زوجها والذهاب، وارتبكت وهي لا تدري ماذا عليها أن تفعل، واستادرت "أوهارو" بمفردها وقالت:

- "هيا لنذهب يا قائدنا". وعلى الفور هُمّت بحمل "ماسا أو" على ظهرها، وعادت لتحمل "يوشي أو" أيضاً، لكنهم جعلوا "أوهيسا" تحمله وتحتمي. إنها لا يمكنها البقاء ساكنة، بل تريد أن تحتضن كل الأطفال، وعادة ما تجدها بالأوقات العصيبة شُعلة نشاط مُتَّقِدَة... برجوعها ثانية سقطت عليها شماعة الملابس المبلّلة وَعَلَقَتْ تحتها. حينها رأت "أوهيسا" وعلى ظهرها "يوشي أو" فلم تُنادِها، ونادت على "هيديو" الذي كان مجردَ طفلٍ كبيرٍ يجري مُرْتَعِباً، وبالطبع لم يسمعها. بهذا، هرب الجميع، حتى "أوهيسا"، ثم بعد قرابة النصف الساعة جاءها "تاتسو أو" ووجهه يعتليه الإحراجُ، وقال إنه مرَّ مُصادفةً.

كانت الرياح لا تزال تعصف بشدّة، وصوت هياجها المرعب بالخارج مسموعاً.

أمّا عن بيت "قويزومي" فكان بنيانه صامِداً، والخوف من انهياره فكرة سخيّفة لن تخطر ببال أحد، حتى إنه لمن العجيب أن يروا دمهم أي شعور غير الإحساس بالأمان مهما كانت مُميّزات وعيوب هذا البناء.

بالنهاية انتظرت عائلة "ماكي أوكا" إلى أن هدأت الرياح، وبالصباح الباكر -أي بحوالي الساعة الرابعة صباحًا- كان عليهم العودة لبيتهم الواهي الكريهه، حتى وإن كانوا لا يزالون في رعب.

الفصل السابع عشر

سيمرُ إعصار "التايفو" صباح الغد بعد هدنة قصيرة.

فجأة أصبحت السماء صافية، لكن "ساتشيقو" لا يمكنها أن تنسى ولا يزال عالقًا بذهنها كل ما حدث ليلة أمس المرعبة ككابوس، وفوق كل شيء، "إتسوقو" في حالة هلع، والآن لا وقت للتردد وهي تراها بحالة انهيار عصبي، وعليه، فبهذا الصباح هائفت مكتب زوجها بـ "أوساكا" لتخبره بما لديها من أمور عاجلة، وطلبت منه أن يحجز لها غرفة في نُزل "هامايا"، وأرادت أن تُسرّع قدر الإمكان، وليتها تستطيع اليوم، وبالفعل جاءها إيصال إتمام حجز غرفتها بناء على طلب زوجها من "أوساكا"، ومن ثَمَّ عرضت على أختها أن تذهب معها بالمساء لتناول العشاء وأن تدع "أوهارو" عندها لبضعة أيام. كانت أختهم الكبيرة تودُّ الخروج لمرة بمفردها، وعلى الفور استعدت وخرجت معهم. مرّوا على النُزل أولاً، ثم ذهب جميعهم للتنزّه قليلاً وتناول المأكولات الغربية في "جينزا"، ودلتهم مالكة النُزل على متجر

يدعى "روميا"، فاتبع نصيحتها الأخوات الثلاثة وجعلن "أوهارو" أيضًا تنضم إليهم، وبطريق عودتهن تجولن بالمحال التجارية، ثم تركتهن "سانشيقو" وابنتها عند ناصية الطريق إلى النزل، ولم يزد مشوارهما عن تسع دقائق.

كان مبيتها بفندق هي وابنتها بمفردهما وزوجها بعيد تجربة تخوضها لأول مرة، وبوقت متأخر من الليل تذكرت مرة أخرى هلع ليلة أمس فأخذت عقار الـ "أدارين" وقليلًا من دوائها المعتاد الذي جلبته معها، وهو البراندي، ومع ذلك لم تستطع الخلود للنوم بسهولة، بل ولم يغمض لها جفن حتى استمعت لصافرة القطار بالساعات الأولى من الصباح.

"إتسوقو" أيضًا كانت على نفس الحال، تعاني بشدة، وتردد باستمرار: "لا أستطيع النوم"، وتنادي أمها وتطلب منها العودة لبيتهم بالغد.

وإن كان من الأفضل انتظار موعد كشف الطبيب وإلا ستسوء حالتها أكثر، إلا أن "إتسوقو" أهم شيء عندها الآن هو الإسراع بالرجوع لتلحق بلقاء صديقتها "رومي"، واستمر أنينها دون انقطاع، إلى أن غطت في نوم عميق بحلول الصباح.

أمّا "سانشيقو" فبتمام الساعة السابعة صباحًا وجدت نفسها لا تزال لا يمكنها النوم، فانصرفت عن المحاولة، وقامت وأخذت الجرائد لتصفّحها، كي لا تقلق الصغيرة من نومها خرجت للرّدهة المطلة على نهر "تسوكيچي"، واتخذت جلستها على مقعد من الخوص. كانت تقرأ الصحف بكل صباح متلهفة لمعرفة أخبار أزمة أوروبا وآسيا، والتي هي محط أنظار العالم مؤخرًا...

مشكلة سوديت التشيكية⁽¹⁾ والعمليات العسكرية للجيش الياباني لغزو مدينة "هانقوو"⁽²⁾ وكيفما تطوّرت الأحداث، وإفما منذ مجيئها إلى طوكيو اختلف الوضع ولم يُعد متاحًا الحصول على الصحف اليومية التي بأوساكا مثل "تاي ماي" و"دايتشو"، وعلى نحو ما لم نعتدّ على صحف "طوكيو"، وعلى الفور تشعر منها بالملل، ولم تستوعب ما ورد بها من مقالات، وانصرفت بنظرها مُتطلّعةً للمارّة على ضفاف النهر. تذكّرت بالماضي حين أقامت مع والدها بفندق يُدعى "أونيه متشو" على الضّفة المقابلة من النهر، وتمكّنت من رؤية سطحه الآن؛ فهو بالشارع الجانبي الذي أمام مسرح الكابوكي، فهذه المنطقة هي تعرفها من قبل، ومَمْلَك قلبها الحنين؛ حيث اختلفت تمامًا كل المعالم على ضفاف النهر. بالماضي لم يكن هناك هذا المسرح أو حتى مسرح "طوكيو"، وكان دائمًا ما يصطحبها والدهم بإجازة مارس، ولم يسبق لها المجيء لطوكيو بشهر سبتمبر، فالآن يستشعرون الهواء البارد حتى بمنتصف المدينة، كما لو أن الخريف قد حلّ بالفعل. هذا لا يحدث أبدًا بإقليمهم، ولكن ربما لأن "طوكيو" بالأساس طبيعتها البرودة فيأتيها الخريف أسرع، أو ربما هذه ظاهرة مؤقتة، وبعد انتهاء الإعصار سيعود الحرّ مرّة أخرى. الرياح هنا تشعر بها تنخر العظام وليست كمثيلتها في بلدنهم... أيّا كان، فإنه ليس هناك سوى بضعة أيام على موعد فحص الطبيب، ولكن كيف ستقضيها؟

تذكّرت "ساتشيقو" أنه بحلول شهر سبتمبر سيتم افتتاح مسرحية لممثل الكابوكي الشهير "كيكوجورو"، إنها فرصة لن تتكرّر؛ فلتصطحب "إتسوقو" وتذهبا سوياً؛ فهي تحب الرقص، وبالتأكيد ستسعد بمسرحية

(1) سوديت "SUDETEN LAND" وبالتشيكية والسلوفاكية "SUDETY"، وهو إقليم غرب التشيك على الحدود مع ألمانيا، وكان محور نزاع مع ألمانيا النازية وتشيكوسلوفاكيا قبل الحرب العالمية الثانية.

(2) هي المدينة الصينية HANKOW.

استعراضية كهذه. غير أنه حين تبلغ فتاتها الصغيرة ستكون تقاليد المسرح قد اندثرت؛ لذا فلتجعلها تشاهد مثل هذا الفنان العظيم.

إنها بطفولتها اصطحبها والدها لعرض مسرحي للممثل الشهير "جانچيرو"، وهي دائماً ما تقارن حالها بابتها، وتريد أن تتبع نفس النهج؛ لذلك فكَّرت بالأمر، لكن حين تفقَّدت الصحف وجدت أنه لم تبدأ بعد أي من مسرحيات الكابوكي المتميّزة. بهذا لم يكن أمامها سوى التمشية في "جينزا" كل مساء، وليس هناك أي شيء آخر يُذكر، وعلى حين غرة داهمها الاشتياق بدون أي سبب، وليس من قبيل المزاح كما تفعل الصغيرة مثلاً، وإنما بكل جدية، وليكن الفحص الطبي مرةً أخرى؛ فهي تريد المغادرة اليوم، ومن أول يوم قضته وهي تتوق لبلدتها، وها هي الآن تذوق مرار ما تجرّعته "يوكيقو" وهي هنا تنهمر دموعها في صمتٍ تشتاق العودة لـ "أشييا".

بحوالي الساعة العاشرة جاءها اتصال هاتفى من "أوهارو" تخبرها أنها تودُّ أن تطلب منها طلباً؛ إنها تريد المجيء لها، ولقد وصل خطاب من زوجها فستجلبه معها، وسألتهما ما إن كان هناك أي شيء آخر ترغب في أن تُحضِّره لها.

أجابتهما "ساتشيقو" بأنها لا تريد شيئاً، وتبلغ فقط أختها الكبيرة بأن تأتيتها لتناول الغداء معاً، وأنهت المكالمة وهي تنوي أن تترك ابنتها برعاية "أوهارو" وتخرج مع أختها لتناول الغداء، وبعد تفكير طويل في مكان تذهبان إليه جاء بخاطرهما أن "تسوروقو" تحبُّ سمك ثعابين البحر، وتذكَّرت بالماضي وقتما كانت تذهب باستمرارٍ مع والدها لمتجر يتميّز بهذا النوع من الأسماك يُدعى "دايقوكويا" في مكان يُسمّى "قونياكوجيما"؛ فسألت عنه مالكة المنزل، وما عن كان لا يزال باقياً.

أمسكت مالكة النُّزل بدليل الهاتف وقلبت صفحاته وتولّت مهمّة الحجز لهما. انتظرت "ساتشيقو" أختها، وجعلت "أوهارو" تصطحب الصغيرة الى متجر من سلسلة متاجر الترفيه "ميتسوقوشي".

أمّا "تسوروقو" فجعلت "يوكيقو" تأخذ طفلتها "أوميه قو" للطابق الثاني لتخدعها وتتمكّن من ارتداء ملابسها والخروج سريعاً، والآن بلا شك "يوكيقو" في مأزقٍ كبير، ومع ذلك تركتها الأخت الكبيرة وخرجت والتقت "ساتشيقو"، وبدأت ثرثرتهما:

"هنا يشبهه "أوساكا" للغاية... لا أدري من قبل بوجود مكان كهذا بـ "طوكيو"."

وتأمّلتا النهر الجاري المُطلّتان عليه.

"حقاً يشبه أوساكا للغاية. دائماً ما كان أبي يصطحبني إلى هنا".

"هنا أصبح جزيرة أليس كذلك؟".

"فعلاً؟ وكيف هذا! ربما هذا صحيح... فلم تكن موجودة هذه الطاولات المُطلّة على النهر من قبل، ولكن موقعه لم يتغيّر".

سرحت "ساتشيقو" بالمشهد خارج النوافذ. بالماضي كان الطريق على هذه الضفة من النهر وتصفّط عليه بعض البيوت، أمّا الآن فالأبنية بطول الطريق، والمطعم أصبح فيما بينها. يأتي الطعام إلى الطاولات بالغُرَف اليابانية الطراز ذات الأرضية الحصى من الصالة الرئيسية. المطعم تم بناؤه على حوائط صخرية، طاولاته مصفوفة حول ثنيات النهر وعند ناصية الطريق يلتقي النهر برافدٍ آخر له، ويشكّل رمز "+" بالجلوس بغرفة الطعام دخولاً من الباب الجرار تجد المشهد كالذي تراه من قوارب صيد المحار في منطقة "يوتسوباشي". يتقاطع رافدُ النهر وتظنُّ أنَّك ستجد أربعة جسور عابرة، ولكن ليس هناك سوى ثلاثة، وتكمن قيمتهم في تصميمهم الشبيه بعصر إيدو، والهدوء

الذي يسود المنطقة كما في طُرُقَات المدن العتيقة يجعل المكان أشبه بـ "ناجابوري" في أوساكا قبل كارثة الزلزال.

وإن كانت المساكن والجسور والشوارع كلها جديدة، وأضفت روح الحداثة، إلا أنها لا تزال خاويةً من حركة المشاة.

"هل آتي لحضراتكم بمشروب...".

"حسنًا، لكن...".

قالت لها ساتشيقو وهي تنظر لأختها الكبيرة وتسالها:

"ماذا تفضّلين أختي؟".

"مشروب الآن أم بعد الغداء؟".

"ألا نشرب ولو حتى بيرة؟".

"لا بأس إن كنتِ ستشاركينني".

كانت "ساتشيقو" فيما بين أخواتها كلّهم هي الأكثر شُربًا للخمر، "تسوروقو" تحبّه هي الأخرى، وهذا هو الوقت المناسب لتَجَرّعه باستمتاع، ومن حيث المذاق فالخمر الياباني هو المُحَبَّب لديهم، لكن لا يكرهون البيرة.

"إذن دعينا نشرب قليلًا من الساي^(١) الآن".

"كلّا، بكل ليلة أشارك أخيك الكبير وأشرب القليل، ومن حين لآخر مع الضيوف...".

"ضيوف من أي نوع؟".

(١) الحمر الياباني

"ممن يأتون مع أخيك من "أزابو" ولا يشربون سوى "الساكي"، وبذاك البيت المقرَّر يقولون الشراب وسط ضوضاء الأطفال لذيذاً!".
"أليس هذا مُتعباً لكِ أختي؟".

"و إن كان، فأنا مع الأطفال، والساكي للسادة، وإن انشغلتُ وكان لدي الكثير لأقوم به لا يمكنني قول أي شيء، و"أوهيسا" كما ترين...".
"حقاً! هي لا تسعفك أبداً".

"في البداية كانت دائماً ما تقول "أكره طوكيو"، وتبكي؛ تريد العودة لأوساكا... لكنها بهذه الآونة لم تعد تقولها، بل تقول "ستبقيني معكِ إلى أن أصبح عروساً"... أليس كذلك؟".

"هي أكبر أم "أوهارو"؟".

"أوهارو"... كم عمرها؟".

"أظن 20".

"إذن بنفس العمر... أنتِ أيضاً "ساتشيقو" لا يمكنك الاستغناء عن "أوهارو"، وبالتأكيد ستبقين عليها".

"تلك الفتاة منذ أن كانت في سن الخامسة عشرة وتشارف على السادسة عشرة وهي لم تغادرني لأي مكان آخر مطلقاً، لكن في الحقيقة الانطباع المأخوذ عنها ليس في محلّه؛ فهي ليست كما تبدو عليه، وليس هناك ما يهمها أبداً".

"لقد سألت "يوكيقو" كيف كان عملها بمساء أول أمس، وقالت شتان بينها وبين "أوهيسا"، ولولا وجودها لظلت الأخيرة كالمعتاد تتلجأ بفعل كل شيء. أخوك الكبير أيضاً تعجّب من ذلك وعلّق قائلاً كم هي فتاة رائعة".

"بالضبط. حين نتكلم عن مميزاتها فهي حقًا طيبة، لديها عطفٌ ورحمة وسرعة بديهة، وهذا ما كانت عليه بوقت مثل يوم الفيضان". استمرت "ساتشيقو" في تقييم "أوهارو" وهي تتناول المقبلات مع البيرة إلى أن يتم طهؤُ أطباقهما؛ فمديح الخادم هو من دواعي فخر سيّده، وهذا بكل شكل من الأشكال لن يزعجها، ولا داعي لذكر مساوئ مَنْ نُحبُّهم، و"ساتشيقو" دائمًا ما تحسن الحديث عنها، ومن عاداتها الاستماع دون استنكار.

"أوهارو" خادمة حسنة السمعة، وهذا في حد ذاته من النادر، علاوة على أنها مؤنسة، وبارعة في كل شيء وبها الكثير والكثير من المميزات، وبغضّ النظر عمّا تُقدّمه لـ "ساتشيقو" وزوجها، ففيما بين التجار والحرفيين لها أهميّة خاصّة، ومع المدرسين المسؤولين بمدرسة "إنسوقو"، وحتى مع السيدات رقيقات "ساتشيقو"، وبنقلها للرسائل الشفهية، خاصّة وأن سيدتها ثغرها المتشدّق بالثروة لا يكفُ... إنها خادمة مثيرة للإعجاب.

لكن أكثر مَنْ تدري حقيقة ما تشعر به "ساتشيقو" هي السيدة زوجة أبيها لـ "أوهارو"، والتي تأتيها للزيارة من حين لآخر، وتسال عن أخبارها، وتقول: "قدّمتم لنا معروفًا لا يُنسى بقبولكم لهذه الفتاة المشاغبة كثيرة المتاعب خادمةً عنكم. لطالما جعلتني أبكي هذه الفتاة؛ فكيف لكم أن تتحملوها"، ويستمر حديثها على ذاك المنوال، وترجى "ساتشيقو" أن تصبح على متاعبها لأنها لم يعد لها مأوى آخر، وهي راضية بأي أجر يجودون به، ومهما وبُغّتها فهذا بالتأكيد لمصلحتها فهي تتصرّف كطفلة مُدّلة تستوجب النهر والتوبيخ دائمًا. وعلى هذا النحو تضغط على "ساتشيقو" وتصرّ على طلبها وتصرف.

في البداية حين جاء بها زوجها وهي في الخامسة عشرة من العمر ورأت "ساتشيقو" ملامحها اللطيفة راق لها أن تعمل لديهم، وبمرور أول شهر أيقنا أنهما استأجرا فتاةً صعبةً المراس، واسترجعا كلمات زوجة أبيها: "إليكُم بتلك المُرْعَجَة"، وأدركا أنها لم تكن كلمات على سبيل التواضع، وأكثر ما اتفقت عليه آراء كل أفراد الأسرة هو قذارة هذه الفتاة؛ فبأول لقاء بها كانت متلَطَّخَةً بالأوساخ، وهذا ليس لأي سبب سوى أنها تكره الاغتسال وتنظيف ملابسها، وطبعها الكسول اتَّضح على الفور.

مهما فعلت "ساتشيقو" لتقويم عاداتها السيئة وشَدَّدَت تنبيهاتها المحرجة يقع الخطأ فور ما تغضُّ الطرف قليلاً. كانت كل الخادِمات الأخريات لا يهملن الاغتسالَ يوميًّا بعد انتهاء أعمالهم، إلَّا أن "أوهارو" كانت تغفو بحلول المساء بغرفة الخدم، ثم تغط في نوم عميق دون أن تستبدل ثيابها بملابس النوم، ولا ترغب بغسيل ملابسها الداخلية، بل ومعتادة على ارتداء الملابس مُتَسَخَّعةً لبضعة أيام، وعملية تنظيفها تستدعي بكل مرة أن يحاصروها ويجبروها على خلع ملابسها والاعتسال. من حين لآخر كانت تبحث "ساتشيقو" بامتعتها وتغوص في أعماقها لتستخرج ما خبأته من ملابس مُتَسَخَّعة، وتجبرها على غسلها أمامها، وهكذا وجدت نفسها علقت بمتاعب أكبر من عناء رعايتها لابنتها.

كان الأكثر تَذَمُّراً من "ساتشيقو" بل وقبل منها هُنَّ الخادِمات الأخريات المتضرَّرات ضرراً مباشراً. منذ مجيء "أوهارو" وخزانة الملابس بغرفة الخدم تتراكم بها الملابس المتسَخَّعة والتي لا تغسلها أبداً أوَّلًا بأوَّل، واشتكين من تركها لهذه الثياب، والكل أصابته الدهشة حين استخرجت "ساتشيقو" ملابسهم من ضمن الأشياء. الغسيل والاعتسال بالنسبة لهذه الفتاة مأساة، حتى وإن كان يخصُّ سيِّدَها وسيدتها، وكانت رائحتها لا يطيقها مَنْ يمرُّ بجانبها، دون أن يقتصر الأمر على

رائحة جسدها فقط، فهي أيضا دائماً ما تبتاع الحلوى وتأكلها خلسةً بأصابعها؛ ممّا أصاب معدتها بالتلوث، وجعل رائحة أنفاسها كريهة، وأكبر ورطة يقع بها من عليه النوم بجوارها في الفراش، حيث انتقلت منها العدوى بالقمل، والشكوى منها لا تنتهي.

نتيجة لكل هذه الأسباب ما كان أمام "ساتشيقو" سوى إعادتها لبلدتها "أماجاساكي". تكرر هذا بضع مرّات، وعادة ما يأتي أبوها أو زوجته -مُتبادِلَين الأدوار- للاعتذار بكلمات معسولة، وإعادتها، دون أن يتركا لهم خيار.

بيت عائلتها في "أماجاساكي" هناك أخ وأخت أصغر منها، لكنها هي فقط التي من الزوجة الأولى المتوفّاة لأبيها. كانت كل خصالها سيئة، نتيجتها بالمدرسة ضعيفة بشكل ملحوظ مقارنة بأخواتها الصغار.

خجل أبوها من زوجته بشأنها، وزوجة أبيها قلقت عليه هو الآخر، والشد والجذب بسبب بقائها بالمنزل لا ينتهي، وفي ظل هذه الظروف توّسل كلاهما لـ "ساتشيقو" لتُبقي عليها إلى أن تصبح عروساً.

اشتهرت بين الجيران بـ "الطفلة الغبية"، ومهما جعلت زوجة أبيها من أبنائها حلفاء ينحازون لصقّها بالنهاية كان يُساء فهمها وتُتهم بأنها تدعها وحدها ولا تعاملها كابنة شقيقة لأولادها، ومهما قالت إنها طفلة سيئة الخصال لا يُصدّقها زوجها، ولا يقدر أبداً رعايتها لها بغيابه، وهذا ما كانت تشكوه دائماً لـ "ساتشيقو"، وتخبرها بأنها هي فقط التي تفهمهما وتدرك كم هو سيئ موقفها، والنتيجة دائماً هي التعاطف معها.

"دعينا لا نتحدث عن القذارة؛ فمجرد رؤية ما ترتديه الآن ستدركين مدى الإنجاز." "أوهارو" بالسابق كانت تترك كل شيء على

حاله، ويضحك عليها الخادماوات الأخريات، أما الآن فقد انصلح حالها. أنا أظنُّ أوبَّخها مرارًا وتكرارًا على أشياء بديهية".
"لكن لها ملامح جميلة".

"تعتني بوجهها فقط، وتضع الزينة غلسةً، وتستخدم ما عندي من مرطبات وأحمر شفاه".

"يا لها من فتاة غريبة... إن فَعَلَتْها "أوهيسا" سألتزم الصَّمت. يكفي أن أفكر في عدد المرَّات التي تُعَدُّ بها الطعام مَثَلًا، أو أفكر في أنها فتاة منذ أن كانت في السادسة عشرة من العمر وهي تعمل بالخدمة بالبيوت، وأنا للآن إذا تَغَيَّبَت لا يمكنني فعل شيء واحد ممَّا تؤدِّيه... إنها بوقت الطعام حين عودتهم جوعى تفعل كما أقول لها بالتمام... "أوهاروا" بحديثها مُهذَّبة ولبقة".

"نعم، ليست حمقاء، بل تحب التعامل مع الناس، وإن كانت تكره دقائق الأمور بمهامها داخل المنزل؛ فتتظيف الغرفة ذات الحصر من الأعمال اليومية، إلَّا أنه إذا لم أتابع وأرى بنفسني تُغفلها، وإن لم أوقظها بالصباح لا تستيقظ أبدًا، وبالمساء تغفو كما هي بملابسها...".
وبتجاذُبهما أطراف الحديث هكذا تذكَّرت "سانشيقو" العديد من المواقف وقصتها في مرج:

"القذارة من طبيعتها، تشعر بالفخر بذاتها وهي تأكل بأصابعها، وأثناء ذهابها من المطبخ لغرفة الطعام حامِلةً الأكل تنتقص البعض منه، خاصة الكستناء الحلو، ووقتما تكون بمفردها بالمطبخ تحشو فمها، وإذا ناديتها على حين غرة تزوغ عيناها، ثم تجيب لاحقًا في ارتباكٍ مرَّاتٍ متكرَّرةً كأنها تردُّ بأثرٍ رجعيٍّ. بالمساء إن استدعتها لتديكي قبل أن تكمل الربع ساعة تتكىء عليَّ وتسقط رأسها وتغفو، وشيئًا فشيئًا تُرخي قدميها وتستلقي جانبي في وقاحة، وتسقط في سُباتٍ عميق فوق فراشي، غيرَ عابئةٍ بشيء...

إنها دائماً ما تنام وتترك الغاز مفتوحاً، وتنسى أن تطفئ المكنوة الكهربائية، وتحرق الملابس، وتكاد أن تتسبب بنشوب حريق عدة مرّات. وأظن أنه لا بُدّ من إعادتها لأهلها دون رجعة، ويأتي أهلها ويهدّثون من ثورة غضبي كالعادة"

"حقاً! وعلى هذا الحال كيف ستصبح عروساً؟".

"فكّرتُ مثلكِ، إن تزوّجت وأنجبت لن تسير أمورهما على ما يرام... وإن لم يكن كذلك فهي باقية عندي. أليس هذا طريفاً!... حين أفكر أنها معي بالبيت منذ ست سنوات أي مع ابنتي سوياً كم يبدو الأمر سخيفاً... رغم أنها تربّت تربية غير سوّية مع زوجة أبيها إلا أنها بقلبها الحب والصدق وإن كانت فتاة مثيرة للمشاكل وخصالها مقبّية لكن فوق كل شيء هي فتاة تربّت على الفضيلة".

الفصل الثامن عشر

عادت إلى غرفتها بـ "هامايا" بعدما أخذها الحديث مع أختها حتى المساء، والتي قبل أن تنصرف اقترحت بهذه المناسبة أن تأخذ "أوهارو" و"أوهيسا" في جولة سياحية بمتنزه "نيقوه" كنوع من التقدير، خاصةً وأنها جعلت "أوهارو" تنغمس في أعباء العناية بالأطفال، ومنها تحتجز "أوهيسا" التي ترغب بالعودة لأوساكا، على أن يكون هذا هو شرط ذهابها. إنها نَوَت منذ فترة، ولم تجد رفيقًا مناسبًا، وهذه هي الفرصة المناسبة، فلم لا تدع "أوهارو" ترافقها؟ وأردفت أنها هي ذاتها لا تعرف "نيقوه"، ولكنها تعلم أنه خروجًا من "أساكوسا" ستستقلن القطار، ثم الحافلة من معبد "طوشووجو"، ويتجولان في شلالات "كجون" وبحيرة "تشوزنجيقو"، وتعودان بنفس اليوم، هكذا قال لها زوجها، وهي من ستتحمل نفقات الرحلة.

لقد استفاضة "ساتشيكو" في الحديث عن مهارات "أوهارو"، وإن لم تدعها تذهب فـ "أوهيسا" أيضًا لن تفعل.

"أوهيسا" حالها يُرثَى له، غير أنه على ما يبدو هي سمعت بالأمر سرّاً؛ ممّا جعلها غاية في السعادة، فإن لن تسمح "ساتشيقو" سيكون ذلك بمثابة جريمة في حقّها. على أية حال هي ستدع الأمور تسري وفق ترتيبات الأخت الكبيرة.

بعد يومين جاءها اتصال من "تسوروقو" تقول لها إنها بالليلة الماضية أخبرت الاثنين بشأن الرحلة، ولم يغمض لهما جفنٌ طوال الليل من فرحتهما، واليوم غادرتا منذ الصباح الباكر بعد إتمام كل الاستعدادات، وحسب جدول الرحلة ستعودان بالمساء قُرب الساعة السابعة. بعدها أخبرتها أن "يوكيقو" تقترح أن يذهبوا هم الثلاثة أيضًا برحلة يزورون بها متحف الفنون وغيره، وقبلما تتخذ قرارها بالموافقة وضعت سماعة الهاتف جانبًا لدخول الخادمة لتسلّمها رسالة بريدية عاجلة أخذتها منها الصغيرة ووضعتها على المنضدة التي تتكئ عليها أمّها وهي ملتزمة الصمت.

امتقع لون وجهها. كان من الواضح من أوّل وهلة رأت بها المظروف أنه ليس خطّ زوجها، وكان مُدوّنًا عليه:

"فندق "هامايا"

السيدة المبهجّة "ساتشيقو ماي أوكا"

يرثي للغاية".

مَن غير زوجها سيرسل خطابًا لعنوان الفندق بطوكيو؟ انتابها شعورٌ مريب.

"الرائل: أوساكا جي "تنوجي" شارع "تشيا أوسوياما"، رقم 23.

"أوكوباتا كسابورو"

تحاشت اللقاء بعيني ابتها وهي تسرع بفتح الخطاب، الذي
كُتِبَ بِدَقَّةٍ على الوجهين، ومن ثلاث صفحات، على ورق سميك
مستورد، مَطْوِيٌّ لأربعة أرباع، وهي تخرجهم من المظروف وتفتحهم
سَمِعَتِ الخشخشة وكأنها بمشهد سينمائي.

كان المحتوى بعكس توقُّعاتها تمامًا، وكل العبارات مكتوبة من
اليسار:

"سيدتي العزيزة...

أستميحك عُذْرًا لإرسال خطاب مفاجئ هكذا، وأنا أعرف أنه فور
رؤيتك للخطاب ستثار دهشتك -أختي الكبيرة- ورغمًا عن ذلك فأنا
لم يمكنني إلا أفعل.

بالآونة الأخيرة فُكِّرْتُ كثيرًا بالكتابة إليك، لكن راودني القلق
من أن يقع الخطاب في يد "تائيغو"؛ فتراجعتُ. إنني التَّقِيْتُها اليوم
في "شوكوجاوا" بعد طول غياب، وعرفت منها أن حضرتك الآن مع
"إتسوقو" في طوكيو وتقيمَان في نُزُلٍ "هامايا"، لي صديقٌ في "طوكيو"
مقيمٌ هناك؛ لذا فأنا أعرف العنوان، والآن أصبحت متأكِّدًا من أن
خطابي سيصل ليد أختي الكبيرة؛ فكتبتَه في عجلة دون إعادة نظر
فيما إن كان لا يَصُحُّ. فقط أريد تبسيط الأمور قدر المستطاع، وأودُّ أن
أخبرك بما في قلبي من شكوك، وإلى الآن هي ليست سوى شكوك لدي
وحدي، وإنما أودُّ سؤالك صراحة؛ أليس هناك شيء ما بين "إيتاكورا"
و"تائيغو" مُؤَخَّرًا؟

وقصدي: من ناحية المشاعر، دون الخوض في الموضوع من ناحية
شرفها وسُمعَتِها... ألا تتضح لك أمارات الحب بينهما؟

لقد شعرت بالأمر منذ وقت كارثة الفيضان، وحين فُكِرْتُ لاحقًا بتفاصيل ما حدث وقتها وجدت أنه كم كان غريبًا أن يهرع "إيتاكورا" لإنقاذها. بذاك الوقت وذلك الموقف لماذا يُخاطر "إيتاكورا" بحياته من أجلها؟ لا أظنه ذهب لإنقاذها من طيب خلقه مثلاً.

دعيني أخبركِ بالمقام الأول أنه على عِلْمٍ مُسَبِّقٍ بمواعيدها بمدرسة التفصيل، وبصداقتها المفردة مع السيدة "تامأ أوكي"، ولا عجب!

ألم يكن يتردّد معها على مدرسة التفصيل عادةً، ويلتقيها هناك من ذي قبل، وتبقى على اتصال معه؟

لقد بحثت في الموضوع، ولديّ أدلّة، ولكن لن أذكرها هنا، وإن كان لا بُدّ سأخبركِ بها لاحقًا، لكن الأهم الآن هو أن نبحثي أنتِ بنفسكِ في الأمر على وجه الخصوص، وأخشى أنّكِ ستكتشفين المزيد ممّا يخالف توقّعاتكِ.

إنني بعدما تملّكني الشكّ حاولتُ مواجهتهما وإلقاء اللوم على "تائيقو" و"إيتاكورا"، لكن كلاهما أنكر بشدّة، والغريب أنني بمجرد أن خرّجت تلك الكلمات من فمي و"تائيقو" تتعاشى لقائي بشكل مريب. إنها لا تأتي إلى "شوكوجاوا" إلّا نادرًا، وحتى إن اتّصلت بها ببيت "أشيا" دائماً ما تخبرني "أوهارو" أنها خرّجت وليست بالبيت. ولا أدري إن كان حقيقة أم كذبًا.

"إيتاكورا" هو الآخر قال بعبارة مُحدّدة حرصًا على ألاّ يثير شكوكي أنه مؤخّرًا لم يلتقها سوى مرّة أو مرّتين من بعد واقعة الفيضان، رغم أنه يزوركُم يوميًا ببيت "أشيا"... أليس كذلك؟

وأيضًا، ألاّ يذهبان هما الاثنتان سوياً للتّنزه والسباحة بالبحر؟

أنا أستطيع معرفة الحقيقة بتفاصيلها، ولديّ طريقتي؛ لذلك لن يُجدي الإخفاء، ولقد أمرتها بقطع أي علاقة أو اتصال مع "إيتاكورا"، ولا أدري ما انطبأعك، ولكني لم أمره هو بعد.

إن كان هناك ضرورة للقائه بها بشأن تنسيق اللقطات الفوتوغرافية فأنا حاليًا منعت أي شغل له معها، أي لم يعد هذا العمل موجودًا من الآن فصاعدًا.

يغض النظر عن أنه يتردد مؤخرًا على البيت أكثر وأكثر، و"تائيكو" لا تأتي إلى "شوكوجاوا" أبدًا؛ فمن الأفضل أن يكون الوضع تحت سيطرة زوجك -أختي الكبيرة- لكن لسوء الحظ بهذه المرة وبهذه الأثناء...

زوجك -أخوهم الكبير بالقانون- غائب طوال اليوم، وأنت و"إتسوقو" أيضًا، وحتى "أوهارو" في "طوكيو"، وكلّكم لا تعبؤون بما قد يحدث.

بالتأكيد أنت لا تدريين أنه يزوركم بالبيت كل يوم أثناء غيابك. أظن أن الأخت الصغيرة حريصة على نفسها بلا شك، وإنما شخص مثل "إيتاكورا" ليس محل ثقة. إنه شخص عاد بعدما فعل الكثير وهو يجوب أمريكا كلها.

للعلم؛ بحثه عن علاقة تسحبه للتغلغل متشبثًا بأسرة أينما كانت يجعل منه رجلًا مريبًا؛ فسمعتُه الراسخة عنه هي خداعه الدائم لأي فتاة تُقرضه المال. أنا أعلم عنه ذلك منذ أن كان صبيًا بالمتجر، وأنا أعرف الكثير.

أما بخصوص مشكلة زواجي أنا و"تائيكو" فأنا لذيّ العديد من الطلبات؛ لذا فلندع الأمر ليوم آخر، والمشكلة الآن بالاعتبار الأول هي إبعاد "إيتاكورا" عنها، حتى وإن كانت تريد فسخ خطبتها معي. هي لم تفصح لي بنيّتها، لكنها ستدمر ذاتها إن طالتها الشائعات مع مثل هذا الرجل.

قطعًا "تائيقو" -باعتبارها سيّدة من عائلة "ماي أوكا"- لن ترغب أن ترافق شخصًا مثله، لكن أنا أيضًا من البداية تقّع على عاتقي مسؤولية تقديمه إليكم؛ لذا شعرتُ أنه من الواجب عليّ أن أنبّهك لما أثار شكوكي، بما أنّك الأخت الكبيرة المسؤولة، وأنا أعرف أنه من مُنطلق مكانتك سيكون لك تصوُّفك الخاص، ووقتما يكون لي دورٌ في أي شيء تريبه فلتخبريني من فضلك.

بالنهاية، أودُّ طلب شيء مُلحٌ من فضلك... أرجوك أن يبقى كل ما دُكرته بخطابي سرًّا، و"تائيقو" لا تدري به شيئًا.

ختامًا، لقد كتبتُ خطابي هذا في عَجالة ليصلك -أختي الكبيرة- أثناء تواجدك في "هامايا". خطأي سيئ، يصعب فهمه، ولكن أرجوك أن تُقدّري الأمر؛ فأنا كتبت كل ما خطر على بالي دون ترتيب؛ لذا اعتذر عن سوء خطأي، وأكرّر اعتذاري وطلبي أن تسامحيني إن كان أسلوبِي غير لائق.

مساء الثالث من سبتمبر

"أوكوباتا كسابورو"

إلى حضرة الأخت الكبيرة بأسرة "ماي أوكا"

خالص احترامي."

استندت "ساتشيقو" بمرفقيها على الطاولة، وبكلتا يديها أمسكت بأوراق الخطاب وأجزاء منه تعيد قراءتها مرارًا وتكرارًا، وظلّت تنهرّب من نظرات "إتسوقو" التي تشاهدها مترقّبة، وعندما انتهت من القراءة أعادت الأوراق للمظروف، وطوّته نصفين، وأدخلته في حزام ردائها، ثم خرجت للتراس واتّخذت مقعدًا من الخوص. بدت وكأنّها أسيرة بمصيدة، وإن لم تُهدئ من روعها وخفقان قلبها لن يَسعها

التفكير في شيء، فمهما كان ما ورد بالخطاب، تُرَى إلى أي مدى كان صحيحًا؟

إنها أصبحت لا تدري هل المشكلة أنهم يُحسِنون الظنَّ بالناس، أم أنهم فقط تَخَطَّوا حاجزَ الحَدَر مع ذاك المدعو "إيتاكورا"، والأمر لا يزيد عن ذلك؟ مجيئه لِلهو باستمرارٍ، ودون داعٍ، لم تَظُنَّه من الغريب بشيء، لكن تصرُّفه دائماً كيفما يروق لهُوَ شيء لا يمكن تجاهُّله.

أيضاً هم أنفسهم من ذاك المنطلق لم تكن لديهم أدنى مشكلة حيال الشاب. يعرفون فقط أنه كان صبيًّا بمتجر لعائلة "أوكوباتا"، ولا يعلمون شيئاً عن أصله ونَسَبِه.

ذاك الشاب من البداية وهو على عِلْم بأنهم من مستوى مختلف، وهو بنفسه كثيراً ما قال لـ "أوهارو" ألا تتزوَّجيني؟ ألن تكوني لي عروسًا، وكلام من ذاك القبيل، ولم تَظُنَّه أبداً يقصد الأخت الصغيرة بأسرتهِم... تُرى، هل لها يدٌ فيما آلت إليه الأمور؟

حتى لو كان ذاك الشاب هذا هو مقصده ففكرة أن توافقه "تائيقو" لم تخطر ببالها أبداً، ولا يمكنها التفكير ولو بالقليل على أنه على علاقة بها، حتى وهي تقرأ كلمات "أوكوباتا" الآن.

مهما ارتكبت "تائيقو" من أخطاء بالماضي فلا عُذَرَ لها أن تُلقِي بشرفهم وتتحلَّى عن ذاتها إلى ذاك الحد؛ أليس كذلك؟

مهما كان حظُّها العسير وما مرَّت به من أوقات عصيبة؛ فإنها تَظُنُّ ابنةً لعائلة "ماكي أوكا".

حين وصل بـ "ساتشيقو" التفكير إلى هذا الحَدِّ تَرَقَّرَق الدمع بعينيها وهي تجلس لحالها.

لو على "أوكوباتا" واختيارها مثل هذا الشريك لحياتها وهو على الأرجح عديم الفائدة فأيضًا يمكن مسامحتها، لكن أن تكون على علاقة بذاك الشاب فيستحيل...

إن تصرّفات "تائيكو" نحو ذاك الشاب وطريقة كلامها يتّضح بها كيف تُعامله على أنه من مستوى أقل، وهو أيضًا يقبل بالوضع، راض بقدره... أليس كذلك؟

وإن كان هكذا؛ إذن فهل فحوى هذا الخطاب لا أصل له من الصّحة؟

لقد قال إنه بحث ولن يذكر أدلة دون أن يشير إلى دليل واحد؛ إذن الأمر ليس إلا شكوكًا غامضةً لدى "أوكوباتا" فقط؟

انتهى المطاف بظنون "ساتشيكو" أنه لم يقع ذاك الخلاف من الأساس، وهو عن عمدٍ يُحدّرها بشكل مُبالغ فيه. إنه يقول إن لديه طُرُقَه، ورغم ذلك هو ذاته لا يدري كيف يتحرّى الحقيقة، فمثلاً "تائيكو" و"إيتاكورا" لم يذهبا هما الاثنان بمفردهما للسباحة بالمحيط؛ فهي دائماً ما تعير انتباهًا لذلك، ومثل هذه الأمور ليست خارجةً عن سيطرتها. إنهما حين ذهبا للسباحة كانت معهما "إتسوقو" و"يوكيكو" أيضًا، وحتى بأي وقت آخر لم يحدث أن خرجت "تائيكو" مع "إيتاكورا" وحدهما أبدًا، وبدون الإحساس بأننا نراقبها. حديث "إيتاكورا" دائماً مُسلٍّ؛ لذا يجتمع الكل حوله بمجرد أن يأتي، ولم تشعر ولو لمرة بسلوك مُريبٍ منه أو منها.

إذن، ببساطة: "إيتاكورا" اعتمد على شائعاتٍ هوجاءٍ من الجيران أو ما شابه، ونسج حولها الأوهام من نفسه على الأرجح... أليس كذلك؟!

بذلت "ساتشيقو" قصارى جهدها لتستبعد مثل ذاك التفكير، لكن حتى وإن كان؛ فإنها بقراءتها للرسالة بأول وهلةٍ باعَّتتها وخزةً بقلبها لا يمكن نكرانها.

الحقيقة المجردة أنها لم تَخُصْ أيَّ نقاش بخصوص "إيتاكورا" ومستواه، ولم يختلفوا من قبل حول ما يتظاهر به؛ وعليه فكل ما ورد بالخطاب لم تتخيَّله قَطُّ، والأمر ليس كذلك أبداً...

ما لا تريد أن تُقرَّه "ساتشيقو" هو أن "إيتاكورا" شخصٌ خَدومٌ ومُخْلِصٌ لـ "تائيكو"، لكنَّ تَرَدُّده المستمرَّ دخولاً وخروجاً ربما وراءه شيء ما غامض لم تلحظه. إنها هي ذاتها لو يمكن "تائيكو" ستتحرك مشاعرها بقوةٍ كامراًةٍ شابةٍ نحو مَنْ أنقذ حياتها، وسيتملُّكها إحساسٌ عميق بالامتنان له، علاوة على أنها هي نفسها تَبْجُلُه.

إنه فقط التَّعَصُّب لـ "اختلاف المستوى الاجتماعي" إلى أقصى حد؛ لذلك دون أن تلقي بالاً لا يرضيها أن تتقبل الأمر أو حتى أن تحسمه، فبالطبع هي تتحاشى أن تتأكَّد وتثبت من صحة الأمر.

لهذا السبب كان كل ما تخشاه من ذلك الخطاب الذي بين يديها الآن هو أن ينكسر كبرياؤها بوقاحة "أوكوباتا" على هذا النحو غير المتوقع؛ فهي تريد أن يظلَّ كُلُّ شيء يدور تحت ناظريها، وهذا جعلها ترتبك وتَشْعُرُ أنه لا داعي للتَّلَكُّؤْ بطوكيو ولا ليوم واحد، وإن لم يكن عليها العودة لهذا السبب فليكن لأنها مصابة بداء الحنين، وإذا نُحِتَ كُلُّ شيء جانباً فلا بُدَّ لها أن تستوضح كل شيء سريعاً، وفكَّرت فيما هي أفضل طريقة تبحث بها؟ هل عليها أن تفتح النار وتُحَقِّقَ معها وحدها دون أن تثير فضول الآخرين بالبيت؟ أم تناقش مع زوجها الأمر برُمته؟ أم للنهائية تتحمَّل على عاتقها المسؤولية وحدها ودون أن تُفصح لزوجها أو "يوكيكو" وتتقصَّى الحقيقة سرّاً؟

لسوء الحظ إن استدللت على الحقيقة عليها أن تنهي هذه العلاقة دون أن تبوح بشيء، ودون أن تلحق أذى بأحد، وهذا هو الحل الأمثل. إن مثل هذه الأشياء ما إن تطرأ على فكر أحد من نوعيتها تظل لها الأولوية، وتطغى على أي شيء آخر. ستمكث مشغولة الفكر وتعتبرها مُشكلة طارئة، وانشغل بالها كيف تجعل "إيتاكورا" لا يقترب منهم؟

من بين سطور الخطاب الذي قرأته للتو ظلت هذه العبارة عالقةً بذهنها: "يزورك كل يوم بالبيت أثناء غيابك، أختي الكبيرة". لو بينهما حقاً علاقة حب فالفرصة الآن لتنمو براعمه.

"أخوها غائب طوال اليوم، وأنت و"إتسوقو" و"أوهارو" في "طوكيو"، ولا تعبؤون بما قد يحدث".

هذه الكلمات هي أكثر ما أثار غضبها؛ فكم هي حمقاء!

كيف لها أن تدع "تاتيقو" بمفردها وتغادر مُصطحبةً ابنتها و"يوكيقو" وحتى "أوهارو" وتذهب لـ "طوكيو" ولا تفكر سوى بنفسها ولا أي أحدٍ آخر كما لو أنها هي بنفسها التي تُهيئ المَرْتَع لِحُبَّهما وتباركه بمثل هذه الفرصة، فلو لم تتفتح براعم مشاعرهما لن يصبح لها نبتة من الأساس. بذلك أي مشكلة تقع لن يمكن لوم أحدٍ سواها، وبأي شكل من الأشكال هذه الفترة هي كل ما تقلق بشأنه الآن، ونفذ صبرها.

ليس من الأفضل أن تصطحب ابنتها وتغادر في غضون يوم أو اثنين وتنفق الأحوال بنفسها؟ أم أن الحلّ الأسرع هو الاتصال بزوجها على الفور وتجعله يُحدّر "تاتيقو" ويمنعها من لقاء "إيتاكورا" في غيابه؟

كم يبدو الأمر سخيفاً! خاصةً وأنها تودُّ إنهاء المسألة دون أن يعرف بها زوجها، بل وتريد أن تتجنب ذلك قدر المستطاع، وإن

كانت لا تطبق الأمر ولا مفر فلتبج لـ "يوكيقو" فقط وتغادر بالمساء بعد التمشية سوياً.

إن تَفْهَمَها "يوكيقو" فلا حاجة لاختلاق الأعذار للمغادرة سريعاً...

ربما هناك حل آخر؛ فماذا إن جعلت "أوهارو" تغادر أولاً ويبدو الأمر طبيعياً؟

بالتأكيد هي لن تُطَلع "أوهارو" على شيء، لكن وجودها بجانب "تائيكو" سيجعل "إيتاكورا" لا يتمكّن من زيارتها، وستصل للنتيجة المرجوة، وهي أنها ستحول دون فُرْبَهما من بعضهما البعض.

لكن "ساتشيقو" تردّدت بشأن تنفيذ خُطتها الأخيرة حين تذكّرت أن "أوهارو" فتاة ثرثارة، ووجودها لن تُحمّد عُقباه ما إذا كان هناك شيء بينهما يثير ريبها فهي إن استشعرت أي شيء من ذاك القبيل فلن تتوقّف عن نشر الشائعات هنا وهناك، وإن لم يكن كذلك فهي فتاة فضولية بطبعها، وستظل تفكر لِمَ أرسلتها هي أولاً.

فوق كل شيء "ساتشيقو" راودها القلق من أن تشتريها "تائيكو" بالمال، وعلى العكس، بدلاً من أن ترسلها لمؤانستها فبالدّهاء يسهل إغواؤها، خاصّة لو فعل ذلك ذاك المدعو "إيتاكورا" بكلامه المعسول؛ سننقذ ما يقوله على الفور.

كل هذه الأفكار تزاخمت برأسها وهي لا تدري ماذا عساها أن تفعل، لكنها لم تُلقي بمسؤولية هذه الورطة على أي أحد، وكالمتوقّع استعدّت بالترتيبات اللازمة للإسراع بالعودة.

لم يكن أمامها حل آخر سوى أنها بمجرد انتهاء الفحص الطبي -سواء باليوم أو الغد- ستغادر بعده مباشرة، حتى وإن كان متأخراً بقطار المساء.

كانت شاردةً بأفكارها حين وقع ناظرها على مظلة "يوكيفو" وهي آتية إليها تسير على ضفة النهر بعدما عبرت الجسر من جهة مسرح الكابوكي، فأسرعت لتجلس أمام منضدة الزينة وأخذت فرشاة مورد الوجنتين ومزركتها برفق على وجنتيها، وتنبّهت لحقيبة أدوات التجميل الموضوعة جانباً، ففتحتها دون أن تدع الصغيرة تلحظ، وأخرجت من جيبها قنينة "براندي" وسكبت بالكأس -الذي هو غطاؤها- ثلثه، وتجرّعته.

الفصل التاسع عشر

فقدت "ساتشيكو" شغفها للذهاب للمعارض، لكنها ظنّت أنه ربما عليها صرف انتباهها عما يُؤثّرُها، والخروج ومشاهدة الأماكن السياحية.

خرج الثلاثة مُتجهين إلى "أويه نو"، والأختان أصابهما التّعب من قبل زيارة المعارض، لكن "إتسوقو" ألحّت بشدّة على الذهاب إلى حديقة الحيوان، فكانت كلتاها تجر أقدامها جرّاً من الإنهاك، إلى أن أمّمن جولتهنّ في إيجاز وعُدنّ بالمساء بعدما تجاوزت الساعة السادسة.

في الحقيقة كانت لديهنّ النّيّة لتناول العشاء بمكان ما، لكن فضّلن العودة سريعاً دون الاستراحة ولو قليلاً، وظلّت معهنّ يوكيكو إلى أن عدن للنّزل ودخلت للاغتسال، ثم تناولن العشاء بالغرفة، وهنا جاءت "أوهارو" بملابس قطنيّة رنّة ووجهها أحمر يتصبّب عرقاً وتصحّح:

"مرحبًا لقد عدت".

إنها عادت للتوّ من رحلتها إلى "نيتقوه". ركبت المترو مع "أوهيسا" من محطة "كاميناري مون"، ونزلت بمفردها في محطة "أواريتشو" لتزور سيدتها وتشكرها. أخرجت "أوهارو" ثلاثة من الحلوى الجيلاتينية "يووكان" والبطاقات المصوّرة للمعالم السياحية هناك. "هذه الهدايا كلّفَتكِ الكثير... خذيها معك لهم بيت "شيبويا".

"كلّا كلّا لقد اشتريتها لكم هنا، و"أوهيسا" جلبت لهم هناك وسبققني".

"حسنًا إذن ولكن هذا كله كثير للغاية...".

"هل رأيت شلال "كيجون"؟".

سألها "إتسوقو" وهي تتفحص بطاقتها المصوّرة.

"نعم، لقد أخذنا جولةً سياحيّةً لمشاهدة المعالم من الشلال ومعبّد "طووشووجو" إلى البحيرة... كله بفضلكم".

بدا الحديث عن معالم "نيتقوه" شيئًا لبعض الوقت، إلى أن قالت "أوهارو" إنها رأت جبل "فوجي"، ونشبت المشكلة.

"ماذا؟ جبل "فوجي"؟".

"نعم".

"من أين رأيته؟".

"من داخل قطار "طووبو"".

"وهل من داخل القطار يمكن رؤيته حقًا؟".

"هذا ليس حقيقيًا يا "أوهارو"... إنه جبلٌ مختلف، ليس "فوجي"".

"كلًا، أنا متأكّدة وبلا شك. الزّوّار كلهم كانوا يقولون يمكننا رؤية جبل "فوجي"، جبل "فوجي" ظاهر اليوم".
"حسنًا، إذن أين يمكنني رؤيته أنا أيضًا؟".

كانت "ساتشيقو" مشغولة البال منذ الصباح، واستغلّت الموقف لتأمر "أوهارو" أن تقول بالطريق للطبيب "سوجي أورا" -دون أن تلحظها الصغيرة-؛ فالآن هذه فرصة مناسبة ليكون الرد: "هيا، فلنقُم بالرحلة قبيل عودتنا ومُرّ على الطبيب بالصباح لإجراء الفحص الطبي".

وها هو ذا على غير المتوقّع ستنتهي من الأمر سريعًا، وجعلت "أوهارو" تستدعي موظّفة الاستقبال بالنزّل، وطلبت منها حجز ثلاثة تذاكر بقطار النوم مساء غَدٍ، ولو أمكن بأرقام متسلسلة بنفس العربة.

تفاجأت "يوكيقو" وسألتها إن كانت ستغادر فعلاً بالغد، وإن كان الفحص الطبي بصباح غد فهل سيقضين مشترياتهن سريعًا ثم يستقلن قطار الليل؟ ما الدّاعي لكل هذه العجّلة؟!

أجابتها "ساتشيقو" بأن المدارس بدأت بالفعل، ويجب ألا تتغيّب "إتسوقو" أكثر من ذلك، ومن الأفضل الإسراع بالرجوع، وبهذا فـ "يوكيقو" و"أوهارو" عليهما المجيء للفندق بالغد في الظهيرة، ستكون "ساتشيقو" وابنتها قد عادتا من موعد الفحص الطبي، ويخرجن جميعًا للتسوّق، واعتذرت "ساتشيقو" عن عودتها مرّة أخرى لتوديعهن بيت "شيبويا"؛ فليس هناك مُتَسّع من الوقت، وتبلغهن "يوكيقو" منها السلام، وبعدما اتّفقن على ترتيبات الغد وانتهين من عسائهنّ عادت كلّ من "يوكيقو" و"أوهارو" إلى بيت "شيبويا".

كان اليوم التالي يومًا حافلًا يعجّ بالمشاغل.

بداية من الصباح حيث زيارة الفحص الطبي لدى السيد الدكتور "سوجي أورا"، ثم التوجُّه لصرف الأدوية الموصوفة من صيدلية البلدة، وبعدها تستقلُّ "ساتشيقو" وابنتها سيارة أجرة لتعود إلى "هامايا"، حيث تنتظرهما "يوكيقو" و"أوهارو".

أول ما سألت عنه "يوكيقو" هو نتيجة الفحص الطبي.

أجابتها "ساتشيقو" بأن رأي الطبيب "سوجي أورا" مُشابهٌ للدكتور "تسوجي" في المُجمل، حيث قال إن الأجواء المحيطة تجعل الطفلة مُتوتِّرة، غير أنه يحيطها الكثير من الأطفال المتفوقين مُتقدي الذكاء؛ لذلك فهي لا تتحمَّل الانصياع لقيادتهم كشخص عادي، ويجب ألا ندعها تصل إلى هذا الحدِّ من القلق، والأهم أن نمنحها مجالاً لتستكشف ما يتفوقون عليها بمهاراتهم، وعليها أن تحاول جاهدةً التركيز في شيء واحد، هكذا قال الطبيب، وكتب لها نظاماً غذائياً مفصلاً، وهذا هو ما أضافه مُختلِّفاً عن الطبيب "تسوجي".

خرجن جميعهن بالمساء للتنزه على ضفاف بحيرة "دووميو" والتجول بمتجر "ميتسوقوشي" في "نيهونباشي"، ومتجر "ياماموتو" للمأكولات البحرية، ومتجر "ارين" في "أواريتشو"، وبشارع "هيرانويا"، ومتجر "أوايا" في "نيشيجينزا"، وغيرها الكثير.

لسوء حظهن اشتدَّت الحرارة بأواخر الصيف، واشتعلت نسمات الهواء بلهب الشمس، فقررن أن يلتقطن أنفاسهن ويروين ظمأهن في متجر "COLOMBIN" أو "JAAMAN BAKERY".

جعلن "أوهارو" تحمل الكثير والكثير من لفائف المشتريات، وبالكاد أطلَّت برقبتهما من بين ما تحمله، ولليوم التالي على التوالي يتوهَّج وجهها احمراراً، ويتصبَّب عرقاً. ظلَّت تحاول اللحاق بخطواتهن، وهن الثلاثة أيضاً كلُّ منهنَّ تحمل حقائب بيديها، وواصلن تسوقهنَّ إلى أن

حان موعد العشاء، وتوجّهن إلى مطعم "ROMAIYA" الذي لا يحيد رأيهن عنه اختصارًا للوقت، بدلًا من العودة للنزل وطلب الطعام. لكن يظلّ هناك أمرٌ واحدٌ بعدُ؛ فبهذا المساء من أجل "يوكيقو" التي لن تراها مرةً أخرى إلّا بعد فترةٍ فليكن تجمّعهنّ وداعًا لائقًا، وتضم طاولتهن البيرة والمأكولات الغربية.

بعد العشاء عدن للفندق سريعًا، وحملن أمتعتهن وتوجّهن لمحطة طوكيو، وجاءت لوداعهن الأختُ الكبيرة، وطال حديثهنّ في استراحة المحطة لقراءة خمس دقائق، وبالثامنة والنصف مساءً كُنّ بقطار النوم السريع، وقبل تحركه نزلت "إتسوقو" خارج القطار لتتّثر مع "يوكيقو"، وصعدت "تسوروقو" مع أختها، وبدهليز القطار همست لها:

"أليس هناك أيّ من عروض الزواج لـ "يوكيقو"؟".

أجابتها "ساتشيقو":

- "كلّا... لا شيء... مع أنني توفّعتُ أنه لا بُدّ أن يكون أي عرض آخر بهذه الآونة...".

"إن لم يُقدّر لها شيء بهذا العام، فالعام القادم سيكون أكثر شؤمًا".

"أظنّ كذلك، وأسأل الجميع...".

"وداعًا أختي الحبيبة".

قالتها الصغيرة لـ "يوكيقو" كما اعتادت أن تتأديها على أنها أختها وليست خالتها، وصعدت للقطار ويدها محرّمة من الحرير الجورجيت باللّون الورديّ.

"متى ستأتين إلينا يا أختي؟".

"فور ما أستطيع المجيء".

"حسنًا، تعالى سريعًا".

"حسنًا".

"أكيد أختي... أكيد، أليس كذلك؟".

بالقطار كانت الأسيرة واحد علوي واثنان بالأسفل، وبارقام متسلسلة. اختارت "ساتشيقو" السرير العلوي، وجعلت "إنسوقو" و"أوهارو" بالسريرين اللذين قبالة بعضهما البعض، واستلقت برداء خفيف، الذي هو بطانة داخلية للكمونو.

مجرد أن مددت ظهرها أدركت أنه لن يمكنها النوم، وطالما لن يغمض لها جفن فلن تخوض عناء المحاولة، وظلت فور ما تجفل وتغمض عيونها يتبادر لمخيلتها وجه أختها منذ قليل وهما تنهمر دموعهما أثناء وداعها، واستغرقت بالتفكير في مدة بقائها بـ "طوكيو" هذه المرة. إنها غادرت باليوم السابع والعشرين من الشهر الماضي، واليوم هو الحادي عشر.

لم يهدأ لها بال طوال هذه المدة، وتوالت الأحداث برحلتها بلا هوادة. في البداية أقامت ببيت أختها الكبيرة، وتحملت إزعاج الأطفال، واختتم الأمر إعصاراً الـ "تايفو" الذي أفزعهم، وقادتها السبل لتتخذ من فندق "هامايا" ملاذًا، وما إن ظنت أنها تنفست الصعداء جاءها خطاب "أوكوباتا"، الذي وقع عليها كالقنبلة، ولم تنهأ من بعده براحة أبدًا، ومهما تعجّلت جرت الأيام بعضها، يوم تلو الآخر مع أختها، وبالفحص الطبي، وهذا أهم مسألة استطاعت إنجازها، ولم تشاهد أي مسرحية بالنهاية.

منذ أمس وطوال اليوم هي تتجول هنا وهناك بشوارع "طوكيو" المليئة بالغبار، بكل نشاط وهمة. وحقًا أمضت يومين غاية في الصخب.

ظَلْتُ تركض بتلك الساعات القليلة؛ فهي لا يمكنها أن تقبل ألا تُحقّق كل أهداف رحلتها.

غرقت بتفكيرها على ذاك النحو إلى أن مَلَّكها التعب، ولم تَكَمْ، بل غَطَّت بنوم عميق وكأنه انتشلها عالياً شيء ما من الأفق وتركت عالمنا.

كانت تتجرّع البراندي ليساعدها لتغفو، وحين تستيقظ تجد أنها لا تملك أيّ قُوّة حتى لالتقاط القنينة؛ فبداخل رأسها التي لا تنام الحادث المزعج الذي بانتظارها لتُصدر حُكمها، وتُقرّر عاجلاً فور عودتها... وإن كانت هدأت وتيرة هذه المشكلة وما يصاحبها من شَك وخوف وسط الزحام، ولكن يظل السؤال عالِقاً:

هل ما ورد بالخطاب حقيقي؟

هل تَشْكُ "إتسوفو" بوجود حُطْبٍ ما؟

هل تحدّثت مع "يوكيقو" بخصوص وصول خطاب من "أوكوباتا"؟

الفصل العشرون

عادت "إتسوقو"، وبعد استرخائها ليوم واحد فقط بدأت باليوم التالي مباشرة الذهاب للمدرسة، أما "ساتشيقو" فحلَّ بها كل التعب بمجرد مغادرتها وقضت بضعة أيام متتالية في استرخاء وتدليك، وحين يصيبها الملل تتخذ مقعدًا بالتراس وتُضي أوقاتها تتأمل الحديقة.

هذه الحديقة تعكس ذوق صاحبها وما تُفضُّله من زهور في الربيع عنها في الخريف، إلّا أنه الآن أيضًا تفتّحت براعم زهور اللوتس الهزيلة في ظلال الزخارف الصناعية بالحديقة وبالقرب من حدود حديقة عائلة "STOLZ" الألوان البرّاقة تخطف الأنظار وحشود العشب الأبيض تحتضن بعضها البعض. بالصيف فعلت كل ما بوسعها لتظلّ فروع أشجار الإسفندان والمظلة الصينية نَضْرَة، والعشب يغطّي المشهد بأكمله كبساط باللون الأخضر، ولم يتغيّر شيء منذ مغادرتها لـ "طوكيو"، سوى أن أشجّة الشمس انكسرت بعض الشيء، والنسمات

المنعشة الباردة تتسلَّل من بين غصون الزيتون فيفوح عطرها ويملأ الجو فتستشعر اقتراب الخريف خلصةً.

الستائر الخوص المسدلة سيلزم طيُّها جانبًا عمَّا قريب...

شردت "ساتشيقو" بتفكيرها وظلَّت عدَّةَ أيَّامٍ تتأمَّل حديقة بيتها العزيزة على قلبها وتألف رؤيتها. إنها حقًّا نادرة، وتقريبًا لم تصادف مثلها برحلتها، رغم أنها تغيَّبت لعشرة أيَّام فقط إلا أنها غير معتادة على الرحلات، وربما لذلك ينتابها الإحساس وكأنها فارقت لشهر، وسعادتها عارمة بالرجوع، وهنا -ولمرةٍ أخرى- يعزُّ عليها بقاء "يوكيقو" هناك... وبَدَا عليها الأسى.

كل مكان بهذه الحديقة يُذكِّرها بها. ألم تكن "يوكيقو" هي الأخرى تعشق تأمَّل الحديقة هكذا! إنها شخصٌ أصيل من إقليم "كانساي"، وتعي كيف هو الارتباط العميق بكل معلمه.

قد تكون هذه الحديقة رتيبةً لا تجمع أذواقًا نادرةً مثلًا، إلا أنه الهواء بها مُعبًى برائحة أشجار الصنوبر، وترى منها جبال "روقوقو" حين تصفو السماء؛ ممَّا يُشعِّرك بأن السعادة والانسجام بالسكنى في أراضي إقليم "هانشين" ليست مثل هنا أبدًا، علاوة على أنه يعجُّ بالضوضاء والغبار و"طوكيو" التي يُطلِّق عليها المدينة البيضاء هي مكان بغيضٌ، فحتى الإحساس بالهواء بها مختلفٌ مثلما اعتادت أن تقول "يوكيقو".

"يوكيقو" التي انتهى بها الحال للانتقال لما هو أسوأ، وحين تقارن "ساتشيقو" حالها بأختيها لا تدري أي سعادة تلك قد تكون لديهما، وهذا الشعور الذي انغمست به جعلها في استمتاع ليس بعده شيء.

وتصيَّدت "أوهارو" لتثرثر بما في نفسها:

"أوهارو" قبل ذهابك لرحلة "نَيَقوه" هل كنت تستمتعين بإقامتك في "طوكيو"؟ أنا لا أرى أن ذاك المكان جيّد على الإطلاق، بالتأكيد بيتي هو أفضل مكان أليس كذلك؟".

أمّا عن "تائيكو" فلقد كانت بإجازة من تصنيع الذمى طوال الصيف، وظنّت "ساتشيقو" أنها ستبدأ ثانية بهذه الفترة، وأثناء غيابها هي كانت كثيرة الخروج لتتخذ استعداداتها، ومنذ اليوم التالي لعودتهم وهي بدأت تتردّد على شقة عملها في "شوكوجاوا". إنها لا تدري متى ستبدأ دروس مدرسة التفصيل، وإن كانت المعلمة ليس لديها ما يمنع الآن، إلّا أن "ساتشيقو" رأت أنه أوّل من هذه الترتيبات أن تنتهز الفرصة الآن وتتعلم الفرنسية قبلما تشغل بالعمل، وإن كان هكذا فلتأتِ "مدام تسوكاموتو". إنها توقّفت عن العمل بعدما انتهت من تعليم "ساتشيقو" و"يوكيقو"، لكنها لن تُمانع إذا ما أرادت "تائيكو" أن تبدأ معها.

هكذا اقترحت عليها، وأضافت أنها ستتعلم من البدايات؛ لذا، للأسف، لن تكونا سوياً بنفس الحصص، علاوة على أن الفرنسيين تكاليفهم باهظة.

في إحدى المرات جاء "إيتاكورا"، ولم تكن "تائيكو" متواجدة، وقال جنثُ لإلقاء التحية على سيدتي بعد عودتها، وجلس مع "ساتشيقو" بالتراس قرابة العشرين دقيقة، وبمروره على المطبخ سأل "أوهارو" عن رحلة "نَيَقوه".

انتظرت "ساتشيقو" تعافيتها من إنهاك السفر، ورغم أن هذه كانت فرصة مناسبة لكن بهذه الأثناء كان من الغريب أن كل الشكوك التي جاءت مُحَمَّلة بها من "طوكيو" تلاشت شيئاً فشيئاً.

صَدَمَتْهَا بِالخَطَابِ الَّذِي وصلها بغرفتها في "هامايا" في صباح ذاك اليوم، والخوف الجاثم على صدرها مع صخب اليوم التالي، والكوابيس المتسلسلة لِفراشها بكل ليلة، وكل ما عانتة...

بذاك الوقت ورغم شعورها أن الواقعة لا يمكن إرجاء التحقق منها ولا ليوم واحد، إلا أنها بلحظة عودتها لبيتها واستقبالها لصباح مُشرق سَكَنَ تَوَثُّرها بشكل غريب، ورأت "يوكيقو" أنه لا داعي للإستعجال هكذا.

على وجه العموم لو كانت المشكلة تتعلق بسلوك "يوكيقو" لقاتل "ساتشيكو" لا داعي لناخذ بأقوال أي أحد، وصمّت أذنيها، واعتبرته افتراءً عاريًا تمامًا من الصحة، وعلى عكس حالها مع "تائيكو"؛ هي لا تصدقها في كثير من الأمور؛ لهذا أصابها الذعر باستلام الخطاب. لكنها بعد عودتها لم تلاحظ أبدًا أي تغيير بسلوك "تائيكو"، وهي دائماً ما تلقاها بوجه بشوش؛ ممّا أكّد إحساسها بأن تلك الأخت الصغيرة ليس وراءها مثل تلك الفِعلّة المشينة، حتى إنها استغربت حالها حين ارتبكت بذلك الوقت، وشغل تفكيرها بالوقت الحالي ما إن كانت أصابها انهيارٌ عصبيّ هي الأخرى أثناء تواجدها بـ "طوكيو". في الحقيقة تلك الأجواء المتوتّرة بـ "طوكيو" بالنسبة لشخصية مثلها لن يُغيّر من عصبيتها شيء، وبالتأكيد قلقها بتلك الفترة كان مَرَضِيًّا، والآن حُكمها هو الصواب.

بعد مرور أسبوع، وبيوم ما انتهزت الفرصة لتحسم الأمر مع "تائيكو"، وانفرجت أساريرها بشدّة. حينها عادت "تائيكو" مبكراً من "شوكوجاوا" وتوجّهت لغرفة الجلوس ومعها ما جلبته من شقة أشغالها.

دُمِية لسيّدة بمنتصف العمر، برداء مزركش، تجلس القرفصاء تحت فانوس وتنتعل قيقاب الحديقة. إنها مسألة "أصوات الحشرات" (1)*؛ فالسيّدة تعطيك انطباعًا بالإصغاء لأزيز الحشرات. بدّلت فيها "تائيقو" الكثير من المجهود.

كانت تبحث لها عن مكانٍ، وجرّبت أن تضعها فوق المنضدة، وهنا جاءت "ساتشيّقو":

"ها أنتِ ذا، استطعتِ الانتهاء منها".

"نعم، ها هي".

"جميلة حقًا. إنها أفضل أعمالك بهذه الفترة... فتاة شابة وبمنتصف العمر، لكن إن فكّرتِ مليًا تعطيك الإحساس بالوحدة".

وأضافت كلمات قليلة من النقد، ثم قطعت حديثها بذاك الموضوع، وقالت:

"أختي الصغيرة... أنا، بالحقيقة بهذه الآونة وأنا بـ "طوكيو" وصلني خطابٌ غريبٌ".

"من مَنْ؟".

سألتهـا "تائيقو" وهي لا تزال تُغدِق الدُمِية بنظرانها ولا تلقي بالاً.

"من "أوكوباتا"؟".

"مممم... إنه هكذا أفضل وضع...".

قالتها ووَضَعَت الدُمِية قبالة أختها الكبيرة.

هَمَّت "ساتشيّقو" بإخراج الخطاب من مظهره.

(1) ارتباط اليابانيين بالطبيعة ارتباطٌ روحيٌّ منذ قديم الأزل، ويتمُّ التعبير عنه بالأعاني والأشعار. والاستماع للحشرات أثناء تأمُّل الطبيعة يُنبئ بتغيير الفصول، حيث إنه لكلُّ نوع منها موسمه كالزهور أيضًا.

"هذا هو... هل تعرفين ما هو مكتوب به "تائيقو"؟".

"بالطبع أعرف... عن "إيتاكورا" بالتأكيد".

"حسنًا، لقد قرأت ما به و...".

بذاك الموقف لم يتغيّر لون وجهها ولو بالقليل، بل حافظت على هدوئها دون أن تحرك ساكنًا؛ فهي من البداية يصعب أن تُفصح عما بجعبتيها، وحتى الآن و"ساتشيغو" ترمقها بالنظرات، وأزاحت لها على المنضدة أوراق الخطاب الثلاثة، ودون أن يطرف لها جفن أخذتها وقلّبت الصفحات لتقرأها بتمعّن.

"كم هو أحمق... لقد اندهشت حين قال لي من فترة إنه سيرسل خطابًا للأخت الكبيرة لكي أخبرها".

"أنا بالتأكيد دهشتي كانت كالصّاعقة".

"أريد أن أحتفظ بهذا".

"لكنّه كتب به يستسمحني ألا أبلغك شيئًا، وأنا بدلًا من أن أخوض النقاش مع أيّ أحدٍ واجهتك مباشرةً، وأول ما تبادر لذهني هو أن أسألك... قطعًا هذه ليست الحقيقة، أليس كذلك؟".

"أوكوباتا" يقول إنني أخونه... هل وصل الشكّ به لهذا الحد؟".

"رغمًا عن ذلك، ما ظنّك بـ "إيتاكورا"؟".

"إيتاكورا" أنا سببتُ له الكثير من المشاكل. الوضع يختلف عما يقصده "أوكوباتا"، أنا يتوجّب عليّ شكره والعرفان بجميله. إنه صاحب فضلٍ، وأنقذ حياتي. هل يؤوّل الوضع لسوء الظنّ به هكذا؟".

"حسنًا إذن، كما ظنّنتُ تمامًا... أتفهّم ذلك".

قالت "تائيقو" إن شكّ "أوكوباتا" كما جاء بالخطاب هو منذ حادثة الفيضان، لكن الحقيقة أنه من قبل، وأدركت فيما بعد

سبب كراهيته الدائمة لـ "إيتاكورا". في البداية كان يُثار حنقه دون داعٍ من تَرُدُّد "إيتاكورا" بخُرِّيَّة على بيت "أشيا"، فرأت أن تدعه بغضبه الطفولي هذا لأنه ليس غيره، ولم تُعره أيَّ انتباه، لكن بعد حادثة الفيضان تَمَلَّكَه الشَّرُّ لدرجة أنه أصبح يَصُبُّ كُلَّ شكوكه عليها. سألها "أوكوباتا" هي فقط، وقبلما يفعل مع "إيتاكورا" طَلَبَتْ منه أن يلتزم الصمت، وظنَّت أيضًا أن "أوكوباتا" شديد الاعتداد بذاته؛ فلن يتحدَّث له أبدًا، وتحاشت المواجهة بأي حديثٍ مباشر مع "إيتاكورا"، وهو بدوره لم يفعل، ولم يُلْقِ اللُّومَ على أحد، وكان هذا سببًا كافيًا لينشب الشجار بينها وبين "أوكوباتا"، ومهما حاول الاتصال بها تغضب ولا تجيبه، وعن عَمْدٍ لا تعطيه فرصة للقاءها، وأصبحت طريقة إلحاحه تُؤثِّرُها، وتعتبرها شيئًا مُثيرًا للشفقة، وآخر ما جاء به هو هذا الخطاب، والذي عرفت بشأنه بعدما التقته أخيرًا في الثالث من الشهر الحالي.

إنها دائمًا ما تلتقيه بالقرب من غرفتها المُستأجرة كمقرِّ لَعَمَلِها في "شوكوجاوا" وتنتظره بالطريق، وهذا ما يقصده "أوكوباتا" حين ذكر بخطابه أنه لم يَعد يلتقيها دون أن يذكر بالتفصيل كيف وأين يتقابلان.

بسماع "ساتشيقو" لإجابتها ولأنها تُنهي حديثها معه بعد التَّمشية هناك عند أشجار الصنوبر ثم تغادر- أدركت أن عبارة "إيتاكورا" بالخطاب: "لديَّ العديد من الأدلة" ما هي إلا ليدفعها لتوبيخ "تائيقو"، وجعلها تقطع علاقتها بـ "إيتاكورا" من أجله، لكن "تائيقو" لا سبيل لها لتقطع صلَّتها بشخص صاحب فضل عليها في بقائها على قيد الحياة، فلقد رفضت بشدَّة حين أمرها بذلك؛ فأصرَّ أكثر على ألا تلتقي "إيتاكورا" أبدًا.

أصبح لا مفرّ من أن تشرح له الأسباب، وحينها قطع "إيتاكورا" عهدًا بالألّا يأتي للزيارة ببيت "أشييا" ثانية، وأن يُنهي تمامًا أيّ علاقة عمل وكل ما يخصّ عمولات الصور الدعائية.

أخذت "تائيكو" الخطوة لتبدأ شرح ملابس الوضع، وحديثها جعله يمتنع عن الكلام فأدركت أنه مجبورٌ على قطع مثل هذا الوعد.

بناءً عليه، فهو منذ أن قطع وعده، أي منذ الثالث من الشهر الحالي وهي لم تلتقي بـ "إيتاكورا" ولا مرة، وهو نفسه لم يزُرهم ثانية، فقط عندما عادت "ساتشيكو" أخلف اتفاقه وجاءهم بزيارة عابرة، وعن عمْدٍ اختار موعد غياب "تائيكو" عن البيت.

هكذا هي لا غبارَ عليها، ولكن تُرى "إيتاكورا" ما شعوره نحوها؟

بالنسبة لـ "أوكوباتا" ما من حاجة لـ "تائيكو" لتتلقّى العون منه وتدين له بأي معروف؛ فهو يظن أن إقدام "إيتاكورا" على عمله البطولي له هدف في الأساس. ذاك الرجل الماكر واجّة الأخطار بجدارة فقط لترقبه لتعويض عظيم من أي نوع كان. إنه كان منذ الصباح الباكر مُستعدًّا، ويتجوّل بالمنطقة ممّا يؤكّد أن سلوكه كان مُخطّطًا له؛ فأين هو المجرّر لشكر رجل يحتضن طموحاته التي هو نفسه لا يعرف مداها.

ففي المقام الأول حين يستولي على حبيبة رب عمله ألن يكن هذا جحود؟

هذا أيضًا ما ينكره "إيتاكورا" بشدّة، ويقول إن "أوكوباتا" أساء فهمه للغاية. إنه قدّم العون للأخت الصغيرة لأنها بالأساس حبيبة ربّ عمله، ولأنه لم ينسَ فضله القديم؛ ولهذا تفانى وبذل قصارى

جهده مقدّمًا حياته، فكيف تؤخذ فعله على ذاك المحمل؟ ولأنه شخص سليم النية أصبحت "تائيقو" تستعين به دائمًا. إذن...

كيف لـ "تائيقو" أن تحكم أو تفصل القول بينهما؟

بصراحة لا يمكن الجزم بأن "إيتاكورا" لم يشعر ولو بالقليل بمشاعر حقيقية، وهو أيضًا ذكي؛ لذا لم يُظهر الأمر، لكن خوضه للمغامرة لهذا الحد هل هو فعلًا ولاء وعرفان لرَبِّ عمله القديم؟

ربما ما يعيه هو ذاته أن الأولى من ولائه لـ "أوكوباتا" تقديم ولائه لها، وإن حدث العكس فلن يضره شيء. إنه يدري أن عليه ألا يتخطى حدوده أكثر من ذلك، وإنما فليرسم على وجهه أمارات أنه لا يعرف شيئًا؛ وبهذا يظل هو الرجل الخدوم الذي يسعى لكسب عيشة بكد، ويستغل الوضع الاستغلال الأمثل، وبالمقابل هي ستفكر بمكافاته نظير خدماته، ومن الأفضل أن يرتب أموره هكذا.

وعلى هذا الحال، وبذلك المشاعر كان الوضع بينه وبين "تائيقو"، لكن "أوكوباتا" الضعيف الشخصية اشتعلت غيخته وهي تكره أن تُعلق بسوء الفهم السخيف هذا، وإن كانا على وشك الانفصال، فبقدر الإمكان ستجعله لا يتمادى بالمجيء والذهاب معها، ويقتصر الأمر على تبادل الأحاديث على فترات. بهذا حين تفجّر شك "أوكوباتا" اطمأن "إيتاكورا" لكونه سيندم عما قريب على كتابته مثل هذا الخطاب لـ "ساتشيكو".

"احذري "تائيقو" من هؤلاء أمثال "إيتاكورا"، لا أدري من أي نوع هم، وإنما لا نُحسني الظن أبدًا... أمّا عن "أوكوباتا"

فأنت رغم أنك لا تُكثِّين أي مشاعر لغيره إلا أنه ترجم الوضع هكذا، وما كان يصحُّ له أبدًا...".

بالآونة الأخيرة تباستطت "تائيقو" أمام أختها الكبيرة لدرجة أنها أخرجت علبة السجائر من بين طيّات حزام رداؤها بعد قليل، والتقطت واحدة من اللفافات المستوردة باهظة الثمن، ذات المبسم الذهبي، وأشعلت لهب قداحتها، وفتحت شفتيها الغليظتين التي تُميزانها، ونفثت الدخان وهي تفكر بجديّة.

"إذن فلنتحدّث عن السفر للخارج".

والتفتت إلى "سانشيقو" بجانب وجهها:

"أختي... ألا تُفكرين معي!".

"حسنًا، أفكر بالأمر، ولكن...".

"هل فتحت الموضوع بطوكيو؟".

"تحدّثت مع "تسوروقو" في عديد من المواضيع، وكنْتُ سأطرُق للأمر، لكنني لم أفعَل، وأظنُّ أن المسألة تتعلّق بالمال؛ لذا فمن الأفضل عدم الخوض في الحديث، وإن كُنَّا سنفتح الموضوع فليَقُم بذلك أخوك الأكبر "تينوسوكيه"."

"وما قول أخِي الأكبر "تينوسوكيه"؟".

"يقول إذا كانت هذه رغبتك وتُصرِّين عليها فلا مانع من أن يتوسّط ويرفع الأمر لهم، ولكن ألن تندلع الحروب في أوروبا؟ هذا هو المُقْلِق في الموضوع".

"هل فعلاً ستبدأ الحرب؟".

"لا أدري، ولكن فلننتظر قليلاً نرى الوضع".

مكتبة
t.me/soramnqraa

"هذا هو الصحيح. المعلّمة "تامأ أوكي" ستسافر عمًا قريب؛ لذا فكّرتُ أن تصطحبني معها، ولكن بناء على ما تقولين..."

بالحقيقة "ساتشيقو" أيضًا فكّرت أنه طالما هذا ما آلت إليه الأمور وشأنها مع "إيتاكورا" طبيعي، وأيضًا تُصرُّ على الابتعاد عن "أوكوباتا"؛ إذن فليدعوها تسافر.

الوضع في "أوروبا" تراه بالصُّحف أولًا بأول، وهي يساورها القلق من رحيلها وحدها، ويَغْضُ النظر عن موافقة البيت الكبير فهي متردّدة، لكن إذا كانت السيدة "تامأ أوكي" ستذهب معها بنفس الرحلة فهذا مُنطَلَق لتعديل وجهة التفكير، فعلى حَدِّ قول "تائيقو" هي لا تنوي الذهاب في رحلة طويلة. إنها ذهبت لباريس بالسابق، والآن هدفها الذهاب لمرة أخرى فور ما تسنح الفرصة؛ لدراسة أحدث صيحات الموضة، ولأنه لا بُدَّ من إعادة بناء المدرسة بسبب أضرار كارثة الفيضان؛ فإنها تريد أن تستغلَّ هذه الفترة وتسافر وتعود لأرض الوطن بالكثير بعد ستة أشهر. إن كان حَقًّا من الأفضل لـ "تائيقو" البقاء لسنة أو سنتين للدراسة فلتَبَقْ، وإن كان سيحبط عزيمتها البقاء بعد رجوع "تامأ أوكي" فلتَعُدْ معها، والذهاب لسته أشهر فقط سيُمكنها من ترقية مُسمَّها الوظيفي في مجالها.

قالت أيضًا "تائيقو" إن الآن تحديدًا بتخطيطها للمغادرة بأول العام القام والعودة بشهر يونيه أو أغسطس ربما بهذه الفترة القصيرة تقع الحرب وتتولَّى السماء مصيرها، لكنها ستطمئنُّ إذا كانتا هما الاثنتان سويًا. لحسن الحظ أنها تعرف أشخاصًا ألمان وإنجليز، وعندما يتأزم الوضع لن تتورَّط بالبحث عن مأوى. إنها لن تجد فرصة مثالية كهذه مرة أخرى، وإن كانت الرحلة تَحْفُّها المخاطر فلتكن برفقة صديقتها.

"بهذه المرة ستوافقين بسبب موضوع "إيتاكورا" و"أوكوباتا"، أليس كذلك؟".

هكذا قالت لها "تائيقو".

"إن كان الأمر بيدي فأنا أوافق، ولكني لا أدري ماذا سيقول "تينوسوكيه"، سأتناقش معه ونرى".

"بالتأكيد سيوافق وسيشرح لهم بيت العائلة الكبير. ستطلبين منه أليس كذلك؟".

"هل أول السنة بقریب؟".

"كلما كان أسرع كان أفضل، ومتى ستذهبن لطوكيو ثانية؟".

"لا بُدَّ لي من الذهاب مرة أو مرتين قبل العام الجديد... إذن ها أنتِ ذا عليك تعلّم الفرنسية يا "تائيقو".

قالتها "ساتشيكو".

الفصل الحادي والعشرون

كانت السيدة "STOLZ" ستغادر إلى "مانيلاً" في أحد أيام الشهر الجاري، مُصطحبةً "روزماري" و"فريتز" بسفينة الركاب الأمريكية الفاخرة "PRESIDENT COOLIDGE".

كانت "روزماري" طوال فترة نواجذهم بـ "طوكيو" وهي تخشي أن يُمددوا إقامتهم، ويوميئاً تزعج "تائيكو" والخادِمات وتَسألهم عن "إنسوقو" لماذا لم تُعد بعدُ، وهل ستمكث هناك أكثر من ذلك؟ ومنذ رجوعهم وهي تنتظر عودتها من المدرسة، وأمضت الطفلتان كلَّ الأيام القليلة المتبقية في اللهو سوياً دون ضياع ولا يوم.

كانت "إنسوقو" بمجرد أن تضع حذاءها بالمدخل تجري نحو السور السلكي.

"رومي، هيأ تعالي..."

وتناديها بلغة ألمانية متكسرة حروفها، وعلى الفور تظهر "روزماري" وتعبر السور وهي ترقص فرحاً، وتبدآن في قفز الحبل حافيتي الأقدام فوق العشب.

ويأتي "فريتز" ويتولى مهمة العد:

EINS,ZWEI,DREI,VIER 1,2,3,4"

أسرع... أسرع "SCHNELL SCHNELL".

"لا يمكنني المزيد "NOCH NICHT".

وغيرها المزيد من الكلمات التي أصبحت "إتسوقو" تستخدمها هي الأخرى، وبيوم ما جهة الأغصان الكثيفة تعال صوت "روزماري" باليابانية:

"إتسوقو" كيف حالك؟".

أجابتها "إتسوقو" بالألمانية، واستمر الحوار:

"حين تذهبن لـ "هامبرج" بالتأكيد لن تنسي أن تراسليني".

"أنت أيضاً يا "إتسوقو" راسليني".

"حسنًا سأفعل بالتأكيد، بالتأكيد... أبلغني سلامي لـ "بيتر".

وفجأة تعالت أصواتهم بالنداء:

"إتسوقو".

"رومي"، "فريتز".

خرجت "سانشيقو" للشرفة لتستطلع ما يحدث؛ فوجدت "روزماري" والطفل الصغير فوق جذوع أشجار ارتفاعها يناسبهما، يقفان عليها ويلوئحان، و"إتسوقو" تجييهما، ويمثلون مشهد إبحار السفينة ومغادرتهما.

نزلت "ساتشيقو" إليهم بالهدية سريعاً، ولوّحت لهم وكأنها تقف على رصيف الميناء.

"رومي"، "فريتز".

"يا والدّة" "إتسوقو" "Auf, Wiedersehen".

"لا زلتم باليابان يا "رومي"، "ご機嫌よう".

"يا والدّة" "إتسوقو"، يا "إتسوقو"، تعالوا إلى "هامبرج".

"بالطبع سنأتي... الآن" "إتسوقو" كبيرة بما يكفي لنذهب قريباً... يا "رومي" اعتنِ بحالك".

قالتها "ساتشيقو" وهي تشارك الأطفال لعبهم والذمّع يختنق بأعينها.

كانت السيدة "STOLZ" صارمةً في قواعد الأدب التي تُربّي عليها أطفالها، وحتى ولو كانت "إتسوقو" هي التي بحدقتهم بعد ساعة بالضبط يعلو صوت نداءها أمام السور: "رومي"، هيّا، لكنها في الآونة الأخيرة بدا أنها تتعاطف على نحوٍ خاص مع مشاعرهم الأليمة فيما تبقى للرفقة الطفولية من أيام أخيرة، ولم تتحدّث إليهم بصراحة كما اعتادت، وحلّ الظلام وهي تترك طفلها يواصلان اللهو.

كان لعبهم المعتاد هو أن يصفّوا العرائس ويلبسوها مختلف الملابس، ثم يمسك أحدهم بجرس ويرثّه ليتبادلوا الأدوار مع العرائس، ويرتدون مختلف الثياب، وأحياناً يتناوبون الدّور للعزف على البيانو.

"إتسوقو"، تفضّلي مرّةً أخرى من فضلك".

كانت كثيراً ما تقولها "روزماري" لتعزف إتسوقو مقطوعة موسيقية تحبّها.

انشغلت السيدة "STOLZ" بسبب رحيل زوجها وترتيبها لكل الأغراض وتوليها بيع أثاث البيت وكل من تبقى من مهام بمفردها، وانهمكت بالعمل يوميًا. تابعتها "ساتشيقو" من غرفة الطابق الثاني، هذا لا يعني أنها ظلت تراقبهم عن عمدٍ منذ انتقال هؤلاء الألمان للجوار، وإنما كان من الطبيعي أن يسقط نظرها على الباب الخلفي عندهم بكل مرة تُطلُّ بها من شرفتها، سواءً بالصباح أو المساء، ومن الأحوال بالمطبخ عندهم عرفت أنها والخادمت يواصلن العمل باستمرار، وكانت تُصاب بالدهشة وهي تراهن يُنظَّمن أدوات الطهو بعناية فائقة، ومنضدة المطبخ والموقد بالمنتصف، ومن حولهما المقلادة والغلاية الألومنيوم، وليكبر حجمهما وَضَعْنهما بمكان ثابتٍ، وبالترتيب، بعدما تمَّ جليُّهم وتنظيفهم، وأصبحتا مثل الأسلحة اللامعة للجنود. تسير مواقيت أعداد الطعام وتناول الوجبات وتدفئة الحمام والغسيل والتنظيف كلها بدقَّة كما تحدَّد لها، وكل من بيت "ساتشيقو" لا يحتاجون النظر للساعة إذا ما رأوا ما يزاوله جيرانهم من مهام.

كان الخدم بيت "STOLZ" فتاتين يابانيتين، ولكن هناك واقعة تسببت بها الخادمتان المستأجرتان قبل هاتين الفتاتين. كانت تراهما "ساتشيقو" وهما متفانيتان بالعمل وغاية بالإخلاص، لكن كانت ترى كيف هي قاسية معاملة سيدتهما وهي دائماً غير راضية عن أعمالهما وتسبقهما بنفسها لتجعلهما تسيران وفقاً لبرنامج لا تضع به ولا دقيقة، وفور الانتهاء من مهمَّة تلحقهما بالأخرى. ظنَّت الفتاتان أنها ستتلقيان الكثير من المال بعملهما لدى أسرة ألمانية، خاصَّة وأن الأعمال الموكَّلة إليهما كثيرة، وتنهما كان بها طوال اليوم دون حتى استراحة لالتقاط الأنفاس. إن سيدتهما ربة المنزل لها كل الاحترام، وإنما ما عادت تطيقان العمل بعدُ. وهذا ما جاءت به الفتاتان إلى "ساتشيقو"؛ فبصباح يوم ما كانت هاتان الخادمتان تُزاولان مهام

التنظيف اليومية حول السور، و"أو أكي" الخادمة المساعدة ببيت "ساتشيقو" تقوم بالمثل هي الأخرى، فتبادلن الحديث. كانت "أو أكي" كلّما خرجت خادمتا بيت "STOLZ" للتنظيف حول السور تنتهز الفرصة وتخرج هي الأخرى، وبعرة واحدة فقط مشكورة قامت هي بأعمال النظافة كلها، لكن السيدة "STOLZ" لاحظت ونهرتهما بشدة ببذيء الكلمات لتركهما مسؤولية أعمالهما لخادمة أخرى.

إنهما لم تتركاهما أعمالهم وحتى لم تطلبا من "أو أكي" ذلك، بل هي عن طيب خاطر فعلت، وإنما الفتاتان توسلنا لـ "ساتشيقو" ألا تدعها تفعل، وإن كان من غير اللائق طلب ذلك، ولكن سيدتهما لن تفهمن ولن تسامحهما.

طلبت "أو أكي" من "ساتشيقو" أن تتفضل مع الفتاتين وتذهب لجارتها الألمانية بعدما استمعت منهما لملاحظات الوضع، ورغم أن "أو أكي" أرادت أن تتوسط لهما، إلا أنهما أصرتا بشدة ألا تفعل، واستسمحتاها ألا تقول شيئاً، وأضافت الفتاتان أنهما تعملان بكل كد، لكن سيديتهما لا ترى ذلك أبداً، وهي كلمة لا تقول سواها دائماً: "أنت غبية"، وأردفت إحداهما:

"بالطبع إننا لن نضاهيها في الذكاء، ولكننا لأقصى حد نؤدي أعمالنا بإخلاص".

طلبت الفتاتان من "ساتشيقو" أن ترى لهما وظيفة لدى شخص آخر؛ فهي ترى بنفسها كيف سيدتهما تقول إنهما سيئتان، وهما ترغبان في إيجاد فرصة عمل جيدة لأنهما ليستا كذلك، وسيدتهما لن تتغير أبداً أو تكبح جماح غضبها الدائم، وهما الآن بإجازة لمدة ساعة تستغلانها في البحث عن عمل آخر.

بعد ذلك مباشرة أتت خادمتان جديدتان، وهما أيضاً في غاية الاستياء من سيدتهما، لكنهما تتفوقان على السابقتين في الذكاء وكفاءة

العمل، وهذا ما اكتشفته "ساتشيقو"، ورسم لديها ملامح للسيدة الألمانية جارتها، ولكنها أيضًا ليست الشخصية الصارمة المتمسكة بالقواعد فقط؛ إن لديها أيضًا مشاعر حُب عميقة وطيبة؛ فمثلًا بوقت الفيضان حين سمعت بفرار بعض الناجين بعدما علقوا بالوحدل إلى نقطة الشرطة بالجوار أسرع وجلبت لهم الملابس بحماس، وأمرت الخادمتين أن يعطياها من ملابسهما أيضًا، وهي ترجو السلامة لزوجها وأطفالها، وقلقت بشأن "إتسوقو" أيضًا، وبوجه شاحب انهمرت دموعها، وبالمساء فور عودة زوجها وأبنائها سالمين هرعت إليهم وتعالّت صرخاتها في مرح كالمجنونة. لقد رأتها "ساتشيقو" بمختلف حالاتها، ولأن كل ما رأتها من بين أوراق شجر الإسفندان يتبادر لمخيلتها صورتها وهي تحتضن زوجها بشدة من فرط السعادة ناسية وجودهم.

كم مثيرة للإعجاب هذه المشاعر الحارة.

عامةً هذا لا يعني أن كل الزوجات الألمان رائعات مثل السيدة "STOLZ"، وإنما بالطبع يصعب أن تجد مثيلتها ممن يبلون بلاء حسنًا هكذا.

"ها نحن ذا. لم يُعد يتبقّى شيء بالبيت، وإلى أن نصعد على متن السفينة لن نستخدم سوى هذه الشوك والسكاكين التي بالصندوق"- قالتها السيدة "STOLZ" وهي تضحك

وسألتها واحدة من الجيران ما إن كانت ستُعدُّ غرفة يابانية الطراز للذكرى حين تعود لألمانيا؛ لأنهم يودّون إهداءها تحفًا يابانية تُزيّن بها تلك الغرفة، وأعطيتها لوحات وأعمالًا خطيّة وتحفًا فنية عديدة. "ساتشيقو" أيضًا أهدتها منشقةً أولاني شاي مُطرزة من أيام عهدها بجديتها.

أما "روزماري" فأعطت لـ "إتسوقو" الدُمَيَّة المعتادة المحبَّبة إليها، ومعها عربة الأطفال، وبالمقابل قدَّمت لها "إتسوقو" صورة لها وهي تؤدِّي الرقصات في وقتٍ قريب برداء كيمونو ذي أكمام طويلة، مُزَرَّغش بالورود باللون الخوخي، من قماش "كريب ستان" الذي كانت ترتديه بذاك الحين.

بالليلة السابقة لرحيلهم على متن السفينة سُمِحَ لـ "روزماري" استثنائيًا بالمبيت لدى "إتسوقو" بغرفتها، ولم يمكن مقابلة طلبها بالرفض أمام حماستها ومعنوياتها المرتفعة. تركت "إتسوقو" فراشها لـ "روزماري" وأخذت هي فراش "يوكيقو"، لكن كلتاهما لم تستطيعا النوم.

دخل "تينوسوكيه" تحت غطاء فراشه من رأسه وحتى أخمص قدميه، ومع ذلك وصلت أصواتهما للرَّدهة، ثم زادت حِدَّة شغبهما شيئًا فشيئًا، فأدار عنقه ورفع رأسه، وبيطء جذب سلسلة النور الكهربائي بجوار وسادته دون أن يغفو ولو قليلًا وقال:

- "الضَّوضاء رهيبية، إنها الثانية بعد منتصف الليل".

أجابته "ساتشيقو" في اندهاش:

"حقًا! هل تأخَّر الوقت هكذا!..".

"أليس من الأفضل أن ندعهما مستمتعتين كي لا تغضب السيدة "STOLZ"..."

"حسنًا، فلندعهما، إنها الليلة الأولى والأخيرة".

"تُرى هل جارتنا سيُمكنها أن تنعم براحةٍ الليلة؟".

وهنا قاطعهما فجأة صوت خطوات تقترب لغرفتهما.

"أبي... شبح!..".

وصاحت الصغيرة بالخارج:

"أبي! "شبح"... ماذا تُقال بالألمانية".

"قُلْ لها يا عزيزي ماذا تُقال بالألمانية، وإن كُنْتُ تدري عَلمني".

"GESPENST".

أجابها "تينوسوكيه" بصوتٍ عالٍ، وكان من الغريب تذكُّره لِلُّغة الألمانية التي درسها منذ بضع سنوات.

"شَبَحَ بالألمانية هي GESPENST".

"GESPENST".

وحاولت "إنسوقو" أن تُردِّدَها:

"يا "رومي"، إنها GESPENST".

"أووه... أنا أيضًا سأتحوِّل إلى GESPENST".

وبدأت الضوضاء.

"شبح...".

"GESPENST".

وتعالَت الصيحات بالطابق الثاني إلى أن دَخَلَت "روزماري" عِوَةً إلى غرفة "تينوسوكيه" وزوجته، استباقًا لـ "إنسوقو". ارتدت الطفلتان ملابس فوق رأسيهما، تغطي وجهيهما، لتتقمَّصا دور الشبح، واستمرَّتَا في القهقهة والضحك وهما تقولان "شبح" بالألمانية حينًا، واليابانية حينًا آخر، وأحاطتا السرير، ودارتا في حلقة، ثم خرجتا من الغرفة للرُّدهة.

بالنهاية غَطَّ الزَّوجان في النوم قرب الساعة الثالثة صباحًا، لكن بالتأكيد لم تستطع الفتاتان النوم، واستمرَّتَا في اللهو. لكن بعد بعض الوقت غلب الحنين "روزماري" وأرادت العودة لأمها، وبدأت في

العبوس والغضب، واستيقظ الزوجان وكلُّ منهما أخذ دوره لتهديتها، وأخيراً بالفجر استطاعا أن يجعلوها تنام.

بيوم الرحيل ذهبت "إتسوقو" لرصيف الميناء حامِلةً باقَّة الورود بصحبة أمِّها و"تائيكو". كانت السفينة ستغادر بعد الساعة مساءً. حضرت لوداع "روزماري" فقط صديقةً ألمانية لها تُدعى "إنجي"، التقت بها "إتسوقو" من قبل عدَّة مرَّات ببيت عائلة "STOLZ"، وكانت تطلق عليها سرًّا اسم "عود الفول الأخضر"، ولم يكن هناك أطفال يابانيون غير "إتسوقو".

صعدت عائلة "STOLZ" إلى متن السفينة بالظهيرة، أما عائلة "إتسوقو" فتناولت العشاء سريعاً، ثم استقلَّت سيارة أجرة من "سانتوميا" لتطير بهم. مرُّوا من أمام الجمارك، وفجأةً وجدوا أنفسهم أمام اسم الرئيس الأمريكي "كالفين كوليدج" مُضاءً بالأنوار ومرفوع عاليًا على رصيف الميناء، الذي بدا كمدينةٍ لا تنام. على الفور سألوا عن الكابينة التي بها عائلة جيرانهم.

كانت الغرفة كلها -بالسقف والجدران والستائر والأسيِّرة- كلها بلون أبيض شامق البياض كاللبن، وممزوج باللون الأخضر، والأسيِّرة محاطة بباقات الورود الساطعة وكأنها بحلم.

نادت السيدة "STOLZ" على "روزماري"، وأمرتها أن تصطحب "إتسوقو" لسطح السفينة، ولم تعبأ الطفلتان بالوقت وبأنه لم يَعد أمامهما سوى أربع عشرة أو خمس عشرة دقيقة فقط، ولم يستطع أحد أن يحصي كم مرَّة أخذتا درج هذه السفينة الفخمة صعودًا ونزولًا، وبرجوعهما للكابينة بَكى الجميع وتبادلوا كلمات الوداع، وسرعان ما لاحقهم صوت الأجراس لينزلوا من السفينة، وبابتعادها عن رصيف الميناء:

"رائعة وكأنها مجمع محال تجارية يتحرك".

قالتها "تأنيقو" ذات الكنزة البيضاء مكتنزة الأكثاف وهي على
رصيف الميناء بليلٍ نَسِيمُهُ خريفِيٌّ.
ولفترة طويلة ظلَّ خيال السيدة "STOLZ" الواقفة على سطح
السفينة يتلألُ وسط الأضواء، وتابعوها وهي تبتعد، وظلُّ صدى
الصوت الصغير المدوّي لـ "روزماري" وهي تنادي -مُثابرةً- يبلغ
مسامعهم من فوق البحار المظلمة.
"إنسوفو...".

الفصل الثاني العشرون

"من مانيلاً في اليوم الثالث عشر من سبتمبر 1938.

عزيزتي السيدة الفاضلة "ماي أوكا"

هذا الشهر باليابان مليء بالأعاصير، وأنا قَلِقَةٌ بشأنكم للغاية، في الشهور الماضية واجهتم الكثير من الكوارث، وأتمنى ألا تُعانوا من أي صِعبٍ ثانية. أظنُّها انتهت أعمال إزالة أكوام الرمال والحجارة من الطرقات والضواحي، والآن عادت المواصلات مرةً أخرى لحالتها الطبيعية، والناس أيضًا يستمتعون بحياتهم. تُرى، هل جاء مستأجرُ جديد للبيت الذي كُنَّا فيه؟ أنتم فعلاً خير جيرة حَظِينا بها.

في الحقيقة دائماً ما أتذكّر حديقة منزلنا الجميلة والطرقات الهادئة التي يلهو بها الأطفال ويتجولون. لقد أمضوا وقتاً مُمتِعاً حقاً.

وأنتِ كم اعتنيتِ بهم ببيتك.

أودُّ شُكْرَكِ على كل مرة راعيتِ فيها أطفالِي بلُطفٍ. إنهم يخبرون الجميع دائماً أنكم عائلتهم، ومن وقتٍ لآخر يتملّكهم الحنين لكِ ولـ "إتسوقو".

لقد أرسل "بيتر" خطاباً من السفينة يقول إنه استمتع بوقتٍ غير عادي في مشاهدة معالم "طوكيو" مع "إتسوقو" وأختك الصغيرة.

أنتم حقاً قدّمتم لنا كلَّ طيّب، ولكم خالص الشكر. إنهما وصلا إلى "هامبرج" بسلام، وأرسلا لنا برقيّةً بالأمس، وهما الآن عند أختي الصغيرة.

إن لديها ثلاثة أطفال، و"بيتر" أصبح رابعهم.

إننا هنا وسط عائلة كبيرة بها ثمانية أطفال، وطفلاتي بينهم كدجاجةٍ وحيدة بقفصها. أحياناً يتشاجر الأطفال مع بعضهم البعض، لكنهم عامّةً يستمتعون باللهو سوياً. "روزماري" أكبرهم سنًا.

كل يوم بحلول المساء نطلق بالسيارة ونجوب بمتنزّهات رائعة، ونأكل المثلّجات.

أتمنّى لكم جميعاً عيشاً هنيئاً، وأرجوكم أبلغني سلامي للسيد زوجك وأختك الصغيرة والمحبوبة "إتسوقو"، ووقتما تستقرُّ الأحوال بأوروبا مرةً أخرى تفضّلوا تعالوا لزيارتنا في ألمانيا.

المكان الذي نحن به الآن يملؤه دويُّ الأسلحة. بكل حال من الأحوال الشعب لا يحبُّ الحرب، ولا يرغب أن تنشب من الأساس. أنا على قناعة بأن هتلر سيتعامل مع "مشكلة التشيك".

أدعو لكم بالصحة والسلامة، وأرجوكم ألا تنسوا أبداً أنّي أكرُّ لكم كلَّ الحب والاحترام.

المخلصة لكم

"ليندا ستولز".

أرسلتُ لكِ بنفس البريد مفرشًا بتطريزٍ "فلبيني" أظنه سيروقُ
لكِ".

كُتِبَت السيدة "STOLZ" خطابها بالإنجليزية، واستلمته "ساتشيقو" في العاشر من أكتوبر، ووصل المفروش المطرز المذكور بالخطاب لاحقًا بعد عِدَّة أيَّام، وكان من المشغولات اليدوية فائقة الجمال، ووضعتُه منتصف الطاولة.

فكَّرتُ "ساتشيقو" أن تجيب على الخطاب، ولكن ثرى، إن كُتِبَتِه فَمَن سترجمه لها؟

كان زوجها مثابرًا على إزعاجها، وظلَّ يُماطل بحُجَّة أنه يبحث عن شخص مناسب، وبليلة ما وهي بنزهة على ضفة نهر "أشيا" ورد بخاطرها أن السيدة "STOLZ" عَرَفَتها بسيدة يابانية تزوجت من ألماني يدعى "HENNING".

الأمر سخيف؛ هي لا تستطيع أن تكتب بمهارة، وإنما ابنتها هي مَن تستطيع كتابة الإنجليزية والألمانية أيضًا، وستجعلها تترجم الخطاب، هكذا قالت السيدة "HENNING" لـ "ساتشيقو" وحلَّت المسألة، لكن دون سبب يُذكر لم تَنسب كلماتها بالخطاب الذي سيقطع مسافات طويلة، ولعدة مرَّات تُمزق الورق وتزيحه جانبًا، إلى أن استطاعت بالنهاية بيوم ما ووافقت على ما كُتِبَتِه "إتسوقو" أيضًا، وأرسلته للسيدة "HENNING".

بعد حينٍ وصل طردٌ على عنوانهم باسم "إتسوقو" من "نيويورك". إنه من "بيتر".

لقد ابتاع الحذاء الذي وعدها به بطريق عودته لبلاده، وأرسله، ورغم أن الحذاء كان بنفس مقاس الذي تتخله بالضبط إلا أنه كان

صغيراً جداً على قدمها، ومقاسه غير مناسب. إنه من جلدٍ مُميّز عالي الجودة مُصنَّم للسَّير لمسافات، واستسلمت "إتسوقو" للأمر الواقع بعد عدَّة محاولات لَحْشَر قدمها؛ فكلما حاولت جَاهِدَةً واجهت الفشل.

"يا للأسف. لو كانت أكبر من مقاسي لكان أفضل. لماذا أخطأ "بيترى"؟ ألم يأخذ المقاس بالضبط؟".

"ربما قَدَّمَكِ كَبُرَتْ بهذه الفترة. أو ربما لأن أحذية الأطفال تبدو أكبر ممَّا هي عليه. ليتنا انتبهنا لذلك. لو كان ابتاعها مع أمه لكان انتبه بالتأكيد".

"يا للخسارة".

"كفى. كم مرَّة ستظلين تحاولين"، قالتها "سانشيقو" ضاحكةً و"إتسوقو" تحاول مرارًا وتكرارًا انتعال الحذاء.

بتلك الأثناء كانت "تاتيقو" تريد الانتهاء من نصيب الدُّمى التي تَلَقَّت طلباتها قبيل ذهابها لأوروبا، ولم تَسْرَحْ ولو ليوم واحد، وواصلت العمل بغرفة أشغالها. ولتعلَّم المحادثات الفرنسية عرَّفَتْها السيدة "تامأ أوكي" برَّسَامِ للوحات غربيَّة النمط عاش في باريس لِسِتَّ سنوات، يُدعى السيد "بيشُو إينوسوكيه"، دَرَّسَ لها ثلاث مرَّات أسبوعيًّا مقابل مَبْلَغٍ زهيد، لا يتعدَّى العشرة ين شهريًّا.

كانت تقضي اليوم بأكمله بالخارج.

أمَّا "إتسوقو" فكانت كل يوم عند عودتها من المدرسة تتَّجِه للسور السلكي الفاصل بينهم وبين بيت عائلة "STOLZ" سابقًا، والذي أصبح بيتًا شاغِرًا، وتلقي نظراتها وكلها حنين، ومِرَّةً تأمَّلت حشرةً بين العشب الكثيف تقف بلا هدف وتطلق أزيزها. إنها حتى الآن لم تَحْظَ بأحدٍ من زملاء المدرسة بالقرب ليكون صديقًا مناسبًا للهو

سويًا، إلى أن تجاهلت الأمر بمرور الوقت، لكنها بدا أنها لا تتحمل الوحدة؛ فبدأت محاولاتها لتكوين صداقات جديدة، لكن سرعان ما لا تجد رفقة تروقها فتعود مرةً أخرى للحديقة الخلفية للبيت، وتتفقد ما إن جاء أطفال مثل "رومي"، وتظلُّ تُردّد هذه الكلمات.

كانت البيوت المستأجرة المصمّمة لتناسب الأجانب لا يستأجرها اليابانيون، ومؤثر الاضطرابات الراهنة فيما حول العالم جعل الأجانب كلّهم يفعلون مثل عائلة "STOLZ"، ولنفس الأسباب يغادرون من الشرق الأقصى؛ ولهذا ظلّ ذاك البيت مغلقاً أقفاله.

بسبب الملل توجّهت "ساتشيقو" لتتعلم فنّ الخطّ نارة، وتلقين "أوهارو" مبادئ العزف على آلة القانون تارةً أخرى.

"ليست "إتسوقو" فقط مَنْ تشعر بالوحدة؛ بل أنا أيضًا، وأشعر بالأسى على كل شيء بحلول الخريف. أنا أحب الربيع، وإن كنت لم أشعر به هذا العام، ومنذ بداية السنة وأنا أجد ملامح الخريف بكل ما يحيطنا... ثرى، أهو العمر؟".

واختتمت "ساتشيقو" خطابها لـ "يوكيقو" بهذه العبارات.

بوجه عام، هذه السنة بعد لقائها بـ "يوكيقو" في الربيع كان اللقاء الراقص في شهر يونيه، ثم مرورًا بكارثة الفيضان و"تائيقو"، ووفاة المعلمة "أوساكو"، ورحيل عائلة "STOLZ"، وسفرهم لـ "طوكيو"، وإعصار إقليم "كانتو"، انتهاءً بالسحابة السوداء التي حلّت فوق رأسها بخطاب "أوكوباتا"... سنة مليئة بالحوادث المؤلمة التي وقعت للآن، وأخيرًا هدأت الأوضاع لأول مرةً هنا، ومكثت شاردة الذهن مستسلمة للملل.

مع ذلك، فحياة "ساتشيقو" بباطنها وظاهرها ترتبط بأختيها الصغيرتين ارتباطاً وثيقاً، وهذا شعور لا يمكن تلافيه. إنها على صعيد أسرتها الصغيرة حياتها يسودها الانسجام فيما بينها وبين زوجها وطفلتها الوحيدة صعبة المراس. في الغالب يعيش ثلاثتهم في سلام بقليل من مشاكل تقلبات الحياة، لكن إلى الآن أختاها الاثنتان هما من تظراً على حياتهما الكثير من المتغيرات. هذا لا يعني أن وجودهما يُزعجها، بل على العكس؛ يضيفي الألوان على حياة الأسرة، ويجعل الأجواء بها بهجة، وتنعم "ساتشيقو" بالسعادة، والسبب هو أنها هي أكثر من ورث من والدهم الراحل الشخصية البراقة المفعمة بالحياة، وأكثر ما تكرهه هو البقاء لحالها بالبيت بمفردها، وعادة ما تحب العيش بحيوية وفي صخب؛ ولهذا كانت أختاها تكرهان البقاء ببيت العائلة الكبير لدى أختهم الكبيرة، ومضيان معها أغلب أيام الشهر. بالتأكيد كانت لا تشجعهما على ذلك أمام الزوجين كبار العائلة، ولكنها بأعماق قلبها ترخّب بذلك، وترى أنه من الطبيعي أن تُفضّل الأختان البيت الأوسع والأقلّ عدداً، والذي يتوفّر به الاعتناء بأحوالهما عن قرب. الأكثر أن "تينوسوكيه" كان يخشى من انزعاجهما ببيت العائلة، وأظهرت أفعاله مدى تفهمه لشخصية زوجته؛ فكان يقبل بهما كأختين له بكل سرور.

لكن يمثل هذه الظروف بالآونة الأخيرة أصبحت علاقتها بأختيها يحكمها المفهوم التقليدي للأخوات، وظنّت نفسها لا تعطي أغلب وقتها للاهتمام بشأن "يوكيقو" و"تاتيقو" مثلما تفعل بشأن زوجها وابنتها، واندحشت من الأمر؛ لأن هاتين الأختين بالنسبة لها لا تقلّ محبّتهما عن ابنتها "إتسوقو"، بل ويمكن القول إنهما رفيقتاها الوحيدتان.

بهذه المرة، بعدما أصبحت وحيدةً هكذا، وجَدَت نفسها لأول مرة ليس لديها أصدقاء...

فبخلاف العلاقات الرسمية ليس لديها سوى القليل من المعارف.

تنبّهت للأمر، وتعبّبت أنها بوجود أختيها الاثنتين لم تجد لذلك ضرورة. والآن هي وابنتها التي تفتقد "روزماري" حالهما بالمثل. على حين غرّة تتذكّر كلّ منهما وحدتها.

خطف "تينوسوكيه" نظرة عابرة على باب المسرح والترفيه بالصُّحف في أواخر شهر أكتوبر؛ فهو لطالما اعتنى بزوجه وهي بهذه الحالة البائسة.

"انظري، الشهر القادم سيأتي لـ "أوساكا" مسرح الجيل السادس".

هكذا أخبرها، ثم تساءل ما إن كان اليوم الخامس من الشهر مناسبًا للذهاب، وسأل "تائيقو" أيضًا ما إن كانت ستأتي؛ فهذه المرة ستظهر "كاجامي چيشي"⁽¹⁾، لكنها أجابته بأن لديها الكثير من المشاغل، خاصّة بأول عشرة أيام من الشهر القادم، وستذهب لاحقًا. حين جاء ذاك اليوم اصطحب الزوجان ابنتهما وذهبا سوياً.

تلاشى استياء "ساتشيقو" من أنها لم تتمكّن من مشاهدتهم بـ "طوكيو" في شهر سبتمبر، وحقّقت رغبتها في أن تجعل "إتسوقو" تشاهد المسرح الاستعراضي لممثل الكابوكي الشهير "كيكوجورو". بتلك الأمسية، وفي الفاصل، خرّجت "ساتشيقو" ووقفت بالردّة، وانهمرت دموعها بشدّة. لم تلاحظ "إتسوقو"، ولكن "تينوسوكيه" انتبه. إنّ زوجته مشاعرها جيّاشة حيال كل شيء، ولكن رغم ذلك استغرب منها وسألها:

"ماذا حدث؟!"

(1) مُمثّلة مسرح كابوكي شهيرة.

سألها وهو يجذبها برفقٍ للرُّكن، فتلاحَقت دموعها المنهمرة مرة أخرى.

"أنتَ، هل نسيْتَ تمامًا؟... إنه يمثل هذا اليوم من مارس، ولولا ما حدث لكان بهذا الشهر أتم عشرة شهور بالضبط".
قالتها والدمع المتفرق بعيونها تمسحه بأناملها.

الفصل الثالث والعشرون

رغم قول "تائيكو" بأن رحيل السيدة "تامأ أوكي" في يناير المقبل، ورغم مرور أكثر من عشرة أيام من شهر نوفمبر إلا أنها استشعرت كيف أن الأمر ليس هيئًا على الإطلاق، وسألت "ساتشيكو" ضمنيًا من حين لآخر، فكانت تجيبها بالأسف؛ فزوجها غالبًا ما يذهب إلى طوكيو كل شهرين بمهام عمل، وما من فرصة ليذهب بهذه الآونة.

بعد فترة من مشاهدتهم للمسرح تقرّر سفره في غضون أيام، وكان دائمًا ما يخرج في عجلة من أمره، وبمساء اليوم السابق لسفرة تلقت "ساتشيكو" اتصالًا من مقر عمله بخصوص شؤون أخبرته بها عند مجيئه، وفكرت "ساتشيكو" إن كان بهذه الأجواء سيتحدث إليهم بيت العائلة، ووجدت أنه من الضروري التركيز وترتيب الحديث؛ فتوجّهت لغرفة المكتب وهاتفت "تائيكو" لتأتيها سريعًا.

هكذا كانت "تائيكو" تريد تعلّم الفرنسية لتصبح خياطة ملابس غربيّة بمؤهلات مُميّزة، ولكن لا يزال لديها أسباب أخرى خفيّة؛

فالسبب في أنها تريد أن تصبح لها مهنتها هو توقعاتها بأنها هي من ستؤول مسؤولية الإنفاق وإطعام "أوكوباتا" في حالة إن حدث وتزوجته مستقبلاً؛ ففي الأصل هذا الافتراض هو الدافع الأساسي. شرطها للزواج من "أوكوباتا" وبالمقام الأول هو عملها تحسباً للعواقب، وإن كان هذا هو سبب المشاكل وعدم التوافق بينهما في الفترة الأخيرة؛ فـ "تينوسوكيه" أيضاً وسيطها لدى بيت العائلة يكره الأمر ويتهرب من أن تقع على عاتقه هذه المهمة الصعبة، وإن كان يظن أنه من الأفضل لـ "تائيقو" أن تستطيع السفر للخارج كي لا تكون في حيرة من أمرها حيال ما تبتغيه، وتخطيها الحديث عن الزواج بالوقت الراهن هو النهج الأمثل.

إذا سارت الأوضاع على هذا الأساس فهذا لن يعني أنها كانت مظلومة بماضيها حين نشرت الصحف قصة حبها الملتهب وهروبها مع عشيقها؛ لكنها لا تريد أن ينتهي بها الحال لتصبح عروساً بأي شكل من الأشكال؛ فماذا بها إن قالت إنها ترغب بالنهوض بحالها وتصبح سيّدة محترفة بمجالها، وإن كان مُقدراً لها الخير فلتذهب، والتمهيد لالتحاقها بمهنة مهمّة كانت الشروط سيعود بالنفع في كل الأحوال.

دار نقاش الأختين حول السفر للخارج، وبأنه السبيل ليُكسبها لقباً مهنيّاً مُميّزاً بعد عودتها، وسيجعل كل من يراها كفتاة تالفة يَعدّل عن رأيه، وهذا نوع من الرّدّ لشرف العائلة؛ لذا هي تريد إذنهم بالسماح لها، وإن دفعوا لها التكاليف لن تطلب منهم نفقات زواجها فيما بعد، وهذا ما اقترحتّه "ساتشيقو"، ولم يكن لدى "تائيقو" أي اعتراض؛ فهي تريد أن تطلب منهم الأمر بأي طريقة يُفضّلونها.

كانت "ساتشيقو" لديها عدّة أمور لتوضّحها بطريقتها الخاصّة بهذه الليلة وقتما تطلب من زوجها هذه المهمة. إنها تظنّ بالطبع أن أفضل حلّ هو إبعاد "تائيقو" عن "إيتاكورا" و"أوكوباتا". وإن كانت

أسبابها مختلفة عن دوافع "تائيكو"، غير أنها ترغب بكل حماسة في جعلها تسافر. إنها لم تَبَحْ بأمر "إيتاكورا"، لا لزوجها ولا لأي شخص آخر؛ لذا حين تحدّثت إليه ذكّرت اسم "أوكوباتا" فقط.

حين كان يتردّد "أوكوباتا" على بيت "أشييا" ويلتقي "ساتشيكو" ويطلب الموافقة على زواجه من "تائيكو" كان "تينوسوكيه" يظنّه لم يَعدْ ببراءة الماضي، رغم تظاهره بالجدّيّة، وحين بحث بخفايا الأمور اكتشف أنه دائم التواجد بالمقاهي وأحياء المتعة، ولا يمكن اعتباره شاباً ذا مستقبل واعد. مثل هذه الأشياء سيُعدّدها لهم، وبما أنه بهذا الوقت اهتمام "تائيكو" كله منصب على تعلّم تقنية حياكة الملابس الغربية؛ أليس من الأفضل إذن أن ندعها تسافر وتلاحق طموحها؟ لقد أصبحت "تائيكو" بالثامنة والعشرين من العمر، أي ليست بطيّش الماضي، ولكنّ خطأها مرّة يجعل من الأمان وجودها مكان لا تطاله يد ذاك الشاب.

هذا هو الرّدّ الذي أرادت "ساتشيكو" سَماعه من زوجها واستحوذ على تفكيرها أنه من الأفضل أن تحصل "تائيكو" على أموالها وهذا ليس له أن يغضب بيت العائلة في شيء، وإنّما الأولى التفكير به الآن. هو أن بيت العائلة الرّجعي لن يسمح بسهولة بسفرة الفتاة للخارج. أنه من الصعب أن يدعوها تهرب مرّة أخرى مع عشيقها لكن هذا الأسلوب يعني أن الحديث اتّخذ مساراً يوحى بالتهديد نوعاً ما.

مدّد "تينوسوكيه" فترة بقاءه ليوم آخر، واختار الساعة الثانية ظهراً بمساء اليوم الثالث من وجوده بطوكيو ليذهب لزيارة بيت "شيبويا" حيث إنه استحسن الحديث لأخته الكبيرة بالقانون عوضاً عن زوجها.

بعدما استمعت "تسوروقو" لحديثه بالكامل وأدركت مقصده؛ قالت إن الأمر ليس بيدها وستسأل زوجها "تتسو أو" وتوافيهم بالرّدّ

في خطاب لـ "سانشيقو" وستسرع قدر الإمكان لأنها تعي أهمية هذا الخطاب لـ "تائيكو"، واعتذرت له لتحمله متاعب الأختين الصغيرتين بكل مرة، وبالطبع لم يحصل على ردٍّ فوريٍّ، وهذه كانت الكلمات التي عاد بها.

"سانشيقو" تعرف أن أختها الكبيرة بطيئة، وحتى وإن قالت إنها ستفعل العكس، وزوجها برغم أن بيده القرار إلا أنه شخص مُتمهل في الوقت؛ فتوقَّعت أن الردَّ لن يأتيهم في الحال، لكن بلغ بهما الأمر إلى أنه مضى عشرة أيام من الشهر دون أن تردَّ أيُّ أنباء وعشرة أيام أخرى وسيشارف شهر نوفمبر على الانتهاء، ومهما طلبت "سانشيقو" من "تينوسوكيه" أن يلحَّ عليهم ويتصل مرةً تهرب منها قائلاً: "أنا فاتحتهم بالموضوع ولا أعلم ماذا بعد".

فعرَّمت "سانشيقو" على القيام بالأمر، وفعلًا سألت أختها الكبيرة بخصوص موضوع "تائيكو" وما إن كانت ستغادر بشهر يناير، لكنها أيضًا لم تتلقَ ردًّا.

تحدَّثت "سانشيقو" لـ "تائيكو" وحشَّتها على التعجيل بالذهاب إلى "طوكيو" طالما لم يأتِ منهم ردٌّ، وكان هذا ما قرَّره "تائيكو" أيضًا ونوت الذهاب في غضون بضعة أيام.

بالنهاية، باليوم الثلاثين من شهر نوفمبر وصل الخطاب التالي:

"لم أراسلكم منذ حين
كيف حالكم.

طمأنني "تينوسوكيه" على "إتسوقو" وحالها بالانهيار العصبي أثناء زيارته وعرفت أنها تتحسن.

ها هي هذه السنة لم يتبق منها سوى أيام معدودة. هذه ستكون ثاني مرة لي أستقبل بها العام الجديد بـ "طوكيو". كلما تذكّرتُ أن ذاك الشتاء المخيف يقترب مرة أخرى يصيبني الرعب.

جاء بحديث سيدة من "أوزابو" أن الأمر يتطلب ثلاث سنوات للاعتياد على برودة طقس "طوكيو". إنها هي أيضًا انتقلت إلى هنا وظلّت طوال الثلاث سنوات الأولى لها تصاب بنزلات البرد. محظوظة أنت يا "ساتشيقو" بسكنائك بمكانٍ مثل "أشيا".

من فترة أبلغني "تينوسوكيه" بشأن "تائيقو" رغم مشاغله، وأردت أن أشكره بشدة أنه دائماً ما يهتم ويشغل باله بشؤون الأختين الصغيرتين.

في الحقيقة كان لا بُدَّ لي أن آتيكم بالرد أسرع من ذلك، ولكن كالمعتاد بعد الانتهاء من المهام اليومية للأطفال لا أجد مُتسعاً من الوقت للكتابة، وما سأقوله أيضًا يصعب عليّ كتابته؛ فلقد جاء رأي أخيكم الكبير على عكس ما ترجموه، وكنتُ أؤجل الأمر قدر الإمكان يومًا بعد يوم، وأرجو ألا تُسيئوا فهمي، معذرة.

وإذا ذكرت أحد أسباب اعتراضه فلا داعي أبدًا لشعور "تائيقو" بالانتقاص من قدرها بسبب حادثة الجريمة تلك. ذاك الموضوع كان منذ ثماني أو تسع سنوات، وأصبح في طَيِّ النسيان؛ لذا إن فكرنا في موضوع أن تصبح امرأة عاملة دون الحديث عن أن تصبح عروسًا سيكون هذا نعتًا مُبالغًا فيه، حتى إنه من الغريب ذِكرُ مثل ذاك القول للأقرباء؛ فمظهرها وتعليمها وموهبتها- كل ذلك يضمن أنها ستكون عروسًا رائعة؛ لذلك لا تقعوا فريسة للأفكار السوداوية.

المأزق الآن هو المطالبة بالأموال التي تحت رعاية أخيكم الكبير، تحديدًا المال الذي يخصُّ "تائيقو"؛ فهو لم يَعد موجودًا بعدُ، وهذا لا يعني أننا استبعدنا التفكير في وقت إقامة حفل زفافها، ولكن حينها

سندفع؛ وبهذا فليس هناك أموال أو شيء من ذاك القبيل تحت وصايته.

أخوكم الكبير يرفض قطعياً أن تصبح "تائيقو" امرأة عاملة، ويريد لها دائماً الوضع المثالي، وأن تجد شريك حياة مناسباً وتتزوج به رسمياً، وتصبح زوجة رائعة وأماً حكيمة، أمّا على سبيل الهواية فهو بالطبع يُفضّل تصنيع الدمى، ولا يُحبّذ حياكة الملابس.

يأتي بعد ذلك شأن "أوكوباتا"، فالآن ليس وقت القبول أو الرفض، ونؤكّد على أنه ليس لنا أي قرار مُسبق. الأهم أن "تائيقو" أيضاً شخصية ناضجة عن ذي قبل، ونحن أيضاً لن نصبح بالضّامة التي كنّا بها من قبل. وإن كنتِ يا "ساتشيقو" أنت وزوجك ستلاحظانها دون أن تدري، فأعتقد أنه من الأفضل غُضّ النظر عن أمورها الخاصة للمواعدة.

عذراً لإقحام "تينوسوكيه" وتحملته العناء، وأرجوك يا "ساتشيقو" تحدّثي برفق مع "تائيقو".

أظن أنها على ذاك الحال من التخبّط بسبب تأخّر زواجها؛ لذلك من الضروري التعجيل بزواج "يوكيقو"، وكلّما كان أسرع كان أفضل. تُرى، سينتهي هذا العام دون أن يستقرّ وضعها؟

لا زلتُ أريد كتابة المزيد والمزيد، ولكني سأكتفي بهذا القدر اليوم.

تحياتي لـ "تينوسوكيه" و"إتسوقو" وأختي الصغيرة والجميع.

28 نوفمبر

من "تسوروقو"

إلى حاضرة السيدة "ساتشيقو".

"ما رأيك بهذا الخطاب؟".

وقبلما تتحدّث "ساتشيقو" مع أختها عرضت الخطاب أوّلًا على "تينوسوكيه" بتلك الليلة.

"بخصوص الحديث عن المال فهناك تعارضٌ بين ما تظنّه "تائيقو" وما يقولونه ببيت العائلة".

"بالضبط، يا لها من مشكلة!".

"عمومًا ليس عليك سوى الاستماع على هذا النحو، وبالأيام القليلة القادمة سأعرف أيّهما على حقّ، حتى وإن كنتُ سمعت أن الأخ الكبير يدير ممتلكات الوالد".

"أليس من الأفضل ألا نخبر "تائيقو" بشيء الآن".

"كلّا مثل ذاك الأمر البالغ الأهمية لا يحتمل التأجيل، ومن الأفضل إخبارها سريعًا".

"والحديث عن "أوكوباتا" -زوجي العزيز- ماذا تظنّه؟ ألن تقول لي إن الأمر حاليًا ليس أفضل ممّا مضى؟".

"بناءً على الوضع الحالي وعدم اقتناعها به، وبدون أن تقولي لي لا تتعامل عليه هكذا؛ أرى أن الوضع على ما يرام من الناحية الاجتماعية، ولا أوافق على جعلها تتزوّج، وأنا قلت رأبي لأنك سألتني، وبإلحاح، وإلّا ذاك الحديث أنا أنجّبه تمامًا...".

"مشكلة "أوكوباتا"، إنها تُذكّره في خطابها وهي تتوقّع أن صفحته بيضاء، وبلا شك الأخت الكبيرة تريد إتمام الزواج. أليس كذلك؟".

"بالضبط هو هكذا. أنا أيضًا أخذت نفس الانطباع".

"إذن أ لم يكن من الأوّل لها أن تتناول مشكلة ما قبل الزواج!".

"وكيف ذلك! إذا تزوّجت "تائيقو" فلا حاجة لسفرها للخارج وهذا ما يريدونه".
"معك حقّ".

"على أية حال، إن أخبرت "تائيقو" بهذا الحديث المعقّد ستذهب وتضطدم بهم، وهذا ما أخشاه".

تردّدت "ساتشيقو" بعض الشيء في إخبارها؛ خوفاً من أن تستولي على قلبها المشاعرُ السلبية لبيت العائلة من الآن فصاعداً أكثر من "يوكيقو"، لكن لأن زوجها كان رأيه عدم إخفاء الأمر؛ فباليوم التالي جعلتها تقرأ الخطاب، وكانت النتيجة كالمتوقّع بالضبط.

اعترضت "تائيقو" وقالت إنها ليست طفلة؛ لذا لن تنصاع لأوامرهم وقراراتهم حيال تصرفاتها، وهي أدري بشؤونها أكثر من أي أحد، وتساءلت عن سبب رفضهم لتصبح امرأةً عاملةً! فهذا لأنهم بالتأكيد يتشبّهون بالوضع الاجتماعي ومركز العائلة، ويعتبرون خروج معلّمة تفصيل ملابس غريبة من بين أفراد عائلتهم شيئاً غير مُشرّف، وهذا هو نمط تفكيرهم.

أضافت "تائيقو":

"التعصّب شيء عفا عنه الزمن ويدعو للسخرية، وطالما آل الوضع إلى ذلك سأذهب بنفسني لأشرح لهم رأيي بكل صراحة. تفكيرهم المُضللّ هذا سأدحضه. أمّا عن مسألة الأموال فهذا غير حقيقي وما نقلته أختي الكبيرة عن زوجها غير صحيح وبالرغم من أنني لم ألقِ اللّومَ عليها بشيء من قبل، حتى لو كانت تستنكر فعلةً زوجها، أخينا الكبير بالقانون، إلّا أنه بهذه المرّة تعديداً الجدل معها هي. بالطبع تبريراتهما لاتخصّني وبشأن ما يديره أخي الكبير من أملاك وما يتوجّب إعطائه لي مستقبلاً؛ أليس هذا ما سألتهم عنه العمّة "طومى ناجا" وأختي الكبيرة أيضاً أجابتها حينها بمثل ذاك الكلام!

وها هو ذا نفسه ما يحدث الآن! كم مُشين مثل هذا القول المبهم. يتزايد الأطفال بيت العائلة من ناحية، وينهمكون في كسب سُبل العيش من ناحية أخرى، وإنما يبدو أن الأخ الكبير تغيّرت مفاهيمه دون أن يدري، ولكن هل طال الأمر أختي أيضًا! وتوسط وتبلغنا بهذه البساطة؟!

حسنًا. إذا كان هذا هو قول بيت العائلة فأنا على أتم استعداد أيضًا، وسأفعل أي شيء لأخذ هذه الأموال بالتأكيد".

وتأجج غضبها، ونوَّجِبَ على "ساتشيقو" بذل كل ما في وسعها لتهدئتها.

كان أسلوب أخيها "تينوسوكيه" أيضًا أحرق، فالطريق الوحيد الذي لا مفر منه كان بالنسبة له هو وزوجته ورطة. إنها يتفهّمان ما نبغيه "تائيكو"، لكنهما يريدان منها أن تتفهّم هي موقفهما. التفاوض المباشر أفضل حلّ، ولكن فلتخُص الحديث بهدوء؛ لأنها إذا دخلت في شجارٍ مع بيت العائلة ستضعهم في مأزق؛ لذلك هما من هذا المنطلق لن يدعّماها.

بذلا قصارى جهدهما لقول كلمة طيبة، و"تائيكو" أيضًا بحث عما تمحو به بعضًا من غضبها بذاك الوقت، وكالمتوقّع، لم تُواتها الشجاعة الكافية لفعل شيء، وبعد بضعة أيام هدأت ثورتها وعادت لهدوئها المعتاد.

انتهى الأمر هكذا وكان شيئًا لم يَكُن، وتنقّست "ساتشيقو" الصعداء، ولكنها ظلّت بداخلها في ترقّب، وبمنتصف شهر ديسمبر تقريبًا، وبيوم ما فجأة عادت "تائيكو" مبكّرًا وقالت:

"لقد أوقفت حصص الفرنسية".

"حسنًا".

تَلَقَّتْ "ساتشيقو" حديثها دون شَدْ وجذب؛ فأضافت "تائيقو":

"وألغيتُ السَّفَرَ للخارج أيضًا".

"حسنًا... هكذا. أختي الصغيرة عَدَلَتْ عن تفكيرك بشقِّ الأنفس. حتى بدون كلام العائلة... حقًا من الأفضل الإلغاء".

"بالحقيقة أنا لا يعنيني ما يقولونه، وإِغَا المسألة هي أن المعلمة "تامَا أوكي" ألغت الأمر".

"حقًا! لماذا؟".

"ستبدأ مدرسة التفصيل مع بداية العام؛ لذا لم يَعد لديها مُتَسَع من الوقت للسفر للخارج".

كانت السيدة "تامَا أوكي" ستسافر للخارج لأن مدرسة التفصيل لا بُدَّ من إعادة بنائها، لكن مُؤَخَّرًا بعد فحص حالة الأضرار تبين فعليًا أن المبنى لا فائدة منه، ولا بُدَّ من ترميم الأساسات. هذا العمل ليس يسيرًا من حيث التوقيت، والشؤون الاقتصادية؛ بسبب نقص المواد الخام والعمالة بالوقت الحالي؛ مِمَّا دَفَعَهَا لَتَتَمَعَّن في التفكير. من حسن الحظ أن الأسعار ليست باهظة بالمنطقة؛ فبحثت عن بيتٍ غربي الطراز للبيع بسعر زهيدٍ يمكن استخدامه كأكاديمية، ووجدته، واشترته، وما إن تحصل عليه ستدير الأكاديمية على الفور. كان هذا أحد أسبابها لإلغاء السفر، والسبب الآخر هو زوجها الذي يراوده القَلْبُ من الاضطرابات في أوروبا، ونصحها بالإلغاء. إن رأيه مبنيٌّ على أقوال ضابط بحريٍّ عاد من أوروبا للوطن مُؤَخَّرًا، وأخبره أن ألمانيا ستحافظ على علاقتها مع إنجلترا وفرنسا، وستُبقي على الهدوء الظاهري بعد اجتماع ميونخ الذي تَمَّ في سبتمبر، ولكن بحقيقة الأمر هم لم يتوصلوا لاتِّفاق مشترك، ولأن إنجلترا لم تُتِمَّ بعدُ استعدادات الحرب، فلقد سعت للتسوية مؤقتًا لتجعل ألمانيا تغفل. ألمانيا أيضًا

تخمن نوايا انجلترا لخداعها؛ لذلك بالتأكيد الحرب باتت وشيكة؛ ولهذا أو لذاك ألغت السيدة "تامأ أوكي" فكرتها بالنهاية.

لذلك فـ "تائيكو" لم يعد بيدها حيلة، وألغت الفكرة هي الأخرى، إلا أنها لن تتوقف عن إبداء رغبتها لبيت العائلة في أن تصبح مُعلّمة تفصيل، وإن بدأت أكاديمية التفصيل بأول العام فسَتردّد مرة أخرى على المحاضرات، وبهذه المرة لديها رغبة مُلحّة بضرورة اعتمادها على ذاتها، ورفض ما يأتيها من حوالات من بيت العائلة كليًا، وبأسرع وقت مُمكن، ومن هذا المنطلق يتوجّب عليها الإسراع في اكتساب التقنية المطلوبة.

"أختي الصغيرة هذا أفضل بالطبع، ولكن إن واصلتِ تعلّم التفصيل فنحن ليس لدينا عُدُر نُقرّه أمام بيت العائلة".

"ساتشيقو"، أريدك فقط أن تقولي لا أعرف".

"وهل ستسير الأمور هكذا؟".

"يمكنني الاستمرار ظاهريًا بتصنيع الدُمي، والتّظاهر بالتوقف عن تعلّم التفصيل".

"يا للورطة حين يعرفون...".

شعرت "ساتشيقو" باقتراب موعد أزمةٍ تُوقع بهم بين شقيّ الرّحى؛ فلقد بدا أن "تائيكو" تخفي فكرًا خطيرًا وراء تلهّفها للاعتماد على ذاتها، وظلّت تُردّد:

"صعب... الأمر شاقّ".

الفصل الرابع والعشرون

نُرى ما أسباب "تائيقو" وراء سعيها لاكتساب مهارات وقدرات سيدة الأعمال؟ إن كان كما تقول، فكيف لها أن تظُلَّ إلى الآن ترغب بالزواج من "أوكوباتا"؟ فهذا لا يتماشى مع ذاك... أليس كذلك؟

إن زواج شخصية مثلها من شخص عديم الفائدة كـ "أوكوباتا" يعني أنها بأي حالة طارئة هي مَنْ ستتحمل أعباء الحياة ومسؤولية إطعام زوجها. لكن "أوكوباتا" ذاته سيكون الزوج الشاب الذي لا ينقصه شيء، والتورط معه في جلب نفقات العيش حقًا لن يكون إلا بحالة طارئة. إذن فتلك الأسباب الواهية قد تكون وراء رغبتها لتعلّم التفصيل، أمّا رغبتها في السّفر للخارج فليست طبيعية أبدًا. أوّل بها أن تتطلّع اليوم الذي ستمتلك به أسرة جديدة مع مَنْ تحب. إنها طيلة عمرها أنضج من سنّها، وتتخذ حذرًا ومتيقظة، وبزواجها ستظل متنبّهة، وتُعِدُّ ترتيباتها للنهاية؛ لذا فمهما كان لا يزال هناك نقطة مُبهِمَة بالأمر.

انشغل تفكير "ساتشيقو" على ذاك الحال، وشعرت دائماً بأن الدافع الحقيقي لـ "تائيكو" هو كرهها لـ "أوكوباتا"، وهي تريد إلغاء زواجها منه بكياسة، والسفر للخارج هو الخطوة الأولى، وأن تصبح سيّدة أعمال هو سبيل لمواصلتها للحياة بعد الانفصال عنه، ومرة أخرى ساوَرها الشُّك فيما يخصُّ مسألة "إيتاكورا"؛ فهي لم تتحقق بعد.

منذ ذاك الوقت لم يأتِ "إيتاكورا" للزيارة، ولم تَرَ منه أي اتصال هاتفي أو خطاب، لكن "تائيكو" تمضي وقتها كله بالخارج فهل حقاً ليس هناك أي صلة بينهما؟ أم أن علاقتهما مستمرة في الخفاء؟

ووقّعت الريبة في نفسها، وأصبحت كل شكوكها غامضة بلا أساس تعتمد عليه، ومع مرور الأيام تفاقم الأمر ورجّحت "ساتشيقو" أن ظنونها في محلّها، علاوة على ما رآته بعينها؛ فـ "تائيكو" بمظهرها، شخصيتها، صحتّها، وتعبيراتها... كل هذا تغيّر تدريجياً منذ الربيع، وكلّما فكّرت "ساتشيقو" اتّخذت من ذلك ذريعة لشكوكها.

إن "تائيكو" في الأساس فيما بين الأخوات الأربع هي فقط من تتّضح قوّة تَحملها، وهذه السمة تغيّرت مؤخراً لحالة غريبة؛ فلقد أصبحت طريقتها في الكلام سوقية مُتدنية، وأصبح من العادي أن تظهر عارية حتى أمام الخدم، وتستلقي برداء الحُمّام أمام المروحة، ولم يَعد بالقليل ظهورها بهيئة كسيّذات المساكن الشعبية، وتجلس القرفصاء بثياب مكشوفة، وتستلقي جانباً. دون أن تحافظ على ترتيبٍ كبيرٍ أو صغير تبدأ الطعام قبل أختيّها الكبيرتين، بل وتدخل قبلهما للمائدة، وكثيراً ما تُثير حنق "ساتشيقو" وقت وجود ضيوف باتّخاذها مقعداً على رأس الطاولة. أيضاً بهذا العام بشهر أبريل وقتما ذهبوا إلى معبد "نانزنجي" سبقتهم للغرفة اليابانية الطراز ذات الأرضية الحصى وجلست أمام "يوكيكو"، وعندما أتت صينيّة الطعام كانت أوّل مَنْ مدّ يده؛ لذلك همست "ساتشيقو" لـ "يوكيكو" تعتذر عن ذهابها لأيّ

مَطْعَمٍ مع "تائيقو" سويًا، وبالصيف حين ذهبوا للمسرح وبالمطعم أتهمهم "يوكيقو" بالشاي وقَدَّمَتِه لواحدٍ تلو الآخر، ورغم أن "تائيقو" رأَتْها إلا أنها أخذت كوبها وارتشفت منه، ولم تبال بمساعدة أختها.

سوء سلوكها على تلك الشاكلة هناك منه الكثير، وبالذات مؤخرًا، وأصبح ملحوظًا على نحو مريع.

بهذه الليلة أيضًا مرَّت "ساتشيقيو" بالزَّهْدَة التي أمام المطبخ، ووجدت الباب الجرار للغرفة مفتوحًا نصفه، والباب الجانبي بين الحمام وحوض الاستحمام أيضًا مفتوحًا لبضعة سنتيمترات، يظهر منها الجزء العلوي لجسد "تائيقو" وهي مغمورة بالماء؛ فنادت "ساتشيقيو" على الخادمة:

"أوهارو"، أغلقي الباب هناك."

وأمرتها أن تذهب لغلِّقه، لكن "تائيقو" تذمَّرت من داخل حوض الاستحمام، ونهَّرتها قائلة:

"كلًا... كلًا... لا تُغلِّقه."

"حضرتك تريدينه مفتوحًا؟".

"نعم. أستمع للمذياع، وأريده مفتوحًا".

بذاك الحين تحديدًا كان بالمذياع معزوفة جديدة، وهي تريد الاستماع لها أثناء استحمامها؛ فتركت كل الأبواب فيما بين غرفة المعيشة والحمام جميعها مفتوحة قليلًا.

بعدها، وبهذا العام أيضًا، بيومٍ ما من شهر أغسطس، جاء رَجُلٌ شابٌ صاحب متجر أقمشة يجلب لها طلباتها، وكانت "ساتشيقيو" تُعِدُّ شاي المساء بغرفة الطعام، فخرجت له "تائيقو" واصطحبته لغرفة المعيشة، وبلغ حديثهما مسامع "ساتشيقيو".

لقد قال لها الشاب:

"زاد وزنك يا فتاة، لو كان لباسك الداخلي من الـ "كريب حرير"
لتقطعت أردافك!".

وأجابته "ثائقو":

"لن يحدث، والكُل يلاحقني".

قالتها وتعالّت ضحكاتهما، لكن "ساتشيقو" استاءت من الحوار؛
وفهي تلاحظ سوقية أسلوبها منذ وقت طويل، ولكن لم تتوقع أبدًا
أن يبلغ الحد لما سمعته، وظنّت أن الرجل لن يتحدث هكذا مع
أي فتاة أو سيدة من زبائنه، بل بالطبع يتحدث على ذاك النحو
مع "ثائقو" لأنها تعطيه حيزًا لرفع التّكلف، وربما فيما لا تدريه
"ساتشيقو" تتحدّث "ثائقو" مع أيّ أحد بمثل هذا الابتذال، أليس
كذلك؟

عامّة، "ثائقو" لديها أشغال على كل المستويات، فهي تتعلّم
التفصيل، وتدرّب على الرقص، وتصنع الدّمي. إنها أكثرهن نواضلًا
مع مختلف طبقات المجتمع، وهذا طبيعيّ في التعامل مع العوامّ
فقط، وهي أكثرهم درايةً بالأشخاص. لكن مهما تباهت بهذا وعاملت
أخواتها الكبار على أنهم هم الصغار إلّا أن كل هذا حتى الآن يؤخذ
على محمل الفكاهة، ويمرّ من قبيل المرح، لكن أن يبلغ الأمر هذا
الحدّ فـ "ساتشيقو" لا يمكنها تجاهل بعد.

إنها حتى مع الأخت الكبيرة بيت العائلة التي لا يمكن اعتبار
تفكيرها عتيقًا أو عفا عنه الزمن تعتبره كذلك، وتتشدّق بمثل هذا
الكلام بطريقةٍ مثيرة للاستياء.

هذا الاتجاه الذي تسلكه "ثائقو" يعطي انطباعًا خاصًا عنها،
ويخلق التلميحات بوجود شيء ما يدور في الخفاء، وحتى ومن قبل
أن تلحظ "ساتشيقو" ذلك؛ فلقد بدا من سوقية أسلوب "إيناكورا"
وطريقة إبدائه للملاحظات وإلقاء الدعابة- أنها معتادة على الأمر.

لكن من ناحية أخرى فكُون "تائيقو" شخصية استثنائية بين الأخوات كلهم يجعل هذا سبباً وجيهاً كي لا يلقي باللوم عليها. إنها الطفلة الأخيرة، ولم تتلقَ الكثير من محابة أبيهم في زهو أيامه، وتوفيت والدتهم وهي بالمدرسة الابتدائية، وليس لديها سوى القليل من الذكريات الضبابية لمامحها، حتى أبوهم، الشخص المُرفَّه، المُسرف، الذي أعطى بناته من كل أنواع الترف - إلا هي، ولا يسعها تذكُّر ما تلقَّته منه، ورغم أن فارق السنَّ قليل، إلا أن "يوكيقو" لديها الكثير من الذكريات عن أبيها، وتعي ما تلقَّته منه، ودائماً ما تتحدَّث عنه. إنَّما "تائيقو" كانت طفلةً، واكتسابها للمعارف كان محدوداً. استمرَّت لحين تتدرَّب على الرقص، لكنها توقَّفت بوفاة أمها. إنها فقط تتذكَّر نظرة والدها لها على أنها فتاة قذرة سوداء الوجه، حيث كان والدها بسنواته الأخيرة وهي طفلة بمدرسة البنات أصغر من أن تضع أيَّ مساحيق تجميل، وملابسها لا تُظهر ما إن كانت صبيها أم فتاة؛ فبال تأكيد بدَّت فتاةً رثَّة المظهر. بذاك الحين تطلَّعت بشدَّة للتخرُّج مثل أخواتها الكبار؛ لتتأقَّ بثيابها مثلهن؛ ظناً منها أن الثياب الجميلة ستُحاك لها أيضاً، لكن والدها توفي دون أن تحقِّق أمانيتها، وبنفس الوقت أعلن عن نهاية زهو عائلة "ماي أوكا". بعد ذلك بوقت قصير وقعت حادثتها مع "أوكوباتا" التي نُشِرت بالصحف. "يوكيقو" ذاتها ترى أن هذه الحادثة نتيجة للجَوِّ الأسري المُمل، وعلاقتها بزوجي أختيهما التي لم تَسِر بسلاسة، وعدم تلقِّيها للحنِّ والرعاية الكافية بعد رحيل والديهما. لقد نما قلبُ بكرٍ مُرهف الحسِّ وسط تلك الأجواء؛ فهذا ليس مسؤوليَّة أحد، وإنَّما جريمة البيئة المحيطة.

"تائيقو" حتى بالنتيجة الدراسية لم تكن أقلَّ شأنًا منهنَّ، بل كانت أفضلهم في الرياضيات. لكن دائماً تلك الحادثة تظهر كعلامة مُسجَّلة في سيرتها الذاتية، وبالتأكيد أفقدتها الكثير؛ فإلى اليوم هي لا تتلقَّى

نفس المعاملة مثل "يوكيقو" من أخيهما الكبير رب العائلة. منذ وقت مبكر وهو يعتبرها متمردةً، وهي مصدر المتاعب، في حين أن مَعَزَّتَه لـ "يوكيقو" واضحة، وكانت نظرة التفرقة هذه ظاهرة بوضوح على كل المستويات؛ بداية من المصروف الشهري، ونهاية بما لديها من ثياب.

"يوكيقو" عمًا قريب ستصبح عروسة؛ فإتيها كل شيء، لتمتلئ خزانتها، عكس "تائيقو" التي لا داعي لجلب لها أي شيء باهظ ثمنه، وما لديها الآن من أشياء قيّمة في الغالب هي اشترتها لنفسها مما تجنيه من أموال، وإن لم يكن هكذا فلأن "ساتشيقو" تشتري لها الكثير. يقول ربّ العائلة إن "تائيقو" لها مصدر دخل آخر، وليس من العدل أن تحصل على مصروف مثل "يوكيقو"، وهي نفسها قالت المال ليس ضروريًا لي... أعطوه لـ "يوكيقو"، لكن بالحقيقة "تائيقو" لم تكلف بيت العائلة نصف أعباء "يوكيقو"، وعلى حدّ هذا القول أيضًا فكسبها مال وفيّر شهريًا، وأدّخارها جزءًا منه، وإنفاق الجزء الآخر بترّفي على الحُلّي والزينة، واتّباع أحدث صيحات موضة الملابس، ومهارتها في إدارة شؤونها، وتاديبها لكل شيء على أكمل وجه، وكل ما تعتبره "ساتشيقو" مُبهرًا. كان دائمًا ما يثير شكوكها وتواريها بقلبيها. إنها كانت تخشى من أن يكون ضمن حُلّيها من سلاسل وخواتم ما يغض متجر مصوغات "أوكوباتا"؛ فهي تعرف مدى حبّ "تائيقو" للمال، وهذا ما تنفرد به عنهم.

بالواقع، بهذه النقطة تحديدًا، تجد "ساتشيقو" التي نشأت في أزهى فترات حياة أبيها هي أكثرهنّ سوءًا، و"تائيقو" التي تأدّت حتى النخاع من البؤس وقت انهيار العائلة هي أحسنهنّ.

لقد كانت بين الحين والآخر تُفكّر ما إن تورطت هذه الأخت الخارجة عن المألوف في حادثة مرة أخرى. من المؤلم أن ينجرّ جميعهم

لهذا؛ لذا يُستَحَسَن إيداعها ببيت العائلة إذا أمكن، لكنها بالطبع لا توافق، وبيت العائلة أيضًا ليس من المتوقع منهم استدعاؤها.

في الحقيقة بكل مرة تهمُّ بالاتصال بهم لتسألهم أن تدع "تائيكو" تحت رعايتهم، وأن تُسلمهم مسؤوليتها... لا تفعل أبدًا. بالماضي قال الأخ الكبير إنه يكره بقاء الأختين الصغيرتين ببيت العائلة الفرعي؛ مُراعاةً للمظهر الاجتماعي، وعلى ما يبدو أن الأمر الآن يتعارض مع مشاكلهم المادية، فاليوم علاقة بيت العائلة بـ "تائيكو" تقتصر فقط على انتظارهم لليوم الذي سيتوقفون به عن إرسال التحويل الشهري، خاصةً وأنها استقلت بحالها إلى حدٍ كبير.

وعندما تعيد "ساتشيكو" التفكير من هذا المنظور تشعر أن "تائيكو" حالها يُرتى له، وبعد تذكُّرها لكل هذه الأمور المُزعجة لا تجد أمامها سوى أن تنأى بحالها بعيدًا، لكن بعد حين ينشب النزاع بينهما؛ فهي لا تستطيع أن تبقى أسنلتها حول ما يثير شكوكها طويلًا. ببداية العام الجديد، وبعد قضاء أسبوع الاحتفالات، بدأت "تائيكو" مرة أخرى تعلِّم الحياكة وارتياذ الأكاديمية دون أن تخبر "ساتشيكو" عن قصد. لكنها كانت تعي ذلك من أحوالها، وبصبح يوم ما و"تائيكو" تهمُّ بالخروج سألتها "ساتشيكو" مباشرة: "هل بدأت مدرسة السيدة "تامأ أوي"؟".

"نعم".

وأجابتها "تائيكو" وهي تتنعل حذاءها عند المدخل.

"لكني أريد أن أتحدّث معكِ قليلًا...".

واصطحبتها "ساتشيكو" لغرفة المعيشة، وجلستا وجهًا لوجهٍ حول المدفأة.

"غير تفصيل الملابس أريد أن أسألكِ عن شيء واحد فقط يا "تائيكو"، وفكرتُ أن أتحدّث إليكِ صراحةً. أريدُكِ أن تخبريني بالحقيقة. أخبريني بما تخفيه عني "تائيكو".

- "...".

زادت "تائيكو" من وهج المدفأة بزيّ ذهنيّ قوامه عالي الجودة، وحبست أنفاسها وهي تراقب جذوةً من الحطب تحترق.

"حسنًا إذن، من واقع علاقتك بـ "أوكوباتا" أسألكِ: هل أنتِ الآن حقًا لا ترغبين في الزواج به؟".

في البداية التزمت "تائيكو" الصمت وظلّت غارقةً في تفكيرها مهما انهالت عليها الأسئلة؛ فتغيّر أسلوب "ساتشيكو" تمامًا، وترقرقت عيناها بالدمع وهي تسألها عن كل ما يؤرقها، وفجأة التقطت محرمةً لتمسح دموعها، وقالت:

"أنتِ مخدوعة في "أوكوباتا"."

وأخيرًا أطلقت العنان للكلمات الخائفة لأنفاسها.

"أختي، متى عرفتِ ذلك؟ لقد سمعت مرّةً من قبل عن علاقة قديمة له بفتاة هوى".

"نعم، نعم... لقد سألت "تينوسوكيه" بالمقهى الجنوبي".

"ووجَدَ الأمر كذلك بالضبط...".

قالتها "تائيكو"، ومن بعدها تقبّلت ما يُوجّه إليها من أسئلة، وبدأت بالإدلاء باعترافاتها شيئًا فشيئًا.

المشكلة بدأت منذ شهر مايو، حين ظنّنت أن الأمر لا يتعدّى الشائعة، وظاهريًا بدت كأنها تخطّط المسألة، لكن بالحقيقة نشأت المشكلة منذ ذاك الوقت، والأكثر أن شأن المقهى الذي يلهو به

"أوكوباتا" سابقٌ على كُلِّ هذا. قال "أوكوباتا" إن هذا مجرد إلهاء
لصرف أنظارهم، بعد رفضهم موضوع الزواج، وأنه يشرب خمر
"الساكي" فقط، وتَجْمَع الفتيات من حوله بريء قطعاً، وليس هناك
ما يُلوِّث شرفه، وصدَّقته "تائيغو"، وتفهمَّت موقفه. قال أيضاً وقتها
إن أقاربه من أخواته الكبار وأعمامه كلهم أوغاد بمكانة راقية
بالمجتمع، ويتردّدون هناك، ذاك بالمثل كان حال والدها؛ شخص يحبُّ
اللهو والمتعة، وهي ذاتها تدري ذلك، وكانت تراه وهي طفلة. أكَّد
"أوكوباتا" أن ما بيده حيلة، وأنه يحافظ على مبادئه، وهي عليها أن
تَكْف عن التحدُّق.

كان حديثه كذباً صريحاً، وكله خداع، وهذا ما عرفته لاحقاً بعد
الحادث الاندفاعي لنزوتهم.

كانت له علاقة بفتاة جيشا، وأخرى براقصة أنجبت له طفلاً،
وحين عرف "أوكوباتا" أن المسألة وصلت لـ "تائيغو" نسَّق كلمات
اعتذارٍ بكلِّ ما لديه من مهارة، وقال إن شأن الراقصة أصبح من
الماضي وانقطعت علاقته بها تماماً، أمّا الطفل فهو لا يدري طفل من
هذا، وهي تلقي على عاتقه المسؤولية من باب الافتراء، ولن تكون
هناك أي علاقة له به كأب وابنه، وأكَّد أنه ما عاد له حُجَّة ليردّد
على أيٍّ من أحياء المتعة، وأقسم بذلك.

لكن سلوكه بذاك الحين بدا مثل الأشخاص الوقحة التي لا تلحق
الكذب بكلماتها، وهو بالفعل حديثه كله تافهة مهما فعل، ولم يُعَد
بإمكانها الوثوق به. أمّا من ناحية الراقصة الأم وطفلها؛ فبعدما جاءت
ومعها صكُّ أموال الرّاضي بينهما أصبح من المؤكّد أن الأمر ليس كذباً،
وما من دليل مهما قال يُثبِت انقطاع العلاقة، علاوة على أنها لا
تدري ما إن كان هناك شيء آخر يُخفيه.

رغم ذلك، لم يُغيّر "أوكوباتا" من حماسته لعقد قرانه بـ "تائيقو"، وقال إن حُبّه المكنون لها ليس مثل مشاعره مع أيّ من تلك الفتيات، في حين أن "تائيقو" شعرت أنه يجعل منها هي الأخرى تسليّة له، وبالحقيقة منذ ذاك الحين وكرهيته ملأت قلبها. إنها فقط ستزعج من كلام الناس، بدايةً بأخواتها الكبار، كلهم سيقولون لها "أرأيت! أخذت كلامه على محمل الجدّ، وخدّعتك بالنهاية!"

لم تستطع بسهولة أن تنكث وعودها، لكن بعد التروّي قرّرت الانفصال؛ لذا كان السفر للخارج بمثابة الوسيلة التي هداها إليها تفكيرها، ورغبتها في تعلّم التفصيل أيضًا هي نوعٌ من التأهب لحياتها كعزباء بالمستقبل، كما استشعرت "سانشيقو" تمامًا.

في وقت مُعاناتها من التفكير بالزواج من "أوكوباتا" دون أن يدري أحدٌ وقّعت حادثة الفيضان. إنها حتى ذاك الحين لم تفكّر في "إيتاكورا" سوى أنه الخادم المخلص فقط، وفجأة تغيّرت نظرتها للرّجل؛ وهذا ما أثار فضول أختيها الكبيرتين: "سانشيقو" و"يوكيقو"؛ فقالت لهما إنها لم تختبر من قبلُ الشّعور العميق بإنقاذ حياتها بال لحظة التي أمّنت فيها باستحالة الإغاثة ولا بنسبة واحد في المليون وهي أمام خطر حقيقي.

"أوكوباتا" بذاك اليوم كان هدفه نصيّد أي خطأ ما بتصرف "إيتاكورا"، ولحسن الحظّ؛ العكس هو ما حدث؛ فيكّل حال من الأحوال "إيتاكورا" عرض حياته للخطر، وألقى بنفسه أوّلًا وقبل كل شيء، أمّا "أوكوباتا" فماذا فعل؟!

لم يجازف بحياته ولم يُظهر لها أنها حُبّ حياته الوحيد، وهي منذ ذاك الوقت تخلّت عن أي مشاعر حُبّ أو كراهية له، والسبب كما تدريه "سانشيقو" أيضًا؛ فبيوم الفيضان بعدما جاء أخيرًا إلى بيت "أشييا" وقال إنه استقلّ قطار "هانشين" وجاء ليتفقد الأحوال وروى

أنه وصل إلى الطريق السريع ولم يستطع العبور لأن هناك القليل من الماء، وبعد تجوُّله دون هدفٍ مرَّ بطريقه على منزل "إيتاكورا" يسأله ما إن كان يعرف شيئاً عنها، وما إن كانت عادت سالمةً. بذاك المساء حين ظهر "أوكوباتا" قبالة منزل "إيتاكورا" كان بكامل أناقته؛ يعتمر قُبْعَةً، ويرتدي بَزَّةً باللون الأزرق الداكن، ويده عصاه من خشب الدردار، علَّق عليها آلة تصوير من نوع CONTAX. لقد ذهب وهو متأنق بهذا الشكل ولم يعبر قليلاً من الماء بطريقه؛ لأنه يكره أن يتبلَّ طَيَّةً بنطاله. أليس كذلك؟

وحين تقارن هذا بما فعله "تينوسوكيه" و"إيتاكورا" وخوضهما في الوحل لإنقاذها؛ ألا يتَّضح الفرق؟

إنها تدري بأمر أناقة "أوكوباتا"، وأنه لن يتَّسخ بالوحل من أجلها، لكن هكذا فهو ليس لديه حتى أيُّ مشاعر إنسانية. لو كانت سلامتها شيئاً يُسَعِّده فعلاً لعاد مرَّةً أخرى لـ "أشيبا" ليري وجهها. إنه هو ذاته ذهب وقال إنه سيعاود مرَّةً أخرى، و"سانشيقو" توقَّعت عودته، وبالرغم من ذلك فلم يفعل.

تُرى، لو كان اطمأنَّ على سلامتها؛ هل كان سينتهي ارتباطهما؟

إن قيمته كإنسان تظهر بهذه المواقف، وإذا كان قد بلغ به الحدُّ لأن أصبح مُسرِّفاً، غشَّاشاً، عديم الفائدة، دون أمل في التغيير. فإنها حتى لن تفكِّر أن تتحمَّل؛ لقد تبدَّدت كل آمالها. وهي تراه تافهاً لدرجة أنه يتجنَّب اتِّساعَ بنطاله من أجل زوجته المستقبلية.

مكتبة

t.me/soramnqraa

الفصل الخامس والعشرون

حتى هذه اللحظة كانت "تائيكو" تذرف الدمع من وقت لآخر، وتُجفّف دموعها وتمسح وجنتيها من وقت لآخر، إلى أن هدأت نسبيًا، وتحدثت بالتفصيل وبالمناطق، لكنها لم تُبح بالكثير عن "إيتاكورا"، وبالطبع جعلت "ساتشيقو" تُدلي بكثير من الفول، وهي إن تأكدت واستنكرت ستسعى "تائيكو" لإنهاء الحوار سريعًا؛ لذا تداركت "ساتشيقو" الموقف، وكان لا بُد لها أن تستمع وتتغاضى، والحديث التالي هو بعد ترجمة ومراجعة "ساتشيقو".

"تائفو" تقارن بين "إيتاكورا" و"أوكوباتا" في كثير من الأشياء، وهذا ومشاعرها نحو "أوكوباتا" تتأجج بسرعة غير عادية وتنعكس بعيونها، وشخصية مثلها تسخر دائمًا من شأن بيت العائلة وأفكاره عن النسب والمستوى الاجتماعي لن يجدي معها نفعًا التذكير بسخافة موقفها إن ارتبطت بشخص مثل "إيتاكورا"، وسترّجح كفة قلبها أمام عقلها، لكنها بهذه الحالة لن تتخلّى عن هدونها، وحتى وإن وقعت

بحبه لن يصبح عمياء من أجله، خاصّةً وأنها تعلّمت من تجربتها السابقة مع "أوكوباتا"؛ وهذا جعل مخاوفها بهذه المرّة لا حدود لها. إنها تحاول إجراء حسابات المكسب والخسارة، وأوصلها التفكير إلى أن طريق سعادتها هو بزواجها منه مهما حدث.

في الحقيقة "ساشيقو" لديها الكثير من التكهّنات بخصوص علاقتهما، لكن أبداً لم يخطر لها ببالي استعداد "تائيكو" للزواج منه؛ لذلك كانت دهشتها حين استمعت لهذا الاعتراف لا يفوقها شيء.

"تائيكو" تعرف جيّداً أن "إيتاكورا" هو الفتى صبي المتجر غير المتعلّم، وهو ابنُ مزارعٍ مُستأجرٍ، وأيضاً هو شابٌ سوقيّ، نقاط ضعفه مشتركة بينه وبين النازحين لأمريكا، ووازّنت جيّداً بين عيوبه ومميّزاته، وتوصّلت لقرارها هذا، ومهما قيل لها ممّا يُقلّل شأنه فإنه مقارنةً بسليل الحسب والنسب "أوكوباتا" هو إنسان يعلوه بمراحل، وقوته الجسمانية تفوقه، وعنده الشجاعة للخوض في النيران إذا ما تطلّب الأمر، وأهم شيء هو مهاراته التي تضمن أنه سيتولّى مسؤوليتها ومسؤولية نفسه. أنه يختلف عمّن يمتهن التسوّل من أخيه الكبير ووالدته.

سافر "إيتاكورا" يجوب كلّ أنحاء أمريكا وهو خالي الوفاض، دون تلقّي أي مساعدة مالية من أي أحد كان، وسعى سعياً دؤوباً ليتعلّم ويكتسب مهارات، رغم الصعوبات؛ فمجال تقنية التصوير يتطلّب قدرًا مناسبًا من الذكاء، وهو من هذه الناحية مؤهّل، ولديه قدراته، وإن كان لم يحصل على تعليم نظامي إلّا أنه يتمنّع بالحدس والفتنة، وبسهولة تظنّه بنباهةٍ حمّلةٍ المؤهّلات العليا أكثر من "أوكوباتا" الحاصل على شهادة جامعة "كانساي"؛ لهذا هي لم يُغرّها -ولو بالقليل- المستوى التعليمي والمؤهّل وممتلكات إرث العائلة والمستوى الاجتماعي؛ كل هذا بلا قيمة بالنسبة لها، ولقد أدركت كل شيء بعد

رؤيتها لحال "أوكوباتا"، فهي عَوْضًا عن ذاك كله ستبتع مذهب
المنفعة. منفعتها الشخصية أهم شيء، ولا بُدَّ للشخص الذي سيصبح
زوجًا لها أن يمتلك بنيةً جسدِيَّةً قويَّةً، ويكون لديه مهنة من كَدِّ
ساعِده، ويحبها من كل قلبه، ومُستعدًّا ليُضَحِّي بحياته من أجلها،
وإذا ما تحقَّقت هذه الشروط بشخص فلن تسأله عن شيء آخر.

"إيتاكورا" لديه أشقاء كبار بالريف، أي أنه لا يتحمَّل مسؤولية
رعاية أشقائه أو والديه. أخته الصغيرة التي تعيش معه الآن استدعاها
من بلدتهم لتُعاوِنه بعمله وشؤون البيت، ومجرَّد أن يستقبل بيئته
عروسًا ستعود أدراجها. هذا يعني أن "إيتاكورا" حقًا وحيد، ولن يتردَّد
أحد في تخمين أنها ستقع في حُبِّه من صميم قلبها؛ فذلك بالنسبة لـ
"تائيقو" هو منتهى السعادة بعد كل ما مرَّت به، وهذا أفضل لها
من أن تصبح زوجةً لرجُلٍ غنيٍّ ذي حَسَبٍ ونَسَبٍ أيًا كان هو.

"إيتاكورا" بحدسه القوي استشفَّ ضمنيًا مشاعر "تائيقو" التي
اُتَّصَحَتْ في أسلوبها؛ فهي ليست من النوع الذي سيبيح بكلمات
صريحة.

كان هذا بالعام الماضي في أوائل شهر سبتمبر أثناء غياب
"ساتشيقو" وذهابها لـ "طوكيو". تَنَبَّه "أوكوباتا" لقرب علاقتهما، ودار
نقاش "تائيقو" و"إيتاكورا"، وكانت هذه أوَّل مرَّة تُفصح عمَّا بداخلها،
وتَدخُل "أوكوباتا" كان هو السبب.

"إيتاكورا" لم يتَّخِذ كلام "تائيقو" على أنه دلالة على حُبِّها، وحين
تطرَّق الحديث للزواج بدا عليه التَوَثُّر وكأنه يشكُّ بأذنيِّه.

لكن هل هذا ما جعله عن عَمْدٍ يتظاهر بالانتصار؟

إنه لم تصل توقعاته إلى ذاك الحد... أليس كذلك؟

إنه بذاك الوقت تلقى مفاجأة لم يُفكر بها حتى بأحلامه، ولم يسعه استحسان حديثها أو الاستياء منه، وإنما طلب منها أن تفكر جيداً وتتمعن؛ كي لا تندم فيما بعد، فإن تزوجته سيقطع صلته بعائلة "أوكوباتا"، وهي أيضاً ستنتقل من بيت العائلة، علاوة على أن كليهما سيُساء فهمه من كل من حولهما، وسيضطهدهما المجتمع، وإن حدث فهو لديه الشجاعة ليناضل من أجلها، ولكن هل هي ستتحمل؟

هكذا قال "إيتاكورا"، ومن بعدها تغير حديثه وتساءل:

"ماذا بها إذا تزوجتني ابنة عائلة "ماي أوكا"؟ إنني من مستوى اجتماعي مختلف، ولكنني لدي الكثير من المهارات".

كان يعلم أن كلام الناس سيكون مريراً، خاصة بشأن علاقته بـ "أوكوباتا"، لكنه مهما فكر لا يمكنه حل سوء التفاهم معه، وما باليد حيلة.

إن عائلة "أوكوباتا" هي من دُعِمت بالأساس، ورب العائلة الراحل هو من قَدَّم له يدَ العون فعلياً، ومن بعده الأخ الأكبر لـ "أوكوباتا" ووالدته. "أوكوباتا" نفسه لم يُسد إليه مباشرة أي معروف؛ وبهذا الشكل فإن زواجه من "تانيقو" إذا كان سيُغضب "أوكوباتا" شخصياً كثيراً إلا أنه على العكس - سترُحب به عائلته؛ لأنهم لم يوافقوا لابنهم على الزواج من "تانيقو" من قبل.

على هذه الحالة تردّد "إيتاكورا" بين هذا وذاك، ومَهَّل في موافقته على طلب "تانيقو".

بالنهاية واجه الاثنان الموقف، وحدداً موعد زواجهما، على أن يكون سرّاً، ولا يدري به أحدٌ في الوقت الحالي؛ فالمشكلة الأولى بالحل الآن هي فسخ خطبة "أوكوباتا"، وعليها أن تتجنب أي طريقة مندفعة، بل تجعل "أوكوباتا" يفهم من تلقاء نفسه ويميل إلى الانفصال، وأفضل طريقة بالتأكيد هي سفرها للخارج، ومن بعدها تأجيل فكرة الزواج

من الأساس لستين أو ثلاث، ولكن بهذه الحالة في الغالب سنُضاف عليها ضغوطٌ ماديّة من الكل؛ لذا فلتتأهّب من الآن بالاستعدادات اللازمة للمجابهة، والتي من ضمنها التركيز على استيعاب تقنيات تفصيل الملابس، وبتنسيق أمورهما سيتحقّق كل شيء في أقرب قريب عاجل.

لكن تخطيط "تانيقو" للسفر للخارج أصبح مستحيلًا فعليًا بسبب اعتراض العائلة، وأيضًا بسبب تغيير ترتيبات السيدة "ثاما أوكي".

أيقنت "تانيقو" أن "أوكوباتا" سيظلّ يلاحقها طالما هي باليابان، وسيصعب انفصالهما؛ ممّا يجرح كبرياء "إيتاكورا"؛ لذلك كان بينيتها بعد سفرها "لباريس" أن ترسل له خطابًا ليتركها، وستتوارى عن ناظره ببُعدها إلى أن ينتهي الأمر، لكن جال بخاطرهما ما أثار مخاوفها، فطالما سفرها لم يَعد مُمكِنًا فلن تنتهي علاقتها بـ "أوكوباتا" بسهولة، بل إنه لن يفعل بسبب وجود "إيتاكورا"، وستتفاقم المشكلة أكثر ويلاحقها أكثر وأكثر.

لو كانت ابتعدت وسافرت للخارج لاستطاعت الصبر على فراق "إيتاكورا" لعام مَثَلًا، وإمّا طوال بقائها بالقرب منه تظلّ لا تتحمّل العيش بدونه، و"أوكوباتا" يستمرّ أيضًا في رغبته بالاستحواذ عليها.

لذلك بعدما نفّذت كل الحيل بجعبتها للسفر للخارج أدركت أنه يصعب عليها خداع أعين الناس أكثر من ذلك، بما فيهم "أوكوباتا"، وتأهّبت للنزاع بكل الطرق المُمكِنَة، وآل تفكيرها إلى التعجيل بالزواج قدر الإمكان.

فقط هو الآن، حتى وإن كانا غير مُستعدّين ماديًا؛ فالتأجيل سيُصعّب ما سيواجهانه من عقاب المجتمع، و"يوكيغو" حالها يُرثى له، وما من فرصة لزواجهما، والواقع يفرض عليها انتظار زواج أختها الأكبر.

"إذن... أنت يا "تائيكو" مع "إيتاكورا" بذلك الوعد الشفهي فقط، وليس هياك ما هو أكثر من ذلك؟".

"بالضبط".

"متأكدة؟".

"نعم... ليس هناك أي شيء آخر. هذا هو الأمر فقط".

"إن كان الأمر كذلك، ألا تُفكرين مرةً أخيرةً من أجلي قبيل تنفيذك لذلك الوعد؟".

"...".

"حسنًا أختي الصغيرة... إن حدث هذا فلن يمكنني التطلع بوجه أحد من العائلة أو الناس".

وانتاب "ساتشيكو" شعورٌ مفاجئ بأنها أمام هُوةٍ بلا قرار، والآن بدلاً من أن تحشد "تائيكو" قواها لما هو آتٍ؛ فعلت ذلك "ساتشيكو" وتحفّزت وعلا صراخها.

الفصل السادس والعشرون

بكل صباح لبضعة أيام متتالية فور خروج "إتسوقو" للمدرسة و"تينوسوكيه" لعمله؛ تنادي "ساتشيقو" على أختها لتتفقد ما وصل إليه قرارها، فتجدها لم تتزحزح قيد أنملة عما انتوّته.

رأت "ساتشيقو" أنه طالما أن بيت العائلة وجميعهم يوافقون على قطع علاقتها بـ "أوكوباتا" إذن فليتدخل أخوها الكبير "تينوسوكيه"، ومن الأفضل أن يتوجّه مباشرة إليه بحديث واضح كي لا يظنّ بعد الآن أنها ملكه، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا لا يُعدّ موافقة رسمية على تعلّم تفصيل الملابس. وإن كان لا مانع لديها هي وزوجها، ولا يزعجهما أن تصبح سيّدة أعمال بالمستقبل، وسيتظاهران بأنهما لا يعرفان شيئاً. أمّا عن الأموال التي تحت وصاية بيت العائلة فهذه هي الورطة الآن، ولكن ربما لاحقاً إذا كان هناك استخدام معقول يسلمونها إيّاها. سيُتّضح ذلك بالوقت المناسب.

تطرق حديث "ساتشيقو" لنصحها بالعدول عن قرار زواجها بـ "إيتاكورا"، وأجابتها "تائيكو" بأنها ترغب بتعجيل الزواج، ولكنهما ينتظران من أجل "يوكيقو"، وهذا أقصى تنازل يُمكنها تقديمه، وهما يتمنيان أن تجد "يوكيقو" نصيبها اليوم قبل غد.

تحدّثت "ساتشيقو" أيضًا عن مستواه الاجتماعي والفارق بينهما، وعن كون "إيتاكورا" شخصًا غير جدير بثقتهم؛ فهو بعدما كان صبيّ متجرٍ أصبح مُصوّرًا، ويمتلك متجره، لكن هذا لا يجعله مثل "أوكوباتا". إنها تدري أنه اكتسب دهاءً علّمته إيّاه الحياة، لكن حتى لو كذلك فالوضع الذي تقصده هو من حيث تعليمه وهواياته، والعديد من هذه النواحي التي تعكس تدبّي تفكيره بجانب بساطته غير العادية وتباهيه بأشياء تافهة. كلها أشياء لا تستشعر "تائيكو" وجودها، وتظنّ الأمر مُمكنًا طالما لديه المهارة والموهبة بتقنيات التصوير لتجعل منها وظيفةً.

أكدت لها "ساتشيقو" أنها الآن لا ترى عيوب هذا الرجل، ويتوجّب عليها إعادة التفكير؛ لأنه من وجهة نظرها هو مستوى معيشته مختلف؛ وهذا يعني أن زواجهما لن يستمرّ طويلًا، وسألتها: "بصراحة، لماذا شخصية بمستواها يروقها زوجٌ بمثل هذا المستوى المتدني لـ "إيتاكورا"؟".

أضافت "ساتشيقو" إن كان شريك حياتها من ذاك النوع فلن يكفي مصاريف مأكله، ولا عجب، وستندم، وهذا واضح، وبالنسبة لها شخصٌ همجيّ مُزعج على شاكلته قد يكون مُسلّيًا لساعة أو ساعتين، وإنما العيش معه للأبد... لن يُحتمَل.

حاولت "ساتشيقو" أن تتحدّث إليها على هذا النحو، لكن مهما قالت فهي لا تدري الكثير عنه منذ أن كان صبيًا وأدّى الخدمة العامة وتجوّل مع المهاجرين، وهذه هي ظروفه التي لا مفرّ منها، ولكنها

جعلت منه ليس بشخص تافه، بل هو صادق ونقي المشاعر بأعماق قلبه على نحو لم يكن بالحسبان. عاداته بالتفاخر بتوافقه الأمور ربما هي ما تجعل الكثير يكرهونه، ولكن أليس هذا دليلاً على أنه طفل بريء!

إن كان لم يكمل تعليمه ومستواه ضعيفاً، لكنها على علم بذلك، ولا تنزعج، حتى وإن كان بلا موهبة راقية أو صاحب وجهة نظر، وحتى وإن كان بالنسبة لهم شخصاً فظاً شاغر الذهن؛ فبالعكس، إن اتخذت من شخص أقل في المستوى شريكاً لها ستسهل معاملته دون تحفظ.

أمّا "إيتاكورا" فشعر أنه شرف غير عادي أن يستقبل العروس ببيته، ومن دواعي فخر كل فرد بعائلته أن تأتيهم ابنة عائلة مثل "ماي أوكا"، وستنزل دموعهم من الفرح لمجرد أن تذهب "تائيكو" لبيت "إيتاكورا" في "تاناكا".

قدم "إيتاكورا" أخته الصغيرة لتُحيي "تائيكو" بلباقة مُتناهية، وكأنه لا فرق اجتماعياً أبداً، ورَحَّبَتْ بها "تائيكو" بوداً، وقالت لها إنها إذا لم تستطع تقديم العون بالماضي فهذا هي الآن يمكنها. إنها لا تتعامل مع إخوته على أنهم أقل مكانة أبداً، وعلى هذا الحال بالنهاية استتب الوضع في انسجام.

بسماع "ساتشيقو" لهذا الحديث تخيلت "إيتاكورا" وهو فخور بوضع كهذا، بعدما نال عروساً كريمة عائلة "ماي أوكا"، وظننت أن الأمور ستتأزم للغاية؛ فالأمر الذي هو سرُّ بالوقت الحالي سرعان ما سيُذاع بالريف.

بالماضي جرّت "تائيكو" أختها "يوكيكو" لورطةٍ لا شأن لها بها بحادثة الجريدة، أمّا بهذه المرة فهي تقول إنها لن تُقدم على أيّ فعلٍ طائش، وستنتظر حتى تجد "يوكيكو" نصيبها؛ لذلك فمهما حاصرتها "ساتشيقو" فليس هناك أي كارثة مفاجئة وشيكة الحدوث.

الخوف كله من أنه باستمرارها بالضغط عليها هكذا ستأتي بردّ فعلٍ عكسيّ، وعلى أية حال، "يوكيقو" ذاتها لتستقر إن أتاها النصيب أمامها على الأقل ستة أشهر، وبهذه الأثناء إذا كانت "تائيكو" على قناعةٍ بأهميّة أن تتحلّى بالصبر وتُكرّس وقتها لما تزاوله من حِرَفٍ يدويّة؛ فأسلوب "ساتشيقو" هذا سيقودها شيئًا فشيئًا لتفقد صوابها؛ من هنا قرّرت "ساتشيقو" أن تتروّى وتعترف الآن برغبة "تائيكو"؛ فما من سبيل أفضل من عدم معارضتها بشيء.

لكنها لو نظرت بعين العطف لوضع "يوكيقو" وبحثت عمّا بقلبها ستجدها مستاءةً من المعروف الذي تُقدّمه لها "تائيكو" بالانتظار، بل وليس ببعيدٍ أن تجدها مُمتنةً لـ "تائيكو". "يوكيقو" نفسها لا تتعجّل الزواج، و"تائيكو" منحتها سببًا لضياح فُرص زواجها. "يوكيقو" لا تحمل أي ضغينة لأختها الصغيرة لما تتحمّله جرّاء تهوُّرها، وهي على يقين بأن قدرها لن يتأثر بمثل ذاك الحادث السخيف، ولا تمانع أبدًا لو تزوّجت "تائيكو" قبلها دون أي تقيّد بها.

"تائيكو" أيضًا ليس لديها أي نيّة لتقديم معروف، ونفاد صبرها من انتظار زواج "يوكيقو" الذي تأخّر أمرٌ واقع.

في الأساس لو كان وقتما وقّعت حادثة الجريدة "يوكيقو" تزوّجت بالفعل أو على وشك فعلٍ حدٍّ سواء؛ هي بالتأكيد لا يروقها مثل هذه الطريقة مهما كان عمرها.

الأهم أن هؤلاء الأخوات علاقتهم طيبة مع بعضهن البعض ولن ينشب بينهم شجار أبدًا، وبمنظرة متأنّية تجد أن تضارب المصالح القوي بين "تائيكو" و"يوكيقو" يتلاشى.

من هذا المنطلق لم تَبَحْ "ساتشيقو" بأمر علاقة "تائيكو" و"إيتاكورا" لأيّ أحدٍ منذ أن تلّقت الصدمة بخطاب "أوكوباتا" بشهر سبتمبر

الماضي وحتى الآن، لكن بعدما آل الوضع لما هو عليه الآن أصبحت تشعر بثقل ما تحمله جاثماً على أنفاسها.

إنها من أجل "تانيقو" تتحمل مسؤولية دعمها الدائم وتتعاطف معها؛ لذا شجعتها على تصنيع الدُمل وتأجير شقة "شوكوجاوا"، ووافقت ضمناً على رفقتها بـ "أوكوباتا"، وتتدخل بالدفاع عنها أمام بيت العائلة في كل مرة يحدث شيء ما. هذا كله الآن عاد بنتائج عكسية جزاءً لها. إنها كثيراً ما كبحت جماح غصبيها حيال أسلوب "تانيقو"، ورغم أنها بقلب الحدث وممّلك زمام الأمور، لكن الوضع كل مدى يتجه للأسوأ لأنه ليس بمقدورها فعل أي شيء يضابق "تانيقو" أختها بيت العائلة، والجميع لا يرونها كذلك.

إن أكثر ما يثير مخاوف "ساتشيقو" الآن هو أن بكل مرة يأتي فيها لـ "يوكيقو" عرض زواج؛ تسنح الفرصة لبحث وكالات التحري في أصول كل شيء، وإن حدث الآن سيعرف الجميع بكل تصرفات "تانيقو". على أقل تقدير إن بدت "ساتشيقو" كأنها هي أيضاً لا تدري بشيء عن تصرفات "تانيقو" وعمّا انجرفت إليه علاقتها بـ "أوكوباتا" و"إيتاكورا"؛ بالتأكيد سيكون وضعها سيئاً، وسينتهما الجميع بالتقصير.

يتضح لكل العيون نقاء "يوكيقو"، وبالبحث والتحري ليس هناك أي ما يعيبها، فقط هي "تانيقو" ذات الطبيعة المختلفة عنهن، هي الوحيدة التي تجذب الأنظار بسهولة، وبالتحري عنها تجدها هي من تثير الريبة، ورغم أن أفراد العائلة يتولّون رعايتها إلا أنهم لا يدرون بشؤونها، وكل الناس يدرون.

إذا كان الأمر هكذا، أليس أولى بـ "ساتشيقو" أن تأخذ في اعتبارها أن "يوكيقو" منذ الربيع الماضي لم يتقدّم لخطبتها أي أحد؛ فلم لا يكون السبب هو الشائعات حول "تانيقو"؟ والتي بهذه المرة لا يمكن منعها. إذن فمن أجل مصلحة "يوكيقو" لا يمكن التغاضي، ومن حسن

الحظ أن مثل هذه الشائعات لا زالوا يهتمون بها من وراء ظهورهم في الخفاء، وإنما في حالة أن وصلت لبيت العائلة فمن المؤسف أنها هي وحدها من سِلَقَى عليها اللوم، وحينها سيسألها "تينوسوكيه" و"يوكيقو" لماذا لم تصارحهم القول، ولأنها هي وحدها مشكوك في قدرتها على جعل "تائيكو" تعدل عن رأيها؛ ففكرت ما إذا حاول ثلاثتهم كل بدوره فرما يُجدي نفعًا.

"متى حدث كل هذا؟".

بمساء يوم ما بعد مرور حوالي اثني عشر يومًا من العام الجديد، دار حديث "ساتشيقو" وزوجها بعدما جلست بغرفة المكتب تُقَلِّب صفحات إصدار جديد من مجلة، ولكن بدا عليها وهي ترفع وجهها بنظرات غريبة من حين لآخر أن هناك خطبًا ما، ولاحظ زوجها وسألها، وقضت عليه الأمر.

"لقد أعطته وعدها في العام الماضي حين ذهبتُ إلى "طوكيو"، وتغيبتُ أنا و"إتسوقو" والخادمة "أوهارو"، وعلى ما يبدو كان "إيتاكورا" يأتي إلى هنا كل يوم...".

"إذن تقع المسؤولية على عاتقي أيضًا".

"ألم تلحظ أي شيء من قبل".

"أنا عن نفسي لم ألحظ شيئًا... لكن حسبما تقولين، يبدو أن كل الظروف مُلائمة، حتى من قبل حادث الفيضان".

"بالضبط، ذاك الرجل هذه هي طريقته وليس مع "تائيكو" فقط".

"فعلاً، مضبوط".

"نرى، كيف حدث هذا بوقت الفيضان؟".

"في الواقع ذلك الوقت كان مثاليًا، فتلك الطيبة والاهتمام اللذان لم تجدهما برَجُلٍ أثارت إعجابها بشدة، و"تائيكو" قَرَحَت بذلك الشعور".

"فهذا ما أردته، وإلا فلماذا واحدة مثلها تُعَجِّب برجل كهذا من قاع المجتمع، حقًا يا للغرابة! وكلّما قُلْتُ لها ذلك تغضب وإن كنتُ لم أَقُلْ هذا بالضبط، ولكن مجرد التلميح يجعلها تدافع كالحمقاء... بذلك فهي مُلَمَّة بكل ما سَيُقال عنهما من إنها كريمة عائلة ذات حسب ونسب مع شخص مثله".

"كلّا "تائيكو" لا يعنيتها كل هذا، وبقليل من التفكير يَُضح أنها تتبع المذهب العملي وترغب برَجُلٍ كادح قويّ البنية، حتى وإن كان من الطبقات الدنيا بالمجتمع، وأنا عن نفسي أدعّم هذا المذهب بصراحة... ماذا عنك "ساتشيكو"؟ ألا تفكرين هكذا؟".

"أنتَ ماذا تقول! أنظّئه من الأفضل أن تزوّج من رَجُلٍ كهذا؟".

"ليس كذلك بالضبط، وإنما إذا خَيرتني بين هذا الزواج وزواجها من "أوكوباتا"، سأرجّح كُفّة "إيتاكورا".

"أنا على العكس تمامًا".

ووصل حديث الزوجين إلى هذه النقطة، واختلفت آراءهما على غير المتوقع. لقد بدأت "ساتشيكو" تكره "أوكوباتا" تحت تأثير رأي زوجها، والآن هي بالتأكيد لا تُفضّله لأختها، ومقارنته بـ "إيتاكورا" تبدو مثيرةً للشفقة؛ ربما لأنه وَغْدٌ مُدَلِّلٌ وبلا نفع يُذَكّر بالحقيقة، وبعد كل ما رآته منه أيقنت أنه شابٌ نَافٍةٌ ومُقرّزٌ، ولكن فوق كل شيء رُفَقَتُهُ لها منذ طفولتهما بالبيت القديم برصيف الميناء، وهو من نفس المستوى ونفس النمط فيما يُحبُّه أو يكره، ووقتما يتِمّ زواجهما رسميًا سيكون الوضع أمام الناس مناسبًا مهما كانت المشاكل المتورّطين بها. لكن إن تزوّجت "تائيكو" من "إيتاكورا" بإرادتها الحُرّة واختيارها بعيدًا عن رغبة أهلها؛ فمن الواضح جليًّا أن هذا

سيكون محط سُخرية المجتمع بكل مَنْ حولهم؛ لذلك إقلاعها عن فكرة الزواج من "أوكوباتا" ليس هو ما تتمناه "ساتشيقو" أبدًا، بل والأكثر أنها ترى أن زواج "أوكوباتا" هو الخيار الأفضل للحيلولة دون المشكلات الناجمة عن زواجها من "إيتاكورا".

كان هذا هو رأى "ساتشيقو" في حين أن زوجها "تينوسوكيه" بهذه الجزئية كان تفكيره متطورًا عنها، ويظنُّ أنه بَعْضُ النظر عن المستوى الاجتماعي لـ "إيتاكورا" فـ "أوكوباتا" لا يتفوّق عليه بأي شيء، وإن كانت شروط الزواج صحيحة كما تقول "تاثيقو" وأهم شيء لديها هو أن يتوفّر به شروطها الثلاثة: الاعتماد على الذات، الصّحة، والحب، و"إيتاكورا" اجتاز إختباراتها فلا داعي للتعنُّت بصّدّ مستواه الاجتماعي والتعليمي أليس كذلك؟

وإن كان "تينوسوكيه" لا يروقه "إيتاكورا" إلى ذاك الحد لكنه يربح المقارنة بـ "أوكوباتا"، وهو متأكّد أن بيت العائلة لن يسمع، وهو لا يرغب بأن يتوسّط بالأمر وقتما يصلهم، وعندما طلّبت منه زوجته أن يتحدث من منطلق أن لها شخصيتها وحياتها، وهي لا تميل للطريقة التقليدية بالزواج، وأنها وجدت الشخص الذي تحبُّ أن يشاركها حياتها، وهي يمكنها أن تتزوَّجه بإرادتها، وهذه الطريقة بحالة "تاثيقو" أفضل لها من الزواج التقليدي، وهي أدري بأمورها، وليس من الحكمة أن يتدخّل أحد. لو كانت "يوكيقو" مكانها لَمّا استطاعت أن تتخلّص من مشكلة الناس من حولها، وهم مهما اعتبروا المسألة ورطة، ولا بُدُّ من أن تتزوَّج كلتا الأختين بالترتيب، ولا بُدُّ من مسألة النّسب والممتلكات؛ فـ "تاثيقو" وضعها مختلف. هي متحرّرة، ويمكنها الاعتماد على ذاتها بالتأكيد؛ ظلّ "تينوسوكيه" للنهاية موقفه سلبي ويتمسّك بقول واحد بعدما استمع لرأي زوجته، وهو أن بكل الأحوال بيت العائلة لن يقبل، وسيورّطه مع "تاثيقو"، وهو بهذه المشكلة من أولها لآخرها يعتبر نفسه غريبًا، واستنكرت "ساتشيقو" قائلةً:

"ولماذا إذن...!".

فهمهم متردّدًا:

"تأثيقو" حقًا شخصية مُعقّدة أنا لا أفهمها".

"حقًا. بالرغم من أنني أنحاز لها إلا أنني أخشى أن يُساء فهمي؛ لأنها تنتقم ممّن يسيء معامَلتها".

"فعلاً، هذا ما أقوله، شخصية مثلها أيضًا جذّابة بكلّ مُميّزاتها، وستفعل أي شيء".

"إذا كان الأمر هكذا فمن الأفضل مصارحتها سريعًا، فإذا فُكّرَت في خداع شخص مثلها بهذه المرأة فعلاً ستغض... ستثور ثائرتها...".

بدا وجه "ساتشيغو" طفوليًا، واعتلته ملامح الانزعاج، وظنّ "تينوسوكيه" أن وجه زوجته الذي عليه دموع الأسى واحتقّ حُمرةً بالطبع كانت هذه ملامحه وقت شجار الأخوات بوقت بعيد مضى، وظنّها يتملّكها الحنين لوقت طفولتهم.

الفصل السابع والعشرون

لم نعبأ "تائيقو" برأي أحدٍ أو بالمشاكل الوشيكة؛ فهي تتصرّف كما تحبّ، على العكس من "يوكيقو" التي لا حول لها ولا قوّة، وحالتها مُزريّة منذ انتقالها للعيش بـ "طوكيو"، وهذا ما ألحّ على فكر "ساتشيقو" بشدّة.

بسبتمبر الماضي حين ودّعت أختها الكبيرة على رصيف المحطة بـ "طوكيو" أكّدت عليها ضرورة أن تجد عرض زواج لـ "يوكيقو"، لكن هذا العام ليس بعام حَظّها⁽¹⁾ وعلى أية حال، التفكير في عام مضى لن يُجدي نفعًا، وعلى أقل تقدير لا يزال هناك أسبوع على إجازة الشتاء⁽²⁾.

ماذا إذا أصاب تخمينها وسمعة "تائيقو" وما يدور حولها من أقاويل أعاقَت فُرَصَ زواج "يوكيقو"؟ "ساتشيقو" مُلقى على عاتقها

(1) نعتبر سنوات العمر غير المحظوظة للرجال هي سن 25 و42، وللنساء 19 و33.

(2) إجازة أواخر الشتاء، والتي وفقًا للتقليد الياباني تكون في الثالث أو الرابع من فبراير.

نصف المسؤولية، هكذا ظننت، وشعرت أن خطأها بحق "يوكيقو" لا يُعْتَفَر.

إن "يوكيقو" أيضًا هي أكثر من سيفتفهم عدم رضاها عن "تائيكو" الكامن بين ضلوعها و"ساتشيقو" تنوي استدعاءها لتقضّ عليها ما حدث منذ وقت طويل، لكنها تخشى وقع الخبر عليها أنه سيعيدها عن غير قصد لتفكّر بالتأثير الملموس الذي سيطالها من فضيحة الحب الجديد لأختها.

من ناحية أخرى فكّرت "ساتشيقو" أنها مهما خبأت الأمر وعرفت به "يوكيقو" لاحقًا ستستاء، ولن يكن بالسهل عليها وبالنهاية بمثل هذه الأجواء، و"تينوسوكيه" يريد أن يتحلّى بالحكمة، فلا يتبقّى أمامها حلّ أفضل من "يوكيقو" لتشاركها النقاش؛ لذا بحثت عن أي حجة لاستدعائها. لعلّ الحفل الراقص لذكرى وفاة المعلمة "أوساكو" بنهاية الشهر القادم الذي سيقام بالمجمع التجاري "ميتسوقوشي" بقاعة الطابق الثامن سيكون مناسبًا.

الحفل الراقص على نمط القرى الجبلية في ذكرى وفاة المعلمة "أوساكو"

الموعد: يوم 21 فبراير 1945

(الافتتاح الساعة 1:00 مساءً)

المكان: "قوراي باشي" المجمع التجاري "ميتسوقوشي"

ساحة الدور الثامن

العروض: المبخرة (إهداء إلى روحها)، الرحمة بدلو، علاقة مع القمر، دعوة للشاي، ثمانية مناظر خلّابة، طيور النورس، ربما لا يسوى، الثلوج، طوق معدني، تذكّار من عصر إيدو، اليابان، ملاط الخزف، الشّعر الأسود. سيقدّم الحفل بهذا اليوم بمذيع برنامج تلفزيوني شهير

سعر الاشتراك: مجانًا (ممنوع بدون بطاقة الدعوة)

تاريخ التقديم 19 فبراير للأعضاء وعائلاتهم الموقرة

على الراغبين تقديم طلب للحصول على تذاكر الذهاب والإياب،
والتي سترسل مع بطاقة الدعوة

برعاية جمعية ساكوياما مورا المحلية

بدعم جمعية "أوساكا"

على الفور بشهر فبراير أرسلت "ساتشيقو" خطابًا إلى "يوكيقو"
وأختها الكبيرة بيت العائلة، مرفق به الدعوة المطبوعة من قبل
اجتماع أهالي المنطقة.

كتبت "ساتشيقو" للأخت الكبيرة عبارات سلسة:

"أما عنك "تسورو"و" فلعلك تظنين بمجرد أن تأتي "يوكيقو"
ستواتيها فرصة ما جيدة، وهذا ما تتطلعين إليه، فالعام الماضي مرُّ
دون أي أخبار مُفرحة، وها نحن بأواخر الشتاء من العام الجديد.
لكن ليس هناك موضوع بعينه، إنني فقط لم أرها منذ وقت طويل،
وعندنا هنا مناسبة هي تحبها، فإن لم يكن لديك أي مانع فهل يمكن
إرسالها إلينا لبعض الوقت؟ لحسن الحظ هناك ملتقى لرقص القرى
الجبالية، ومرفق الدعوة بالمظروف، وستقدم "ثانيكو" عرضًا، ونتمنى أن
تأتي "يوكيقو" وتشاهدها.

أما عنك "يوكيقو" فالملتقى بهذه المرة تحديدًا تخليدًا لذكرى
المعلمة الراحلة، والاحتفالات من هذا النوع يصعب اللحاق بها
بالموعد المحدد؛ لذا من فضلك تعالي على الفور، "ثانيكو" أيضًا
عرفت بالأمر فجأة، وهي مقصرة بتدريباتها، ولأول وهلة فكَّرت
بالاعتذار عن المشاركة؛ ظنًا منها أنه لا وقت، ولكن طالما الحفل

لتأبين مُعلّمتها الراحلة فلا بُدَّ أن تقبل؛ ولذلك إن فاتتك هذه المرة فلن تأتي فرص أفضل لمشاهدة رقصات "تائيقو". إنها بظُل هذه الأجواء لا يُسَعِّفُها الوقت للاستعداد بشيء جديد؛ لذلك هي تتدرَّب في عجالة على رقصة العام الماضي "الثلوج" مرَّةً أخرى، إنما الملابس فقط هي التي لا يمكن أن تظهر بها مرَّةً أخرى؛ لذلك فالرِّداء الذي ابتاعته العام الماضي بصبغة متاجر "قوزوتشا" سيكون اختيارًا مثاليًا سأجعلها ترتديه، حيث إنه سيُشاهدها خيرةُ تلامذة المعلِّمة الراحلة والسيد "ساكو إينيه" مالك ساحة التدريب بـ "شينماتشي" في "أوساكا".

إنها تتدرَّب يوميًا، وتراجع الألحان معي، وبتلك الأثناء كالمعتاد تُكَدِّس كل شيء جانبًا بغرفة عَمَلِها لتستطيع مواصلة التدريب، وبالتالي فهي تجعلني أنا أيضًا مشغولة يوميًا بالعزف، لكنني أعزف مقطوعة "الثلوج" بالعود الياباني التقليدي؛ فأنا لا أجيدها على العود ثلاثي الأوتار. على أية حال، أنا لست مُستاءةً، وإن كان عليَّ أن أعير انتباهًا لعدد من الأشياء الأخرى التي ليس لي بذكرها في الخطاب؛ لذا أطلب منك المجيء. أريد أن أفضَّ عليك.

حين شارَكت "تائيقو" بملتقى الرقصات العام الماضي لم تكن "تسوروکو" هنا، وبهذه المرة ليس لك أن تتغيَّبي أنت أيضًا.

كان هذا ما كتبه "ساتشيكو"، لكنها لم تتلقَ أيَّ ردٍّ من أيٍّ من أختيها؛ فتوقَّعت أن تأتيها "يوكيكو" فجأة كما فعلت من قبل.

وفعلًا بمساء يوم العيد القومي⁽¹⁾ و"تائيقو" تتدرَّب مرتدية ثيابها وممسكة بطرف رداؤها بالغرفة الغربية الطراز رنَّ الجرس: "ماذا، أختي؟".

(1) يوم 11 فبراير كان يعتبر عيدًا قوميًا وإجازة اليوم الامبراطوري من عام 1872 وحتى 1948.

وقبل أي أحد خرجت الصغيرة مُسرعةً وتنادي بصوت عالٍ على "يوكيقو" بأختي الكبيرة كما اعتادت، ولا تنعتها بخالتي.
"أهلاً وسهلاً، تفضلي تفضلي".

واستقبلتها "أوهارو" وفتحت باب غرفة المعيشة.

دخلت "يوكيقو" ولم تجد سوى كرسي طويل واحد هو المتبقي، والمنضدة، وأخلوا المكان من كل المقاعد الوثيرة ذات المسند، والسجاد ملفوف وموضوع جانباً، و"تائيكو" في المنتصف، وعلى رأسها الحليُّ المميّزة باللون الوردي وبالملابس المذكورة في الخطاب سابقاً ذات النقوش بورد الكاميليا وفروع ثمار الخوخ بالثلوج على أوراقها ذات اللون الأرجواني الداكن وبيدها المظلمة، و"ساتشيقو" بالزاوية تجلس على وسائد الجلوس الأرضية وبجانبها العود ذو الزخارف اللامعة والرسومات.

حين انزاح طرف الطبقة الثانية من رداء "تائيكو" ذي النقوش لجزيرة "أووچيما" تراءى لـ "يوكيقو" "تينوسوكيه" جالساً على المقعد الطويل؛ فأومأت له تُحييه بهدوء.

"... يمكنني سماع ألحان العود من بُعد...".

"حبيبتي "يوكيقو" ظننتكِ لن تأتي".

ووقع ناظراً "ساتشيقو" على أختها التي لم تلتقي بها منذ حوالي ستة أشهر وكانت لا تزال تضع أناملها على أوتار العود، وأختها الحبيبة التي كوردّة متفتحة في حياتها بدا على ملامحها الإرهاق من السّفر، لكنها لم تتخلّ عن ابتسامتها.

"هل جئتِ بالقطار السريع؟".

سألها الصغيرة، لكنها لم تُجيبها واتّجهت لـ "تائيكو" تسألها:

"هل هذا شَعْرٌ مُستعار؟".

"نعم، جلسته اليوم سريعًا".

"رائع، يليق بك أختي... أريده حين أعقص شعري لأعلى، وأنت ستساعديني في تثبيته".

"حسنًا، وإن بدا جيدًا سأعيرك إيّاه".

"ضعيه وأنت عروس، أمّا أنا فسأضعه على رأسي وأبدو كالحمقاء الآن".

وألقت "ساتشيقو" بدعابتها وتلقّتها "يوكيفو" بصدر رحب والابتسامة على وجهها، فهي إن وضعت تاجًا على رأسها سيتوارى مُعظمه من كثافة شعرها، وسيتبقى جزء منه منسدلاً.

"يوكيفو" لقد جئت بالوقت المناسب".

قالها "تينوسوكيه" مستطرّدًا:

"... اليوم جاءت "تائيكو" بالشعر المستعار وارتدت ملابسها وأدّت الرقصات على أكمل وجه. إن يوم 21 بالشهر سيوافق يوم الثلاثاء، فلست متأكدًا من استطاعتي الحضور لمشاهدة العرض، ولكنني رأيتها اليوم ترقص... لا ينقصها شيء".

"للأسف "إنسوقو" أيضًا لن تستطيع الذهاب".

"حقًا! لماذا؟".

"إنها بهذه الآونة تبدو غير منحمّسة".

"حسنًا إذن، وماذا عنك "ساتشيقو"؟".

سألته "تائيكو" ويدها اليمنى المظلمة مفتوحة.

"الآن أريد أن أعزف مرّة أخرى".

"ها التزموا الصمت، فلنبدأ من الأول".

قالها "تينوسوكيه"، ولحقت به "ساتشيقو" تُعيدُ نفس العبارة.

"هيا يا "تائيقو" ويا "ساتشيقو"... دعونا نشاهد".

"تائيقو" مُتعبَة للغاية، هل سترقص مرّةً أخرى؟".

وأجابت عنها "ساتشيقو".

"إنه مجرد تدريب، هيا، فلنبداً".

"أنا عن نفسي إن جلست على الأرض فلن أحمّل البرودة".

"سيدتي، هل أدخل المدفأة إلى هنا؟ إن جعلتها بالقرب منك
ستُحدث فرقًا لحضرتك على ما أظنّ"، سألت "أوهارو"

"حسنًا، اجليبيها".

"فلأستريح قليلًا إذن"، قالتها "تائيقو" ووضعت المظلة جانبًا،
وأمسكت بأطراف ثوبها، ورويدًا رويدًا بلغت المقعد الطويل حيث
يجلس "تينوسوكيه" واستندت جواره وقالت:

"عفوًا، أمهلوني دقيقة واحدة من فضلكم"، وأشعلت سيجارتها
من نوع "GELEBE SORTE".

"أنا أيضًا أودُّ أن أغسل وجهي وسأعود"، وهمت "يوكيقو" بالخروج.

وعلقت "ساتشيقو" قائلة:

"يوكيقو" حبيبتني دائمًا ما نتسم هكذا".

"حبيبتني أنت، اليوم أترك "يوكيقو" و"تائيقو" ترقص لعدّة مرّات...
ويا للترف الذي أنت به الليلة؟".

"وماذا عن كل الالتزامات التي عليّ القيام بها؟ إنني لم أعد أي
شيء لهذه الليلة".

"مهما كان، سلّمت يداك".

"ماذا تفضلين "تانيقو"؟ مأكولات شرقية أم بحريّة؟".

"في الحقيقة كلاهما جيد، اسألي "يوكيقو"."

"بما أنها منذ وقت طويل بـ "طوكيو" فبالأكيد ستُفضل سمك الدنيس الطازج".

وأضاف "تينوسوكيه":

"ومن أجل "يوكيقو" سأتيكم بقنينة نبيذ أبيض".

"حسنًا، طالما الأمر كذلك فعليّ أن أقدم أفضل ما لديّ بالرقص".

وعادت "أوهارو" بالمدفأة، وزمت "تانيقو" أطراف ثوبها بعدما أطفأت سيجارتها بأثار أحمر شفافها بالمرمدة.

الفصل الثامن والعشرون

يوافق اليوم الحادي والعشرين من الشهر، و"تينوسوكيه" مشغول بمهام تنظيمية بالشركة، ويبدو أنه لن يتمكن من الذهاب للحفل، وبالصبح جاءته مكالمة هاتفية من زوجته تطلب منه حتى ولو المجيء لمشاهدة رقصة "الثلوج" فقط، وستخبره قبل أن تبدأ بقليل، وإن كانت تتمنى لو جاء من الآن، وبالفعل أخبرته "ساتشيقو" قرابة الساعة الثانية والنصف، لكنه ما إن أوشك على الخروج حتى جاءه عميلٌ واستمرَّ حديثهما في شؤون العمل حوالي نصف ساعة، وإذا لم يذهب الآن على وجه السرعة لن يلحق، وجاءته مكالمة أخرى من "أوهارو" لتتجَّله، وخرج مُسرِّعاً فور خروج عميله، وقطع المسافة من مكتبه بمحطَّة "ساكاي سوچي" حتى مصعد المجمع التجاري "ميتسوقوشي" على الناصية قبالة خَطِّ السكة الحديد كلها عَدْوًا دفعةً واحدة بدون أن يرتدي قُبَّعته.

صعد "تينوسوكيه" للطابق الثامن، وكانت لا تزال "تائيغو" تؤذي فقرتها.

على حسب قول "ساتشيقو" ملتقى اليوم ليس للجمهور العام، وإنما هو بالأساس لقرءاء مجلة "كيكانشي" الداعمة لهذا الملتقى مع أعضاء جمعية "أوساكا" بجانب أعضاء الجمعية المحلية، ولم يكن من المتوقع أن يأتي كل هذا الجمع، ولكن يبدو أن الحدث نادرٌ بهذه الأيام؛ لذا فالكثير ممن استلموا الدعوات لديهم الشغف. كل المقاعد انشغلت وظلّت حشود تقف بالخلف. "تينوسوكيه" أيضًا لم يكن لديه مُتسع من الوقت للبحث؛ فانضمَّ للأشخاص الواقفين، لكنه تنبّه فجأة لرجُلٍ عينه لصيقة عدسة آلة تصوير من نوع "Leica" موجهة نحو منصّة العرض، ترك مكانه للتوّ ووقف في الصف الأخير مع باقي المشاهدين، إنه "إيتاكورا" بلا شك.

توارى "تينوسوكيه" هاربًا لزاوية بعيدة بالجهة الأخرى كي لا يعثر عليه أحد، ومن حين لآخر تفحص خلسةً "إيتاكورا" الذي اختفى وجهه خلف طيّة عُق سُرّته ويكاد لا يرفع رأسه عن آلة تصويره، وهو يلتقط الصور لـ "تائيغو" واحدة تلو الأخرى.

إنه كان يتعمّد تفادي نظرات الناس، وإنما معطفه الذي جلبه معه من "لوس أنجلوس" بنقوشه المبهرة كألتي يُفضّلها نجوم الأفلام جعلته ظاهرًا بين الجموع...

رقصة الثلوج هي نفسها التي أدّتها "تائيغو" بالعام الماضي لذلك بهذه المرة لم يصدر منها ولا خطأ. بهذه المرة فور أن اتخذت قرارها بتقديم الفقرة بدأت التدريبات المتواصلة لمدة شهر فقط بعد توقّف لفترة ليست بقصيرة، علاوة على أن هذه تُعدّ أول مرّة ترقص بها على منصّة أمام حضور رسمي، فما يُقال عليه الجمعية المحلية هو مجرد منصّة بغرفة يابانية الطراز بمنزل السيد "كاميسوجي"، لا تختلف عن

غرفة منزلهم، وإن كانت أيضًا هذه المنصة ليست بالاتساع المنشود، ولا تشعر بالبراح من حولها، لكنها ليست كالسابق تهاب الموقف أولًا ثم يتحسن أداؤها؛ إنها اليوم لم تتوقف أو تخاف أبدًا، وقلقها تحديدًا من ابنة المعلمة "كيكو أوكاكنجيو"، معلمة عزف العود لـ "ساتشيقو"، والتي ستتولى العزف اليوم.

حين رآها "تينوسوكيه" وجد أداؤها بمنتهى الثبات، دون أن تفقد حضورها، وكما هي على طبيعتها، وبفضل تدريباتها طيلة الشهر لم تكن مثل هؤلاء المبتدئات اللاتي تملكن الخجل على خشبة المسرح. هذا الأمر لا يدركه المشاهد العادي، لكن بالنسبة لـ "تينوسوكيه" الذواق، الذي لا يعبأ بالمدح أو الذم، ويظن أن الرقص بجراءة هو ابتذال، فرأيه في أدائها المتعمس وهي امرأة تجاوزت التاسعة والعشرين من عمرها، ولو كانت فتاة جيشا لاعتبرت مُسنّة جاء محلّه وليس بغريب.

بالملتقى الراقص بالعام الماضي أيضًا بدت "ثائيكو" أصغر من عمرها بعشر سنوات، واليوم الشعور بشخصيتها الحقيقية غالب. حتى وإن كانت الأزياء من عصر "طوكوجاوا" والعصور الوسطى تُكسب السيدات عُمرًا فوق أعمارهنّ، فهذا ليس بالنسبة لها؛ فحيويّتها المعتادة وحماستها بملابس العصور السالفة تغطي.

فور انتهاء فقرتها لاحظ "تينوسوكيه" "إيتاكورا" وهو يخطو خطواته مسرعًا بالردهة وآلة تصويره على كتفه، وخرج من البوابة واختفت هيئته في نفس اللحظة، ومن بين مقاعد الحضور اندفع أحدهم بقوة ليخرج متعقبًا الفتى ذا السترة المبهرجة، ورآه "تينوسوكيه" يخرج هو الآخر من نفس البوابة ويختفي.

تفاجأ "تينوسوكيه" من فعل ذاك الشاب الأنيق، لكن بعدها
بلحظات أدرك أنه "أوكوباتا"، وخرج بدوره ولحق بهما.
لماذا تلتقط الصور لـ "تائيكو"؟ ألم تقطع على نفسك وعدًا بأنك
لن تفعل؟".

حاول "إيتاكورا" كَظَمَ غيظه والسيطرة على نفسه كي لا تعلو نبرة
صوته وهو يوبّخه، و"إيتاكورا" انتفخت أوداجه وتجهّمت ملامحه إثر
ما يتلقّاه من إهاناتٍ، واستمع في صمت مُنكّسًا رأسه.
"... أعطني هذه الكاميرا".

قالها "أوكوباتا" وكأنه مُحقق يتفقّى أثر جريمته. جذب "إيتاكورا"
إليه وفكّ أزرار سترته وأدخل يده بجيب ملابسه وأخرج آلة التصوير
وانتزعها منه، وهمّ بإدخالها بجيبه، لكنه انتظر برهة وفكّر بشيء
ما، فأخرجها وتحسّسها بأصابعه وفتح عدستها، وبعزم قوّته ألقى
بها على الأرض الخرسانيّة وذهب دون أن يلتفت خلفه. في طرفة عين
حدث هذا كلّهُ، وحين تنبّه الحضور من حولهم كان "أوكوباتا" غادر
بالفعل ولا يُلمح ظلّه، وإلتقط "إيتاكورا" آلة تصويره من على الأرض
وغادر مُحبّطًا.

روى "تينوسوكيه" المشهد لاحقًا:

"لا أدري من أين ظهر "أوكوباتا"، لكنه بلا شك كان يبحث عن
"إيتاكورا" هنا وهناك من البداية، ورآه بنهاية الفقرة بنفس الوقت
الذي رأيته أنا، وبمجرّد أن وقعت عينا "أوكوباتا" على "إيتاكورا" وهو
يخرج مُسرّعًا حتى لحق به وأمسكه دون أن يضيّع الفرصة. لا يمكن
الحكم على المشهد ككل؛ فيبدو أن هذا الموقف له ملابساته".

هكذا قَصَّ "تينوسوكيه" على زوجته، لكن تُرى إن كان شاهد هذه المسرحية الهزلية من قُرب، فهل لم يلحظه أي منهما؟ أم لاحظاه، ومن خجلهما تَظَاهَرًا بالعكس؟ هذا ما لم يعرف حقيقته.

قالت "ساتشيقو" إنها هي الأخرى لم تتوقع مجيء "أوكوباتا" لملتقى اليوم، وحين قابل "تانيقو" شعرت بوجود خطب ما، وسألته بالفعل، ووجدتها لا تدري شيئًا، ربما لأنها لم تتطرق بالحديث معه عن أي شيء بخصوص اليوم.

"أوكوباتا" بأي يوم بخلاف الأحد -أي بمساء كل يوم- يتواجد بالمتجر لبضع ساعات ليزاول عمله، وعادة ما لا يبرح مكانه، هكذا تقول "تانيقو"، لكن ربما بعد ما ذُكر عن هذه المناسبة بعدة أسطر بمقالٍ بعمود الفنون الجديدة قرأ "أوكوباتا" عنها وعرف بشأنها، ومن الطبيعي أن يُخْمَن اشتراك "تانيقو"، وبطريقة ما حصل على الدعوة، وفكّر في الحضور والتواجد بين مقاعد المشاهدين، لكن قبل بدء فقرة رقصة "الثلوج" لم ينتبه إليه أحد، حتى إن "يوكيقو" تواجَدَت بالأكثر بين صفوف المشاهدين، وليس بغرفة الملابس، وإذا كان حضر فلا بُد أنها لاحظته، لكنها لم تذكر شيئًا. ربما هي دخلت من بعده، أو ربما أضمر "أوكوباتا" بنفسه شيئًا واختبأ بين الجموع كي لا يجده أحد، وهكذا لم تعلم "تانيقو" أيضًا بمجيئه هو أو "إيتاكورا".

أضافت "ساتشيقو" أنها هي أيضًا و"يوكيقو" لم تكن أيٌ منهما على عِلْم بوجود أيٍّ من الاثنين، والأكثر أنه لا أحد منهم يدري شيئًا عن واقعة المشاجرة تلك.

"بهذه الحالة فإن كلَّ مَنْ بغرفة الملابس لا يدرون شيئًا، فحقًا لو عرف أيُّ أحد بشيءٍ لساء الوضع أكثر".

"إذن، "إيتاكورا" كان هو الطرف الأضعف؛ لذا لم يَزِد من المشكلة، لكن من أجل "تانيقو" تنامي الشائبان أين هما، وتشاجرًا. حقًا إنه

موقف لا تُحسد عليه، وسرعان ما سيُذاع الخبر بين الناس، تُرى ما أنسب حل؟".

"أنت تقول هذا لأنك دائماً ما تبحث عن القلق".

"بالفعل أقلق، ولكني ليس بيدي شيء... هل لا تزال "يوكيقو" لا تدري بشأن "إيتاكورا"؟".

"لقد استدعيتها هذه المرة لأخبرها وأتناقش معها، لكنني لم أفعل بعد...".

بالحقيقة نَوَت "سانشيقو" أن تفعل بعد انتهاء الحفل، وبعدما دار هذا النقاش بين الزَوْجَيْن ببضعة أيام، أرادت "تائيقو" أن تُلْتَقَط لها صور وهي ترقص؛ فأخذت هذه الملابس مرةً أخرى وطوتها بحقيبة وجمعت حُلِّي شعرها بصندوق وأَخَذَت المظلة وكذُست كل شيء بسيارة أجرة وانطلقت، وبقيت الأختان لحالهما، وسنحت الفرصة أخيراً.

"بالتأكيد "تائيقو" ذاهبة لمتجر "إيتاكورا"".

وكان هذا مُنْطَلَقَ الحديث، وقُصَّت عليها "سانشيقو" باختصارٍ بدايةً من تَلْقَئِها الصدمة بتحذير "أوكوبانا" لها وهي بـ "طوكيو" في سبتمبر الماضي، وصولاً إلى مشهد المشاجرة بالرّذهة يوم الملتقى الراقص مُؤخَّرًا.

"إذن، انكسرت الكاميرا الـ "leica"".

وكان هذا أوّل تعليق من "يوكيقو".

"وماذا كان سيفعل! على الأقل خَدِشَت العدسة على حدّ قول "تينوسوكيه"".

"إذا تضرّر الفيلم أيضًا فلن يستطيع إصلاح شيء".

"حقًا! لا أدري...".

رَوَتْ "ساتشيقو" وهي تتوخَّى الحذر وتراقب "يوكيفو" التي استمعت لها في هدوء.

"أنا أيضًا بهذه المرة فعلًا أشعر بمعنى تَعَرُّض "تاثيقو" للخيانة ويثور غضبي حين أفكِّر بالأمر... إذا قُلْتُ إن الموضوع منذ مدَّة طويلة أجد أن الوضع لا يُبَشِّرُ بالخير أبدًا؛ فمن البداية ومثل هذا الشخص يثير المتاعب، حتى بالنسبة لك".

"حقًا أنا لا أدري".

"الأمر ليس جيّدًا على الإطلاق، بداية من حادث الجريدة ونحن نتأدَّى إلى أقصى حد... مثلًا من ناحية عروض الزواج التي تأتيك "يوكيفو"، ربّما لو لم يحدث ذلك لَمَا انجَرَحْتَ مشاعرك، ولما أعاقك شأن أختك... رغم أنّ من عادتكَ دائمًا أن تدافعي عنها وتقفِي بِصَفْهَا، إلّا أنها لم تَبُحْ لِكَ ولا بكلمة واحدة عن "إيتاكورا" ووعودها له".

"هل تحدّثت مع "تينوسوكيه"؟".

"نعم، لم أستطع كتمان الأمر بقلبي وحمله بمفردي أكثر من ذلك".

"وما رأيهِ؟".

"ليس له رأي. يعتبر نفسه غريبًا عن العائلة، وليس له أن يتدخَّل... هكذا يقول".

"ولماذا؟".

"يقول إن شخصية "تاثيقو" غامضة... بمعنى أنها لا تثق بأحد، وستقول له ليس من شأنك، لكنه يَظُنُّ أن شخصية مثلها مُسْتَقِلَّةٌ بحالها يُسْتَحْسَنُ أَلَّا يُوجَّه إليها الحديث من منطلق إنقاذها من المشاكل؛ فهي إن أرادت الزواج من "إيتاكورا" ستفعل، ومن الأفضل

تركها تفعل ما ترغب به مهما كان. إنها ستفعل ما تريده، وهذا ما
يميل إليه "تينوسوكيه"، وأنا أختلف معه، وناقشته".

"من وجهة نظري تحدّثي إليها".

"هذا حقًا ما أريده. لا سبيل لنا سوى أن نتحدّث إليها أنا وأنتِ
"يوكيقو" بالتناوب؛ لعلنا نُصحّ تفكيرها، والأهم أن عليها الانتظار إلى
أن يتمّ زواجك".

"أنا حقًا لا أمانع أبدًا أن تتزوّج قبلي إن التقت بشريك حياتها،
لكن...".

"لكن ليس لدرجة "إيتاكورا"".

"على وجه العموم، هل لها أن تختلف معنا على أنّه من مستوى
أقل؟".

"لا أعرف".

"أنا عن نفسي لا يناسبني أن يكون لي أخ مثل "إيتاكورا"".

توقّعت "ساتشيقو" أن يكون رأي "يوكيقو" مثلها بالطبع، ووجدت
موقفها معارضًا أكثر منها، لكن بشخصيتها المتحفّظة ليس لها أن
تُصرّح بذلك، وبالمثل تُرغب بموضوع "أوكوباتا"، وعن طيب خاطر،
مُقارنَةً بـ "إيتاكورا". إنها توافق "ساتشيقو" الرأي تمامًا، وفوق ذلك
تبدو أكثر اقتناعًا من وجهة نظرها بزيعة "أوكوباتا" مهما كانت.

الفصل التاسع والعشرون

بعودة "يوكيقو" أصبح بيت "أشييا" مُنمَّقاً مرَّةً أخرى كما كان من قبل وبعد مرور فترة طويلة.

"يوكيقو"، قليلة الكلام، الهادئة، التي لا تشعر بحضورها من عدمه؛ فهي نشأت وحيدةً ببيتٍ مُميَّز لم يكن يعجُّ بالحركة، وتوارت البهجة بشخصيتها الفريدة. إن اجتمع ثلاثهم تحت سقفٍ واحد حلَّت نسائم الربيع، وإن غابت إحداهنَّ فُقِد الانسجام.

جديرٌ بالذكر أن بيت عائلة "STOLZ" الذي ظلَّ شاغراً لمُدَّةٍ طويلة أخيراً تَمَّ تأجيره، وبكل مساءً ينعكس بريق لهب موقد الطهي على الباب الزجاجي.

الساكن الجديد سويسريٌّ، وهو مستشار بشركة في "ناجويا"، وهو غير متواجد باستمرار بالمنزل، وباقي الأسرة يظهر على هيئتهم أنهم أجانبٌ. ربَّة المنزل شابةٌ تبدو فلبينيةً أو صينيةً، وتغزل الكُتَّان لكسب

لقمة عيشها، وهما ليس لديهما أطفال؛ لذا فلم يعد المنزل مُبهجًا كما كان بالسابق، بل كثيرًا ما يقبع في سكون، لكن على أية حال فالفرق شاسعُ قبالة السور بوجود أناس تُعمّر البيت الغربي الطراز بعدما كان خاويًا تسكنه الأشباح. مرّةً أخرى تمّنت "إيسوقو" لو كان بالجوار طفلة مثل "روزماري"، وتحطّمت آمالها، ولكنها استطاعت أن تُكوّن العديد من الصداقات الجديدة مع رفاقها بالصف، والفتيات هنّ الفتيات بأية مرحلة كانت، يصنعن عالمهن الخاص، ويتبادلن الدّعوات للاحتفال بأعياد ميلادهن، ويجتمعن بلقاءات لاحتساء الشاي.

ظَلَّت "تائيكو" في انشغالٍ دائم كالمعتاد، والساعات التي تقضيها خارج البيت أكثر ممّا تُضيها به. حدث باليوم الثالث من الشهر أنها لم تتواجد على العشاء لأوّل مرّة، ولم يتصوّر "تينوسوكيه" غيابها، بل ظنّ أنها بالبيت ولكن تُفضّل البقاء لحالها بعيدًا عن الصخب؛ فثارت مخاوفه التي خبأها في سريره؛ تُرى، هل بهذه المرة ستحدث قطعة بين "تائيكو" وأختيّها؟ وماذا حدث بينها وبين "يوكيقو" تحديدًا؟

لكنه بأحد الأيام حين عاد بال مساء لم يجد زوجته؛ ففتح الباب الجرار للغرفة اليابانية الطراز بحثًا عنها، ووجد "يوكيقو" تقف بالشرفة، و"تائيكو" منحنية تُقلّم لها أظافر قدميها، فسألها عن "سانشيقو" وأجابته:

"إنها ذهبت إلى السيدة "كواياما" وستعود على الفور".

كانت "تائيكو" بوقت فراغها تُسوّي لـ "يوكيقو" أظافرها، وتأخذ طرف قدمها برفقٍ وتلقّفها بحواف ملابسها، وتجمع براحة يدها زوائد الأظافر المتطايّرة.

أغلق "تينوسوكيه" الباب مرة أخرى، وتلك اللحظة تركت بنفسه عظيم الأثر؛ فمشهد العلاقة الجميلة بين الأختين شعر وكأنه يلقنه درسًا ليصح مفاهيمه؛ ففيما بين الأخوات مهما اختلفت الآراء لا يقع الخصام.

بعد مرور أيام قليلة من شهر مارس، وبليلة أوشك بها "تينوسوكيه" أن يخلد للنوم فجأة فتح عينيه بعدما شعر بدموع زوجته تنهمر على وجنتيها، فلقد استمع لنحيبها الخافت في الظلام الدامس، وسألها: "ماذا حدث؟".

"الليلة... أنت... هذه الليلة بالضبط هي ذكرى وفاته الأولى".

قالتها "ساتشيقو" وهي تحاول التقاط أنفاسها المختنقة بالبكاء.

"ألم تنسي بعد؟ إلى متى سأظل أقول لك ما باليد حيلة؟".

مسح "تينوسوكيه" دموع زوجته التي تنهمر دون توقّف وهو يقبل شفتيها وتملّكه الدهشة من تبدّل حالها فجأة بهذا المساء؛ فقبيل النوم كانت بخير حال.

لكن بالتأكيد بالعام الماضي بنفس الشهر كانت مُقابَلة "يوكيقو" مع السيد "نومورا" الذي تقدّم للزواج منها بعد التعارف عن طريق السيدة "جينبا" وزوجها؛ لذا ففي مثل هذا اليوم يكتمل العام مرورًا على إجهاضها.

ورغم أنه لا يتذكّر على الإطلاق، إلا أنه لا عجب من أنها لا تزال يمكنون قلبها حزن عميق، وليس من الغريب أن تداهما مثل هذه المشاعر من حين لآخر على هذا النحو.

بالعام الماضي أيضًا حين ذهبوا إلى "أراشياما" لمشاهدة تفجُّح الزهور، وبالخریف حين ذهبوا لمسرح الـ "كابوكي" وخرجت هي لرددة المسرح، وحين كانوا على جسر "جتسوكيو" بكل مرة يرى

زوجته بهذه الحالة دموعها تنهمر على حين غرة، وبعدها تعود الأمور لطبيعتها وكأن شيئاً لم يكن، وهذا ما بدا أنه سيحدث بهذه المرة أيضاً؛ فمع شروق الشمس نسيت "ساتشيقو" بكاءها أثناء الليل.

كانت "كاترينا" صديقة "تائيكو" ستغادر بهذا الشهر إلى ألمانيا على متن السفينة الفاخرة "SCHARNHORST"، وبعد ضيافتها لعائلة "تينوسوكيه" بالعام الماضي ببيتها في "شوكوجاوا" كان يتوجب عليهم ردها، لكن مرّت الأيام وتقابلت الوجوه من حين لآخر بالقطار في الذهاب والإياب ولم يحدث، وإنما كان دائماً ما يبلغ مسامعهم أخبار عائلة "كورلينكو" وصديقهم "أورونسكي" من "تائيكو".

بعد فترة فقدت "كاترينا" شغفها بتصنيع الدُمى دون أن تتخلّى عن مهامها، بل لم تُعطِ الأمر أهمية، وظلّت تتردّد على غرفة أشغال "تائيكو" وتطلب منها النصح والتوجيه فيما تعرضه عليها من منتجات جديدة، وخلال السنوات الثلاث تطوّرت مهاراتها بنسبة كبيرة، ودون أن تدري متى كانت البداية تحديداً أصبح لديها صديق ألماني مُقرّب يُدعى "RUDOLF"، وبدا أنها مشغوفة بمواعِدته، وظنّت "تائيكو" أنها ستفقد حماسها للعمل عما قريب.

"RUDOLF" هو شابٌ مُوظّف بفرع لإحدى الشركات الألمانية في "قوبيه"، وتعرّفت "تائيكو" به من ذي قبل ببلدة "موطوماتشي" ومن بعدها وهي كثيراً ما تصادفهما يتجولان. كان الرجل طويل القامة، قويّ البنية، وبسيطاً أكثر من كونه فتى ألمانياً جذاباً. اتّخذت "كاترينا" قرارها لاحقاً بالذهاب إلى ألمانيا بعد تعرّفها عليه ومحبتها لبلده، ومن خلاله تقرّبت لأخته الكبيرة في برلين، ويبدو أن هذا ما كانت تُعدُّ له؛ فـ "كاترينا" دائماً كان هدفها الأول والأخير هو العبور لـ إنجلترا حيث تقطن طفلتها من زوجها السابق، وبذهابها إلى "برلين"

وفور أن تطأ قدمها قارة "أوروبا" ستشقى طريقها على الفور بما معها من نفقات سَقَرٍ وما لديها من علاقات؛ ممّا يعني أن سفرها هو مُجرّد نقطة انطلاق.

"حسنًا، إذن لن تكوني مع "يودوفو" على متن نفس الباخرة؟".

إن "يودوفو" باليابانية تعني "طعام الطووفو الملوّن"، وكانت "تائيكو" تُلقب "RUDOLF" بهذا الاسم من قبيل الدعابة، ووصلت هذه الفكاهة إلى "سانشيقو" وعائلتها، وأصبحوا هم أيضًا يطلقون عليه "يودوفو"، رغم أنهم لم يلتقوه بعد.

"يودوفو" موجودٌ باليابان، أليس كذلك؟ "كاترينا" تلقت بطاقة الاستضافة من أخته، وبها ستذهب وحدها، صحيح؟".

"مضبوط، وبالرغم من ذلك فهي إن ذهبت "إلى إنجلترا واستعادت ابنتها لن تعود إلى "برلين" أو تلتقي "يودوفو" بعد عودته لبلاده".
"حقًا... ربّما الأمر ليس كذلك".

"لو هكذا فإن "يودوفو" دوره ينتهي هنا".
"معقول!".

"هل الموضوع بهذه البساطة؟".

"حقًا يبدو هكذا".

دار الحديث بينهم بتلك الليلة على طاولة العشاء، وتدخل "تينوسوكيه":

"في الأصل هذا كله لأنّ حبهما مُجرّد لعبة".

"مثل هذين الشّخصين إن بقيّا مع بعضهما البعض باليابان بلا زواج؛ بالطبع سيُسوء الوضع بشكلٍ أو بآخر".

قالتها "تائيكو" كمحاولة منها للدفاع عن "كاترينا".

"بالمناسبة، متى ستغادر السفينة؟".

"المغادرة بعد غد بالظهيرة".

وسألت "ساتشيقو" زوجها:

"وأنت، ما ظروفك بعد غد؟ ألن تذهب معنا لوداعها؟ يا للأسف
أننا لم نحسن إليها صنيعةً بأي شيء".

"ها قد أنهيتُ طعامي وتمَّ إطلاق سراحِي".

"هكذا! إذن فأنت ذاهبٌ معنا. "إتسوقو" عندها مدرسة، وبخلافها
سيذهب الجميع".

"يوكيقو" ستذهب أيضًا؟".

وتساءلت الصُغيرة "إتسوقو":

"سأذهب لأرى الباخرة".

أجابتها "يوكيقو" وهي تضمُّ أكفها وتهمهم.

بذاك اليوم ترك "تينوسوكيه" عمله ساعةً منتصف النهار ليذهب
مباشرةً إلى "قوبيه"، وأسرع خطواته ليصل أخيراً للرُصيف البحري. لم
يكن هناك مُتسع من الوقت ليتحدث مع "كاترينا" بترو؛ فلقد جاء
لوداعها جدُّها وأخوها وصديقهم "أورونوسكي"، وأيضاً "ساتشيقو"
وأخوانها، بجانب الشخص الذي هدَّتْهم عنه "تانيقو": "RUDOLF"،
وبضعة أشخاص يابانيين آخرون لا يعرفونهم.

بعد مغادرة السفينة تحدَّتْ عائلة "تينوسوكيه" مع عائلة
"كرلنقو" وهم يترجّلون بطريق العودة على الرصيف البحري، وبمجرد
أن تفرّقوا بالطريق الساحلي اختفى على الفور "RUDOLF" والآخرون.

"هذه الجَدَّة، حقًّا لا أدري كم عمرها، لكن على ما يبدو هي لا تكبر بالسَّنْ أبدًا".

وتساءلت "ساتشيقو":

"نُرى، هذه الجَدَّة هل لديها فرصة للقاء "كاترينا" مرَّةً أخرى؟".

"إنها تتمتع بالصلابة مهما كان عمرها".

وأضافت "يوكيقو":

"إنها لم تذرف حتى دمعة واحدة، مع أنني على العكس تمامًا كنتُ أبكي، وخبِلْتُ من نفسي".

"الآن الحرب على وشك أن يشتعل فتيلها، فإن استطاعت أن تخرج من أوروبا عن طريق ألمانيا مع ابنتها سيكون شأنًا عظيمًا، لكن الأعظم حقًّا كان خروج هذه الجَدَّة من بلادها؛ فشخص مثلها ربما وصل لهذا الهدوء بعد معاناة غير مُتَوَقَّعة بأوقات عصيبة مأساوية وقت الثورة".

"كاترينا"، حين أفكر في أنها وُلِدَت في روسيا، ونشأت في "شنغهاي"، وعاشت في اليابان... وها هي الآن تعبر من ألمانيا إلى إنجلترا!!".

"والجَدَّة الكارهة لانجلترا سيسوء مزاجها مرَّةً أخرى بالتأكيد".

وتعالت الضحكات وقهقهة الجميع حين شرعت "تاثيقو" في محاكاة الجَدَّة، وما قالت له للتو:

"أنا، "كاترينا" دائمًا نتشاجر. كاترينا تذهب. أنا لا أحزن. أنا قَرِيحة".

الفصل الثلاثون

"كاترينا" التي التقيناها اليوم كانت مُفَعَّمَةً بالأنوثة أكثر من ذي قبل، لم أظن أنها بهذا الجمال، لقد اندهشت".

وسارت عائلة "تينوسوكيه" على ممشى الرصيف البحري إلى أن وصلوا لمطعم "إيكوتا" واتخذوا مقاعدهم بعد مرورهم من ستائر بوابة المتجر واصطفوا في أماكنهم بالترتيب: "ساتشيكو" "تينوسوكيه" ثم "يوكيو" و"تائيكو"، واستمر حديثهم.

أضافت "تائيكو":

"الأمر ليس هكذا، إنها مساحيق التجميل؛ واليوم هي أيضًا متأنقة وملبسها. إنها بعدما تعرّفت على "يودوفو" تغيرت طريقة استخدامها لأدوات التجميل، وتغيرت تعبيرات وجهها ككل".

"إنها لديها ثقة بالنفس، "تائيكو"... تعلّمي منها من فضلك، لو كنتُ مكانها سأذهب إلى أوروبا بالتأكيد إن وجدتُ رجلاً غنياً أتزوّجه".

"وحينها تصبحين غنيّة جداً".

"إنها عملت من قبل مُمرّضة في "شنغهاي"... لو ضاق بي الحال سأفعل مثلها، ولكنها بالتأكيد وقتها لم تحصل سوى على راتب ضئيل".

"لقد انقطعت صلّتها بـ "يودوفو" اليوم".

"على ما يبدو".

"بناءً على ما لاحظته مؤخراً، ثرى، هل سترسل له خطاباً بعدما وفّرت لها الإقامة أخّته؟ وهل "يودوفو" اكتفى بالأمر هكذا؟".

"إنه رفع يده يُلوح لامرأةٍ على متن سفينة، غيرَ عابئٍ، والتفّ وغادر قبلنا كلنا".

"لو كان يابانياً لما فعل ذلك".

"لو تشبّهه باليابانيين لأصبح "طووفو بالحلّ".

ولم تفهم أيّ منهنّ ما مقصد "تينوسوكيه" ببداية حديثه بقول "مفعمة بالأنوثة"، وسألته زوجته:

"ماذا تقصد؟ هل شيء برواية فرنسية ما؟".

"نعم، ربما بروايات FERENC MOLNAR".

كان المتجر ضيقًا للغاية، بالكاد يكفي لعشرة مقاعد من الزبائن. بخلاف عائلة "تينوسوكيه" كان هناك بالجوار شخص بدا أنه صاحب متجر صرافة، يصطحب معه اثنين أو ثلاثة من العاملين، وبالناحية الأخرى ثلاث من فتيات الجيشا تترين رؤوسهن بالحلي، بهذا امتلأت كل المقاعد بالمتجر، وبالكاد تجد مُتسّعًا ليمرّ أحدهم من الفراغ بين مقعد والجدار، ورغم ذلك بمجرد فتح الباب الجرار تجد الجموع في الانتظار يحدّقون إلى الداخل، ويتفقّدون الأحوال، ويناشدونهم لإيجاد مكان شاغر، حتى إنهم يتوسّلون. الزبائن لا تنقطع عن هذا المكان؛ فهو من أفضل متاجر "السوشي"، ويبيع أيضًا مختلف أنواع الحساء باللحم، وحتى زبائنة الدائمون ليس لهم الأولوية، ويواجهون بالرفض الصارم، وباختلاس النظر للداخل يدركون بأي وقت يمكنهم الدخول. على هذا المنوال، الزبائن القادمون إذا لم يكن توقيتهم باللحظة المناسبة لن يتمكنوا من الدخول، وأيضًا الزبائن الدائمون الذين يطلبون الحجز بالهاتف مُسبقًا إذا مرّ أكثر من خمس عشرة دقيقة يُعتبر الحجز لاغيًا، وليس أمامهم فرصة سوى التجوّل بالمنطقة لساعة أو أكثر حتى تسنح لهم فرصة مرة أخرى.

في الأساس العجوز مالك المتجر هو رَجُلٌ تعلّم بمطعم "YOHEI" في طوكيو الذائع الصيت في عصر "ميّجي"، وإن كان مذاق السوشي لديهم يختلف، حيث إن ذاك الرجل تعلّم بطوكيو لكن مسقط رأسه في "قوبيه" التي تشتهر بكرات الأرز بالأطعمة البحرية؛ فجمع الرجل

بين كل مداف مميز، فمثلاً هو لا يستخدم الخَلّ الأصفر كالمُتَّبِع في طوكيو بل يستخدم الأبيض، وأهل طوكيو لا يستخدمون صلصة الفول الصويا التي يستخدمها بكثرة أهل إقليم "كانساي"، ويوصي بأكل المأكولات البحرية المملحة من جمبري وكابوريا وغيره من صنع يديه. بمتجره الطحالب البحرية والأسماك تلتقط من المياه مباشرة أمام أعين الزبائن؛ فمن وجهة نظره "لا سوشي بدون سمك"، كما كان رأي مالك متجر "YOHEI" بالماضي، ولهذا السبب تحديداً اعتُبر امتداداً لذاك المتجر الشهير بطوكيو.

فهو يتبع نهجه بدابة من ثعابين البحر، السمك النَّفَّاح، سمك الصُّخُور الأحمر، سمك السريولا، لحم الزعنفة للسمك المُقْلَطَح، المحار، شرائح اللحم الأحمر للحيتان وصولاً إلى فُطْر عُشِّ الغراب بأنواعه، وبراعم الخيزران وفاكهة الكاكي، إنما سمك التونة فلا يحظى بقبولهم ولا يتوفّر كثيراً.

إنه مشهور أيضاً بالخُضَر المقلية وبإعداده للوجبات أمام أعين الزبائن ويقدم القريدس والمحار حياً يتحرك، ويطهو الأرز بالفلفل وبراعم أوراق الخضروات بدلاً من الفجل. "تائيقو" كانت أوّل من اكتشفت هذا المتجر وتعرفه من ذي قبل. إنها كثيراً ما تتناول طعامها بالخارج، وتدرّج جيّداً بأنباء المطاعم الشهية بالجوار من "موطوماتشي" إلى "سانوميا" و"قوبيه" أيضاً؛ نظراً لظروف عملها.

قبل أن ينتقل المتجر لموقعه الحالي كان بمكان أصغر بشارع ضيق، وسرعان ما انتقل لهذا المكان بعدما وسّع نشاطه. عرّفت "تائيقو" أختها "ساتشيقو" وزوجها به، وقالت لهما إنه يشبه الأماكن المذكورة بالروايات البوليسية التي كانت بمجلة "شباب العصر"، الطفل المشوّه ذو رأس كالمطرقة الخشبية العملاقة بجسد قزم.

سمع "تينوسوكيه" وزوجته ذاك الوصف منها من قبل مرارًا وتكرارًا، وإنما بسماعهم للردود الفظة على الزبائن التي لا مكان لها، وبرؤيتهم لملامح العاملين المفعمة بالإثارة وهم بقبضاتهم سكاكين المطبخ، وبنظراتهم وحركات أيديهم التي يرونها بأنفسهم الآن وجدوا وصف "تائيكو" المفصل يحاكي الواقع بشكل عجيب.

إنهم يصفون الزبائن في طابور ويستمعون لطلباتهم ويأخذون الأسماك أولًا وفقًا للطريقة التي يفضّلونها هم، والكل يدلي بطلبه بالدور، ثم القريدس، يليه سمك الهلبوت، وعلى هذا النحو تُقدّم الأصناف، وقبل الانتهاء من الطبق الأول يُعدّ الثاني، وهذا كله وهم بمزاج حادّ.

يقدّم "السوشي" لبضع مرّات، حتى لو لم تنتهِ من الأكل بعد، ويمكن طلب أخذ الطعام المتبقّي، والأنواع المتوفرة تختلف يوميًا عن يوم، وإنما سمك الدنيس والقريدس متوفّر دائمًا؛ فسمك الدنيس في صدارة الطلبات دائمًا، والزبائن التي تسأل أسئلة هوجاء مثل: "ألا يوجد شرائح دهن الثونة؟" قطعًا غير مُرحّب بهم، ومن عاداتهم إذا كان هناك شيء ما لا يروقهم أمثال الزبائن التي تفضّل الفجل؛ يجعلونهم يقفزون هلعًا ودموعهم تنهمر ويراقبونهم ويفقهون.

بعدما ألقت "تائيكو" على مسامعهم هذه المقدّمة وقعت "ساتشيكو" المحبّة لسمك الدنيس تحديدًا في سحر الـ "سوشي" ومن الطبيعي أن تصبح واحدة من زبائنه الدائمين، "يوكيكو" أيضًا أغراها "السوشي" بدرجة لا تقلّ عن "ساتشيكو" أبدًا، بل تزيد حتى إنها قالت: "إن هذا السمك يدخل في عداد قوى الجذب التي تسحبها سحبًا من "طوكيو" إلى "أوساكا"."

إنها عادةً وهي "بطوكيو" تُخلّق مخيلتها في أفق "أوساكا" وأول ما يتبادر لمخيلتها بذاك الحين ليس بيت "أشياء" بل يقبع بجزء منها

الحالة التي بعدها بهذا المتجر: الأسماك المتداعية تحت قوة نصل السكين والقريدس المتقافز في مرج. لا يمكن قول إنها لا تحب المطاعم الغربية وإنما السوشي له عشقٌ خاص؛ لقد كانت بطوكيو في شهر فبراير ومارس دائماً ما تتناول الـ "ساشيمي" (1)* وجاءتهم ولا يزال مذاقه عالقاً بفمها. إنها فور ما يقع أمام ناظرها لون اللحم الأبيض الرائع كقطع اللحم اللصيقة بقلب المحار وتتذكر المشهد البراق على طول خط السكة الحديد "هانكيو" ويتراءى لها وجه أختها والصغيرة بيت "أشيا".

شعر "تينوسوكيه" وزوجته أن "السوشي" من دواعي السرور لـ "يوكيقو" في إقليم "كانساي"، وبالفعل دعوها أثناء فترة إقامتها لديهم لبضع مرّات لهذا المتجر، وكان "تينوسوكيه" بذاك الوقت يحتلّ مقعداً بين "يوكيقو" و"ساشيقو"، ومن حين لآخر يُمرّر بينهم كؤوس خمر الساكي دون تفرقة بين زوجته أو أخواته بالقانون. "لذيذ... لذيذ حقاً".

قالتها "تائيقو" بعدما تنفّست الصعداء وبدأت بالأكل أولاً، و"يوكيقو" بدورها أخذت الكأس الذي أمامها على استحياء وقالت: "تينوسوكيه... ممتنة لك للغاية لأنك جعلتنا نأكل مثل هذا الطعام اللذيذ بهذا المكان".

"حقاً... ليتنا دعونا الجدة "كرلنكو".

"لم أنتبه لذلك فعلاً. فجأة زاد العدد من حولي، غير أنني لا أدري إن كان سيروقههم مثل هذا الطعام".

(1) * شرائح نيئة طازجة من اللحم الأحمر للتونة.

"ماذا تقولين! الأجانب يأكلون السوشي بكل أنواعه يا سيدي"،
قالتها "تائيكو"، وهنا تدخل بالحديث مُضَيِّقُهُم العجوز وهو يغرق
القريديس المتفافز بالماء ويضغط عليه بأصابع يده الغليظة وأضاف:
"بين الحين والآخر يأتينا أجنب".

"أنت، ألم تجعل السيدة "STOLZ" تتناول الأرز بالسوشي".

"صحيح وكان الأرز به السمك النيئ".

"يأكلونه حتى لو نيئًا، وهناك أشياء يفضلونها، وأخرى ليست
بنفس الدرجة، كالتونة".

قاطعم السيد بالطاولة المجاورة:

"حقًا! ولماذا؟".

"لا أدري السبب، ولكنهم لا يأكلون التونة ولا سمك الفيكاتور".

"إذن سيدتي وماذا عن ذاك المدعو السيد "LUTZ"؟".

قالتها فتاة الجيشا الشابة بلكنة "قوبيه" وبصوتٍ خافت وهي
تسأل السيدة التي برفقتها، وأجبتها:

"إنه دائماً ما يُفَضِّل شرائح اللحم الأبيض، وإنما الأحمر لا يحبّه".

"نعم، نعم".

وانحنى الفتاة أمام سيدتها، التي كان بيدها عود الأسنان
تستخدمه.

"بالغرب لا يُفَضَّلون أبداً شرائح السمك الأحمر ولا تروقههم".

"فَهِمْتُ قَصْدَكَ".

قالها الرَّجُلُ بالطاولة المجاورة تعليقاً على توضيح "تينوسوكيه".

"حسنًا، سأجرب أن أكون مثل الأجانب وأضع شرائح اللحم الأحمر على الأرز الناصع البياض، وبالتأكيد مذاقه سيئ".

"يوكيقو"... انظري"- قالتها ساتشيكو وهي تتوجّه بالسؤال لـ "تائيكو":

"الجدة إن جاءتنا لتأكل السوشي ماذا ستقول؟".

"لحم أحمر، لحم أحمر، أخرجيه من هنا".

قالتها "تائيكو" وهي تُحاكي أسلوب الجدة الروسية بالضبط.

"اليوم جميعكم كنتم عند السفينة؟".

سألهم العجوز مُضيفهم بالمطعم وهو يستخرج لحم القريدس ويضعه على كُرات الأرز المطهو، ويدخل قرابة الخمسة أو الستة منه بعرض نصل السكين، ثم قدّم السوشي في طبق أمام "تائيكو" و"يوكيقو"، والآخر أمام "ساتشيكو" و"تينوسوكيه".

همّوا بأكل السوشي بالقريدس الكبير منزوع الرأس، وقبيل أن ينزل الطبق الثاني اقتسم "تينوسوكيه" واحدةً مع زوجته. "مممم... مجيء الناس لوداع ذوبهم على متن السفينة أمر يستحقّ".

قالها "تينوسوكيه" وهو يلتقط الملاحظة التي على الطاولة ويقلبها ليمتزج مسحوقها الناعم بالمذاق الأصلي للقريدس الذي لا زال لحمه يتحرّك وكأنه تدبُّ به الحياة، وأخذ واحدةً وأدخلها بفمه، ثم استطرّدت "ساتشيكو":

"إن الباخرة الألمانية الفارهة تختلف للغاية عن الأمريكية".

وأضافت "تائيكو" وهي تؤكد القول:

"حقيقي، إنها تختلف بشدة عن تلك التي اسمها "PRESIDENT COOLIDGE" التي كانت كل ألوانها فاتحة مُشرِّقة، أمّا الباخرة الألمانية فهي مطلّية بلون كئيب، وتبدو كبارجة حربية".

"سيدتي، تفضّلي طعامكِ سريعاً".

قالها العجوز لـ "يوكيقو" التي تبقى "السوشي" أمامها بالطبق لم تَمُدْ يدها له بعدُ.

"عزيزتي "كي" ماذا بك؟".

"هذا القريدس لا يزال يتحرّك".

كان من الصعب على "يوكيقو" أن يُفرض عليها تناول طعامها بنفس سرعة الزبائن الآخرين؛ وكان عليها أن تتأخّر أولاً أنه لم يعد ينبض بالحركة بالفعل؛ فمذاقه سيئ إن كان يفعل، لكنها تحبُّ سمك الدنيس، ولا يمكنها مقاومته، وإن كان من دواعي الفخر تناول القطع منه وهي ترجف نابضة بالحياة، لدرجة تسميتها بـ "السوشي الراقص".

"إن حركته تلك هي كل قيمته".

"فلتأكله سريعاً. لقد أكلته ولم يعد يفعل".

وقاطعهم الرجل بالطاولة المجاورة:

"وهل هو عفريت القريدس؟ وإن ظهر لك سيخيفك؟!".

"إن كان على القريدس فليس مُخيفاً، وإنما الضفادع هي كذلك حقاً يا "يوكيقو".

"ماذا! أهذا حقيقي يحدث!".

"نعم، وإن كنت لا تدريين ذلك فلنَدعِ أخاك بأقرب وقت يمكن في "شيبويا"، يدعُكِ لمطعم المشويات في "دوجنزاكا". إنهم يقدمون الدجاج المشوي، ولكن معه الضفادع بعد قتلها وشوائبها هي الأخرى، وحينها

يأتيك صراخها سيمتقع لوئُك "يوكيقو" مثلها بالتمام، وسيظلُّ ذاك الصوت عالِّقًا بأذنيك وسط سكون الليل".
"كفى كفى، توقَّفني عن ذاك الحديث".

قالتها "يوكيقو" وهي تنظر مرَّةً أخرى وتتفحَّص لحم القريدس بدقَّة وتلتقط بعضا طعامها واحدة من السوشي الرَّاقص وتأكَّد أوَّلاً أنه لم يَعد يرقص بَعدُ.

الفصل الحادي والثلاثون

بمنتصف شهر أبريل بيومَي السبت والأحد اصطحب "تينوسوكيه" ابنته والثلاث أخوات للمهرجان السنوي بـ "كيوتو"، لكن بقطار العودة ارتفعت حرارة الصغيرة فجأةً والأكثر أنها منذ الأسبوع الماضي، وهي يبدو عليها آثار الإعياء دون سبب يُذكر، ولم تتحسن حالتها بـ "كيوتو"، بل بتلك الليلة بعد عودتهم وصلت حرارة جسدها إلى 41، فكان أول شيء يسعون إليه هو زيارة الطبيب "كوشيدا". اتفقوا على أنهم بالغد لا بُدَّ لهم أن يتفحصها الطبيب خوفًا من أن تكون "الحُمى القرمزية".

بالصباح الباكر تَوَرَّدَ وَجْهُهَا كله بالحُمرة فيما عدا حول فمها؛ ممَّا لم يدع مجالًا للشكِّ في أنها "الحُمى القرمزية"، حيث إن من أعراضها أن تترك ما حول الفم، هكذا قال الطبيب "كوشيدا"، ونصحهم بدخول مشفى، وإن كانت الحُمى من الأمراض المُعْدِيَّة لكنها نادرًا ما تصيب البالغين، ولا يحدث أن تظهر حالة أخرى بنفس البيت، وإذا تمَّ عزلُها

بغرفة المشفى بالتأكيد لن يمكننا منع العائلة من التردد عليها؛ لذا فلم يمانع الطبيب من العناية بها بالمنزل.

لحسن الحظّ غرفة مكتب "تينوسوكيه" مُنفصلة؛ فأرادت "ساتشيقو" أن تنتقل إلى هذه الغرفة وتنقل المكتب لغرفة بالأعلى، وهي تدري استحالة ذلك، وأن زوجها سينهرها معترضًا، لكنّها أرادت هذه الغرفة لتكون كغرفة عزل المشفى.

حدث بمرة من قبل منذ بضع سنوات أن مرضت "ساتشيقو" بنزلة برد شديدة، واستخدموا هذه الغرفة هكذا لأنها منفصلة تمامًا عن باقي غرف البيت حتى أن الذهاب إليها يلزمه انتعال القبقاب. إنها مفروشة بالحصر ومُجهزة بالغاز والكهرباء، وأكثر ما تُفضّله "ساتشيقو" بها أنها وقتما تريد أن تطبخ بها بسهولة يمكن جلب الماء.

المشكلة كانت في ترتيب الخزانة والأمتعة بعدما تمّ نقل بعض من أرفف الكتب وصناديق الأوراق والأدوات المكتبية والمكتب لغرفة الطابق الثاني.

ستنتقل الصُغيرة وترافقها مُمرضة، ولا بُدّ من الحدّ من حركتها والمجيء إلى المنزل، ولكن هذا لا يعني أنه سيتمّ على أكمل وجه، فمثلاً كان من الضروري جلب الوجبات لهما، ولا بُدّ أن يبقى أحدهم على تواصل، ومن الخطر أن تتولّى الخادمة الصغيرة مهمّة أدوات المائدة وغيرها، بل من الأنسب أن تكون "أوهارو"؛ فهي أكثر جراءة، ولا تخشى أي أمراض مُعدية، ومن دواعي سرورها أن تقوم بهذا الدور، وسارت الأمور هكذا لبضعة أيام، وبالفعل لم تخش على نفسها، لكنها أيضًا لم تلتزم بالتطهير والتعقيم بكل مرة تتردّد على الغرفة وييدها تلمس الصغيرة، ثم تمسّ كلّ الأشياء الأخرى؛ ممّا ينشر الجراثيم؛ فجاء أول اعتراض من "يوكيقو" وبالنهاية اكتفوا بـ "أوهارو" إلى هذا الحدّ

وتولّت "يوكيقو" المَهْمَة؛ فهذا ما تعتاده. كانت شديدة الحرص لأقصى درجة، والممرضة أيضًا أحسّنت عملها. مكتبة سرّ من قرأ

لم تستعِن "يوكيقو" بالخادِمات على الإطلاق في أدوات المائدة اللازمة للاستخدام بغرفة المريضة، وكانت تأخذها بعد التعقيم وتعيدها للغسيل بنفسها، وطوال الأسبوع الذي استمرّت فيه حرارة "إتسوقو" مرتفعةً كانت تتناوَب مع الممرّضة، وكل ساعتين تستبدل كمادات الثلج وحقًا مرّت أيامٌ دون أن يغمض لها جفنٌ.

تحسّنت حالة "إتسوقو" بالأسبوع التالي، واستقرّت درجة حرارتها، وجفّت البثور الحمراء، وأوشكت قشورها على السقوط، إلّا أن هذا المرض لا يُشفى إلّا بسقوط كل القشور عن الجسد بأكمله، ويستغرق هذا أربعة عشر يومًا.

بعدما كانت "يوكيقو" تنوي المغادرة فور العودة من "كيونو" أصبح الوضع الرّاهن يحول دون رحيلها. كانت تريد الذهاب إلى "طوكيو" لاستبدال ملابسها و جلب ملابس صيفيّة، لكنها كرّست نفسها للمريض، ورغم تولّيها هذه المَهْمَة إلّا أن العيش هنا يروقها عن العودة إلى "طوكيو".

علاوة على أنه سينزعج الجميع ما إذا تردّد أحدٌ غيرها على الغرفة المعزولة، فـ "ساتشيقو" بالأساس صحتّها ضعيفة، ولا ترى بالأمر شيئًا إن أبقت طفلتها الصغيرة بين أحضانها مهما أرادوا إبعادها عن المكان.

مرّت أيام على "ساتشيقو"، وهي ليس بوسعها فعل شيء، وبعدما زال قلقهم على "إتسوقو" اقترحت الذهاب لمشاهدة مسرح "الكابوكي". بهذا الشهر سيأتي لـ "أوساكا" مرّةً أخرى الممثل الشهير "كيقوجوروه" ليعرض مسرحية من فنون التراث. أكثر ما تُفضّله "ساتشيقو" من بين مسرحياته الاستعراضية تلك التي تشاركه بها بطولة نسائيّة لتؤدّي الرقصات، وإنّما أيّا كان ما سيُعرض بهذه المرة فلن تفوّته خاصّةً

بعدما جاءتها كلمات "يوكيقو" لتصيب هدفها بالضبط، وتطمئننها باستقرار حالة الصغيرة ومشاركتها الذهاب. إنها بذاك الحين أصابتها خيبة الأمل إثر المرض المفاجئ لابنتها، لكن بكل حال من الأحوال مهما كان العرض المسرحي فهي كأُم تبدو غير عابئة بشيء، فقط كل ما يستحوذ على اهتمامها هو الجيل السادس من المسرح، وما يهدئ من غضبها هو تسجيلات الجراموفون لمسرحيات الفلكلور الياباني.

امتنعت "تائيكو" عن الذهاب معهم حين أخبروها وبدأ أنها ذهبت خلصة بمفردها.

أما عن "إتسوقو" فتحسنت حالتها وأصبحت تعاني من الملل وكانت تسليتها هي تشغيل الجراموفون بصوت عالٍ، ولم يعترض جيرانهم السويسريون الذين حلوا محل عائلة "STOLZ"؛ إلى أن أصابه عطل بأحد الأيام.

إنهم كانوا يظنون أن السويسريين أشخاص صعبة المراس؛ فمنذ شهر مضى وحتى الآن هم لا يستطيعون النوم من نباح كلبهم، وهم لا يقدمون على فعل شيء. بذاك الحين وليس بطريق مباشر طلبوا وساطة مالك ذلك البيت غربي الطراز، السيد "ساتوو"، والذي يقطن ببناية مجاورة لعائلة "ساتشيقو"؛ فقام بدوره بإرسال نفس الورقة المدوّن بها عدّة أسطر بالإنجليزية مع الخادمة لهؤلاء السويسريين.

"بخصوص الكلب

عزيزي السيد الفاضل "ساتوو"

في الحقيقة وبكل أسف نحن جيران لمالكي الكلب ونأسف على إزعاجك لكننا لا يمكننا النوم كل ليلة بسبب نباح الكلب.
من فضلك أبلغهم بشكوانا، ونرجو لفتّ انتباههم".

عادت خادمة السيد "ساطوو" ذات الوجه العابس دائماً برسالة ورقية من السيد "BOSCK".

"عزيزي السيد الفاضل "ساطوو"

في الحقيقة، وبكل أسفٍ، نحن جيران لمن لديهم الجراموفون، ونأسف على إزعاجك.

مؤخراً أصبح تشغيل الجراموفون يومياً وبشكل متواصل بالصباح والمساء أيضاً، والضوضاء أصبحت مزعجة للغاية.
من فضلك تبلغهم بشكوانا وتنبيههم لإيجاد حل.
ولك جزيل الشكر".

لكنها بهذه المرة عادت إليهم وهي تضحك وتعطيهم الرسالة وتقول:

"هذا ما قاله السيد "BOSCK"، تفضّلوا".

بالسابق حينما كان هناك الكلب "JOHNY" واستمرّ نباحه لليلتين تقريباً تركوه لحاله غير عابئين، وإنما بهذه المرة لم تتخذ الأمور نفس مجراها؛ فالغرفة المنفصلة التي مكثت بها "إنسوقو" أثناء مرضها، والتي كانت بالسابق غرفة مكتب والدها يحيطها سياج خشبي مختلف عن ذلك الفاصل السلكي الذي بالحديقة وبفصل بينهم وبين جيرانهم؛ فهذا مُحكّم لا يمكن اختلاس النظر منه، وإنما بنفس الوقت هو أقرب لجيرانهم والضوضاء به لا تحتمل، وحين تواجدت عائلة "STOLZ" كان دائماً ما ينزعج "تينوسوكيه" من جلبة الأطفال "بيتر" و"روزماري".

ولهذا السبب أيضاً كان من الطبيعي أن تنزعج عائلة "BOSCH" السويسرية من صوت الجراموفون، وعلى ذكر هذه العائلة، فمن موقفهم السالف الذكر يبدو أن وظائفهم في مدينة "ناجويا". هذا

واضحٌ من أسلوبهم في التوبيخ والتعنيف. إنهم يعودون من وقت لآخر لهذا المنزل، لكن مهما كان فلا أحد من عائلة "ماي أوكا" يدري حقيقتهم. أيام عائلة "STOLZ" كان رب الأسرة وزوجته والأطفال جميعهم يُطلّون من الشرفات دائماً ويتردّدون على الحديقة الخلفية، إنما هذه العائلة السويسرية منذ مجيئها والزوجة بالكاد تظهر من قِمت لآخر، وذاك المدعو "BOSCH" لا يظهر على الإطلاق، وحتى وإن جلب مقعدًا للشرفة فإنه كان يفعلها خلسةً، ثم أحاط الشرفة بسياج لُوحِيّ بمستوى ارتفاع رأس مَنْ يجلس.

هذا كله يعني أنه يخشى أن يراه الآخرون، ومن الواضح جليًا أنه مع عشيقته.

جاء بحديث خادمة السيد "ساطوو" أنه شخص متوتّر للغاية وسقيم، يعاني الأرق كل ليلة.

بوقت ما، وبدون أي سبب، جاء لمنزل عائلة "ماي أوكا" مُحَقِّق شرطة. كان هؤلاء الأجانب يدّعون أنهم سويسريّون، وبدأ أن هذا غير حقيقي؛ فسلوكهم المريب كان أدعى لاتّخاذ الحيطة. أخبروا المحقّق بكل ما رأوه بأعينهم كثيرًا للشكوك، فالزوج مجهول الهوية طوال العام، مُتغيّب برحلات وزوجته تبدو صينيّة مختلطة العرق، وعلاوة على ذلك هي لا تبدو زوجته رسميًا، بل تبدو عشيقّة عابرةً، وجنسيّتها غير معروفة. بالرغم أن مظهرها أقرب للصينيين منه لليابانيين إلّا أنها تُنكر ذلك، وتُدّعي أنها من مواليد الإقليم الجنوبي دون أن تُصرّح أي إقليم جنوبي تحديدًا. بمرةً ذهبت إليها "ساتشيقو"، ودخلت المنزل ووجدت كل الأثاث صيني مصنوعًا من خشب الصندل الأحمر؛ فبالتأكيد هي صينية وتُخفي الأمر، والشيء الواضح هو أنها فتاة هوى تغوي الرجال بما تملكه من جاذبية الشرقيين وليونة الغربيين. إنها تشبه إلى حدّ كبير تلك الممثلة الفرنسية الصينية التي تُدعى

"ANNA MAY WONG"، وكانت تظهر بالأفلام الأمريكية؛ فجمالها من نوع خاص يختلف عن الجمال المألوف للأوروبيات.

كانت معظم الأوقات تعيش في مَلِّ أثناء غياب زوجها برحلاته، وهَمْرَة التَّقَّت "ساتشيقو" بالطريق ودَعَتْها لتأتيها ومُضيا بعض الوقت سوياً، وأرسلت لها منسوجاتها من الكِتَّان لتفتح باباً للتعارُف، لكن "ساتشيقو" بعد واقعة المحقق ساورتها المخاوف من توطيد العلاقات معها.

استاءت "أوهارو" من هؤلاء الأجانب الذين لا يُحسِنون الجيرة، فهم منذ مرض الصغيرة لم يشغلوا الجراموفون كعادتهم بالسابق، حيث نهى "تينوسوكيه" عن التَّسْلِيَة بتشغيله هكذا منذ الصباح، ومنذ ذاك الحين و"إتسوقو" تلهو يومياً بلعبة الورق، وتوقَّفت "يوكيكو" عن مشاركتها اللعب حينما بدأت بفترة النَّقاهة، حيث إن وقت تساقُط القشور هو أكثر وقتٍ تَسهل به العدوى.

"إتسوقو" بهذه الفترة كان لا بُدَّ لها أن تبقى تحت الملاحظة، والألعاب التي تتطلَّب طرفاً آخر تُشكِّل خطراً بانتقال العدوى، فكان عادة ما تشاركها الممرضة "ميتو" والخادمة "أوهارو".

أُطلِّقت "إتسوقو" هذا الاسم على الممرضة لأنها كانت شديدة الشبه بالممثلة "ميتو ميِّقو"، وكانت هذه الممرضة أصيبت من قبل بهذه الحُمى القرمزية؛ لذا فهي لديها مناعة ضد المرض. أمَّا "أوهارو" فكانت تقول: "أنا لا أخشى انتقال العدوى لي"، وكانت تأكل بقايا طعام المريضة، وتلتهم بشرهة الأرز والسَّمك، عكس الخادِمات الأخرى اللاتي لا يقرِّبن أيديهن أبداً، و"يوكيكو" هي أول مَنْ اكتشفت الأمر وصمَّمت على عدم اقترابها ثانية، لكن "إتسوقو" كانت تناديهما كلِّما وجَدَت نفسها وحيدة وتنغمس "أوهارو" باللهو في غرفة

المريضة ليوم بأكمله دون أدنى مبالاة بتوبيخ "يوكيقو" وتقول مثلما تقول "ميتو":

"لا داعي لكل هذا الحرص. يستحيل أن تنتقل إليّ العدوى".

ولم يقتصر الأمر على المشاركة بلعبة الورق فقط، بل أمسكت كل من "أوهارو" و"ميتو" بأطراف "إتسوقو" لإزالة القشور عنها. كانت البثور تغطي جسدها كله وهما ثقلبان طرف قشورها وينزعانها، ثم يجمعانها للتخلص منها. اعتاد الوضع كل من البيت ولم يعد هناك أحد يخشى العدوى.

ببداية شهر مايو بعدما تماثلت الصغيرة للشفاء قالت "تائيكو" إنها تود الذهاب إلى "طوكيو" وتريد مناقشة أخيها الكبير رب بيت العائلة مباشرة، ولن ينتهي الأمر دون حل لمشكلة النقود، وهي ألغت فكرة السفر لأوروبا، ولن تتزوج بالقرب العاجل ويلزمها بعض الترتيبات فإن كان سيعطيها أيا من حقها فليسرع، وإن كان ينيته ألا يعطيها شيئا فلا بد من تصحيح تفكيره هذا، وفي لا يتسبب الأمر في أي مشاكل لـ "يوكيقو" أو "ساتشيقو" أرادت أن تذهب بمفردها وتتفاوض معه بهدوء دون داعٍ لقلقهم.

إنها لا يتوجب عليها السفر بهذا الشهر تحديداً، ولكنها تظن أن الظروف أفضل الآن لتواجد "يوكيقو" عندهم ببيت "أشيا"؛ فأتخذت قرارها فجأة، وهي لا تريد أن تطول إقامتها بذاك البيت الضيق الذي يعج بالاطفال، وتتوي العودة فور انتهاء المسألة. على الأكثر قد تذهب لمشاهدة المسرح، لكنها للتو فعلت هنا فلا بأس.

سألها ساتشيقو ستتفاوض مع من؟ وأي ترتيبات هذه التي تلزمها؟ لكن مؤخراً كلتا الأختين ميلان لمعارضتها؛ لذا فـ "تائيكو" من السهل عليها ألا تصارحها بشيء ولا تجيب على أي من أسئلتها بوضوح. إذن فلاختيار يقع أولاً على الأخت الكبيرة "تسوروقو" لتبادلها النقاش وإذا

لم يفلح الأمر فلا مَفَرَّ من صدامها المباشر مع أخيها الكبير، ولا يزال ما تدعوه "ترتيبات" شيء غامض لم يتَّضح شأنه بعد.

خَفَّفت "ساتشيقو" من وطأة هجومها وسألتها برفق عما إن جَدَّ أي جديد في شأن المعلِّمة "تامأ أوكي"، وما إن كانت بدأت بالفعل في مشروع متجر الملابس النسائية على نطاق ضيِّق؛ ظنًّا منها أن هذا هو سبب حاجتها للنقود لتبدأ بها كرأس مال، لكن "ساتشيقو" تدري أنه للأسف حتى ولو كان هذا طموح "تائيكو" فهذا مرفوض لدى العائلة. إن أخاهم الكبير لن يخرج المال من تحت يده إلا لزواج رسمي بموافقته، وحتى الآن ليس هناك بجديد، والأكثر أنه يرفض رفضًا قاطعًا أن تصبح "تائيكو" امرأة عاملة.

إذن فلا بُدَّ أن ما لديها من ترتيبات سيكون غير ذلك؛ فعلى هذا الحال تبدو المناقشة غير مُمكنة على الإطلاق، إلا أن المنفذ الوحيد المتاح أمامها هو أن يحالفها الحظُّ، وتسنع لها الفرصة لتحديثه مباشرة وبطريقتها الخاصة.

إن الأخ الكبير صفته المتأصلة به هي الغِسة، ومنذ ما دخل العائلة وهو شاب ومعاملته للأختين الصغيرتين فظة، وحتى في الخفاء أراؤه قاسية، والمواجهة وجهًا لوجه تُضعِف موقفه، ومن هنا يوجد احتمال أن ينصاع بقليل من الضغط؛ ممَّا يعني أنها لن تحصل على نتيجة إلا بتهديده، وهذا هو هدف "تائيكو" والأمل الوحيد الذي تتعلَّق به وقرَّرت على أساسه الذهاب إلى "طوكيو"، وبدا أنه يتهرَّب منها. لكنها ليست بالشخصية التي يمكن الاستخفاف بها، فهي تهيأت واستعدت جيّدًا على مدى عدّة أيام إلى أن حانت الساعة.

حين قالت "تائيكو" فجأة أنها ستذهب لـ "طوكيو" كانت "ساتشيقو" بالفعل تنبأت بذلك، فبهذا التوقيت لن يرافقها أيٌّ من

أَخْتَيْهَا، وكان من الواضح أنها اختارت تلك الفترة عن عَمْدٍ؛ ممَّا أثار قلقها.

على حَدِّ قول "تائيكو" إنها ستفاوض معه بسلاسة، لكن يبدو أنها في سريرتها تنوي الصدام به، غيرَ عابِئَةٍ بشيء، حتى لو آل الأمر للقطيعة بينها وبين بيت العائلة؛ ولذلك هي لا تريد أن تتورَّط أيُّ من أختيها "سانشيقو" أو "يوكيقو" معها.

لو أن هذا حقًّا ما تطرَّق إليه تفكيرها فلن يعرقلها أي شيء مهما كان.

ظنَّت "سانشيقو" أن الأخ الكبير بذاك الحين سيظل كما هو، ولكي لا تدعّمه "سانشيقو" في أذى أختها عليها أن تدعها تذهب لحالها، وحتى أيضًا لا يُساء فهمها.

على هذا الحال غادرت "تائيكو" وبدون أن ترافقها أيُّ من أختيها، وحاولت "سانشيقو" قدر الإمكان أن تظهر أنها لا شأن لها بهذه المشكلة، فهي ترى المشهد ككُلٍّ من على بُعد وتري أن الأخ الكبير متورَّط بمشكلة، لكنها لا تستطيع تحمُّل العواقب مهما كانت مستاءةً من موقفه.

لكن مهما توارت كي لا يظنُّ بها الأخ الكبير ذلك فهل عليها أن توقف "تائيكو" عمَّا تنوي القيام به بأي شكل كان؟

هكذا أرسلت "سانشيقو" لأختها الكبيرة "تسوروقو" تسألها وتخبرها بنفس الوقت عن ذاك التهور.

إنهم حتى لو ألقوا اللوم عليها فد "سانشيقو" في مأزق، وموقفها لا تحسّد عليه.

بتلك الفترة كان شأن الصغيرة متروكًا بالكامل لتتولّاه "يوكيقو".

رأت "ساتشيقو" عن "يوكيقو" إذا رتبت أمورها لتسافر هي الأخرى، فلا بُدَّ لها أن تتورط بالنزاع بين أخيها الكبير وأختها الصغيرة حول الأموال، وأكثر ما يزيد موقفها تعقيداً هو إلى أيّ جهة منهما ستحاز؟ إنها هي ذاتها لا تستطيع حسم موقفها.

من ناحية أخرى ظنّت "يوكيقو" أن لو أختها تخطط حقاً لإدارة متجر ملابس غربية، فلا بُدَّ أن هذا التفكير وراءه "إيتاكورا" وهذا واضحٌ جداً، أما وإن كانت تسيء الظنَّ به وهذا حقاً هو غرض "تائيكو" ذاتها من الحصول على المال؛ فهي لن تتزحزح عن رأيها حتى وإن تظاهرت بالعكس؛ فهي دائماً بها جانب عاطفي غير متوقع، وعلى الأرجح هذا ما يستغلّه "إيتاكورا" ولا يدع لها مجال لقطع علاقتها به؛ لذلك من الأفضل عدم حصولها على الأموال.

كانت هذه إحدى الملاحظات التي من الأخرى أخذها في الاعتبار، ورأى "ساتشيقو" بذلك أن لو "تائيكو" مغرمة لهذا الحد فقلبها سيعوقها، وسينتهي بها الحال لفشل ذريع، وهذا ليس بخفيٍّ على أحد.

استاءت "ساتشيقو" أكثر لأنها تشعر بأن "تائيكو" لا تزال تُواعِدُ "إيتاكورا" ولا تعباً بتحذيراتهم، لكن مصير امرأة شابة مثلها لا يمكن أن يتدخل به أحد، والأخت الصغيرة الفاتنة التي تسعى لاستقلالها ليس هدفها أبداً إثارة حنق أخيها الكبير الضعيف فما يقدمه لها من مساعدة شيء ادعى للسخرية. "تائيكو" تريد أن يخصص لها مبلغاً مستقلاً بأي شكل كان، وتصبح هي من تملك حرية التصرف به فعلياً، ولأن الأخ الكبير هو وليها فهي تريده أن يخرج المال من حوزته.

ومع ذلك فإذا سافرت معها "ساتشيقو" إلى "طوكيو" سيصبح موقفها عصيباً، سواء بالانحياز أو بالاستنكار فهي تقف بين "تائيكو" وبيت العائلة. الحل الوحيد أن أقنعت أختهم الكبيرة بأنه لا خيار

أمامهم سوى مُساندة "تائيقو" حتى ولو على مَضَض، وحتى ولو هي
كارهة لذلك.

بهذه الحالة سيكون الانحياز صريحًا لـ "تائيقو" لدرجة الضُّغط
على أختهم الكبيرة، والصراحة هذه ليست من شِيم أخلاقهم أبدًا.

الفصل الثاني والثلاثون

اعتزّصت "يوكيقو" بالأساس على فكرة ذهاب أختها الصغيرة إلى "طوكيو" بمفردها، وعلى أية حال هذا لا يعني أنه ما من طريقة لترافقها "سانشيقو"؛ فـ "إتسوقو" تماثلت للشفاء حقًا، وإن تغيّبت أمها "يوكيقو" سترعاها وستكون مطمئنةً، وحتى ولو لم تُعد على وجه السرعة ومكثت لحين من الوقت فلا بأس، لكن "تائيكو" حين وقع على مسامعها خبر مُرافقة "سانشيقو" لها امتعضت ملامحها.

إن "سانشيقو" لا تريد إزعاجها بالسفر معها وإنما كل ما في الأمر أنها تفكّر في ردّة فعل بيت العائلة، خاصّة وأن "تائيكو" سلوكها مُتحرّر ولا مانع لديها من الصدام بأيّ شخص كان، وحتى وإن كان الأخ الكبير والأخت الكبيرة سيأخذان بشهادتها، فهذا ليس المقصد بالأساس، وستبذل قصارى جهدها لتلافي هذا الموقف. إن لم تستطع أن تجزم برفض قاطعٍ فعلى الأقل ستحافظ على موقفها كطرف مُحايد، وكله من منطلق توخّي الحذر من تصرفات "تائيكو" غير اللائقة.

إن "تائيكو" بهذه المرة أفصحت عن غايتها في المَجْمَل، وطالما قالت "ساتشيكو" إنها سترافقها فهي ستفعل، حتى وإن كانت "تائيكو" لا تحبذ تَدخُلها، ولأن "ساتشيكو" ذاتها لا تريد أن تَعْلَق بالأمر فقررت أن تتوجّه بحديث مباشر لأختهم الكبيرة، وأرسلت لها خطابًا مُسبقًا تخبرها بكل شيء.

بهذه المرة أيضًا أرادت "ساتشيكو" المبيت بنزل "هامايا" في طوكيو، لكن "تائيكو" تجنبت هذه الترتيبات وكان تخطيطها المبيت في بيت العائلة إلى أن تخوض الحديث مع أخيها الكبير.

غادرت الأختان "أوساكا" بالقطار السريع، ومساء يوم وصولهما كان أول ما فعلته "ساتشيكو" هو أنها اصطحبت "تائيكو" معها للنزل، ثم هاتفت أختهم الكبيرة وأخبرتها أنها مُتَعَبَة ولن تذهب إليهم اليوم وستأتيهم "تائيكو"، لكنها لا تعرف الطريق بمفردها، وسألتها ما إن كان مُمكنًا إرسال أحد أبنائها.

أجابتها "تسوروقو" بأنها هي مَنْ ستأتي لاستقبالهما، وأنهم لم يتناولوا طعام العشاء بعد، واقترحت أن تلتقيهما بأي مكانٍ ويذهبن لتناول الطعام سوياً بحي "جينزا".

قالت "تائيكو" إنهم طالما سيذهبون إلى "جينزا" فهي تريد مطعم "NEW GRAND" أو "LOHMEYER"، وأيَّدت "تسوروقو" الذهاب إلى "LOHMEYER"، فهي لم تذهب إليه من قبل وأصبح الوضع على عكس المتوقع، وهي مَنْ تسألهما عن الطريق، وكيف تصل من بعد جسر "سوكيّا".

قامت كلتا الأختين بالاغتسال قِبل الخروج، ووصلت الأخت الكبيرة من قبلهما، وحجرت طاوله، ومكّنت في انتظارهما، وقالت إن الضيافة اليوم عليها.

عادةً بمثل هذه المناسبات "ساتشيقو" هي مَنْ تقوم بتقسيم الحساب لكن بهذه الليلة كانت "تسوروقو" ودودةً بشكل خاص وتعير انتباهًا لـ "تائيكو" وتوجّه إليها كلماتها أولًا، وقالت لها أيضًا إنهم لم ينسوا شأنها أبدًا، ولكن المنزل ضيق للغاية، ولقد أخذوا "يوكيو" بمفردها معهم على أن يستدعوها هي الأخرى بالقرب العاجل، لكنهم لم يستطيعوا تدبير الأمر، وأنهت "تسوروقو" كلماتها دون تقديم تفسير محدّد.

بعدها فتحت كل واحدة منهم قنينة من البيرة الألمانية "JOCK-EY"، ثم خرجوا من المطعم وتنزهوا بحيّ "شينباشي" مرورًا بـ "جينزا" ليلة في أوائل الصيف، وتركتهما "ساتشيقو" عند محطة "شينباشي"، ولم تذهب لبيت العائلة لبضعة أيام إلى أن تنهي "تائيكو" النقاش الذي جاءت من أجله، وكان لا بُدَّ لها أن تمضي هذه الفترة لحالها، وفكّرت في زيارة صديقة لها تزوّجت بـ "طوكيو" كانت رفيقتها بمدرسة البنات، وإمّا بالصباح التالي وهي تقرأ الصحف بغرفتها جاءتها مكالمة هاتفية من "تائيكو" تقترح عليها أن يخرجوا سوياً، وسألتها "ساتشيقو" عمّا إذا كانت تناقّشت بشيء مع أخيها الكبير، لكن الإجابة جاءت بالنفي، وأنها أصابها الملل، وأخبرتها "تسوروقو" بالصباح أن أخاها مشغول طوال هذا الأسبوع؛ لذا فمن الأفضل تأجيل الأمر للأسبوع القادم، وهي ليس أمامها حلٌّ آخر؛ ولذا فليمضوا وقتهم هنا في التنزه قليلاً. لكن "ساتشيقو" أنهت معها المكالمة على أنها لديها موعد اليوم لزيارة صديقتها "أوياما" وستتغيّب حتى المساء، ربما تعود بالساعة الخامسة.

تأخّرت "ساتشيقو" وعادت بالسابعة حيث احتجزتها صديقتها وأعدّت لها مأدبة عشاء، وجاءت "تائيكو" للنزّل بغياها. إنها اليوم انتظرت عودة "ترو أو" من المدرسة ليدلّها على معبد "ميحي شينكو" وعاد الاثنان من جولتهما للنزّل بالسّاعة الخامسة، ولم تكن "ساتشيقو"

عادت بعدُ، وكانا سيطلبان الطعام بالغرفة لتزوَّرهما جوعًا، لكن "تائيكو" لا يزال عاليًا بفمها مذاقُ البيرة الألمانية من الليلة الماضية، فدَعَت "ترو أو" لذلك المطعم، وبعد تناول عشاءهما ترَكَته وعادت للفندق للمبيت هذه الليلة مع "ساتشيكو".

جاء بحديث "تائيكو" عن بيت العائلة في "شيبويا" أن ترحيب أخيها الكبير وأختها كان ترحيبًا حارًّا ولم يتركوها وحدها أبدًا، وبالصباح قبل خروج أخيها للعمل قال لها إنها أخيرًا جاءت إليهم؛ فلتبقِ هذه المرة طويلًا، وإن كان البيت ضيقًا والوضع بائسًا بعض الشيء إلا أن "يوكيكو" ليست هنا الآن، وإلى حدٍّ ما يمكن تدبُّر الوضع، وهو للأسف مشغول، لكنه سيكون لديه مُتَسَّع من الوقت للأسبوع القادم، ويودُّ دعوتها للخروج بمكانٍ ما، علاوة على ذلك قال إنه لديه استراحة لساعة بوقت الظهيرة، فليتها تستطيع المجيء إلى بناية "مارونوتشي" ويتناولوا الغداء سويًا بأيِّ يوم. قال لها الكثير من هذا القبيل، وبهذه الأيام القليلة تَبَدَّدَ ثَوْنُ الثلاث أخوات: "تسوروقو" و"ساتشيكو" و"تائيكو"، وتحوَّل لمزاج جيِّد، فالأخ الكبير لم يسبق له أن كان بمثل هذا اللطف من قبل.

بعد خروج الأخ الكبير لعمله أسرعَت "تائيكو" لتحدِّث مع أختها حديثًا مُفصَّلًا استمرَّ لقراءة الساعة عمَّا تريد فعله، لم تنزعج "تسوروقو" ولو بالقليل، بل ظَلَّت تصغي باهتمام، وقالت إنها ستناقش زوجها، وترى ما قوله، لكنه مشغول للغاية ويعود بوقت متأخِّر ليلاً، وهي تريدها أن تنتظر للأسبوع القادم وستسنع الفرصة بالتأكيد، وإلى ذاك الحين فلتستمتع بوقتها دون أن تشغل بالها بشيء، فهي اشتاقت لمجيئها، ولتجعل "ترو أو" يرشدها لأي مكان ترغب بالذهاب إليه، وليتنزَّها سويًا، وما كان أمام "تائيكو" سوى الانتظار بناء على كلمات أختها، وإن كانت لا تدري ماذا سيحدث.

بالأمس حين ذهبت "تائيكو" إلى "نوماتزو" بالقطار لترى جبل "فوجي" وجدته حَبَّت الغيومُ مُعَظَمَه، وقالت مازحةً إن هذا ليس بالفأل الحَسَن، وبالطَّبَع كان مقصدها هو الهدف من مجيئها لـ "طوكيو"، فحتى الآن هي ليست على يقينٍ من شيء، وتتوَحَّى الحذر من أن يستدرجها الزَّوجان، فهي لا تعلم ما إذا كانا يخدعانها، لكنها على العموم استمتعت بأوقاتها.

أما "ساتشيقو" فهي تقضي أوقاتها وحيدةً بغرفتها في النُّزل، وانتابها شعور بالإحباط لاغترابها، وبالليلة الماضية لم يغمض لها جَفَنٌ طوال الليل، وكان هذا هو حالها طوال الأسبوع، وأصبح وضعها بائسًا. لكن بتلك الليلة أيضًا لأول مرةً ومنذ عدة سنوات تنام هي وأختها جنبًا إلى جنب. "ساتشيقو" منذ أيام سكناهم بيت رصيف الميناء، وإلى أن أصبحت شابةً بمقتبل العمر، وبآخر ليلة قبل زفافها- وهي تشارك أختها نفس الغرفة، ووقتها كانت بمدرسة البنات كانت الأخت الكبيرة فقط المخصَّص لها غرفة وحدها، وهي والأختان الصغيرتان بغرفة بالطابق الثاني. لم تنفصل "تائيكو" عن أختها أبدًا، و"يوكيكو" دائمًا ما كانت تسعى لمكانٍ بينها وبين "ساتشيقو". كانت غرفتهم ضيقةً وبها اثنان من الأسرة لثلاثتهم. "يوكيكو" هي التي لا تتقلَّب أثناء نومها، وحتى بالليالي الحارة تندُّر بعناية وكعادتها تنام بهدوءٍ دون أن تفسد هيتها ولو بالقليل.

كان هذا هو المشهد الذي تبادر لمخيلة "ساتشيقو" الآن، واعتصر قلبها الحنين، وتراءت لها صورة من تلك الأيام و"يوكيكو" بقوامها الهزيل تنام ملتزمةً بمكانها بالضبط بينها وبين "تائيكو" بمساحة ضيقة للغاية.

بحلول الصباح فتحت عينيها بفراشها، وكأنَّها عادت لأيام ما كُنَّ فتياتٍ، وبعد وهلة بدأت الثثرة الطفوليَّة:

""تائيكو" ماذا سنفعل اليوم؟".

"ماذا سنفعل؟".

"ألن نذهب لأي مكان تحببته؟".

"الكل يقول "طوكيو، طوكيو"، وأنا لا أرى بها أي مكان أريد الذهاب إليه".

"أنا أيضًا "أوساكا" و"كيوتو" بالنسبة لي أفضل... بالأمس ذهبت إلى "LOHMEYER" وتناولنا شيئًا مختلفًا. "Wiener schnitzel".""

"وكان "ترو أو" قرحًا؟".

"مجرد أن بدأنا بتناول الطعام جاء قبالتنا رفيق له بالمدرسة بصحبة والديه...".
"حقًا".

"وفور ما وقع نظر "ترو أو" عليه توردت وجنتاه وظل يقول "يا للورطة... ماذا سأقول الآن وأنا معك سويًا؟ لن يصدق أحد أنك خالتي فعلاً"".
"فهمت".

"سيقولون الفتى أكبر أخواته... ها هي رفيقته الجميلة... وحين أردت طلب البيرة تعجب واتسعت مقلناه بشكل عجيب وقال: "ماااااا!، كان يظنني لا زلت طفلة".

"أنت يا "تائيكو" بالملابس الغريبة لا تبدين حتى كاخته الكبيرة. قطعًا أي أحد سيظن أنك فتاة تالفة".

قبل الظهيرة بقليل جاءتهما مكاملة هاتفية من بيت "شيبويا" يخبرونهما بحجز تذاكر مسرح الكابوكي بالغد.

إذن فلا شيء تفعلانه اليوم. ستخرجان بالظهيرة لاحتساء الشاي في "جينزا" وتستقلان سيارة أجرة من "أواريتشو" للالتفاف حول مُرتَفَعَات "مياكيه"، وصولاً إلى مجمع السينمات والمسارح "هيبيا". بعد عبور إشارة تقاطع الطُّرُق هناك أطلَّت "تائيقو" من نافذة السيارة وظلَّت تحدِّق بالمأزّة، وقالت:

"الشائع بـ "طوكيو" هو الأقمشة ذات النقوش والزُّرْكشة النَّمْطِيَّة على شكل المثلثات؛ فمنذ خروجنا من "GERMAN BAKERY" وحتى وصولنا إلى هنا شاهدتُ سبعة أشخاص يرتدونها."
"تائيقو"... هل قُمتِ بِعَدِّهم؟".

"هَيَّا انظري، هناك واحدة أخرى، وهناك أيضًا ها هي...".

واستمرَّ حَدِيثُهَا على ذاك المنوال لبعض الوقت.

وبتجوُّلِهما بالطُّرُقَات قالت "ساتشيقو":

"خطر... خطر، ليس على طالبة بالإعدادية أن تسير ويدها بجيوبها".

"مضبوط، ولكنني متى فعلت ذلك! أنا حتى بأيام المدرسة كان الرُّبِّيُّ بنطالاً بدون جيوب!".

ورَدَّت "ساتشيقو" متعجِّبة:

"حقًّا!".

كان من عادة "ساتشيقو" الحديث عن أختها الصغيرة هكذا منذ أن كانت فتاة بالمدرسة، وحتى بعدما نَصَبَتْ، وبالحقيقة مثل ذلك الأسلوب يجعلها تشعر بالرُّضا وكأنه لم يَمُرَّ العمر ولا تزال شابَّة بمقتبل العمر.

الفصل الثالث والثلاثون

بذلك اليوم المشرق الذي تَوَجَّهوا به لمسرح "الكابوكي"، وقُبيل رفع ستار الفصل الأخير تَوَالَّت النداءات عبر مُكَبِّر الصوت من على خشبة المسرح للعديد من الأشخاص:

"السيد فلان من "ميدوريتشو"."

"السيد فلان من "أوياما مينامي تشو".

"السيد فلان من "نيشينوميا".

وهكذا خرج مُسْرِعًا كُلُّ مَنْ سَمِع اسمه، وجاء آخر نداء عن شخص من القلبئين، وكان هذا طبيعيًا فمسرح الكابوكي يأتيه المشاهدون من كل أرجاء اليابان، وتَعْجَبُوا من كَمِّ الحضور من إقليم الجنوب، ثم فجأة قالت "تائيكو":

"مهلاً".

وأصغوا باهتمام.

"حضرة السادة من عائلة "ماي أوكا" من "أشيا".

ونادوا عليهم عبر مكبر الصوت، ثم صَحَّحُوا النداء وكرَّروه ثلاث مرَّات:

"السادة من عائلة "ماي أوكا" من "أشيا" بمحافظة "هيوغو".

"تري ماذا هناك؟ هيا اذهبي "تائيقو" وتعالِي".

نهَضَت "تائيقو" فور قَوْلِ "ساتشيقو" ذلك، وذهَبَت ثم عادت بعد حينٍ وأَخَذَت وشاحها وحقيبتها من على المقعد. "عفوًا" ساتشيقو".

واصطحبتها للرَّدهة بالخارج.

"ماذا حدث؟".

"الآن جاءت بالخارج نادِلة فندق "هامايا"، قالتها "تائيقو".

لقد أذاعوا أنه على السيدة "ماي أوكا" الحضور إلى قاعة الزُّوَار، وحين خرجت "تائيقو" من البوابة الرئيسية وجدت النادِلة تقف عند الدَّرَج وأخبرتها أنه منذ قليل جاء اتِّصال من بيت "أشيا". تحدَّثَت النادلة بلكنة "أوساكا"، وأضافت أنها حاولت الاتصال بالمرسح لعدَّة مرَّات ولكن دون جدوى فقالت لها ربَّة النُّزَل أنه من الأولى المجيء إليك هرولة وإبلاغك. سألتها "تائيقو" عن هذه المكالمة التي جاءتهم، لكنها أجابت بأن ربَّة النُّزَل هي مَنْ أجابت الهاتف؛ لذا فهي لا تعرف شيئًا، لكنها أضافت:

"إن الحديث بدا أنه عن شخص مريض وحالته سيئة للغاية، ولكنها ليست ابنةً حضرتك، فابنتكم تتعافى من الحُمى القُرْمِزيَّة، والمريض المقصود ليس هي، بل شخصًا دخل إلى قسم الأنف والأذن والحنجرة بالمشفى".

هذا ما ذكرته النادلة وزوّته بمصادقية، ورَبّة النُّزْل ظنّت أنهما بالتأكيد بالمسرح فأرسلتها وأبلغتها أنه على الأرجح ستعود "ثائقو" هذا المساء بالقطار الليلي، وهي ترجوها أن تُطمئنّها بمكالمة هاتفية إن سمح الوقت.

"إذن فهو "إيتاكورا".

لقد عرفت "ساتشيقو" بشأن العملية الجراحية التي سيجريها "إيتاكورا" بأذنه أثناء رحلتها بالقطار حين سألت "ثائقو" عن أخباره، ودار الحديث حينها عن أن "إيتاكورا" ذهب منذ بضعة أيام لمشفى في "قوبيه" لانسداد أذنه بسبب التهاب الأذن الوسطى، وأول أمس أخبروها أنه يجب أن يخضع لعملية جراحية لإصابته بالتهاب الخشاء⁽¹⁾، وأمس دخل المشفى لإجراء الجراحة، وتمّت العملية بنجاح، وسيتمّائل للشفاء سريعاً؛ لقد قال لها "إيتاكورا" ألا تقلق وهو يخبرها بالأمر، وأكد عليها أن تذهب لـ "طوكيو" وتعود بالسلامة؛ لذلك أتمّت استعداداتها للسفر ولم ينشغل بالها؛ ظناً منها أنه أمر هيّن؛ فهو رجل قويّ البنية، يتمتّع بخير صحة، ويبدو أنه حتى وإن تعرّض للقتل لن يموت. لكن حالة "إيتاكورا" تدهوّرت فجأة.

أبلغوهم بالنُّزْل عبر الهاتف أن يجعلوا "ثائقو" تتفّضل مشكورة بالاتصال، ربما هي أخت "إيتاكورا" من اتّصلت أو أي أحد ما من المشفى جاء لإخبارها، و"يوكيقو" لم تدع الأمر يمرّ مرور الكرام، بل على الفور أبلغت الخبر بدورها.

إن التهاب الخشاء حتى وإن تطلّب عملية جراحية فهو شيء لا يستدعي القلق، ولكن إذا تأخّر أكثر من اللازم أحياناً يتغلغل الالتهاب بالمدخ، ويمكن أن يهدّد الحياة في بعض الحالات.

(1) العظم الناتج خلف الأذن.

لقد أراد من "يوكيقو" أن تبلغها على وجه السرعة حين وجد حالته غير مطمئنة.

"ماذا ستفعلين "تائيكو"؟".

"على الفور سأمرُّ على الفندق ثم أغادر".

حافظت "تائيكو" على هدوئها دون أن يبدو عليها أي قلق.

"وأنا ماذا سأفعل؟".

"أكملي مشاهدتك للمسرحية. آسفة لترككِ".

"وماذا سأقول لـ "تسوروقو"؟".

"لا أعرف".

"بهذه المرة يا "تائيكو" عليّ أن أخبرها بشأن "إيتاكورا"."

"أخبريها".

ووضّعت "تائيكو" وشاحها ذا اللون الفاتح على كتفيها وهمت بالمغادرة، وأضافت:

"... ولا مانع لديّ إن حدّثتني بالموضوع".

وألقت "تائيكو" بكلماتها ونزلت الدّرج وذهبت.

عادت "ساتشيكو" إلى مقعدها، وكان قد رُفِع الستار و"تسوروقو" مندمجة في المشاهدة بشغف ولم تنطق بكلمة أو تتساءل عن أي شيء، لكن "ساتشيكو" وانتهت الفرصة لتخبرها بكل شيء عندما انتهى العرض وتزاحم الحضور عند البوّابة الرئيسية للخروج، وسألتها "تسوروقو" لأول مرة عن "تائيكو"، لكن "ساتشيكو" لم تفعل وأجابتها:

"منذ قليل جاء للقائنا صديق، ويبدو أنهما ذهبا سوياً".

وسارت "ساتشيقو" برفقة أختها الكبيرة إلى "جينزا"، وفارقتها عند "أواريتشو" وعادت للنزل.

استقبلتها النادلة بالقول إن "تائيقو" غادرت للتو، وهاتفت بيت "أشيا" قبل رحيلها في عَجالة، وطلبت منهم حجز تذكرة بقطار النوم لها للعودة إلى "أوساكا" بعد انتهاء المسرحية، وأضافت:

"إنها لم توضح أي تفاصيل أكثر، فقط أمكنني الفهم من المكالمات التي أجرتها أن جرح العملية تلوّث بميكروب خطير، والمريض يتألم للغاية، وهي ستذهب مباشرة إلى "سانوميا" بالقطار، ثم للمشفى فور وصولها للمحطة غداً بالصباح الباكر".

أضافت النادلة أن "تائيقو" أرادت منها أن تبلغها أيضاً أن هناك حقيبة صغيرة لها، فلتأخذها معها وتُعدها إلى "أشيا"، وكانت هذه كلماتها بعدما استطاعت بقليل من التخمين أن تفهم العلاقة بين "تائيقو" والمريض.

لم تستطع "ساتشيقو" التزام الصمت أو أن تظل هكذا لا تُحرك ساكناً، وأرادت أن تتصل ببيت "أشيا" فكلّمت "يوكيقو"، لكنها لم تتمكن من سماعها جيداً ولم تفهم منها أي شيء على الإطلاق؛ ذلك ليس لعيب بالهاتف أو بخطوط الاتصال، بل لأن طبيعة نبرة صوتها خافتة مهما حاولت بعزم ما فيها من قوة رفع صوتها، وأنسب وصف لمحاولتها أنها تضيق سدى؛ لأن صوتها رقيق وضعيف. إنها طيلة عمرها لا شيء يثير حنقها كالهاتف؛ فهي يصعب عليها التعامل عبره، وغالباً ما تجعل أي أحد سواها يقوم بهذه المهمة، لكن اليوم الأمر يتعلق بـ "إيتاكورا"؛ لذا لا يمكنها أن تدع "أوهارو" تتحدث بدلاً منها، ولا يمكنها أيضاً أن تطلب من "تينوسوكيه"؛ فما من سبيل لأحد سواها؛ فحاولت على مضض. صوتها ضعيف وخافت للغاية، و"ساتشيقو" تمضي الوقت كله وهي تقول "ألو ألووووو" عَوْصاً عن تبادل أطراف

الحديث. بالنهاية استطاعت أن تلتقط حديثًا متقطعًا مفاده أنه اليوم بالساعة الرابعة مساءً جاء اتصال من أخت "إيتاكورا" تقول إنه دخل المستشفى لإجراء عملية بأذنه وتمت بنجاح، لكن منذ مساء أمس تبدلت حالته فجأة للأسوأ، وعلى ما يبدو أن هناك ضررًا طال الدماغ، وليس المخ فقط الذي أصيب، بل القدم أيضًا، ولم تستطع أن تفهم بوضوح ماذا قد يكون بقدّمه، لكنه يتألم ألمًا عظيمًا وينتفض من الوجع بمجرد لمسها، ويستمر في الصراخ "تؤلّمني، تؤلّمني".

لم يطلب "إيتاكورا" استدعاء "ثانيقو"، ولكنها تشعر أن معاناة أخيها ليست بالأمر الطبيعي، وعلى ما يبدو أنها خرجت من نطاق تَخْصُص الأنف والأذن والحنجرة، وهي تبحث عن أي استشاري آخر يتفحصه، ولكنها ليس بمقدورها التّصرّف أو اتّخاذ أي قرار على مسؤوليتها وهي بمفردها، وقالت لها أخت "إيتاكورا" إنها في حيرة من أمرها، ولا تدري ماذا يتوجّب عليها القيام به أو كيف ولماذا تطوّرت حالته بهذا الشكل. لقد هاتفتها "ثانيقو" وعلمت بما أصابه وأنه يتلوّى من الألم كالمجنون، فأخبرتها بمغادرتها هذا المساء. أيضًا أرسلت أخت "إيتاكورا" برقيةً لوالديها بالريف، وسيحضران بصباح الغد.

كان هذا كل ما استطاعت "سانشيغو" معرفته من "يوكيقو"، وقبل أن تُنهي المكالمة سألت عن ابنتها ووجدتها استعادت كامل عافيتها ولا يمكنها التزام الهدوء بغرفتها المنعزلة، وتتسلّل وتقفز خارجها، ولا يمكن السيطرة عليها، ولقد تساقطت القشور كلّها عن جسدها، ولا يتبقى سوى القليل بساقها من الخلف.

غادرت "ثانيقو" وبقيت "سانشيغو" لحالها ترتبك كلما فُكّرَت في عُذرٍ مقبول يصلح الموقف ويجعلها تسرع بالمغادرة بعدما تودّع أختهم الكبيرة. انتهى بها التفكير لأن تتصرّف بشجاعة، وحتى ولو بدا الأمر غريبًا، فلا مفرّ، وستهاتف "تسوروقو" بالصباح وتخبرها أن

"تائيقو" عادت لـ "أوساكا" لظروف طارئة وهي ستلحق بها وتغادر أيضًا، ولكن تودُّ لقاءها أولًا بأيِّ مكان، وإنما سرعان ما جاءتها الأخت الكبيرة وهي تحمل بيدها حقيبة لـ "تائيقو".

كانت "تسوروقو" فيما بين الأخوات كلهنَّ هي الأكثر هدوءًا وطول بال، حتى إن أخواتها الصغار ينعتونها بـ "مُمْلَة". إنها لم تسأل عن الأمر العاجل الذي استدعى سفر "تائيقو" وعادت أدراجها دون انتظار لمعرفة أي تفاصيل، وهذا جعل "ساتشيكو" تتنفس الصعداء. تناوَلت الاثنتان الغداء بالصالة اليابانية الطراز بالفندق. حاولت "ساتشيكو" أن تجعلها تستشفِّ الوضع، وكان كل ما سألت عنه هو ما إن كانت "تائيقو" مستمرةً بلقاء "أوكوباتا"، وأجابتها "ساتشيكو":

"نعم، من حينٍ لآخر".

"وبخلاف "أوكوباتا" هل هناك شخص آخر؟".

"ومِمَّن سَمِعْتَ هذا؟".

"مؤخرًا حدَّثتني "يوكيكو"، وعرفت أنه كان هناك شخص ما، ولكن انتهت قصَّته".

إن "يوكيكو" أسدت للجميع صنيعةً بوساطتها في الموضوع، وإن كانت "تسوروقو" لم تسأل بالتفصيل، ولكن ترى هل هي على علم بأن "تائيقو" على علاقة بشاب آخر الآن، وهو من مستوى اجتماعي متدنٍّ؟! لقد طلبت من "ساتشيكو" وهي ترجوها أن تنتبه عليها. أضافت "تسوروقو" أنها تدري أنها كلها شائعات، ودار حديثهم بذاك الحين كما لو أنه عن علاقة قديمة لـ "تائيقو" وانتهت. تظنُّ "تسوروقو" أن أختهم الصغيرة تطاردها لعنة الشائعات المغرصة وهي تثق بأخواتها لأبعد حدٍّ؛ لذا لن تسأل أبدًا عن مدى صحة أي أقاويل؛ فبالحقيقة هي وزوجها أكثر ما يتمنيانه هو إتمام زواج "تائيقو" و"أوكوباتا" بأسرع وقت. ورأت أنه لو كان الأمر مُحرَّجًا لـ

"يوكيقو" فليحدّثوها بالموضوع أوّلاً، وأكّدت "تسوروقو" أنه بخصوص المال الذي جاءت من أجله "تاتيقو" بهذه المرة وذكرته "ساتشيقو" بالخطاب فهم لا نيّة لديهم لقبول الأمر، وهذه الحماسة لـ "تاتيقو" تثير استياءهم، وسيتطوّر الموضوع لشجارٍ مع الأخ الكبير؛ فطلبت من "ساتشيقو" أن تجعلها تعيد التفكير جيّداً قبل التسرّع بأي ردّ، ولتعدّ أدراجها في هدوءٍ أفضل، وبدون أي جلبة. قالت أيضاً إنها لا تدري كيفما ستحلّ هذه الأزمة، وأرهقها التفكير وكأن هذه الكلمات لتزيح حملاً جائئاً على صدرها.

أجابتها "ساتشيقو":

"فعلاً. أفضل حلّ تقدّمه لنا هو أن تستمرّ مع "أوكوباتا"... أنا أيضاً أظنّ ذلك، و"يوكيقو" بالمثل، ودائماً ما ننصحها".

"تسوروقو" لم تُلَقِ بالآ ما إن اعتبرت "ساتشيقو" هذا الكلام بمثابة تقديم أعذار؛ فهي كل هُمّها أن تلقي ما في جعبتها وتقول ما جاءت لقوله.

وضعت عصا طعامها جانباً وهندمت ملابسها وقالت:

"شكراً على الطعام. سأعود أنا الآن، ولا أدري إذا كنتُ سأستطيع المجيء بالمساء لوداعك".

وغادرت على الفور دون أن تلتقط أنفاسها بعد انتهاء الطعام.

الفصل الرابع والثلاثون

عادت "ساتشيقو" لمنزلها بصباح اليوم التالي، وكما عرفت من ملخص الأحداث الذي ذكرته لها "يوكيقو"، فبمساء أول أمس حين اتصلت أخت "إيتاكورا" لم تكن "يوكيقو" تدري من الأساس بدخول "إيتاكورا" للمشفى، وهي لم تلتقي بأخته من قبل، وظننت أنها اختلط عليها الأمر ولم تُميز بينها وبين "يوكيقو"، لكنها نادتها فيما بعد باسمها، وذكّرت أنها تعلم بوجود "تائيقو" في "طوكيو"، واعتذرت بشدة، وقالت لها عن حالة أخيها المتدهورة.

أنه أجرى عملية في أذنه قبيل مغادرة "تائيقو" بيوم، وحين ذهبت لزيارته بالمشفى كان بحالة جيدة، لكن بالمساء بدأ شعوره بالحكة في قدمه، وأراد خدشها، وبالصباح التالي أخذ يصرخ: "تؤلمني، تؤلمني".

وشيناً فشيناً أصبح لا يقوى على تحمّل الألم، واستمرّ الحال هكذا لثلاثة أيام، وتفاقمّت حالته أكثر وأكثر دون أي تحسّن.

وبالرغم من أن مدير المشفى على عِلْمٍ بأن حالة المريض هكذا إلا أنه نظّف جرح العملية دون أن يعبأ بشكواه، وبالصباح أتى مرةً واحدة لتغيير الضمادة، وأسرع بالمغادرة، واليوم وبعد انقضاء يومين أصرّ على تجاهل معاناة المريض التي بلغت هذا الحدّ. تقول الممرضات أن الوضع فعلاً مأساوي؛ وهذا لفشل العملية التي أجراها مدير المشفى، ونظرًا لتدهور حالته أرادت أخته أن تشارك أيّ أحد الحديث؛ فأى شيء يتوجّب فعله هو مسؤوليتها، وظنّنت أنه ما من شيء تفعله له أفضل من أن تدع "تائيكو" تأتيه على وجه السرعة؛ ولهذا هاتفت بيت "أشييا"، وبدا أنها تتصل من مكانٍ آخر غير المشفى، واتصلت من تلقاء نفسها؛ لأن أخاها وبخّها حين عرف، واختنق صوتها بالبكاء عبر الهاتف. لقد استبقت وأخبرت "تائيكو" بهذا الحديث، وليس من الصعب تخيل ردّها. لكن رغم ذلك حين تستمع للأمر من "تائيكو" تجدها تقول إن الأخت الصغيرة لـ "إيتاكورا" ذات الواحد أو الاثنين والعشرين عامًا نشأت بالريف ولا زالت لم تعتد حياة المدن، ولقد استجمعت كل قواها لتتخذ القرار بإجراء هذه المكالمة الطارئة؛ قلقًا منها على شأن أخيها، ولا بُدّ أن يلتمس لها العذر فورًا بمجرد أن تلاحظ نبرة صوتها وتلاحق أنفاسها.

لقد أبلغوها في "طوكيو" في الحال، وهذا بفضل أنها بادرت بالتحرك سريعًا.

بالأمس فور أن وصلت "تائيكو" إلى "سانوميّا" ذهبت مباشرة للمشفى، وعادت بالمساء، ولم تمض سوى ساعة وخرجت مرةً أخرى. كانت بذاك الوقت متماسكةً قويّةً كالعادة ولا تغلبها الدموع وهي تتحدّث عن "إيتاكورا" الذي خارت قواه وبالكاد ينطق كلماته: "مؤلم، مؤلم"، ويستمر على هذه الحالة، وقالت إنه شعور مخيف أن تراه هكذا.

بصباح اليوم حين دخلت غرفته بالمشفى كانت أخته مُستَلْقِيَةً جانبًا، واستقبلتها مُرَحَّبَةً بِمَجِيئِهَا، لكن "إيتاكورا" المريض الذي يعاني الأوجاع بالكاد رفع عينيه صوبها، لم يَقُلْ سوى "تؤلمني، تؤلمني" بصوتٍ خافت. إنه كان بأشد الحاجة لاستجماع كل قواه البدنية ليتحمَّل ذاك الألم؛ ولهذا لم يكن لديه أي مجال ليصرف انتباهه لأي شيء آخر.

وعلى ذلك الحال لم يكن أمامه سوى أن يتأوَّه طوال الليل والنهار دون أن يغفو أو حتى يتناول الطعام.

وقتما رآته "ثانيقو" لم يكن جُرْحُهُ مُتَوَرِّمًا أو به أي قيح؛ لذا فهي لم تدرك أين مَكَمَنُ ألمه. أخبروها بقسم التمريض أن ألمه من حيث موضع ركبته اليسرى إلى أصابع قدمه، وإن حاول تغيير وضعية نومه أو تَحَسُّسها برفق ألمته ألمًا رهيبًا، وحينها يعلو صراخه.

سألتها "يوكيقو" عن السبب؛ فهو أجرى عملية جراحية بأذنه؛ فلماذا ساقه تؤلمه، وما العلاقة؟ لكن "ثانيقو" لم تكن تدري هي الأخرى، وهذا أيضًا ما لم يُفسِّره الطبيب الاستشاري أبدًا، ومنذ أن بدأت شكوى المريض وهو يتهرَّب من ذويه ولا يَمُرُّ علي غرفته، لكن بالتمعُّن فيما يتهامس به الممرَّضات سرًّا يتَّضح أن جرثومة خبيثة دخلت جسده وقت إجراء العملية، وتغلَّغت بساقه وسَمِّمتها على ما يبدو.

جاء والداه وزوجة أخيه الكبير من البلدة، وبعدها دار النقاش، وبدأت التساؤلات بالردهة أمام غرفة المريض بالمشفى، ولم يستطع المدير المسؤول "إيسوجاي" التخلُّص من إلحاحهم، وبالمساء استدعى جرَّاحًا آخر، ومكث الاثنان يتشاوران لبعض الوقت، وبالنهاية غادر مدير المشفى وجاءهم الجراح الآخر ليتابع الحالة، ثم انصرف هو الآخر، وذهب لمدير المشفى ليتبادلا النقاش والشَّدَّ والجذب خلسةً.

وحين سألوا الممرضة قالت إن الوضع خرج عن سيطرة الطبيب المسؤول؛ لذلك طلب جراحًا ذائع الصيت في "قوبيه"، وجاء وقال إنه لا بُدَّ من قَطْع الساق مِمَّا يلي الفخذ، ولكن الآن الوقت تأخَّر للغاية وضاع الأمل الوحيد، وتمَّ استدعاء جراحٍ آخر، لكنه هو أيضًا عاد أدراجه؛ لأن الوضع أصبح ميؤوسًا منه.

أضافت "تائيكو" أنها مرَّت تتفقَّده هذا الصباح، وسألت أخته ما إن كانت تحسَّنت حالته، فقالت لها إنها ترى أنه من الأفضل البحث عن طبيب أهل ثقة يأتي لتفحصه، وهم لا يعينهم أمر مدير المشفى هذا، وليس هناك ولا لحظة ليضيَّعوها، ولكن ماذا عساها أن تفعل وكبار ذويهم من البلدة يتمنَّعون بطول البال، ويضيَّعون الوقت عبثًا لجمع المبلغ المطلوب، ولا يستقرون على رأي واحد، وهكذا يضيع الوقت، وما هو آتٍ لن نُحمَد عقباه.

قالت "تائيكو" إنها اليوم لأول مرة تلتقي بأهله هؤلاء؛ لذلك لا يمكنها أن تزيد القول؛ فهي مهما حاولت إقناعهم بأي شيء يقولون "بالضبط"، و"بال تأكيد"... وبدون أي حراكٍ! ممَّا أزعجها للغاية.

وكان هذا ما انتهى إليه الحديث بمساء أمس، وباليوم خرجت "تائيكو" من الصباح الباكر قرابة السادسة صباحًا، ثم عادت بعد ساعة واستراحت ساعتين ثم خرجت مرة أخرى.

سألنها "يوكيكو" عن الأحوال مرَّةً أخرى، فقالت إنه بمساء الليلة الماضية جلب مدير المشفى جراحًا آخر يدعى "سوزوكي"، وقال إنه يؤيِّد إجراء عملية البتر، وإن كانت النتائج غير مضمونة، ولكن لأن والداه لم يتَّخِذا القرار بعد. إنهما -وبالذات والدته- يقولان إذا كنَّا لا نستطيع مساعدته لكننا لا نجرؤ على هذا الحلِّ الوحشي، وأمه تُكرِّر "أريده أن يموت بكامل جسده دون أن يُتَقَصَّص منه جزء"، وأخته تقول ليس بيدنا فعل شيء، ولكننا نبذل قصارى جهدنا لإيجاد أي

حلّ ممكن، وتعلّق بأي أمل كان، ومن الواضح أن رأيها هو الصواب، ولكن يصعب على الكبار تقبّله. الأكثر هو أن "تائبو" استسلمت بالكامل؛ فبلا شك -سواء بهذا الحل أو بذاك- فلقد فات الأوان. هذا كله بالإضافة إلى قول الممرضة التي بدت مُشمِزة من مدير المشفى وتحدّث عنه بالسوء، بل وقالت لهم لا أعرف إلى متى ستثقون به، إنه سكّير ومدمن شرب خمور، رعشة أصابعه كثيراً ما تسبّبت في فشل عمليات جراحية، وإلى الآن شهدت بعينها بضع حالات على ذاك الوضع.

لاحقاً قصّت "تائبو" كل هذه التفاصيل على طبيب العائلة "كوشيدا"، فقال إنه دخل ميكروب بعد عملية أذنه وتغلغل حتى الأطراف، ومهما كانت عناية الطبيب المختص فبالنهاية هو ليس إلهاً. هذا لا يعني أنه لم يُعد باستطاعتنا فعل شيء، وإنما بمجرد الشك في دخول ميكروب بعد العملية ولو بنسبة ضئيلة وفور ما يشعر المريض بالألم ولو قليلاً عليه استدعاء الجراح في الحال، وإذا لم يتدخّل بفعل اللازم أو تأخّر تصبح هناك خطورة على حياة المريض. بالحقيقة الوضع أصبح صراعاً مع الوقت؛ لذلك حتى لو اعتبرنا الطبيب "إيسوجاي" مدير المشفى فشل في العملية التي أجراها فالوضع الحالي لم ينجم من تجاهله لمعاناة المريض من الألم طيلة الثلاثة أيام، وسلوكه الذي على القليل يوصف بأنه غلظة وانعدام أمانة فقط؛ بل لو لم يكن والداه قرويين لا يفقهان شيئاً، ولو لم يجعل ذويه الواقعة تمرّ مرور الكرام؛ لتبدّل الحال، وأصبحت الواقعة بمثابة حادثة مُشيئة يخشى الطبيب المدير أن يعرف بها أحد.

بنفس الوقت ذهاب "إيتاكورا" الذي لا يدري شيئاً عن ذاك الطبيب غير الجدير بالثقة لتلقّي العلاج على يديه أمرٌ ليس إلّا من سوء حظه.

وفات أوان كل هذا الكلام.

استمعت "ساتشيقو" لكل ما جرى من "يوكيقو"، ثم بدأت في سؤالها بالتفاصيل، وعندما هاتفتها أخت "إيتاكورا" بأي غرفة كانت، وهل استمعت إليها "أوهارو" وباقي الخادmates، وهل عرفن بالأمر، وماذا عن "تينوسوكيه": هل عرف هو الآخر.

في الحقيقة "يوكيقو" حين جاءها الهاتف كانت بعيدة عن "أوهارو"، لكن جاءتها "إتسوقو" أثناء المكالمة وممرضتها "ميتو" وتضمنت "أوهارو". امتنعت وجوههن جميعًا، وسألت "إتسوقو" عن "إيتاكورا" وماذا به، ولماذا عادت "تائيكو".

احتارت "يوكيقو" في كل هذه الأسئلة المزعجة، وفي الغالب كل ما استمعت إليه "أوهارو" نقلته لباقي الخادmates، وطالما بلغت الثروة ذاك الحد فما باليد حيلة. "ميتو" ظننت ممًا سمعته أن هناك خطبًا ما، وأن الأمور ليست على ما يرام. بالمرة الثانية التي جاء بها هاتف أجابه "تينوسوكيه" بنفسه، وبدا أنهم يوالونه بالأخبار أولًا بأول، وما آل إليه الوضع، لكن هو أيضًا أصابه القلق، وبالصبح قبل خروجه سأل "تائيكو" عن آخر التطورات، ونصحها أن تُشجّعهم على الخضوع للعملية.

"أنا أيضًا أودُّ أن أذهب لزيارته".

"حسنًا. تحدّثي مع "تينوسوكيه". هاتفيه وأبلغيه بوصولك".

"بالتأكيد. سأفعل بعدما أنال قسطًا من الراحة".

لقد استقلت "ساتشيقو" قطار النوم، لكنها لم يغمض لها جفنًا، ووصلت وصعدت لغرفتها واستلقت بمضجعتها، لكنها لم تستطع النوم أيضًا لانشغال فكرها، واستسلمت بالنهاية وقامت واغتسلت ونزّلت.

نادت "ساتشيقو" على الخدم بالمطبخ ليسرعوا بإعداد الغداء، وهاتفت "تينوسوكيه" ليأتيها.

قالت "ساتشيقو" إن استدعاءهم لـ "تائيقو" على وجه السرعة وبهذا الشكل هو مازقٌ علقوا به، وإغما بوصولها لا يمكن البقاء والإقرار بعلاقة اثنتيهما علناً هكذا. بغض النظر عن أن "إيتاكورا" أنقذ حياة أختهم الصغيرة وقت الفيضان، ولا أحد منهم زاره حتى الآن، وهم يعرفون ذلك جيداً. لكنها يعوقها الأرق وعدم استطاعتها النوم، علاوة على أنها تظن تفكر كيف ليس بمقدورهم المساعدة. إنه رغم بنيتهم القوية إلا أن الحظ العسير يلزمه. هكذا قالت "ساتشيقو" لزوجها الذي أكد على كلامها بدوره، وقال لا مانع من زيارته ولو لوقت قصير؛ فهو أيضاً يشعر بالمثل، لكنه سألها عن "أوكوباتا"، وما إذا كان سيذهب للمشفى أم سيقول لها من الأفضل ألا تذهبي حضرك، وكلاماً من ذاك القبيل.

بالنهاية استقر رأي "تينوسوكيه" على أن تذهب بزيارة قصيرة، ولا داعي للصدام بـ "أوكوباتا" أو إخباره من الأساس، وبقدر المستطاع "تائيقو" أيضاً لا تفعل، وأكد "تينوسوكيه" على زوجته أن تصطحب "تائيقو" وتذهب سوياً بالمساء وتعود وهي معها وقتما تغادر المشفى. بالمشفى كان الوضع لا يزال كما هو عليه، يدور النقاش حول شأن الجراح دون الوصول لشيء. أبدت "تائيقو" بحماس رأي أخته بضرورة عرضه على جراح آخر، في حين أن والديه لم يحسما قرارهما بعد، رغم أنه ليس هناك أي تحسن؛ فطلبت "تائيقو" من "ساتشيقو" أن تساعداه بالمشورة حين تذهبان.

قررت الأختان الذهاب بعد تناول الغداء، وأسرعَت "ساتشيقو" وأختاهما "يوكيقو" و"تائيقو" بالانتهاء من الطعام، وانتبهن كي لا يتسرب أي حديث بخصوص "تائيقو" على لسان الممرضة التي كانت بذلك

الوقت بالقرب تلهو مع "إتسوقو" وليس لديها أي عمل آخر. تناقشن سوياً كي تخبرها "يوكيقو" أن تبقى لو يسمح وقتها لأن لديهم أمراً طارئاً يستدعي خروجهم سريعاً، وليتها تبقى إلى أن يعودوا، وتنصرف بعد تناول العشاء.

أخبرتها "يوكيقو" على الفور، وطلبن سيارة أجرة بالساعة الثانية عشرة ظهراً ليذهبن مباشرة للمشفى.

كان الطريق للمشفى ضيقاً بين مرتفعات، وإن كانت تدعى مستشفى إلا أنها عبارة عن مجموعة عيادات في بناية فخمة من طابقين. الطابق العلوي لا تتعدى به غرف المرضى الاثنتين أو الثلاث. كانت غرفة "إيتاكورا" تطل نافذتها على ساحة خلفية لمغسلة المشفى، مُعلق بها قطع ملابس خفيفة موحدة الشكل للمرضى في مشهد كئيب. جلس العديد من الأشخاص داخل الغرفة بيئة التهوية، وانبعثت منهم رائحة تعرق كريهة، والمريض يرقد جانباً على ثُغيت معدنيّ قبالة الجدار جهة اليمين، ينام منحنيّاً متكوراً على نفسه.

دخلت "ساتشيقو" ووجدت المريض تتسارع كلماته دون أن يستكين ولو للحظة واحدة، ويقول: "تؤلني، تؤلني، تؤلني". عرّفتها "تائيقو" بوالديّه وزوجة أخيه الكبير وأخته الصغيرة، وبأدلتهم التحية، وبعدها انجّهت لسرير "إيتاكورا" وأثكأت بكلتا رُكبتيّها لتعدل وسادته، وهمست تخبره بمجيء "ساتشيقو" معها، لكنه ظلّ على حاله؛ ظهره قبالتهم ووجهه للجدار ولا يقول سوى "تؤلني، تؤلني...".

نهضت "ساتشيقو" ووقفت بجوار "تائيقو" ترقّب بخوف شديد، لكن جانب وجهه الظاهر لهم وهو مُستلقٍ لم يكن هزيراً إلى ذاك الحد كما توقّعت، أو مخضباً بالدماء. كان بثوب نوم من الشّاش، وأزاح الدُّثار عن خصره ويّداً من مؤخّرة عنقه العارية وذراعيه المكشوفة من الأكمام المقلوبة للثوب أن بنية جسده القويّة لم يتغيّر

بها شيء، فقط عند أذنه تتعارض ضِمادتان إحداهما من أذنه إلى الفك، والأخرى من جبهته إلى مؤخرة عنقه.

ظَلَّت "تائيقو" تقول له وتكرّر:

"يونيان... جاءت معي "ساتشيقو" لزيارتك".

سَمِعَتْ "ساتشيقو" "تائيقو" وهي تناديه بهذا الاسم. إنهم بيت "أشياء" عادة ما تتحدّث عنه "تائيقو" باسم "إيتاكورا"، وهكذا تفعل "ساتشيقو" و"بوكيقو" والصغيرة "إنسوقو" أيضًا، لا يقلن سوى "إيتاكورا"، حتى لو كُنَّ يتحدّثن عنه خلسة. إن لقبه "إيتاكورا"، واسمه "يوساكو إيتاكورا"، وإنما اسم "يونيان" هذا أطلقوه عليه حين كان يعمل بمتجر عائلة "أوكوباتا".

نادت عليه ساتشيقو بـ "إيتاكورا"، ثم استطردت وهي تُنهيه وتُجفّف دموعها:

"إنه يعاني معاناة رهيبة، طالما شخص مثله يتألم هكذا...".

اقتربت منه أخته وهمست له:

"أخي، حضرتها سيدة عائلة "ماي أوكا" من "أشياء".

"كلّا... كلاً، لا تقولي له هكذا"، ونهّتها "ساتشيقو"، وتابعت حديثها وسألتها:

"سافه اليسرى تؤلمه هي الأخرى؟".

"لا تؤلمه... أجرى العملية بأذنه اليمنى، وسافه بنفس الجهة هي التي تؤلمه، ويظل مستلقياً هكذا على جانبه الأيسر".

"إن حالته سيئة للغاية".

"إنه يتألم كثيراً".

كان جبينه يتفصد عرقاً من كثرة ما يعانیه من ألم، حتى أصبح خَشِنَ الملمس، ومن حين لآخر تأتي ذبابة تقف على وجهه وتُزِيحها "تأثيقو" بيدها، وتواصل حديثها، وفجأة توقّف أنين "إيتاكورا" المتواصل بقوله "تؤلمني... تؤلمني"، وقال:

"أريد التبول".

"أمي، أمي... سيتبول".

مكتبة

t.me/soramnqraa

ونادت أخته على أهمهم؛ فجاءت وقالت:

"أستمحکم عُذراً".

وانحنت وجلبت مَبُولَة سريرية ملفوفة بورق جرائد من تحت سريرها، وأدخلتها من بين دثارها.

"أتألم... تؤلمني... تؤلمني... تؤلمني".

وإنما بهذه المرة انطلق صوته بصراخ جنوني يختلف تماماً عن هذيانه من ذي قبل.

"تحمّل... اصبر، ما باليد حيلة".

"تؤلمني... تؤلمني حتى بمجرّد اللمس".

"اصبر... لن تستطيع هكذا".

انتاب "ساتشيقو" شعورٌ غريب، وظلّت تُحدّق فيه غير مستوعبة أي ألم هذا الذي يُحوّل صوته من الخنوع للصراخ. إنه بالكاد حرّك موضع ساقه اليسرى قيد أنملة، بدون أن يستدير أو يلفّ جسده؛ إلا أن هذه الدقائق القصيرة لخَصّت المعاناة.

بعدما استقرّ وضعه وهذا أخيراً وانتظمت أنفاسه والجميع في انتظار استكانته ليعلقوا على الأمر، وفتح ثغره واتسعت حدقاته بنظرات رُعبٍ لا ترى شيئاً ممّا حولها، ثم تَفَقَّد الوجهه من حوله

مُدَقَّقًا فِي صَمِيٍّ لَمْ يَسْتَمِرَّ أَكْثَرَ مِنْ لِحْظَاتٍ، خِلَالَهَا سَأَلَتْ "سَاتَشِيْقُو" وَالِدَتَهُ:

"أَلَا يَأْكُلُ أَيُّ شَيْءٍ؟".

"كَلَّا، وَلَا حَتَّى الْقَلِيلِ مِنَ الطَّعَامِ، فَقَطْ يَشْرَبُ عَصِيرَ اللَّيْمُونِ، وَهَذَا مَا يَجْعَلُهُ يَتَبَوَّلُ كَثِيرًا".

تَوَجَّهَتْ "سَاتَشِيْقُو" بِنَظَرِهَا نَحْوَ سَاقِهِ الَّتِي تَظْهَرُ مِنْ تَحْتِ الدُّثَارِ، وَبِالْحَقِيقَةِ لَمْ يَبْدُ عَلَى مَظْهَرِهَا أَيُّ شَيْءٍ غَيْرِ عَادِيٍّ، وَإِنْ كَانَتْ فَقَطِ الْعُرُوقُ تَوَرَّمَتْ قَلِيلًا، وَأَصْبَحَ لَوْنُهَا يَمِيلُ لِلزُّرْقَةِ بِشَكْلِ طَفِيفٍ، وَلَمْ تَدْرِ "سَاتَشِيْقُو" مَا إِنْ كَانَتْ كَذَلِكَ فَعَلًا أَمْ مَجْرَدُ إِحْيَاءٍ، وَرَغْمَ أَنَّ الْمَرِيضَ لَا يَزَالُ عَلَى وَضْعِهِ دُونَ حَرَكَاتٍ إِلَّا أَنَّهُ عَادَ يَتَأَوَّهُ كَسَابِقِ عَهْدِهِ، لَكِنْ بِهَذِهِ الْمَرَّةِ فِيمَا بَيْنَ كَلِمَاتِهِ "تَوَلَّمْنِي... تَوَلَّمْنِي" أَصْبَحَ يَصْرُخُ:

"آآآه... أُرِيدُ أَنْ أَمُوتَ... دَعُونِي أَمُتَ... اقْتُلُونِي، اقْتُلُونِي سَرِيعًا".

كَانَ وَالِدُهُ عَجُوزًا قَلِيلَ الْكَلَامِ، زَانِغَةٌ نَظَرَاتِهِ فِي رُغْبٍ، وَلَيْسَ لَدَيْهِ رَأْيٌ شَخْصِيٌّ، عَلَى الْعَكْسِ مِنَ وَالِدَتِهِ الَّتِي بَدَتْ تُصِرُّ عَلَى مَوْقِفِهَا غَالِيًا. كَانَتْ تَسْبِلُ جَفْنَيْهَا بِاسْتِمْرَارٍ، وَتَغْمِضُ عَيْنَيْهَا. رُبَّمَا مِنْ قِلَّةِ النَّوْمِ أَوْ كَثْرَةِ الْبُكَاءِ، أَوْ قَدْ يَكُونُ لَدَيْهَا مَرَضٌ مَا بَعَيْنِيهَا. كَانَتْ تَعْبِيرَاتُهَا مُتَبَلِّدَةً، وَمَظْهَرُهَا صَارَ مَا كَعَجُوزُ شَمَطَاءٍ، وَمِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ رَأَتْهَا بِهَا "سَاتَشِيْقُو" وَهِيَ بِجَوَارِ الْمَرِيضِ تَتَفَرَّدُ بِمُسَاعَدَتِهِ أَدْرَكَتْ عَلَى الْفُورِ أَنَّهَا وَالِدَتُهُ.

كَانَ هُوَ ذَاتَهُ يَحْنُو إِلَيْهَا وَيَتَبَنَّى وَيَصْغِي إِلَيْهَا فِي حَدِيثِهَا وَصَمْتِهَا.

وَصَلَ النَّقَاشُ حَوْلَ عَرْضِهِ عَلَى جِرَّاحٍ آخَرَ لَطَرِيقٍ مَسْدُودٍ؛ فَهَذِهِ الْعَجُوزُ لَا تَنْطِقُ بِأَدْنَى كَلِمَةٍ تَنُمُّ عَنْ مَوَافَقَتِهَا، وَبَعْدَمَا جَاءَتْ "سَاتَشِيْقُو" أَيْضًا ظَلَّ الْوَضْعُ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ: أَبُوهُ وَأُمُّهُ فِي جِهَةٍ، وَأَخْتُهُ وَ"تَانِيْقُو" بِجِهَةٍ أُخْرَى. مِنْ وَقْتٍ لآخر يَخْرُجُونَ بِالرَّدْهَةِ أَوْ يَقْفُونَ

بزاوية الغرفة ويتهايمسون، وزوجة الأخ الكبير هي الطرف الوسيط بين
الجهتين، وينادونها هنا وهناك. العجوز تهمس كلماتها بصوت خافتٍ
للغاية لا تستطيع "ساتشيقو" سماعها، وإنما زوجها تصنّت لهما مهمتهما
متلهفًا. حاصرت "تائيكو" وأخته زوجة أخيه لتبقى بينهما، وشددت
كلماتها عليها القول بأنه إذا لم يخضع لعملية جراحية عاجلة سيموت،
وذنبه برقبته، وألحّت الاثنتان عليها لتجعل والدته توافق بأي شكل
من الأشكال، وجعلتاها تقتنع، وكسباها في صفهما، وذهبت لأمه
وقالت الكثير، لكن لم تعدل العجوز عن رأيها أبدًا، وأصرّت إن كان
سيموت فليمت وجسده كامل دون أن يُنْقَصَ منه أي جزء، وصاحت:
"يا لقسوتكم! ها أنتم تحاولون إجباري".

واستكملت هجومها المضاد بسؤالهم:

"هل ستضمنون لي أنه سينجو؟".

فتركتها زوجة الأخ الكبير وعادت إليهما لتخبرهم أنها حاولت
بشئى الطرق، لكنها لم تقبل.

فَرَّقُ السَّنْ يجعلها لا تفهم أبدًا، وانهارت أخته، وحاولوا تهدئتها،
لكنها بهذه المرة ذهبت بنفسها إلى أمها وهاجمت عنادها، وقالت
بصوت متهدج يخنقه البكاء:

"وماذا عن أمه وهو مائل أمام ناظرك هكذا! أحفًا هكذا تكونين
أمًا! على أية حال، سواء أنقذناه أم لم يحدث، لم يُعَدَّ يتبقى لنا أيُّ
مُتَسَّعٍ من الوقت للتفكير. أليس من مسؤوليتنا الأخذ بالحل الوحيد
المتاح أمامنا؟".

وظلّت تعيد كلماتها مرارًا وتكرارًا.

""ساتشيقو"..."

بالنهاية نادت "تائيقو" على أختها وجذبتها لأبعد مكان بالردهة، وقالت لها:

"هؤلاء الناس من الريف... يا لطول بالهم! أنا في ذهول!".

"لو كنتُ بمكان أمّه ربما من الطبيعي أن أقول لا مثلها".

"على أية حال لقد فات الأوان وحُسم الأمر، وغاية الموضوع أن أخته طلبت مني أن أحاول ولو لمرة مع أمّها. وقالت لي إنها عبيدة جدًا، ولكن ربما أمام شخصية عظيمة مثل حضرة أختك الكبيرة لا تقول شيئًا وتوافق".

"حقًا! وأنا حضرة الشخصية العظيمة...".

بصراحة، وجدت "ساتشيغو" أن الموقف سيصبح سخيفًا بتدخّل الغرباء، وهي لا تدري كيف لعجوز مثلها أن تتحمّل هذا الوضع، والأكثر أنه بكل الاحتمالات سينتهي الأمر بالفشل، ولم يرق لها أن تعلق بجidal كهذا.

"عذرًا، انتظري من فضلك. بالنهاية أنا أعلم أنه من الأفضل أن تسير الأمور وفقًا لما نراه جميعًا، لكنني شكّوت لكم بعدما فاض بي". وبدلًا من أن تؤدي "ساتشيغو" الواجب وتضطحب "تائيقو" وترحل كما كانت يُنتها، وجدت نفسها في مأزق لم تكن تتمناه أبدًا.

صعدت الممرضة الدّرج بطريقها لغرفة المريض، وحين وجدت "تائيقو" بالردهة قالت:

"عفوًا، السيد مدير المشفى يريد مقابلة أحد أقرباء المريض... من يمكنه أن يتفضّل معي ومفرده؟".

ذهبت "تائيقو" لتخبرهم.

جلست أخته وزوجة أخيه القرفصاء على الأرض بجوار فراشه عند رأسه، ووالداه المُسنَّان عند قدميه. بذاك الحين أيضًا تردَّد والداه بعض الشيء فيما إن كانا سيذهبان أم يدعانهما هي تذهب، ثم همَّ العجوزان مع بعضهما البعض وخرجا سويًا وعادا بعد حوالي ربع ساعة. جلس والده وتنهَّد ووجهه يعتليه نفس الوجوم، ووالدته تنهمر دموعها وتهمهم بأذنه في تذمُّر، ولا يدري أحدًا ما أخبرهما به مدير المشفى.

بعد حين اقتربت أخت "إيتاكورا" من والديها وسألتهما فأجابها بأن مدير المشفى قال إن خطر الموت يداهما ببقائه على هذا الوضع، ولا بُدَّ بأي شكل من الأشكال إجراء عملية أخرى، إنه بذل قصارى جهده في عملية الأذن اليمنى للمريض، والتطهير والتعقيم تمَّ على أكمل وجه، وهو لا يظنُّ أن ما حدث ناتجٌ عن إهمال في علاجه، وما أصاب ساقه ليس له علاقة بمرض أذنه، حتى إن أذنه تحسَّنت؛ ولذلك ما من ضرورة لبقائه في المشفى هنا، حيث لا مجال لإيجاد طبيب مُختصٍّ فيما شُخص به مرضه، وعلى العموم الطبيب "سوزوكي" الذي أتاه بالليلة الماضية وافق على أن يتابع علاجه، لكن بتردُّدهم وعدم الوصول لقرارٍ يضيع وقتٌ غاية في الأهمية، وهو يظنُّ أنه قد فات الأوان، وإن كان لا يمكنه إلقاء اللوم عليهم للتباطؤ في قرار خطير كهذا...

وأزاح المسؤولية من على عاتقه، وبالتأكيد أصبح تردَّد والديه وتأخُّر القرار هو حُجَّةٌ بمثابة هجوم استباقيٍّ ليُحصَّن ذاته.

استمع العجوزان دون قول أي شيء غير "نعم، نعم" فقط، ثم ألقيا التحية بجزيل الشكر وانصرفا، لكن بمجرد أن عادت والدته للغرفة بدأت تُوبِّخ زوجها وكأنَّ الذنب ذنبه فيما لَفَّقَه لهم مدير المشفى.

برأي "ساتشيقو" هي كانت نَصَبٌ غضبها عليه من كثرة ما تعانیه كأم، وبالنهاية تَبَلَّوَرَت فكرة تولِّي جراحٍ آخر لحالته عقب ذاك اللقاء.

كانت مستشفى الطبيب "سوزوكي" في "كاميتسوسوي" قرب المحطة الأخيرة لخط "هانكيو" القديم، ولقد تأخر الوقت لاتخاذ اللازم لنقل المريض إلى هناك.

بنفس الوقت أيضًا أصبح أسلوب السيد "إيسوجاي" مدير المشفى سخيفًا، وبعدها انتهى حديثهم وتوصلوا إلى ذلك القرار اختفى وتوارى عن الأنظار تمامًا، ولكن ظلَّ شُغله الشاغل التَّخْلُصَ منهم. لم يأتِ حتى لتحيتهم وقت الخروج، وكل مَنْ جاء من مستشفى "سوزوكي" من أطباء وممرّضين هم مَنْ قَدَّمُوا يد العون لنقل المريض وتحملوا المسؤولية.

تَنَاقَش والداه وأخوته لبضع ساعات، ودار الجدل حول ما إن كانوا سيخبرونه بشأن بتر ساقه أم لا، والمريض بالطبع لا يتوقّف عن قول "تؤلمني، تؤلمني"، وفي ملكونه بعيدًا عن أي أحد وعن كل شيء، وتحول لمسح يتردّد صدى أنينه. هكذا رآه كُلُّ مَنْ حوله من أقرب المقربين، ولم تعد المشكلة لها صلة بالسؤال عما سيحدث أو عن الأسباب والنتائج بحالته المَرَضِيَّة، بل أصبح أكثر ما يثير رعبهم الآن هو كيف ستكون صرخات الألم لهذا المسح أثناء نَقْلِهِ من فراش المستشفى إلى السرير المتحرك؛ فالرُدهة بخارج غرفة المشفى مثلها مثل أي رَدَهةٍ بمسكن لا يتعدّى اتساعها المتر، والدَّرَج ضيّقٌ حلزونيٌّ، بدون أي مساحات، ومن المؤكّد أنه سيعاني آلامًا لا تُحْتَمَل.

وبدلاً من الأسى الذي يشعر به كل عائلته والكل في انتظار صراخه ويستمتع لأنينه الذي لا يتوقّف بادّرت "ساتشيكو" بسؤال الممرّضة كيف سينقلونه، وأجابتها بأنه لا داعي للقلق، وأضاف الطبيب "سوزوكي" أنه سيعطيه حُقنة مُخدّر، وكانت إجابته شافيةً لصدورهم، وبالفعل هدأ المريض بعد الحقنة، وحمله الطبيب والممرضون، وشاركهم أمّه.

الفصل الخامس والثلاثون

انشغل والد "إيتاكورا" وزوجة أخيه وأخته الصغيرة بإنهاء الإجراءات ودفع التكاليف وجمع الأغراض من الغرفة.

بتلك الأثناء نادى "سانشيقو" على أختها وأخذتها جانبًا لتخبرها بأنها ستكتفي بهذا القدر وستغادر، وأن "تينوسوكيه" شدد القول بعودتهما سوياً. حاولت "سانشيقو" جعلها تغادر هي الأخرى، لكن "ثانيكو" أصرت على الانتظار لحين التأكد من نتيجة العملية التالية، ولم يعد لدى "سانشيقو" أي حل. أخذوا سيارة لتقلهما إلى مشفى "سوزوكي"، ثم تابعت "سانشيقو" طريقها إلى "أشيبا"، وحين توقفت السيارة أمام المشفى نادى "سانشيقو" مرة أخرى على أختها واستوقفتها وقالت لها أن تنصرف فور أن تستطيع المغادرة بكياسة ومهما كانت تودُ مرافقته فهذا يثير حفيظة الجميع، علاوة على أن وجودها لا ضرورة له.

هكذا قالت "ساتشيقو" وأصرّت على طلبها؛ فبالوضع الحالي أكثر ما يثير مخاوفها هو أن الناس ستسيء فهمها، حتى ولو كان بين "تائيكو" و"إيتاكورا" خطبة، بكل الأحوال لن ينسى أحد... اسم عائلة "ماكي أوكا"، ومردود أفعالها، خُصيصًا على "يوكيقو"، كلها أمور لا بُدّ أن تضعها نُصبَ عينيها قبل أن تتصرّف، واستفاضت بحديثها.

بالحقيقة كان في نية "ساتشيقو" ألاّ تسعى لمنع زواجهما، لكن الآن إذا مات "إيتاكورا" فمن الأفضل ألاّ يعرف أيُّ أحد عن وعدهما. قالتها "ساتشيقو" بطريقة غير مباشر قدر المستطاع، ولكن بلا شك أخذت "تائيكو" كلامها على محمل مُغاير تمامًا؛ فأكبر مشكلة تعاني منها "ساتشيقو" بهذه الآونة وتورّقها هي أن أختها من لحمها ودمها ستصبح زوجةً لِحرفيّ لا يعرفون حَسَبَه ونَسَبَه، وطالما تطلّعت لتُحلّ المسألة من تلقاء نفسها بطريقة طبيعية وغير متوقّعة، وبصراحة هي تستحقّ الشكر قبل أي شيء على موقفها النبيل هذا. إن القلوب التي تتمنّى الموت لأيّ أحد كان هي نفسها التي تُكُنّ التعاسة والبؤس، وعلى ما يبدو أن هذه هي الحقيقة.

بهذه الحالة، فالوصف لا ينطبق على "ساتشيقو" فقط فهي ليست وحدها مَنْ تخفي بداخلها هذه المشاعر، بل بالطبع "يوكيقو" أيضًا و"تينوسوكيه" لديهما نفس الشعور، ولو كان "أوكوبانا" بمقدوره الاستماع لمكنون صدورهم لَرَقَصَ فَرَحًا، وما كان بسعادته أحد.

"تأخّرت للغاية... لقد خرجت بالظهيرة، وحين وجدتكَ تأخّرت هكذا اتّصلتُ بالمشفى".

قالها "تينوسوكيه" بعدما وصل للبيت وظلّ في انتظار عودة زوجته. "فعلًا. تأخّرت هكذا على أمل أن أصطحب "تائيكو" ونعود سوياً، ولكن..."

"هل عادت معك؟".

"كَلَّا، قالت إنها ستظل معه حتى انتهاء العملية، وبالطبع هذا ليس بغريب...".

"هل تَقَرَّر إجراء العملية؟".

"نعم، نعم... لقد عُدْتُ بعدما قرَّروا ذلك أخيراً بعد نقاش طويل دار حول: سيُجرىها أم لن يفعل، وبالنهاية استقرُّوا على رأي، وأوصلت "تاتشيكو" لمشفى "سوزوكي".

"هل هذا في صالحه؟".

"ربَّما... لن نفقد الأمل".

"غريبٌ جدًّا، وهل تسمَّمت ساقه كُلُّها؟".

"لا أعلم".

"وما هذا المرض؟ هل سمعت اسمه؟".

"مهما سألنا عن هذا المرض يتهرَّب "إيسوجاي" من الإجابة، و"سوزوكي" أيضًا يتعامل بتحفظ شديد ويتسرَّ عليه، ولا يفيدنا بقول واضح".

"على ما أظنُّ هو مرض مختلف عن داء "الإسقربوط" (1)*، وعن مرض تسمُّم الدم".

ذهبت "ساتشيكو" للممرضة "ميتو" التي ارتدت ملابسها وانتظرتها. شكرتها "ساتشيكو" على مجهودها طيلة الأربعين يومًا، وبعدها رحلت انضمت لزوجها و"يوكيكو" على طاولة العشاء، لكن بتلك الأثناء جاء

(1) الإسقربوط - ESCURVY: داء ناجم من نقص فيتامين سي، ويتسبَّب في ضعف الأنسجة وآلام المفاصل وخللحة الأسنان وسقوطها.

هاتف من مشى "سوزوكي" أجابته "ساتشيقو" واستمع "تينوسوكيه" وباقي العائلة للحديث وهم بغرفة الطعام، وبدأ أنها تتحدث مع "تائيقو". كانت مكالمة طويلة إلى حد ما مفادها أنه انتهت العملية، وحالته الآن مستقرة، لكن يلزمه نقل دم. أخذت من الجميع عينة تحليل لفصيلة الدم، بخلاف والديه المُستئين. كان "إيتاكورا" وأخته من فصيلة "A"، و"تائيقو" "O"؛ لذا فمن الأنسب أن تبرّع له أخته، لكن من الضروري إيجاد مُتبرّع آخر، و"تائيقو" فصيلتها تسمح أن تبرّع له، ولكنه بالطبع لم يتجرأ أحد من أقاربه على طلب منها ذلك. فقط ما يضعها في ورطة الآن هو أن أخته تقترح أن تخبر بعض رفاقه الذين كان يعمل معهم بمتجر "أوكوباتا"، وهذا يعني أنهم سيحضرون على الفور، وهي لا ترغب بلقائهم، غير أنه من المحتمل أن يسمع "أوكوباتا" ذاته بالأمر فيأتي معهم.

أرادت "تائيقو" أن تغادر في الحال لتتحدث أي فرصة للقاءه، وطلبت من أختها أن ترتب اللازم، وترسل لها سيارة بالمشفى، فبأي حال من الأحوال هي أصابها الإنهاك، وتريد العودة للمنزل لتناول الطعام والاختزال.

وبالفعل أخبرت أخت "إيتاكورا" رفاقه القدامى منذ أن كان صبياً من حرفيي المتجر بحالته المتدهورة، وهي تسعى لإيجاد متبرعين بالدم من أعماق قلبها.

انتظر "تينوسوكيه" عودة زوجته للمائدة ليسألها بهدوء:

"ماذا هناك؟ هل عائلة "إيتاكورا" يعرفون أي تفاصيل عن علاقة "أوكوباتا" و"تائيقو"؟".

"أظن أن أبويه لا يعرفان شيئاً؛ فلو كان لديهما علم لما سمحاً لابنهما أبداً أن تكون "تائيقو" عروساً له".

"بالضبط، قطعاً لا يعرفان شيئاً"، هكذا قالت "تائيقو".

"ربما أخته فقط هي مَنْ تدري".

"رُما أيضًا رفاقه الذين يعملون بمتجر "أوكوباتا"؛ فهم يترددون على منزله باستمرار".

"كيف؟! لم أسمع من قبل أن له رفاقًا قدامى هكذا، لو كلامك صحيح ألن يكونوا أخبروا كل الناس بعلاقة "إيتاكورا" و"تائيكو"؟".

"حقًا... بالتأكيد هو كذلك؛ ألم يقل "أوكوباتا" سابقًا أنا يدي تطل أي شيء أريد معرفته".

وصلت "تائيكو" المنزل بعد أكثر من ساعة، وقالت إنها انتظرت طويلًا بالمشفى لأن إطار السيارة انثقب وهي بالطريق إليها، ولا بأس بذلك، وإنما بتلك الأثناء جاء رفاق "إيتاكورا" عمال متجر "أوكوباتا"، وكما توقعت بالضبط؛ جاء معهم، وللأسف اضطرت لمقابلتهم جميعًا. (رغم أن "أوكوباتا" لا يكون بالمتجر بذاك الوقت، لكن في الغالب أخبره أحد العاملين هاتفيًا).

كل ما حدث هو أنه حين همّت "تائيكو" بالانصراف اقترب منها "أوكوباتا" بلطفٍ وهمس لها قائلاً: "أليس من الأفضل أن تبقي قليلًا"، ولم تلتفتها "تائيكو" على سبيل السخرية؛ لأنه حين تقدّم عمال المتجر لتؤخذ منهم عينة تحليل فصيلة الدّم تقدّم معهم بالمثل، دون أن تدري ما نواياه من الإقدام على هذا الفعل، لكنه عامّةً طالما تصرف بهذا الشكل وبهدوء؛ فلا بأس، ولم يزد الأمر عن ذلك.

أخذت العينات من الجميع بداية بأقاربه، ورغبت "تائيكو" أن تتبرّع هي أيضًا، لكن أبويّه وأخته وزوجة أخيه استوقفوها بإصرار. "من أين قُطعت ساقه؟".

واجتمع الثلاثة حول "تائيكو" يستمعون لها وهي تروي التفاصيل بعدما اغتسلت واستبدلت ملابسها وانضمت لهم على الطاولة.

"من هنا".

ومَدَّت "تائيكو" ساقها من أسفل المنضدة وهي تشير لهم بيدها على موضع الفخذ؛ مُحاولَةً أن توضح لهم.

"أختي، هل رأيت ذلك؟".

"فقط أَلَقَيْتُ نظرة".

"تائيكو"! هل شاهدت العملية؟".

"بوقت العملية انتظرتُ بالغرفة المجاورة... كانت ذات بابٍ زجاجيٍّ ويمكنني المشاهدة".

"وهل شاهدت ذلك؟ حقًا أكان بمقدورك المشاهدة "تائيكو"؟".

"حاولتُ جاهدةً، إلى أن أصبح الوضع مُرعبًا. كانت ضربات قلبه مُخيفَةً، وصدره يرتفع ويعلو لأقصى درجة، ويهبط، وكل جسده مُخدرٌ، لو كنتِ أنتِ يا "ساتشيكو"... ألن يُمكنكِ حتى مشاهدة هذا فقط؟ فهذا ما به؟!".

"كفى. توقفي عن الحديث".

"حقًا، إلى هنا الوضع عاديٌّ ليس به شيء، ولم أرَ أيَّ شيء مُفجعًا".

"كُفّي... كُفّي عن ذلك".

"حسنًا! الآن وقت شرائح لحم الغزال الصافي، وليس اللحم البشري".

"توقفي "تائيكو"، ونهرتها "يوكيكو".

"حسنًا إذن، أنت تعرف اسم ذلك المرض؟".

توجَّهت "تائيكو" بسؤالها إلى "تينوسوكيه".

"الغريغرينا" على ما أظن... لم يُخبرني السيد "سوزوكي" أثناء تواجده بمشفى "إيسوجاي"، وإنما أبلغني بعد ذهابكم لمشفاه".

"وإن كان "غرغرينا"؛ فهل تُسبَّب كُلُّ هذا الأُم؟".

"بالتأكيد المسألة لها علاقة بعملية أذنه، وهي أصل السبب بهذا كله".

"وكيف هذا! أنا حقًا لا أتخيَّل".

وستعرف لاحقًا أن "سوزوكي" رفيق مدير المشفى الأخرى، وهو طبيبٌ سيئ السمعة، لكن على وجه العموم هما أشهر جراحَيْن بالإقليم، وهما الاثنان يُقرَّان بأن حالة المريض الراض للعملية ميؤوس منها، وما من ضمان لنجاحها، وإن فُكِّرَتْ في هذا ستجده برؤيته غريبًا؛ فهناك أسباب مُشينة لمدير المشفى لا تزال مُستَترّة. لم تلاحظ "تائيكو" هذا بتلك الليلة، وإنما كل ما تَنَبَّهَتْ إليه أنه عَوَضًا عن البناية الضخمة لمستشفى "إيسوجاي" أصبحوا بمكان هادئ؛ فهذا المشفى يبدو وكأنه ليس به ولا مريضٌ واحد، ومن النادر أن تطأه قَدَم؛ ربما ذلك لأن البناية في الأصل كانت منزلًا لأحد الأجانب وتمَّ ترميمه، وهي على الطراز الغربي الكلاسيكي، وشبيهة بمباني عصر "مييجي".

كل خطوة بالرّدهة يتردّد صداها بين الجدران والأسقف الشاهقة الارتفاع؛ ممّا يُعطي انطباعًا بالغواء وكأنها منزل مسكون بالأشباح، وبأول لحظة خَطَّت "تائيكو" خطواتها للداخل شعرت بالقشعريرة وداهمها الإحساس بالكآبة.

حملوا المريض بعد العملية إلى غرفته بالمستشفى، وحين استردّ وعيه بعد التخدير وجد "تائيكو" بجوار وسادته، وكانت أوّل كلماته: "أصبحتُ مشلولًا!".

قالها ونبرة صوته يَغْلِيْهَا الأُمى، ثم بدأت تأوْهاته وأُنيْنه المتواصل كالْمعتاد مثلما كان يَمْشِى "إيسوجاي"، وليس هذا فقط، بل والأكثر أن كل كلمة من تأوْهاته التي كانت وكأنها أُنْينٌ وَحْشٍ كاسِرٍ غَلْبَه الأملُ أَصْبَحَتْ مُستمرَّةً وهو بكامل وعيه ويدري حالته ويعرف كل ما يدور بجواره من مناقشات، إلّا أن "تائيقو" كانت ترى أنه يتحسّن، وأفضل من ذي قبل، حتى كلماته "تؤْمَني، تؤْمَني" هدأت جِدْثُها، وكانت تظنُّ أنه تمَّ إنقاذه للتَّوْ بأقل الخسائر الممكنة، وبفقده لإحدى ساقيه، وكانت تتخيّله يتمائل للشفاء ويتوكّأ على عكاز بِسَيرِه، لكن بالحقيقة خلال ساعات قليلة قادمة سينال راحته التي طلبها. لقد أسرع إليه رفّاقه و"أوكوباتا"، و"تائيقو" أيضًا كانت بجوار تطمئنُ على حالته بنفسها باستمرار، وحيث غادَرت كانت حالته مستقرَّة.

أخته فقط من بين كل الموجودين هي التي شعرت بأن هناك خطبًا ما، لكن "تائيقو" جعلتها تتغاضى عن الأمر. والأكثر أن "تائيقو" أَكْذَت عليها حين انصرافها أنه إذا طرأ أي شيء بحالته تخبرها مهما كان الوقت وأيضًا أَكْذَت على سائق السيارة الذي جاءها أن يبقى على أهبة الاستعداد لأنه إن جدَّ أي شيء ستحتاجه أن يأتيها على الفور.

خلدت "تائيقو" للنوم بعدما أرهقها الحديث مع ثلاثتهم، لكن كالمتوقَّع بالضبط، أوقفها هاتفٌ من المستشفى بالرابعة صباحًا، واستدعوها.

بالفجر استمعت "ساتشيكو" لصرير عجلات السيارة وهي تنصرف من أمام منزلهم، لكنها واصلت أحلامها وسقطت في غفوتها وهي لا تعي أن "تائيقو" غادَرت، أو حتى بأيّ وقتٍ هم.

السّتائر بالكاد مفتوحة قليلًا.

"سيدتي...".

قالتها "أوهارو" وتابعت:

"الآن جاء هاتف من سيدتي الأخت الصغيرة تقول إن "إيتاكورا"، مات وعليّ أن أخبركِ".

"ما السّاعة الآن؟".

"السادسة والنصف حضرتكِ".

أوشكت "سانشيقو" أن تغفو مرّةً أخرى، لكن جافاها النوم، "تينوسوكيه" أيضًا أبغظه رنينُ الهاتف، واستيقظت "يوكيقو" والصغيرة "إتسوقو" لاحقًا قُرب الساعة الثامنة، واستمعًا لما حدث من "أوهارو".
عادت "تائيقو" بالظهيرة.

لقد ساءت حالته بعد رحيلها وتبرّعت له بالدم أخّته ورفاقه أيضًا، كلّ بدّوره، دون أي جدوى؛ فالمرضى الذي تحرّر أخيرًا من أوجاع ساقه غزا الميكروب رثّيته ومُخّه. لم تره "تائيقو" وهو يعاني آلامه الرهيبة قبل أن يلفظ آخر أنفاسه.

كان بكامل وعيه وهو على فراش الموت، وتحدّث لواحدٍ واحدٍ ممّن حوله: والديه وإخوته ورفاقه، وأرادهم أن يخبروا "تائيقو" و"أوكوباتا" أيضًا عرفانه بجميلهم وتمنّياته لهما بالسعادة في المستقبل، وذكر اسم كل فرد بعائلة "ماي أوكا": "سانشيقو"، "تينوسوكيه"، "يوكيقو" و"إتسوقو"، وحتى "أوهارو"، وأوصاهم أن يبلغوهم السلام.

غادر رفاقه المشفى لأن كان لديهم نوبة عمل مسائيّ بمتجر "أوكوباتا"، لكن "أوكوباتا" ذاته مكث مع والديه وإخوته إلى أن وصل جثمان "إيتاكورا" لمنزله، ورافقته "تائيقو" ثم عادت للبيت، وظلّ "أوكوباتا" معهم يعتني بهم ويساندتهم، وهم ينادونه دائمًا بـ "سيدي"، و"حضرتكِ"، "سيادتكِ".

أتمّ معهم مراسيم التأبين بتلك الليلة، والجنّازة باليوم التالي.

حينها بدا الهزال على وجه "تائيقو" إثر قلّة النوم وسهرها للتمريض، وارتسم الهدوء على ملامحها دون أن تذرف دمعاً واحدة.

حضرت "تائيقو" لساعة فقط بليلة التأبين، ومساء اليوم التالي كان لديها مشاغلها، في حين أن "أوكوباتا" ظلّ متواجداً بكل ليلة.

كان على أهبة الاستعداد لينتهز أي فرصة ويحادثها إن لمح منها أي إشارة.

في البداية قال "تينوسوكيه" إنه من غير اللائق تغيبهم عن المأتم، لكنه باليوم التالي قال إن مصلحة أخته الصغرى بالقانون هي أهم شيء يضعه نصب عينيه... تلك المراسم سيكون بها الكثير من الحضور، ومنذ واقعة الجريمة هو لا يفضل الصدام بعائلة "أوكوباتا"؛ لذا انتهى الأمر بأنه لن يحضر الجنّازة، و"ساتشيكو" ستؤدّي واجب العزاء لاحقاً بأيّ وقت آخر. أمّا "تائيقو" فحضرت المأتم ولم تذهب لمحرقّة الجثامين، وبعدها عادت روت لهم أنه كان هناك أعداد هائلة من الحضور المشاركين على نحو غير متوقّع، ورأت كثيراً من الوجوه التي أثارت دهشتها، ربما لأنّ "إيتاكورا" كانت يدها ممدودة بالخير، وودوداً مع كل الناس.

لكنها شعرت بشيء آخر غير متوقّع بذاك اليوم؛ كان "أوكوباتا" يتحرّك بكل طاقته هنا وهناك، ويتبادل الحديث مع عمّال متجره سوياً وهو جنباً إلى جنب معهم بجوار النعش.

أخذ ذووه الرُفات لمعبّد بلدتهم مسقط رأسه لدفنها، لكن قبيل رحيلهم فتحوا متجر تصوير "إيتاكورا" المغلق بمنطقة "تاناكا" لبعض

الوقت، ولم تأتِهم أية تحية من عائلة "ماكي أوكا"، وعلى الأرجح هم
فَضَّلُوا انتهاء العلاقة عند هذا الحد.

على مرَّ خمسة وثلاثين يومًا، أسبوعيًا، كانت تذهب "تائيكو"
بمفردها لبلدة فقيدة الراحل، وتزور قبره بكل أسى، وتعود خلسةً
دون أن تمرَّ على مسكن والدَيْه وإخوته.
حتى "ساتشيكو" لم تدرِ بالأمر.

بعدما غادرت الممرضة "ميتو" واستردت الصغيرة عافيتها أصبحت
تنام مع "يوكيكو" بجهةٍ مُنفصلة بنفس الغرفة، وبقيت "تائيكو"
لحالتها، ولمدة ليلتين كانت تستدعي "أوهارو" للمبيت معها. إنها
باليوم السابق لرحيل "إيتاكورا" انتقلت لغرفة نوم ببناء البيت
الرئيسي والجناح المنفصل بالبيت ثمَّ تطهيره بـ "الفورمالين"، ثم عاد
كما كان من قبل؛ غرفة مكتب لـ "تينوسوكيه".

وفي خِصَمُ تَقَلُّبِ الأحداث على ذاك الحال انقضى شهر مايو، لكن
بأحد الأيام وصل خطابٌ لمنزلهم مُرسل عبر "سيريا".

كان خطابًا إلى "ساتشيكو" بالإنجليزية من السيدة "STOLZ"، بعدما
عادت من "مانिला" إلى "هامبرج"، مكتوب به:

"2 مايو 1939

من هامبرج

عزيزتي سيدة عائلة "ماكي أوكا"

أعتذر بشدة عن التلکؤ في الردِّ على خطابك الرقيق.

في الحقيقة وأنا في "مانيل"، وعلى متن السفينة في عرض البحر أيضًا لم يكن لديّ مُتَسَّع من الوقت أبدًا.

أنا الآن برفقة أختي المريضة في ألمانيا. كان لا بُدَّ لي من حزم كثير من الأمتعة بدلًا منها، واصطَحَبْتُ أبناءها الثلاثة أيضًا، أي كنت وسط متاعب خمسة أطفال، وحقًّا لم أهنأ بأي راحة برحلتنا من "جنوه" إلى أن وصلنا "بريملهافن"، وهناك التقيتُ بزوجي. كان بخير حال، وأمّا "بيتر" فلقد كان في استقبالنا بالمحطّة مع أقاربنا والرفاق. ما زلتُ لم ألتقِ بعدُ بوالدي العجوز وباقي أخواني.

نحن نريد بناء منزل لنا، لكن هذه مشقّة كبيرة، وتجوّلنا نبحث عن واحد. بالنهاية وجدنا بيتًا نظفهُ مناسبًا لنا، ولكننا لا يزال يلزمنا أن نبتاع الأثاث وأدوات المطبخ وغيره.

أظنُّ يلزمنا أسبوعين لنتهي من كل شيء. ما شحناهُ من أغراض لم تصل بعدُ، وقد تصل خلال عشرة أيام.

لا يزال "بيتر" و"فريتز" يقيمان لدى أحد الأصدقاء. "بيتر" لديه الكثير من الواجبات المدرسية، وهو يرسل لكم كثير السلام.

هناك صديق لنا سيعود لليابان بشهر مايو، وسرسل معه هدية بسيطة لـ "إتسوقو"؛ تعبيرًا عن الامتنان للصداقة التي جمَعَتنا بكم، ونحن نرحّب بكم بأي وقت في ألمانيا.

ليتني أستطيع أن أريك "هامبرج"... إنها مدينة رائعة.

كتبتُ "روزماري" خطابًا لـ "إتسوقو". من فضلك دعيها تكتب لها ردًّا، ولا تعبئي بأخطاء الإنجليزية؛ فهي أنا ذا أقع بكثير من الأخطاء.

ماذا عن المنزل الذي يملكه السيد "ساطوو"؟ هل يسكنه أحدٌ

الآن؟

بالحقيقة كان مكانًا مُحبَّبًا إلى قلبي للغاية.

من فضلك أبلغني السيد "ساطوو" سلامنا وخالص تحياتي لكل واحد بأسرتك.

هل استَلَمْت "إتسوقو" الحذاء الذي ابتاعه لها "بيتر" من "نيويورك"؟

إنه خالص الجمارك على ما أعتقد، ولست بحاجةٍ لدفع شيءٍ لاستلامه.

تحياتي.

"هيلدا ستولز".

كان ذلك محتوى خطاب السيدة "STOLZ"، وكان مُرفَقًا به بنفس المظروف ورقة ترجمتها السيدة "هيلدا" من الألمانية إلى الإنجليزية نقلًا عن خطاب "روزماري":

"الثلاثاء 2 مايو 1939

عزيزتي "إتسوقو".

كثير من الأخبار لم أروها لك منذ فترة طويلة.

أخيرًا أنا أكتب إليك خطابًا.

عرفت شخصًا يابانيًا يقيم ببيت السيدة "VON PSTAN"، إنه يعمل ببنك "يوقوهاما". زوجته وأبناؤه الثلاثة أيضًا جاؤوا معه إلى هنا. اسمه "إيماي".

الرحلة من "مانبلا" إلى ألمانيا كانت مُمتعةً للغاية. واجهنا لأول مرة عاصفة صحراوية بقناة السويس.

غادر أبناء خالتي السفينة في "جنوه"، واصطحبتهم أمهم إلى ألمانيا بالقطار، أما نحن فتابعنا بالسفينة إلى "برمهلان".

بالبيت الذي نقيم به، وتحت نافذة غرفة نومنا عَشَّشَت بجعة سوداء، ووضعت بيوضها لأول مرة. لا بُدَّ لها أن تفقس الآن.

رأيتهم بذات مرة: الأب يجمع الحشرات ويقدمها للأم، لكن البجعة الأم طارت مُرفقةً بجناحيها.

كان الأب ماهرًا جدًا بجمع الحشرات المينة. كان يضعها بالعش ويطير، وحين عادت الأم على الفور التهمت الطعام، ورقدت فوق بيوضها مرةً أخرى.

قريبًا سيكون لدينا بيت جديد. عنواننا هو:

مدينة "فريبك"، بيت رقم 14، الدور الأرضي، جهة اليسار.

عزيزتي "إتسوقو"، من فضلك راسليني سريعًا.

سلامي للجميع

التقينا بـ "بيتر" في أمس، وهو أيضًا يرسل سلامه للجميع.

"روزماري"

(يُتبع في الجزء الأخير)

نبذة عن المؤلف

جون إيتشيرو تانيزاكي

جون إيتشيرو تانيزاكي (باليابانية: 谷崎潤一郎، 24 يوليو 1886 - 30 يوليو 1965)، روائي ياباني وقد يكون أشهر روائي ياباني بعد ناتسومي سوسيكى. تمثل أعماله ديناميكية الحياة العائلية اليابانية في سياق التغيرات السريعة في المجتمع الياباني في القرن العشرين، كما تمثل البحث عن هوية ثقافية يابانية في العالم الحديث. حصل على وسام الثقافة عام 1949.



صنفه النقاد إلى جانب ميشيما يوكيو، وكاواباتا ياسونارى، كأكبر كاتب عرفته اليابان في القرن العشرين، نشر روايته الأولى "وشم" عام 1910 -وسنه 24 سنة- وبدأت منطبعة بتيار الأدب الحديث والمتأنق

جماليًا. خسر منزله بعد أن دمره زلزال طوكيو المأساوي واضطر إلى الانتقال إلى "كيوتو"، وهناك انقلبت حياته وأفكاره رأسًا على عقب عندما صدمته مدينة "كيوتو" التي جسدت التقاليد والأصالة مقابل حداثة "طوكيو"، ليكتشف أن الأدب الحديث الذي كان يعتقده ابتكارًا أوروبيًا خالصًا إنما يجد معادله في الأدب الياباني العريق.

الجوائز:

- صاحب الاستحقاق الثقافي 1951
- وسام الثقافة 1949
- جائزة أساهي 1948

نبذة عن الرواية

أربع أخوات. لكل منهن حكايتها.

حب وزواج وعلاقات أسرية تتأرجح بين منفعة ومصلحة أو احتواء وعطف بخلاف الغيرة أحياناً والضجر أحياناً أخرى. الأخوات الأربع تختلف طبائعهن وطموحاتهن وتطلعاتهن، وفي النهاية كلهن مقيدات بأعراف المجتمع والتقاليد، ولكل واحدة منهن طريقة تعبيرها الخاصة، تجد المندفعة وتجد المتكتمة مثلاً.

إن كان الكاتب يستعرض في الرواية مختلف أنواع الشخصيات النسائية وبالمثل أيضاً عن الجانب الذكوري، فستجد في الرواية الزوج مرهف الحس المحب لزوجته، والزوج العملي المهتم بوضعه الوظيفي على حساب من حوله، والأب الطيب المرفق، ومختلف شخصيات العرسان الذين يتقدمون لخطبة الأخت الصغرى "يوكيقو".

الرواية صدرت في ثلاثة أجزاء بدايةً من عام 1943 إلى عام 1948 رصدًا لحياة أسرة غنية بـ"أوساكا" في عام 1936، وتركز على حياتهم الاجتماعية ومحاولتهم إيجاد زوج مناسب لأختهم "يوكيقو" دون تنازل عن مستواهم الاجتماعي، ما يعرضهم لكثير من المواقف المحرجة والمشكلات.

اسم القصة مستوحى من الأشعار اليابانية الكلاسيكية وصورة تساقط أزهار الكرز بالربيع المبكر التي دائماً ما تُنسج حولها الأشعار، وذلك كناية عن اللادوام.

صارت الرواية فيلمًا سينمائيًا للمرة الأولى 1950، ثم أعيد إخراجها مرة أخرى في عام 1959 وصدر للمرة الأخيرة كفيلم في عام 1983. أيضًا تحولت القصة إلى مسلسل تلفزيوني لكثير من المرات، أولها عام 1957 ثم 1959 و1966 وأخيرًا عام 1980.

كلمة من المترجم

هذه الرواية ترجمة مباشرة من اليابانية إلى العربية للمرة الأولى للأديب "تانيزاكي جون إيتشيرو"، فالكثير من أعماله مترجم إلى الإنجليزية، ونادر في عالمنا العربي أن تُترجم الأعمال اليابانية من الأصل وليس من الإنجليزية. المعروف أن الترجمة من غير النص الأصلي تفتقر إلى الدقة عادةً وتجعل العمل عرضةً للتحريف، وعليه فقد عملت جاهدة للمحافظة على روح النص ونقل إحياءات الألفاظ والمقاصد المستترة بين السطور كما هي ليستشعرها القارئ.

هنا يجب التنويه إلى أن قارئ الأدب المترجم ليس بأي قارئ، فهو يتميز بسعة الأفق وشغفه بالثقافات المختلفة والبعيدة عن عالمه، وبقدرته على تقبل الآخر من منطلق التطلع والتعرف إلى كل جديد وغريب. بالنسبة إلى هذا النوع من القراء، فهي هو قد وجد ضالته بهذه الرواية. إنها باب مفتوح على مصراعيه لإلقاء نظرة على المجتمع الياباني.

الرواية تدور أحداثها حول أربع أخوات لكل منهن ظروفها
وسماتها المختلفة عن بقية الأخوات، ويسرد الكاتب ببراعة وسلاسة
مواقف حياتية تثير فضول القارئ خصوصاً في بلادنا العربية، فستجدك
ترسم بمخيلتك أشكال البيوت والشوارع والناس وترى عاداتهم
وتقاليدهم وتقارنها بحالنا، وتارة سيثير دهشتك مدى التشابه وتارة
أخرى ستتعجب من مدى الغرابة بالنسبة إلينا، وعليه ستزداد فضولاً
حيال كيف صار شكل المجتمع الياباني الآن والحياة، وكيف تغيرنا
نحن.

إن الكاتب أبدع في ربط الأحداث ونسج خيوطها، فتجده مرة
يتعرض لنواح سياسية وأثرها الملموس في حياة العامة، ومرة يسرد
عادات وتقاليد وموروثات خاصة بالزواج والعمل والحب وهي تتأرجح
بين الاستمرار وبدء الزوال، ويسترسل ويعرض مختلف طبقات المجتمع
وطبيعة العلاقات الإنسانية، ومن بين السطور ستستشف استحسانه
أو رفضه. في النهاية ستجد أنك لديك صورة متكاملة الأركان ومتناسقة
الألوان للمجتمع الياباني وهو على أعتاب الحرب العالمية.

لقد أبدع المؤلف إلى حد صعب على مهمتي التي بذلت فيها
قصارى جهدي، وأرجو من الله التوفيق.

آية حسن شاكر

アーヤ . ハッサン

MOHAMED KHATAB

